الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة

مركز تحقيق التراث

نزهة النفوس والأبدان

فى تواريخ الزمان

للخطيب الجوهري على بن داود الصيرفي

الجزء الثاني

(٨٠١ - ٨٢٥ هـ)

تحقيق وتعليق

الدكتور حسن حبشى

مطبعة دار الكتب

١٩٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الثانى

من

نزهة النفوس والأبدان

ما أحسب أن هذا الجزء فى حاجة إلى تقدمة، فليس ثمت من جديد أضيفه إلى ماجاء فى مقدمة الجزء الأول منه من حيث الأصل أو ترجمة المؤلف، بيد أنه تنبغى الإشارة إلى أننى عمدت فى هذا الكتاب — ككلٍّ — إلى تقسيمه الى أربعة أجزاء، جعلتُ كلَّ واحدٍ منها مستقلاً عن الآخر وفقا لعهود السلاطين الذين تولوا حكم مصر خلال الفترة الممتدة من سنة ٧٨٤ حتى ٨٥٠ هـ، فكان الأول الذى صدر منذ عام تقريبا — متضمّناً عهد السلطان برقوق، أما هذا الجزء فيشمل حكم ابنه فرج والمؤيد شيخ وولده أحمد، أما الثالث فسيكون خاصا بعهد السلطان الأشرف برسباى وفترة الوصاية على ولده يوسف، ويختم الرابع بما كتبه ابن الصيرفى عن المدة التى شملها عن السلطان جقمق .

* * *

هذا ويلاحظ القارئ أنّى فصّلْت فى كشاف هذا الجزء، يقيناً منى بأن كل هذه الكشافات التفصيلية مما يعين طالب البحث على أى موضوع يخطر بباله .

وأننى لأشكر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة فى الجمهورية العربية المتحدة والقوامين عليه والعاملين به ومن ساعدونى فى الجزء الأول منه خاصة السيدة إيزيس زكى قرياقص، والآنسة ليلى محمد مغاورى والسادة محمود رزق، ومصطفى أنور طاهر، وجمال الشنراوى على المعونة الصادقة فى إخراج هذا السِّفر بجزئيه على هذه الصورة الطيبة .

كما أشكر الصديق الكريم الأستاذ الدكتور محمود الشنيطى وكيل الوزارة لشئون المكتبات على الجهد العظيم الذى يبذله فى سبيل إخراج عيون التراث العربى فى شتى نواحيه الفكرية المختلفة — ومنه هذا الكتاب — ميسراً للقارئ .

وأرحّب بكل نقد جادّ يهدف إلى تقويم ما قد يكون فاتنى فى نشر وتحقيق هذين السفرين .

ومن الله أستمد العون، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الدقى فى { ٥ ذى الحجة ١٣٩٠ / أول فبراير ١٩٧١ }

حسن حبشى

ذكر

تولية السلطان الملك الناصر أبى السعادات زين الدين فرج بن الملك الظاهر أبى سعيد سيف الدين برقوق العثمانى الجركسى

قد ذكرنا أن الظاهر أوصى بالسلطنة لولده هذا فى التاريخ المذكور ، ثم لما توفى – رحمه الله فى التاريخ الذى ذكرناه – اجتمع أمراء الديار المصرية عند الأمير أيتمش البجاسى أتابك العساكر ، وحضر أمير المؤمنين الإمام المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر ابن الإمام المستكفى بالله أبى الربيع سليمان الهاشمى العباسى ، والقضاة الأربعة وسائر أرباب الوظائف وأهل الحل والعقد ، وتشاوروا واتفقوا على تنفيذ وصية الملك الظاهر من عهده بالسلطنة لولده ، وعلى توليته وإجلاسه على كرسى المملكة ، فطلعوا إلى الإصطبل السلطانى وأحضروا ولد السلطان المذكور من عند والدته ، وعقدوا له بالسلطنة ، وألبسوه خلعة الخلافة المعظمة ، وهى فرجية[1] سوداء بتركيبة زركش ، وطراز زركش ، وعمامة

(١) الفرجية وجمعها فراجى وهى جبة مسترسلة ذات أكمام واسعة وطويلة وإن تكن غير مفتوحة ، انظر Dozy: Vêtements chez les Arabes, p. 327; Supp. Dict. Arabes, II, 248

أطرافها مرقومة بالذهب ونمجـــة[١] مسقطة بالذهب ، وذلك كله بإذن الخليفة المذكور ورأيه وتوليته ، ولقبوه « الملك الناصر أبو السعادات »[٢] .

ومن جملة اعتناء الخليفة بالسلطان أن رسم أن يُحْضِروا النمجات التى باسم السلاطين المتقدمين حتى يخرجوا منها واحدة لأجل ولد السلطان الملك الظاهر فخرجت نمجة السلطان الملك الصالح فلم يرض بذلك الخليفة ولم يتفاءل بها لقصور أيام الصالح ، فأخذوا غيرها ، فخرجت نمجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فتفاءل بها على طول أيامه ، ولقبه « بالملك الناصر » ، كما كان لقب محمد بن قلاوون الصالحى الذى حكم فى الدولة المصرية ثلاثا وأربعين سنة ، ثم لمـــا فرغوا من توليته وعقدهم له السلطنة أركبوه المركوب السلطانى وطلعوا به من باب سر الإصطبل والأمراء فى خدمته ، وأجلسوه موضع والده الملك الظاهر ، وباسوا له الأرض ، وعُمْرُه — كما قدمناه — كان عمر السلطان محمد — أعنى الملك الناصر بن قلاوون الصالحى لمـــا تولى السلطنة عوضا عن أخيه الملك الأشرف ثمانى سنين وشهورا ، وكان عمر الملك الأشرف كجك بن المـــلك الناصر محمـــد بن قلاوون لمـــا تولى السلطنة

---

(١) فى الأصل « تنجة » وربما قصد بها النمجاة ، والنمجاة والنمجة والنمجا والنمشة ونيمجة كلها بمعنى واحد ، وتعنى الخنجر أو السيف القصير وهى كلمة فارسية الأصل ، راجع Dozy : Supp. Dict. Arabes, II, 724 ; Palmer : Persian English Dictionary (art. نيمجة)
و يلاحظ أن المؤلف استعمل كلمة « نمجاة » بصيغة المفرد وقصد بها الجمع كما يعنيه السياق .

(٢) ورد فى السلوك ، ورقة ٢ ب ، ما يشير إلى هذه التولية حيث قال أحد الشعراء :

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك ‏ ‏ وقالوا ستأتى شدة بعد موته
إلى ربه يرقى إلى الخلد فى الدرج ‏ ‏ فأكذبهم ربى وما جاسوى فرج

عوضا عن أخيه الملك المنصور أبي بكر عشر سنين ، وكان عمر الملك السلطان الناصر حسن لمــا تولى السلطنة أقل من خمس عشرة سنة ، وكان عمر الملك الأشرف شعبان لمــا تولى السلطنة عشر سنين ، قدر عمر الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر ، وكان ذلك ضحوة النهار الكبرى (٥٨ أ) يوم الجمعــة الخامس عشر من شوال من سنة إحدى وثمانمائة ، وكل ذلك والسلطان الملك الظاهر لم يجهز بعد للدفن والمواراة ، فلما فرغوا من توليته وإجلاسه على كرسي المملكة اشتغلوا بعده بتجهيز والده وغسله ودفنه[1] كما ذكرنا مفصلا .

ثم نزل الأمير تمربغا المنجكي حاجب الميسرة وبين يديه منادون ينادون بالأمان والاطمئنان والدعاء لمولانا السلطان الملك الناصر ، والترحم على الملك الظاهر برقوق ؛ فاستقر الأمر وسكت الناس ، والحمد لله وحده .

* * *

ذكر استقرار الأمير الكبير أيتمش البجاسي أتابك العساكر على عادته والتحدث في امور المملكة

قد ذكرنا أن السلطان الملك الظاهر قد عينه[2] في التحدث في المملكة نائبا عن ولده إلى أن يصلح لذلك ، وذلك لقــدمه في السن والمرتبة وشهرته بين النـــاس في سائر البلاد بالجـــودة والخير وقلة الشر وسكون النفس وكثرة التواضع ولاطلاعه في أحوال المملكة من أيام الظاهر ، ولأنه كان جليسه ومستشاره وخصيصه .

(١) أشار السلوك ، ٢ أ : إلى أنه لم يعهد أحد من الملوك قبله دفن نهارا بديار مصر .

(٢) الضمير هنا عائد على أيتمش البجاسي .

ثم إن السلطان الملك الناصر لما استقر فى دست المملكة شرع الأمير أيتمش فى تدبير المملكة بالنصح والتقوى ، وإن لم يسلم من بعض من فى خاطره تغيير القواعد (١) .

واستقر كل أمير فى الديار المصرية على وظيفته كما كان أيام الملك الظاهر ، إلا أنه وقع التغير فى بعضهم بسبب موجب لذلك ، كما نذكره إن شاء الله تعالى .

وفى يوم السبت السادس عشر من شوال طلع الأمير أيتمش إلى خدمة السلطان الملك الناصر وجمع الأمراء وتشاوروا ، واتفقوا على أن يبعثوا أمراء على البريد إلى نواب البلاد الشامية والخليفة لأجل تطمين البلاد وأخذ العهود من النواب للملك الناصر ، فعينوا الأمير سودون (٢) الطيار أمير آخور ثانى إلى الأمير تنم (٣) نائب الشام ، والأمير تغرى بردى الرماح إلى الأمير يونس بلطا (٤) نائب طرابلس ، والأمير يلبغا (٥) الناصرى — رأس نوبة — إلى الأمير آقبغا (٦)

(١) يقصد بذلك من أرادوا التحرك ضده .

(٢) هو سودون الطيار الظاهرى برقوق وكان من أعيان خاصكيته ، ويشير الضوء اللامع ٣/١٠٦٧ إلى أنه صار أمير آخور ثانيا زمن السلطان فرج ، وكان موته سنة ٨١٠ ؛ وكان من الفرسان المشهورين ، انظر فيما بعد ترجمته فى وفيات سنة ٨١٠ ، و Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No. 1120.

(٣) ويعرف بتنم الحسنى الظاهرى برقوق ، وقد ولاه أستاذه نيابة دمشق من قبل وخرج على رأس تجريدة لسيواس نجدة لصاحبها برهان الدين سنة ٧٩٧ ثم حدثته نفسه بالخروج على السلطان الصغير فى السنة التالية كما سيرد ذلك بالتفصيل ، انظر أيضا الضوء اللامع ٣/١٨٣ .

(٤) ويعرف أيضا بيونس الظاهرى برقوق وبيونس الرماح ، وقد وصفه السخاوى بأنه كان «ردىء الأصل» وكان مقتله سنة ٨٠٢ بعد استصفاء أمواله ودفن بصالحية دمشق ، انظر النجوم الزاهرة ١٢/٢١٣ .

(٥) كان يلبغا الناصرى من كبار خاصكية أستاذه السلطان برقوق ثم ولاه فرج الحجوبية الكبرى ، ثم صار أمير مجلس فى عهد المؤيد فأتابكه وعاد من قتاله لنوروز مريضا ولازمه المرض حتى مات سنة ٨١٧ .

(٦) شغل آقبغا الجمالى كمشبغا الرومى كشف الوجه القبلى وتولى الأستادارية ولكن بالمال ، وكان مقتله فى معركة مع العربان فى دمنهور سنة ٨٣٧ ، انظر عقد الجمان ٤/٦٦٠ .

الحمالى نائب حلب ، وكل هؤلاء أمراء طبلخانات بالديار المصرية ، والأمير بشباى[(١)] إلى الأمير ألطنبغا العثمانى[(٢)] نائب صفد ، والأمير أرنبغا[(٣)] إلى الأمير دمرداش[(٤)] الخاصكى نائب حماة ، والأمير شاهين[(٥)] الأفرم إلى الأمير ألطنبغا قرقماس نائب غزة وإلى الأمير سودون[(٦)] الظريف نائب الكرك ، والأمير أسنبغا الناجى[(٧)] الدوادار إلى الأمير نعير[(٨)] كبير عرب آل مهنا بتقليده ، وكل هؤلاء عشرات[(٩)] ، فخرجوا أولا فأولا .

* * *

(١) هو بشباى بن عبد الله من باكى الظاهرى كما سماه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/٢٨٩ ، انظر أيضا السلوك ، ورقة ٢٧٩ أ ، حيث ضبطه بضم البـاء .

(٢) كان من أبرز الولايات التى شغلها نيابة الشام وقد مات بالقدس سـنة ٨٢١ بطالا ، انظـر النجوم الزاهرة ٦/٤٦٥ — ٤٦٦ .

(٣) ضبطه الضوء اللامع ٢/٨٤٠ بضم الهمزة والباء ، ولكن جاء فى السلوك ، ورقة ٣ أ ، «أرتبغا» بالتاء ثم الباء . وربما كان هو أرنبغا الظاهرى برقوق الذى ترجم له الضوء اللامع ٢ / ٨٤١ ولكنه قال « مات فى حياة أستاذه يوم الأحد ١٠ ذى القعدة سنة إحدى وثمانى مائة » .

(٤) هو دمرداش المحمدى الظاهرى برقوق الخاصكى تولى نيابة طرابلس ثم أتابكية حلب ثم نيابة حماة واتهم بالتواطؤ مع تمرلنك بتسليمه قلعة حلب وقـد قتل بالإسكندرية عام ٨١٨ ، كما ولى أتابكية العساكر بالديار المصرية بعـد تغرى بردى اليشبغاوى والد أبى المحاسن المؤرخ ، انظر النجوم الزاهرة ٦/٤٥١ — ٤٥٢ .

(٥) ويعرف بشاهين كتك بفتح الكاف وضم التاء ، وقد عده أبو المحاسن من «الملوك» أى ذوى الخطر الجسيم ، انظر النجوم الزاهرة ٦/٤٤٥ ، والضوء ٣/١١٢١ والضبط منه ، والسلوك ، ورقة ٢٨٨ أ .

(٦) ولاه أستاذه برقوق ولاية الكرك سنة ٨٠١ ثم صرفه فرج عنها ، وكان موته توسيطا سنة ٨٢٤ تحت قلعـة الجبل ، انظر عقـد الجمـان ٢٥/٢٢٥ ، والضوء اللامع ، ج ٣ رقم ١٠٧١ ، Wiet : Op. Cit. No. 1124.

(٧) انظر النجوم الزاهرة ٦/١٥٠ وعقد الجمان ٢٥/١٣٠ والضوء اللامع ٢/٩٨٣ .

(٨) هو محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى أمير آل فضل بالشام وقد عرف بخبر تواطئه مع منطاش ضـد برقوق ثم تسليمه إياه ، وكان مقتله سنة ٨٠٨ هـ ، انظر عقد الجمان ٢٥/٢٣٨ .

(٩) فى الأصل « عشراء » .

وفى يوم الاثنين الثانى عشر من شوال خرج المحمل(١) الشريف، وطلعت الأمراء فى خدمة الأمير أيتمش إلى خدمة السلطان، وطلبوا سودون أمير آخور كبير وقالوا له: «أنت مستمر على وظيفتك، ولكن انتقل من الإصطبل السلطانى ليسكنه الأمير الكبير(٢)»، لأن عادة من يتحدث فى المملكة نيابة عن السلطان والسلطانُ صغيرٌ أن يسكن فى الإصطبل بباب السلسلة، وكانت العادة القديمة أن يسكن النائب فى الأشرفية(٣) ولكن تغيّر ذلك، فما أجاب سودون إلى ذلك ولا رضى بانتقاله، حتى دخل عليه أكابر الأمراء وباسوا صدره، ومنهم من باس يده، حتى قيل منهم من باس رجله، وذلك جميعه لأجل تسكين الفتنة ورعاية الخواطر، وكل ذلك وسودون مستمر على شؤمه وعدم إجابته والانفراد برأيه السخيف وعقله الضعيف، فعند ذلك غضب الأمراء وأعيان الدولة، فمسكوه وأخذوا سيفه؛ على أنه بلغهم أنه أراد أن يركب فى الإصطبل ويثير الفتنة التى لُعن على لسان صاحب الشرع من يوقظها، و[بلغهم] أنه كان قد فرّق على مماليكه نفقات، قيل أعطى لكل واحد خمسين دينارا، إن صحّ هذا منه، لأنه كان فى البخل على

(١) كان أميره يومذاك الأمير شيخ المحمودى الذى سيلى السلطنة بعد تغلبه على فرج، أما أمير الركب الأول فهو الأمير بهادر الطواشى مقدم المماليك السلطانية، انظر النجوم الزاهرة ١٢/١٧٢.

(٢) يقصد بذلك أيتمش البجاسى.

(٣) ربما قصد بذلك المدرسة الأشرفية التى هدمت وأصبح مكانها فيما بعد بيمارستان المؤيد، فقد ذكر المقريزى فى الخطط ٢/٤٠٧ أن هذا المارستان كان فى الأصل مدرسة الأشرف شعبان بن حسين، وكان هدمه إياها سنة ٨٢١ هـ، وقد تعطل هذا المسجد قليلا بعد وفاة شيخ المحمودى ثم سكنته طائفة من العجم وصار منزلا للرسل الواردين من غير مصر إلى السلطان؛ أو ربما قصد بها قاعة الأشرفية التى كانت بالقلعة ثم هدمها الملك الناصر محمد وأقيم مكانها الإيوان أو دار العدل، انظر الخطط ٢/٢١١.

جانب عظيم ، وذكروا أن الأمير على[1] – بن الأمير إينال اليوسفى – أحد الأمراء الطبلخانات كان معه فيما قصده وأضمره ، فمسكوه معه ثم سفّروهما فى ذلك اليوم آخر النهار إلى الاعتقال بسكندرية صحبة الأمير تمان تمر رأس نوبة ، ونزل الأمير أيتمش فى ذلك اليوم من القصر إلى باب السلسلة وتمكن فيها على عادة الملك الظاهر ، حتى كان أميرا كبيرا أيام الملك المنصور بن الملك الأشرف ، فصار إليه الأمر والنهى والحل والعقد .

وفى التاسع عشر من شوال – يوم الثلاثاء – خلع على الأمير أقبغاى الكركى[2] ، والأمير قطلوبغا الكركى[3] ، واستقرا لالات المقام الشريف الناصرى رفيقين للأمير يشبك[4] الخازندار .

* * *

ذكر من مسك من الأمراء بالقصر

بتاريخ يوم الخميس الحادى والعشرين من شهر شوال مسك جماعة من الأمراء مقدمى الألوف لعدة أربعة وهم : الأمير أرسطاى[5] رأس نوبة كبير ،

(١) هو على بن إينال اليوسفى المعروف بالعلائى وكان أستاذ الملك الظاهر جقمق وأحد خواصه ، انظر النجوم الزاهرة ١٢/٩٧ والضوء اللامع ٥/٦٦٦ .

(٢) ويعرف بأقبغاى طاز الخازندار ، وبالكركى أيضا لأنه كان أحد أربعة صحبوا السلطان الظاهر أيام نفيه بالكرك وكان موته سنة ٨٠٥ ، انظر النجوم الزاهرة ٦/١٥٧ ، عقد الجمان ٢٥/١٨٢ والضوء اللامع ٢/٩٩٧ .

(٣) كان أحد الأربعة الذين صحبوا السلطان الظاهر إلى الكرك ، وقد أدناه برقوق منه ، وكان رجلا محبا فى العلم والعلماء محسنا إليهم ، ومات سنة ٨٠٩ هـ .

(٤) هو يشبك الشعبانى الأتابكى الظاهرى برقوق وقد ولى له الخازندارية ثم صار بعده لالا لابنه فرج وهو الذى رشده ، انظر الضوء اللامع ١٠/١٩٠ .

(٥) كان أرسطاى الظاهرى من كبار أمراء الطبلخاناة زمن الظاهر برقوق وكانت له حرمة وافرة عند المماليك وتولى نيابة الاسكندرية ، انظر عقد الجمان ، ٢٥/٢٨٤ .

والأمير تمراز[١] الناصرى ، والأمير تمربغا المنجكى حاجب الميسرة ، والأمير يلبغا[٢] الأحمدى المجنون أستادار العالية ، ومن الطبلخاناة ثلاثة وهم : الأمير بلاط[٣] السعدى ، والأمير طولو[٤] — رأس نوبة — والأمير طغنجى[٥] ، والسبب فى ذلك على ما قيل إنهم اتفقوا على أن يُنزلوا ابن الأشرف شعبان فى قماش النساء ويعقدوا له بالسلطنة ويركبوا على من يخالفونهم ، ونمّ عليهم شخص يقال له جقمق الخاصكى الظاهرى ، وكانت ذلك اليوم حلقة الإيوان وكان الأمراء والقضاة كلهم طلعوا ، وكان الملك الناصر خلع على جماعة من الأمراء باستمرارهم فى وظائفهم وهم : الأمير تغرى بردى أمير سلاح والأمير أرغون[٦] شاه البيدمرى أمير مجلس ، والأمير بيبرس الدوادار الكبير ، والأمير فارس[٧] حاجب الحجاب ، والأمير يلبغا الأحمدى أستادار العالية ، والأمير تاج الدين رزق[٨] الله الوزير ، فلما فرغت

---

(١) تقدمت بتمراز الناصرى الأحوال حتى صار نائب السلطنة لفرج ولكنه خامر عليه فمات خنقا سنة ٨١٤ ، انظر الضوء اللامع ٣/١٥٦ .

(٢) عرف بيلبغا المؤيدى المجنون لتهوره حتى إنه أرسل من الصعيد مملوكا له إلى الناصر يطلب منه نيابة الوجه القبلى .

(٣) راجع النجوم الزاهرة ٦/٢٧٨ ، وعقد الجمان ٢٥/٢٤٥ ، والضوء اللامع ٣/٨٣ .

(٤) لعله طولو بن على باشا الظاهرى برقوق الذى ولى نيابة غزة ثم الإسكندرية ومات قتيلا سنة ٨٠٨ ، أنظر عنه الضوء اللامع ٤/٤٨ .

(٥) هو الأمير طغنجى نائب البيرة .

(٦) عرف بالبيدمرى لأنه كان من مماليك بيدمر الخوارزمى نائب الشام الذى قدمه لبرقوق فجعله ساقيا وترقى حتى صار أمير مجلس ، وكان ممن يميل للعلماء والصالحين ، راجع النجوم الزاهرة ٦/١٤٤ .

(٧) ويعرف بفارس القطلوقجاوى الرومى الظاهرى ، وقد أورده بوبر فى طبعته للنجوم الزاهرة ٦/١٤٤ باسم « القطلقجاوى » وهو خطأ ، وكان فارس هذا فى الأصل من مماليك خليل بن عرام نائب إسكندرية ، اشتراه من بعض الخبازين فى إسكندرية وتقدم عند برقوق حتى تولى الجوبية الكبرى ، وكان قتله ذبحا بقلعة دمشق فى شعبان سنة ٨٠٢ ، انظر العينى عقد الجمان ٢٥/١١٩ .

(٨) هو تاج الدين رزق الله بن فضل الله بن يونس بن أبى كرم القبطى ، ويقال له أيضا عبد الرازق ومات سنة ٨١٦ هـ ، أنظر العينى عقد الجمان ٢٥/٣٨٩ .

الخدمة وقام السلطان ودخل القصر والأمراء فى خدمتــه ، قاموا ومسكوا هؤلاء المذكورين، ووقع الهرج العظيم فى القلعة ، وسلوا سيوفا أكثر من ألف سيف ، وعوقوا الأمراء كلهم، إلى أن حصّلوا المذكورين وجعلوهم فى قاعة ، ثم أطلقوا الباقين .

وكان يلبغا المجنون خارج القصر ، فلما سمع بذلك نزع الخلعــة التى لبسها ونزل هاربا، وتخبطت المدينة ، وأشاع بين الناس بالركوب ، ووقع الهــرج العظيم إلى أن نزل الأمراء والمماليك وسكنت الفتنـــة ، ونادوا بالأمان والاطمئنان ، فسكنوا وسكن الناس، وقيدوا هؤلاء الممسوكين بقيود من حديد ، ثم مُسك يلبغا الأحمــدى بعد أن طلب من بيته، وطلع إلى القلعة ثم سُفروا كلهم آخر النهار يوم الجمعة الثانى والعشرين من شوال إلى الاعتقال بإسكندرية ودمياط صحبة الأمير جكم أحــد الأمراء العشرات وجقمق الخاصكى ، فاعتُقل تمربغا المنجكى وبلاط الســعدى وطغنجى بدمياط ، والثلاثة الباقيــة بالإسكندرية ، ماخلا يلبغا فإنه عوق فى الإصطبل لطلب الأموال ، ثم سلم إلى سعد الدين بن غراب ناظر الخواص الشريفة ، وكتب خطه بمبلغ ألفى ألف درهم .

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من شوال ألزموا قراكشك الخاصكى بالخروج إلى طرابلس على إقطاع طبلخاناه ، لمّــا ظهر منه من نقل الكلام — بين الأمراء الكبار — المؤدّى ذلك إلى إثارة الفتنــة وتهييج الشرور ، فخرج وأقام فى الترب مدة عشرة أيام على نية التوجه إلى طرابلس على الإمرة ، ثم رُسم بعد ذلك بتسفيره إلى ثغر دمياط بطالا .

* * *

(٥٨ ب) ذكر من أنعم عليه بالإمرة ومن أنعم عليه بالوظيفة

بتاريخ يوم السبت الثالث والعشرين من شوال أخلع على الأمير ناصر الدين سنقر ، واستقر أستادار العالية عوضا عن الأمير يلبغا الأحمدى المجنون ، ثم استعفى فى يومه ذلك ، وبكى وشكى فأعفى :

وخلع على الأمير مبارك شاه الظاهرى أستادارا (١) عوضا عنه ثم استعفى الآخر ، ودخل على الناس دخولا عظيما ، فأجيب إلى سؤاله ، وعزل يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شوال ، واستقر عوضه الأمير تاج الدين الوزير مضافا لما بيده من الوزارة .

وفى ذلك اليوم فرق على المماليك السلطانية من المشتروات ومماليك الخدمة ، على كل نفر مبلغ ألفى درهم ، وصرف جملة ذلك من الذهب المصرى مائتا ألف دينار وسبعة وأربعون ألف دينار ، وعدة المماليك السلطانية المذكورون ثلاثة آلاف وثمانى مائة وأحد وسبعون نفرا ، وكان ذلك هوالذى أوصى به السلطان الملك الظاهر لمماليكه ، وكانت التفرقة على يد الأمير يشبك الخازندار :

وفى يوم الإثنين الخامس والعشرين من شوال خلع على الأمير قطلوبغا الكركى — أحد الأمراء الطبلخانات — واستقر شاد الشراب خاناه الملكى

(١) هو الأمير مبارك شاه الظاهرى برقوق ، ولاه أستاذه الجوبية ثم الوزارة ثم الأستادارية وكشف الجيزة ثم نكبه فلزم بيته ، أنظر عقد الجمان ٣٨٩/٢٥ ، والضوء اللامع ٨٢٢/٦ .

الناصري عوضا عن الأمير سودون الماردانى(١) بحكم استعفائه عن ذلك مضافا للالِّيته .

* * *

وفى هذا اليوم امتلأت القاهرة بالراجفة بالركوب فلم يصحّ ذلك، ولكن ظهرت الآراء العالية أن يُحلّفوا المماليك السلطانية ثانى مرة بالاتفاق والنصح لابن أستاذهم الملك الناصر والأمراء أرباب الوظائف ، فابتدأوا ذلك من طبقة الرفرف(٢)، وكان الذى ابتدأ ذلك الأمير جرباش(٣) رأس النوبة ، والأمير أقباى الطرنطاى رأس نوبة .

وفى يوم الأربعاء السابع والعشرين من شوال عُزل الأمير شهاب الدين أحمد بن الزين الحلبي عن ولاية القاهرة، وتولّى عوضه شرف الدين عيسى التركمانى — الملقب بفلان — وكان فى خدمة الأمير الكبير أيتمش ، ولذلك اعتنى به وولاه .

وفى يوم الخميس الثامن والعشرين منه خلع على ألطنبغا المرادي واستقر فى ولاية أسوان .

---

(١) كان سودون الماردانى أحد المقربين إلى برقوق حتى صيره شاد الشربخاناه ، ثم أصبح فى عهد فرج رأس نوبة النوب فأمير مجلس فدوادارا كبيرا ، ثم تغير كل منهما على الآخر فحبسه الناصر وقتله سنة ٨١١ ، انظر النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٠ ، وعقد الجمان ٢٦/ ٩٣ ، والضوء اللامع ٣|١٠٨٢ ، Wiet: Op. Cit. No. 1127.

(٢) الرفرف فى الأصل من إنشاء الملك الأشرف خليل بن قلاون ، وبلغ من ارتفاعه أنه كان يشرف على الجيزة كلها ، وقد تفنن الأشرف فيه حتى لقد «صور فيه أمراء الدولة وخواصها وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها وكان مجلسا يجلس فيه السلطان » ، وقد أنزل السلطان به جماعة من العسكر عرفت بطبقة الرفرف .

(٣) هو جرباش الكريمى الظاهرى برقوق ويعرف بعاشق ، وقد امتد به العمر حتى مات سنة ٨٦١ ، انظر الضوء اللامع ٣/ ٢٧١ .

وفى يوم الاثنين الثانى من ذى القعدة من هذه السنة، رسم بكتب المثالات الشريفة لجماعة من الظاهرية عوضا عن هؤلاء الممسوكين ، منهم من استقر على تقدمة ألف، وهم الأمير سودون طاز ، والأمير إينال باى ابن قجماس ابن عم الظاهر، والأمير أقباى — رأس نوبة — والأمير يلبغا الناصرى — رأس نوبة — وكل هؤلاء كانوا أمراء طبلخانات، واستقر الأمير يعقوب[(١)] شاه الخازندار على إمرة ثمانين فارسا وكان طبلخاناه ، ثم استقر حاجب الميسرة عوضا عن تمربغا المنجكى يوم السبت السابع من ذى القعدة، وكذلك استقر فى هذا اليوم الأمير سودون الماردانى رأس نوبة كبير ، وخلع عليه عوضا عن الأمير أرسطاى بحكم مسكه، ومنهم من استقر طبلخاناه وهم نفران: الأمير أقباى الكركى وكان أمير عشرة ، ثم استقر قرابغا المذكور حاجبا صغيرا يوم الاثنين التاسع من ذى القعدة؛ ومنهم من استقر أمير عشرة وهم : جماعة إينال حطب [(٢)] [العلائى] الخاصكى، وكزل[(٣)] البشمقدار ، وألطنبغا البشمقدار، وكمشبغا[(٤)] الجمالى ، ويلبغا الظريف وتمر الساقى [الخاص] ، وجركس[(٥)] المصارع الدوادار .

(١) هو يعقوب شاه الكمشبغاوى الظاهرى برقوق ، وكان ممن انضم إلى أيتمش ومات قتيلا فى قلعة دمشق سنة ٨٠٢ ، انظر الضوء اللامع ١٠/١١٠٥ ، Wiet : op. cit No. 2673

(٢) الضوء اللامع ٢/١٠٦٨ .

(٣) لعله كزل الأرغون شاوى الذى ترجم له الضوء اللامع ٦/٧٧٧ وقال عنه إنه ولى نيابة دمشق بسعى الناصرى بن البارزى ، وكان موته سنة ٨٢٢ .

(٤) الوارد فى الضوء اللامع ٦/٧٩١ أنه تولى إمرة عشرة أيام أستاذه برقوق ، أما فى زمن الناصر فقد صار أمير طلبخاناه فنائب القلعة ، أنظر عقد الجمان ٢٦/٩٤ .

(٥) ويعرف بجركس القاسمى الظاهرى برقوق المصارع ، ولم يرد فى ترجمته بالضوء اللامع ٣/٢٧٣ أنه كان دويدارا ، وإن ورد ذلك فى Biographies du Manhal Safi, No, 800 والنجوم الزاهرة ٦/١٨٠ ، ٢٨٨ .

وفى يوم الخميس الخامس من ذى القعدة حضر الأمير سودون[1] الطيار من الشام، وكان قد توجه باستمرار تنم نائب الشام على عادته ، وأخذ العهد منه للملك الناصر بن الظاهر .

وحضر فى ذلك اليوم سيف الدين طقماق[2] الخاصكى أحد المقدمين الألوف بحلب، الذى كان نائب مَلَطْيَة ، ومسك فى بلبيس وهو قادم إلى الديار المصرية، وسُيِّر إلى دمياط ، ثم وقعت فيه الشفاعة ورجع إلى القاهرة ودخلها يوم الثلاثاء العاشر من ذى القعدة .

وفى يوم الاثنين التاسع من ذى القعدة خلع على جماعة من الأمراء واستقروا رءوس نوب صغار، وهم: الأمير تنكز بغا الحططى، والأمير جكم العوضى[3] ، والأمير آقبغا الأشتر ، والأمير خير بك ، والأمير إينال حطب ، والأمير سودون من زاده[4]، والأمير بشباى[5] ، وكذلك خلع على

(١) انظر الضوء اللامع ٣/١٠٦٧ .

(٢) هكذا فى الأصل وهو تصحيف لدقاق المعروف بالمحمدى الظاهرى برقوق أحد عتقاء وخاصكية السلطان برقوق الذى ترق به حتى بجعله أمير ملطية ، وسترد ترجمته فى هذا الجزء سنة ٨٠٦ كما سيورد المؤلف اسمه الصحيح فيما بعد ص ٢٤ ، س ١ ، هذا وقد ورد فى إعلام النبلاء ٥/١٤٩ أنه مات سنة ٨٠٨ وقد بنى بحلب زاوية وصفها المرجع الأخير ٥/١٥٠ — ١٥١ ؛ أما عن ملطية فالصحيح فى نطقها ما ضبطناه بالمتن بعد مراجعة مراصد الاطلاع ٣/١٣٠٨ وإن قال إن العامة تنطقها بفتح أولها وثانيها وتكسر الطاء وتشدد الياء، وذكر أنها من بناء الإسكندر وأنّ جامعها من بناء الصحابة ، ويسميها الروم ميليتن Melitene وقد وصفها كثير من الجغرافيين المسلمين كالبلاذرى والإصطخرى والقزوينى ، راجع ذلك فى بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٤ . Le Strange: Palestine under the Moslems, pp. 499 - 500

(٣) انظر الطباخ : إعلام النبلاء ٥/١٥ (نقلا عن المنهل الصافى) ، Wiet: op. cit. No. 839

(٤) Wiet: Op. Cit. No. 1128.

(٥) فى الأصل « أسنباى » والصحيح ما أثبتناه بالمتن .

جماعة من الأمراء، واستقروا حجّابا صغارا وهم : قرابغا أستادار الصحبة كما ذكرناه ، والأمير أيدمر الرماح أمـــير طبلخاناه ، والأمير مقبـــل الرومى أمير عشرة وكان أمير جنـــدار ، وخلع على الأمير كزل البشمقدار واستقر أستادار الصحبة ، عوضا عن قرا بغا بحكم انتقاله فى الحجوبية .

وفى يوم السبت الرابع عشر من ذى القعـــدة ، خُلع على الشـــيخ أسلم (١) ابن الأصفهانى ، واستقر فى مشيخة خانقاه سرياقوس على عادته عوضا عن الشريف محمد بحكم عزله .

وفى يوم الأحد الخامس عشر منه ، سُفِّر الأمير يلبغا المجنون إلى الاعتقال بإسكندرية .

* * *

وفى يوم الاثنين السادس عشر منه قرئ التقليد السلطانى الملكى الناصرى بحضور الخليفة والأمراء والعسكر ، وخلع على الخليفة وكاتب السر فتح الله العجمى رئيس الأطباء ، والقضاة الثـــلاثة ماخلا المـــالكى فإنه ما حضر المجلس .

وفى يوم الثلاثاء السابع عشر منه خُلع على الأمير أقباى الكركى ، واستقر خازندارا للملك الناصر ، عوضا عن الأمير يشبك الشعبانى .

وفى يوم الخميس التاسع عشر منه خُلع على الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس الناصرى ، واستقر ناظراً على جامع شيخو وخانقاته ، عوضا عن الأمير يلبغا السالمى بحكم عزله واستنكاف الفقهاء والصوفية عنه ومرافعتهم

(١) سماه السلوك ، ورقة ١٠ ب ، س ٩ « إســلام بن نظام الدين إسحق » ، وانظر فيا بعــد ص ٤٣ س ١٢ ، وترجمة رقم ٣٣٥ .

له ، وخُلع أيضا على الأمير جانى بك اليحياوى أمير جندار ، واستقر في نيابة قلعة دمشق عوضا عن الأمير جمال الدين بن الهيدبانى بحكم إخراجه من الشام وأخذ القلعة منه ، وخلع أيضا على القاضى شمس الدين الشاذلى ، واستمر محتسبا على مصر على عادته .

وفى يوم السبت الحادى والعشرين من ذى القعدة خُلع على الأمير سودون الطيار أحد الأمراء الطبلخانات واستقر أمير آخور كبيرا للملك الناصر عوضا عن الأمير سودون قريب الظاهر بحكم مسكه واعتقاله بالإسكندرية .

وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين منها مُسك الوزير تاج الدين بن نقولا ، واستقر عوضه فى الوزارة الأمير شهاب الدين بن قطينة (١) ، وفى الأستادارية الأمير يلبغا السالمى ، وهو أمير عشرة .

وفى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين منه خُلع على الأمير علم الدين سليمان ، واستقر فى ولاية مصر عوضا عن عمر بن ممدود الكورانى بحكم إفصاله .

وفى يوم الخميس السادس والعشرين منها خلع على الأمير جركس المصارع ، واستقر دوادارا صغيرا على عادته .

وفى يوم السبت الثامن والعشرين منه خُلع على تاج الدين بن البقرى ، واستقر فى نظر سكندرية عوضا عن فخر الدين بن غراب بحكم حضوره إلى القاهرة والتنزه عن الوظيفة .

---

(١) هو شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة نشأ فى الخدم وأثرى من اشتغاله أستادارا لبعض الأمراء ، وكان ممن خدم عندهم تغرى بردى والد أبى المحاسن المؤرخ ، وكان موته سنة ٨١٩ .

وفى يوم الاثنين مستهل ذى الحجة خُلع على القاضى جمال الدين محمود العينى ، واستقر فى حسبة القاهرة وضواحيها عوضا عن تقى الدين بن البقرى بحكم عزله ؛ وفى هذا اليوم أيضا خلع على قاضى القضاة ولى الدين ابن خلدون خلعة الاستمرار .

وفى يوم الأحد السابع منه خُلع على القاضى شمس الدين الشاذلى بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء (١) التاسع من ذى الحجة أُعفى الأمير شهاب الدين بن قطينة من الوزارة ، وأُخلع على القاضى فخر الدين بن غراب ، واستقر فى الوزارة .

وفى يوم الخميس (٢) الحادى عشر من ذى الحجة سافر الأمير تمربغا (٣) المشطوب إلى تنم نائب دمشق الحسنى ليحلّفه الأيمان ويأخذ منه العهود على أن لا يخون ولا يخامر ، بل يكون طائعا لله ولرسوله وللسلطان الملك الناصر ، ويسمع للأمراء أصحاب الحل والعقد .

وفى يوم السبت الثالث عشر من ذى الحجة سافر الأمير سودون الطيار على البريد لافتقاد العساكر للبلاد وإصلاح العباد وتطمينهم .

وفى هذا الشهر رُسم بانتقال الأمير نوروز من حبس إسكندرية إلى دمياط .

---

(١) فى الأصل « الخميس » .

(٢) فى الأصل « وفى يوم الخامس عشر من ذى الحجة » .

(٣) كان أول ظهوره زمن أستاذه برقوق حيث جعله أمير عشرة ثم صار طبلخاناه زمن ابنه فرج ولكنه انضم إلى جكم فى تمرده وصاحبه إلى قرايلك واستولى على حلب مدة من الزمن ومات سنة ٨١٣هـ، انظر عنه إنباء الغمر وفيات سنة ٨١٣ ، والنجوم الزاهرة ٦ / ٣٣ ، ص ١٣ وإن لم يذكره فى وفيات هذه السنة ؛ انظر نفس المرجع والجزء ص ٢٩٤ - ٢٩٧ .

وفيها حج بالناس الأمير شيخ (١) المحمودى رأس نوبة أحد الطبلخانات بالديار المصرية، وكان أمير الركب الأول بهادر (٢) الطواشى مقدم المماليك السلطانيـــة .

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٢٩١ ـ الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجى بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون الصالحى ، توفى يوم السبت تاسع المحرم من هذه السنة، وكان مخلوعا من سلطنة الملك من سنة أربع وستين وسبعمائة، وهو مقيم بجوار الأدر الشريفة بقلعة الجبل مدة ست وثلاثين سنة ، وخلّف عدة أولاد ، رحمه الله تعـــالى .

٢٩٢ ـ القاضى بدر الدين محمود بن عبدالله الكلستانى (٣) الحنفى، الشهير بالسيرامى كاتب السر الشريف، توفى يوم الأحد العاشر من جمادى الأولى من هذه السنة، وأقام ضعيفا بمقدار شهر، وحصلت له صرعة عند موته، وكان رجلا فاضلا ذكيا فصيحا ، يتكلم بالعربى والفارسى والتركى وهو لسانه ، وكانت له يد فى النثر والنظم ، نظم « السراجية فى الفرائض » وغيرها ، ولكن كانت فى رأســه خفة وطيش ، وعنده عجلة وعجب بنفسه ومدح لذاته، وكان يصدر منه بعض الأوقات فعل المجانين (٥٩ أ)، من جملة ذلك

---

(١) هو ـــ فيما بعد ـــ السلطان شيخ المحمودى المؤيدى .

(٢) شغل بهادر بن عبدالله الشهابى الطواشى وظيفة مقدم المماليك وتخرج « من تحت يده خلق كثيرون من أكابر الأمراء » على حد قول السخاوى فى الضوء اللامع ٣/٩٤ ، وقد وصفه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/١٤٨ « بأنه كان من عظماء الخـــدام ، وغالب أعيان مماليك الظاهر برقوق من أنياته» .

(٣) أشار أبو المحـاسن : النجـــوم الزاهرة ٦/١٤٢ ، إلى أنه سمى بالكلستانى لكثرة قراءته كتاب الشاعر العجمى السعدى المسمى بكلستان .

ما ذكر عنه أنه قال فى مرضه الذى توفى فيه : « إنى رأيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقال لى : ما تموت فى هذه الضعفة » ، ثم قال : « أنا أطول الناس عمرا » ، فالعاقل مايتلفظ بمثل هذا ، وكان فى البخل شبيه أبى حباحب الذى يُضرب به المثــل فى البخل ، وكان فى أول أمره قاسى شديداً من الفقر والإفلاس مع عدم التفات الدولة إليــه ، حتى كان ينشد دائمــا ما أنشده ابن قبيصة المهلبى الوزير وهو قوله :

ألا موت يبــاع فأشتريه ؟ فهذا العيش ما لا خير فيه
إذا أبصرتُ قبرا من بعيد وددت لوّ اننى فيما يليــه
ألا رحم المهيمن نفس حر تصدّق بالوفاء على أخيــه

وكان ابن قبيصة هــذا غايةً فى الأدب وعلوّ الهمــة وقبض الكف ، وكان قبل اتصاله بمعز الدولة فى شدة عظيمة من الضائقة ، وكان قد سافر مرة ولقى فى سفره مشقة صعبة ، فاشتهى اللحم فلم يقدر عليــه فقال ذلك ارتجالا ، وكان معه رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفى لمــا سمع بهذه الأبيات اشترى له بدرهم لحما وطبخه وأطعمــه وتفارقا ، وتقلبت بابن قبيصة الأحوال حتى تولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة ، وضاقت الأحوال برفيقه فى السفر الذى اشترى له اللحم ، وبلغه وزارة ابن قبيصة ، فكتب إليه :

ألا قــل للوزير فــدته نفسى مقالة مُذْكِرٍ ما قد نســيه
أيذكر إذ يقول لضنك عيش : ألا موت يباع فأشتريه ؟

فلما وقف عليها تذكّره وهزّته أريحية الكرم ، فرسم له بسبع مائة درهم ، ووقع فى رقعته : «مَثَلُ الَّذِينَ ينفقون أموالهم فى سبيل الله كَمَثَلِ حَبةٍ أنبتتْ سَبْعَ سنابل فى كُلِّ سُنبلةٍ مئة حَبَّة»(١) ، ثم دعى به وخلع وعليه وقلده عملا يليق به ؛ فهذا كاتب السركان شبيهه فى الحالة الأولى وضده فى الحالة الثانية ، حيث أساء إلى كل من أحسن إليه فى أيام خموله وفقره مع قدرته على إيصال الخير إلى سائر أصحابه ، من أن يخرج شىء من عنده ، فجمع أموالا من الحلال والحرام فتركها لمن يتنعم بها ، فلا انتفع بها ولا نفع غيره ، وخلف موجودا قريب ألف ألف درهم حتى أخرجت خبية من الذهب العين المصرى وزن قنطار وخمسة عشر رطلا بالمصرى ، وغير ذلك من أنواع القماش والحواصل ، واشترى دارا عند قنطرة قدادار(٢) ، وتكلف عليها جملة أموال ولم يكملها حتى أدركته المنية وانقطعت الأمنية ، وكان اتصاله بهذه الدولة أن السلطان الملك الظاهر لما خرج فى سفرته الثانية إلى الشام لأجل تمرلنك ورد عليه كتاب تمرلنك بعبارة تركية على منزلة الصالحية(٣) ، فطلب من يكتب جوابه

(١) سورة البقرة ٢ : ٢٦١ .

(٢) كانت قنطرة قدادار على الخليج الناصرى بالقاهرة ، وهى منسوبة إلى الأمير سيف الدين قدادار الذى ولاه الملك الناصر محمد بن قلاون ولاية القاهرة حتى يشتد على الأهالى ويبطش بهم لما أثر عنه من الشدة والعنف وسفك الدماء ، فكان عند رأى السلطان ، كما أراق الخمر وأحرق الحشيش عند باب زويلة ، وبنى هذه القنطرة التى كانت فى أول أمرها تجاه البستان الذى كان ميدانا زمن الظاهر بيبرس ؛ انظر الخطط ٢/١٤٧ — ١٤٨ .

(٣) الصالحية من قرى فاقوس بمحافظة الشرقية بمصر ، وقد جاء فى التعريف بها فى القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ١١٢ — ١١٣ بأنها من إنشاء الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٤ بأرض السايح فى أول الرمل بين مصر والشام لتكون منزلة للعساكر ، وتسمى أحيانا بالصالحية الكبرى تفرقة بينها وبين غيرها من النواحى الأخرى المسماة باسم الصالحية أيضا .

بالتركية ، وذلك لعجز بدرالدين بن فضل الله كاتب السر الشريف ، فقيل له عن بدر الدين محمود السرامى المذكور ، فطلبه فأحضر إليه على البريدى ، ولما حضر البريدى إليه يطلبه كاد أن يموت من الخوف حتى طلب الدعاء من الحاضرين عنده ، وذلك لأنه كان متهما عند الدولة الظاهرية بسبب مدحه للدولة اليلبغاوية الناصرية ، وذمّ الدولة الظاهرية عند وقوع الفتنة ، فكتب جوابه فأحسن حتى أعجب السلطان ، ثم قالوا له : « انصرف إلى القاهرة » ، فقال : « أمشى فى الخدمة الشريفة » ، وذهب معهم إلى الشام ، وكان نازلا عند الأمير قلمطاى الدوادار الظاهرى ، ثم إن كاتب السر الشريف — وهو بدرالدين بن فضل الله — لما توفى يوم الثلاثاء العشرين من شوال من سنة ست وتسعين وسبعمائة بدمشق ، طلب السلطانُ بدرَ الدين السرامى هذا وولاه كتابة السر الشريف عوضا عن المذكور فى الثانى والعشرين المذكور ، فأصبح سعيدا غنيا ، بعد ما أمسى فقيرا ، ولم يزل كذلك فى نعمة وسرور ، إلى أن جاءه الأمر المقدور .

٢٩٣ — سيدى قاسم بن الملك الأشرف شعبان بن حسين ، توفى يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول منها ، ودفن بمدرسة (١) جدته الخاتونية بالتبانة .

٢٩٤ — الأمير بكلمش العلائى أمير سلاح الظاهرى كان ، توفى فى أوائل صفر من هذه السنة فى القدس الشريف ، وكان معتقلا بالإسكندرية ثم أفرج عنه ، كما ذكرنا فى العشر الأول من ذى الحجة من السنة التى قبلها

(١) مدرسة أم السلطان بالتبانة هى من إنشاء الست الجليلة بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين سنة ٧٧١ هـ ، وقد عمل بها درسان أحدهما للشافعية والآخر للحنفية ، وعلى بابها حوض ماء للسبيل ، وكانت السيدة بركة أمة مولدة ، وتزوجت ألجاى اليوسفى وماتت سنة ٧٧٤ ، أنظر الخطط للمقريزى ٢/٣٩٨ — ٣٩٩ ، وإنباء الغمر لابن حجر ١/٤١ ، ٥٦ — ٥٨ .

ورسم له بالإقامة بالقدس بطالا ، وكان رجلا شجاعا شهما مهيبا ، ذا اعتقاد صحيح ، متعصبا لمن يلوذ به وينسب إليـه ، وكان يحب العلماء والفقهاء ويحسن إليهم ويعاشرهم ، ويسأل منهم المسائل ، ويتعصّب لمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه إلى غاية ، وكان عنده نوع كبر وعسف ، وكان مقداما جسورا في الكلام ، وكان أصله مملوكا لشخص جندي ، ثم انتسب إلى الأمير طيبغا الطـويل (١) .

٢٩٥ ــ الأمير أرغون شاه الخـازندار ، نائب حاجب توفي في أوائل ربيع الأول من هـذه السنة بحلب ودفن فيها ، وتولى عوضه الأمير آقبغـا الجمالي منتقلا من نيابة طرابلس كما ذكرناه .

٢٩٦ ــ الأمير أزدمر أحد الأمراء بالطبلخانات الشريفة بالديار المصرية ، توفي يوم الاثنين السابع والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة ، وكان رجلا عفيفا دينا .

٢٩٧ ــ الأمير تمربغا القيجقاوي كاشف الطير ، توفي يوم الأحد عاشر جمادى الأولى من هذه السنة .

٢٩٨ ــ الأمير صبر غتمش الخاصكي نائب سكندرية ، توفي في العشر الأوسط من جمادى الآخرة من هذه السنة ودفن بها ، وكان يحب العلمـاء ويعاشرهم ، وله بعض مشاركة في بعض المسائل ، وخلّف موجودا كثيرا وتولى عوضه أمير فرج الحلبي كما ذكرنا .

٢٩٩ ــ الأمير حسام الدين حسن الكجكني ، أحد الأمراء الخمسينات بالديار المصرية ، توفي يوم الأربعاء آخر النهار الثالث من رجب ، ودفن

(١) أنظر عنه النجوم الزاهرة ٦/١٣٦ - ١٣٧ .

صبيحة يوم الخميس فى تربته قبالة حوش السلطان ، وأنعم السلطان بثلاثمائة دينار مصرية تصرف على قبره لقراءة الختمات الشريفة ومد الأسمطة وغير ذلك ، فتولى صرف ذلك القاضى بدر الدين العينى ، وذلك لسبق إحسانه وخدمته للظاهر حين كان معتقلا فى كرك ومساعدته على خروجه .

٣٠٠ — الأمير شيخ [بن عبد الله] الصفوى الخاصكى أمير مجلس الظاهرى ، توفى فى القدس بطالا[1] فى أوائل ربيع الآخر من هذه السنة ، وكان شابا جميـــل الصورة ، سخى الكف ، كثير المعرفة والحشمة ، قليل الأذى للناس ، وكانت له مشاركة فى بعض المسائل ، واعتقاد صحيح فى الكتاب والسنة ، وكان يحب العلماء ويجالسهم ، ويلقى عليهم المسائل ، وكان عنـــده ذكاء عظيم ، ومعرفة بوجوه الكلام ، ولكن عنده نوع كبر وميل كثير إلى اللهو والطرب وسماع المغانى وجمع المساخر ، فلذلك سقطت منزلتـــه عند السلطان ، وكان فى أوائل أيام إمرته حريصا على سماع المسائل والأحاديث ، فصنف له الشيخ بدر الدين محمود العينى شرحا لطيفا على المختصر المسمى « بتحفة الملوك » فى عشرة أبواب من الفقه ، وكان عنده الطحاوى وحفظه . قبض عليه فى آخر يوم من المحرم كما ذكرنا من سنة ثمانمائة .

٣٠١ — الأمير كمشبغا الحموى [اليلبغاوى] أتابك العساكر المنصورة ، توفى فى إسكندرية معتقلا يوم الخميس فى آخر رمضان[2] من هـــذه السنة ، وتوفى قبله بيومين يوم الثلاثاء ولده الكبير الذى كان أمير طبلخاناه بالديار المصرية ، وهو آخر من مات من مماليك يلبغا العمرى الخاصكى ، الذين

(١) أشارت النجـــوم الزاهرة ٦ / ١٣٩ إلى أنه مات فى سجن المرقب حيث نقـــله إليه الظاهر من القدس لسوء سيرته .

(٢) حددت النجوم الزاهرة ، شرحه ، ص ١٤٠ وفاته بالعشرين من رمضان من هذه السنة .

تأمروا فى حياته، فإنه كان أمير عشرة ورأس نوبة فى أيام يلبغا، ثم تقدم بعده، ثم نفى إلى الشام، وباشر النيابات بطرابلس ودمشق وحلب، وآخر الأمر استقر فى الديار المصرية أتابك العساكر المنصورة، ثم قُبض عليه آخر المحرم من سنة ثمانمائة كما ذكرناه مفصلا، وكان رجلا مشغولا بتربية نفسه بالمأكل والمشرب الطيب الحسن، وجمع الجوارى، وسماع الملاهى، ولم يشتهر منه الخير إلا قليل، وكان عنده عشق عظيم وكبر وتجبر وسفك الدماء، وقضى أكثر عمره فى ملاذ الدنيا إلى أن انقطع عمله وبطل أمله.

٣٠٢ — الأمير منكلى بغا قراجا الظاهرى أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية، توفى يوم الثلاثاء آخر النهار السادس عشر من رجب ودُفن صبيحة يوم الأربعاء فى تربته بالصحراء، ولم يخلف إلا ولدا واحدا، وعمره ما شيف على ثلاثين سنة.

٣٠٣ — المعلم محمد بن المعلم أحمد بن الطولونى المهندس[(١)] (٥٩ ب)، توفى ليلة الخميس العشرين من رجب من هذه السنة، ودفن صبيحة يوم الخميس فى تربتهم بالقرافة، وحضر جنازته الخليفة المتوكل على الله، وكانت ابنته زوجة السلطان الملك الظاهر، وكان أبوه مسافرا فى الحجاز الشريف مع الرجبية لعمارة هناك؛ وكان شابا جميل الصورة، طويل القامة، يحب العلماء، ويعتقد الصلحاء.

---

(١) أضاف المؤلف إلى هذا بخط كبير خارج الترجمة قوله: «أمير معلم المعلمين من الرءوس المعتبرين والأصلا المذكورين»، هذا وقد سماه ابن قاضى شهبة: الإعلام، ورقة ١٦٤ ب بأحمد بن محمد ابن محمد.

٣٠٤ — زين الدين صندل [بن عبد الله] الطواشى المنجكى [الرومى] خازن الذخيرة للظاهر [١]، توفى ليلة الجمعة الثالث والعشرين من رمضان من هذه السنة، ودفن يوم الجمعة فى تربته التى عمــرها تحت صهريج منجاك [٢] اليوسفى، وكان رجلا دينا خيرا [٣]، كثير العبادة، عاقلا ساكنا، قليل الشر، ساعيا فى الخــير وإيصاله للمسلمين، وكان يحب العلماء ويعاشرهم ويحسن إليهم، وكان له مشاركة فى بعض المسائل الدينية، وكان أمينا ثقة، فلذلك كان يُصرف على يده فى كل ســنة من الصدقات السلطانية جملةٌ من الذهب والفضة، وكان السلطان يعظّمه ويركن إليه.

٣٠٥ — الشيخ على [٤] بن أحمد الزهور بن شيخ السلطان المــلك الظاهر، توفى يوم الأحد مستهل شهر صفر من هذه السنة، ودفن بحوش السلطان

(١) أضافت النجوم الزاهرة ٦/١٤٠ إلى ذلك أنه كان «صاحب الطبقة بالقلعة المعروفة بالصندلية»، كما أنه جعل وفاته يوم الثالث من رمضان.

(٢) هــذا الصهريج من إنشاء الأمير ســيف الدين منجك اليوسفى ســنة ٧٥١ هـ، وكان ملحقا بجامعه وصار يعرف باسمه راجع الخطط ٢/٣١٩ – ٣٢٣، وقــد ذكر المرحوم محمد رمزى فى تعليقه بالنجوم الزاهرة ط. مصر ١٠/٢١٧ حاشية رقم ١ «أن هذا الصهريج لا يزال باقيا فى وسط جامعه وأنه تعلوه فسقية من الرخام فى وسطها فتحة الصهريج، وتسمى العامة هذا الجامع درب المنشكية ويقع بشارع باب الوداع» أما دار منجك اليوسفى فكانت واقعة برأس سويقة العزى قرب مدرسة السلطان حسن كما أشار المقريزى فى خططه. ونضيف إلى هذا أن هــذا الوزير قدم من بغداد إلى القــاهرة يوم ١٧ صفر سنة ٧٣٨ وقدم هدية فيها بحر بالخش، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة بمصر ثم بتقدمة ألف.

(٣) ولذلك نعته أبو المحاسن بالعبد الصالح.

(٤) المعروف أن الذى بشر برقوقا بالسلطنة — وهو لا يزال بدمشق جنديا لا بطالا كما جاء فى المتن — هو أحمــد بن عبد الله الزهورى العجمى وكانت عنده جذبة، انظر عقد الجمان ٢٥/٨٦، والضوء اللامع ج ١ ص ٢١٥، وقد أوصى برقوق أن يدفنوه تحت أقدام الفقراء ومنهم أحمد الزهورى المجذوب.

بجوار الشيخ طلحة المغربى ، والشيخ أبى بكر البجاوى [1] ، وكان السلطان يعتقد فيه إلى غاية ، ويقال إنه بشره بالسلطنة وهو فى دمشق بطال ، والله أعلم . وكان رجلا مغلوب [2] العقـــل ، يتكلم تارة بكلام العقـــلاء ، وتارة بكلام المختلطين .

٣٠٦ — الشيخ صلاح الدين الكيلانى ، خليفة الشيخ حسين ، وكانت جنازته مشهورة .

٣٠٧ — القاضى قيم الدين بن الشيخ مستوفى البهار الكارمى ، توفى بالطور عند توجهه بسبب الكارم فى أواخر صفر من هذه السنة ، واستقر عوضـــه تاج الدين بن سعد الدين بن البقرى ، وسُفِّر للطور .

٣٠٨ — قاضى القضاة ناصر الدين أحمد بن محمد [بن محمد بن محمـــد ابن عطاء الله] الشهير بابن التنسى [3] الحاكم بالديار المصرية ، توفى فى غرة رمضان من هذه السنة ، وتولى عوضه فى منتصف رمضان القاضى ولى الدين ابن خلدون كما ذكرناه .

٣٠٩ — الشيخ قنبر [4] الشيزوارى الشافعى ، توفى يوم الثلاثاء آخر النهار الثانى من رجب ، قدم الديار المصرية فى حدود سنة سبع أو ثمان ، وأقام بجامع

---

(١) « البجائى » فى النجوم الزاهرة ١١/١٠٤ ، وطبعة بوبر ٥/٥٩٥ ، ولكنها « النجاوى » فى الضوء اللامع ج ١ ص ٢١٥ .

(٢) ربما أريد بها « مسلوب العقل » ، هذا وقد وصفه المقريزى فى السلوك ، ورقة ١٧ أ بأنه كان شيخا « عاميا ذاهب العقل » .

(٣) نسبة الى « تنس » وهى كما جاء فى ياقوت ١/٨٧٧ ، ومراصد الاطلاع ١/٢٧٧ بلدة مسورة فى آخر إفريقية مما يلى المغرب ، بينها وبين البحر ميلان وبها قلعة قيل إنه تفرد بسكناها العمال لحصانتها .

(٤) فى النجوم الزاهرة ٦/١٣٦ « قنبر بن محمد العجمى السيرامى » ، انظر أيضا الضوء اللامع ٦/٢٢٥ .

الأزهر واشـــتغل بالدرس، وكان رجلا فاضلا متفننا ، التم عليه جماعة من الطلبة كثيرون، ولم يزل على هذا إلى أن توفى ، وكان تاركا للدنيا ، فقنع منها بجبة من لبد وطاقية من لبد، وكان لا يلبس غير هذا فى الصيف والشتاء وكان لا يتردد إلى أحد من الأمراء ولا من أرباب الوظائف ، ولم يطلب من أحد شيئا ، وكان على قدم التوكل والتجريد، فإذا جاءه شىء من غير سؤال قبله وينفقه فى ذلك اليوم على من حضر عنده، وكان يميل إلى سماع المغانى والهزو والرقص، وكان يتهم بالمسح على رجليه من غير خف، والله أعلم بذلك .

٣١٠ — الأمير ارُنْبُغا الحافظى (١) أحد الأمراء العشرينات ، توفى يوم الأحد الخامس عشر من ذى القعدة، فخرج إقطاعه باسم الأمير شاهين (٢) الأفرم ، وكان أمير عشرة، واستقرت عشرته (٣) باسم أُزْبَك الخاصكى الظاهرى، وأرنبغا بضم الهمزة والراء وسكون النون وضم الباء الموحدة، وبالغين المعجمة ، وأزبك بضم الهمزة والزاى ساكنة وفتح الباء الموحدة فى آخره كاف .

٣١١ — الأمير أمير حاج بن مغلطاى أحد المقدمين من الألوف بالديار المصرية، كان توفى فى العُشْر الأوسط من صفر من هذه السنة فى دميـــاط وهو بطال ، وهو زوج الست سمراء ؛ رحمه الله .

* * *

(١) ذكره السخاوى فى الضوء اللامع ٢/ ٨٤١ باسم أرنبغا الظاهرى برقوق، وقال فى ختام ترجمته «أرخه العينى ونسبه أرنبغا الحافظى » .

(٢) مات شاهين الأفرم المعروف بشاهين كتك فى رملة اللد ، وكان عارفا بفنون الفروسية وركوب الخيل ، وتنطق كتك بفتح الكاف وضم التاء .

(٣) هكذا فى الأصل ولعله يقصد بها « إمرة عشرة » .

فصـــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الثانية بعد الثمـانمـائة

استهلت وسـلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصرفرج بن الملك الظاهر برقـوق، وخليفة الوقت المتوكل على الله وليس له نائب بالديار المصرية ، ونائبه بدمشق : الأمير تنم الحسنى ، وبحلب : الأمير آقبغا الجمالى وبحماة : الأمير دمرداش الخاصكى ، وبطرابلس : الأمير يونس بلطا ، وبصفد : ألطنبغا العثمانى ، وبغزة : قراقاش ، وبإسكندرية : الأمير فرج الحلـبى .

وسلطان اليمن : الملك الأشرف بن الملك الأفضـل ؛ وصاحب مكة المشرفة : حسن بن عجلان ؛ وصاحب المدينة ثابت بن نعير ؛ وصاحب ماردين : الملك الظاهرمجد الدين عيسى ؛ وصاحب برصا الروم : أبويزيد ابن مراد بن أرخان بن عثمان جق ؛ وصاحب أذربيجان : ظهـير الدين ؛ وصاحب سمرقند وبخارى وغيرهما: السلطان محمود شاه، ولكن الحاكم تمرلنك، وصاحب الغرب أبوالفوارس عبد العزيز؛ وصاحب قرم وصراى وبلاد الدشت : طقتمش خان، ولكن الأمير إذكا متغلب عليه .

وأتابك العساكر الإسلامية بالديار المصرية الأتابك أيتمش البجاسى ، وقاضى القضاة الشافعية بها القاضى صدر الدين المناوى ، وقاضى القضاة الحنفية جمال الدين يوسف الملطى ، وقاضى القضاة المالكية ولى الدين بن خلدون ، وقاضى القضاة الحنابلة برهان الدين بن نصر الله ؛ والوزير فخر الدين بن غراب وناظر الجيش ، وناظر الخاص أخوه سعد الدين إبراهيم ، وكاتب السر فتح الله العجمى .

* * *

وفى يوم الأربعاء مستهل محرم منها آخر النهار خُلع على جمال الدين الطنبدى واستقر فى حسبة البلد عوضا عن القاضى بدر الدين محمود العينى بسفارة كزل دوادار أيتمش وخدْمَتِه له .

وفى يوم الخميس الثانى منه استقر الأمير يلبغا السالمى أستادار العالية بتقدمة ألف بعد أن كان أمير عشرة .

وفيه حضر الأمير تمربغا المشطوب الذى سافر إلى نائب دمشق وصحبته الأمير جانى بك اليحياوى الذى تولى نيابة قلعة دمشق ، ولم يمكّنه نائب دمشق منها .

وفى يوم الاثنين السادس منه خُلع على الأمير الشريف علاء الدين واستقر فى شاد الدواوين بالديار المصرية عوضا عن شهاب الدين أحمد ابن خاص ترك البريدى بحكم إقامته بدمشق .

وفى العشر الثانى منه تولى الأمير علاء الدين بن طرنطاى كشف الوجه البحرى عوضا عن علاء الدين أمير على صهر قرطاى بحكم إنفصاله ،

وتولى يوسف بن قطلوبك[(١)] ولاية الغربيـة عوضا عن علاء الدين أمـير على ابن الحلبي بحكم إنفصاله ، وتولى تاج الـدين بن الدماميني قضاء إسكندرية عوضا عن تاج الدين الريغي بحكم إنفصاله .

* * *

وفى يوم الخميس مستهل صفر خُلع على الأمير شهاب الدين أحمـد الطرخاني واستقرفى ولاية مصرعوضا عن علم الدين سليمان بحكم إنفصاله :

وفى يوم الثلاثاء السادس منه خُلع على الأمير بهاء الدين بن رسلان ، واستقر ملك الأمراء بأعمال الوجـه البحرى عوضا عن علاء الدين خزندار أزبك ، بحكم إنفصاله :

وفى يوم الخميس الثامن منه خلع على شمس الدين محمد الشاذلى واستقر فى حسبة مصر عوضا عن نور الدين البكرى ، بحكم إنفصاله ، والله أعلم :

* * *

ذكر

ترشيد السلطان الملك الناصر فرج بن السلطان الملك الظاهر برقوق

بتاريخ يوم الخميس السادس[(٢)] من ربيع الأول منها اجتمعت المماليك الظاهرية من الخاصكية الكبار والباشوات وبعض الأمـراء الخاصكية ،

(١) فى الأصل «قطرنك» ، والأرجح أن الصحيح هو ما أوردناه بالمتن بعد مراجعة الضوء اللامع ١٠/١٢٣٨ حيث أشار إلى أنه ولى ولاية الغربية .

(٢) فى الأصـل «السابع» وهو خطأ يصححه ماورد فى كل من التوفيقات الإلهامية ص ٤٠١ من أن السبت كان أول ربيع الأول من هذه السنة ، وكذلك ماجاء هنا فيما بعد ص ٣٥ س ٧ من نصه على أن الأحد هو تاسعه ، انظر أيضا النجوم الزاهرة ١٢/٦ .

واتفقوا عند ابن أستاذهم الملك الناصر أن يرشّدوه ليكون الأمر والنهى بيده ويكف الأمير أيتمش يده من الوسط ، وذلك لأن بعض حاشية أيتمش ممن لهم حديث عنده ، أوقعوا بينهم وبين أيتمش بسبب رجوعه إليهم ولا سيما إلى كزل الذى كان هو دواداره وخزنداره ، وهــو الذى كان يكتب العلامات[1] عنه على الكتب والمراسيم ، فلما سمع السلطان ذلك أجاب العسكر إلى سؤالهم ، واتفق معهم على مرامهم (٦٠ أ) ، فأرسلوا وراء الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد العباسى ، والقضاة الأربعة المذكورين ، وغيرهم من المفتيين وأرباب الوظائف .

فلما اجتمعوا تشاوروا فى ترشيد السلطان الملك الناصر ، وكان عمــره حينئذ إثنتى عشرة سنة ، فأجابهم الخليفة إلى ذلك بالسمع والطاعة ، فعنــد ذلك حكمت القضاة بذلك ، وخُلع على الخليفة والقضاة وأرباب الوظائف ، ودقت البشائر والكوسات ، وتباشرت الناس بذلك .

ثم أشــير إلى الأمير[2] أيتمش وهو فى المجلس أن ينتقل من باب السلسلة ويسكن فى بيتــه على عادته فى أيام السلطان الملك الظاهر ، وأن لا يتكلم

(١) العلامة فى الأصل وفى المصطلح خاصة بالسلطان وهى ما يكتبه السلطان بخطه على كل ما يأمر به ، انظر فى ذلك Gaudefroy Demombynes : La Syrie à l'epoque des Mamelouks, Introd., p. LXVIII.

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة ١٢/١٨٢ أن الملك الناصر فرج هو الذى ابتدأ بالكلام مع أيتمش قائلا له : « ياعم ، أنا قد أدركت وبلغت الحلم وأريد أن أرشد » فقال له أيتمش : «السمع والطاعة» ، ويضيف أبو المحاسن إلى ذلك أن جميــع الأمراء اتفقوا على الترشيد واستصوبوا الأمر إلا والده تغرى بردى وفارس الحاجب ، ولكن أيتمش أخذ يحسن لهما ترشيد فرج ، وربما كان أبو المحاسن أقرب جميع المؤرخين إلى الحقيقة وذلك لصلة القرابة التى تربطه بالناصر فرج ، أنظر بقية القصــة كاملة وموقف أيتمش فى النجوم الزاهرة (ط . مصر) ١٢/١٨٣ — ١٨٤ ، (= ط . كاليفورنيا ٦/١٤ — ١٥) .

فى الأمر والنهى ، والقطع والفصل ، وإنما يطلع للخدمة على عادته ، على أنه إذا وقع مُهم كبير أوحادثة يكون هو المشار إليه فى الرأى والتدبير كما كان يشاوره الملك الظاهر ، فأجاب أيتمش إلى ذلك خوفا منهم على نفسه ، وانتقل إلى بيته عند باب الوزير[1] فى يومه ذلك ، واستمر الأمر على ذلك إلى يوم الأحد التاسع عشر من الشهر المذكور .

* * *

ذكر وقعة أيتمش البجاسى وانكساره وهروبه إلى الشام

لما كان آخر النهار من يوم الأحد التاسع من ربيع الأول من هذه السنة اشتاع الخبر فى القاهرة أن أيتمش اتفق مع غالب الأمراء الكبار والصغار وغالب المماليك[2] السلطانية من الترك وبعض الجراكسة وبعض الأمراء من أولاد الناس على أن يركبوا ويمسكوا الأمراء الذين اتفقوا على ترشيد السلطان والمماليك الذين معهم ، وهم مثل الأمير يشبك العثمانى ، وسودون طاز ، والأمير أقباى الكركى ، وقطلوبغا الكركى ، وتمربغا الباشورى وجكم العوضى ، وجركس القاسمى المصارع ، وغيرهم من الأمراء الجراكسة والباشات ، وكان الأمير يشبك ضعيفا إذ ذاك ، أرمد فى بيته الذى قبالة مدرسة محمود العلائى بالشارع الأعظم :

(١) باب الوزير هو أحد أبواب سور القاهرة الشرق ، وقد ذكر المرحوم محمد رمزى فى تعليقه على النجوم الزاهرة ١٠/١٨٠ حاشية رقم ١ أن البحث دله على أن الذى فتح هذا الباب فى سور القاهرة هو نجم الدين محمود بن على بن شروين المعروف بوزير بغداد وقت توليه الوزارة للأشرف بكك بن الناصر محمد بن قلاون سنة ٧٤٢ ، وكان الغرض من ذلك أن يمر الناس منه بين المدينة وبين الجبانة الواقعة خارج السور ، كذلك ذكر أن موقع هذا الباب لايزال قائما إلى اليوم على رأس شارع التربة الموصل بينه وبين شارع باب الوزير .

(٢) نعتهم أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢/١٨٥ بالقرانيص ، أما الذين وقفوا مع فرج ضد أيتمش فهم جميع المماليك الجلبان ، أنظر فى تفسير هذا اللفظ نزهة النفوس ١/٣٤ حاشية رقم ١ .

فلما دخلت ليـــلة الاثنين العاشر من ربيع الأول ركب أيتمش ومعـــه مماليكه ومن يلوذ به من الأمراء والمماليك الظاهرية ، وفيهم تغـــرى بردى الجلباني الرماح ، والأمير قرابغا الأسنبغاوى الحاجب ، والأمير بيـــدمر الحاجب، والأمير بيرم رأس نوبة أيتمش ، ووقفوا من تحت السور(١) من عند مدرسة الأشرف إلى قريب جامع آقسنقر الذى [هو] مجاور بيت أيتمش، وركب الأمير تغرى بردى(٢) اليشبغاوى أمير سلاح، والأمير أرغون شـــاه البيدمرى أمير مجلس، ووقفا على رأس ســـويقة منعم ، ومعهما مماليكهما ومن يلوذ بهمـــا من الأمراء والمماليك السلطانيـــة، وركب الأمير فارس القطلوقجاوى حاجب الحجاب والأمير يعقوب شاه الحاجب الثانى، ووقفا تحت مدرسة السلطان(٣) حسن، ومعهما من يلوذ بهما من الأمراء والممـــاليك السلطانيـــة :

ووقع فى تلك الليلة غوش(٤) عظيم بالقاهرة وأطرافها، ولم تزل الكوسات تدق من أول الليـــل بأبوابها والحرب قائمـــة على ساقها ، وكانت غالب مماليك السلطان راقدين فى بيوتهم، فوقعت ضجة بين الناس ، وكان يشبك

(١) فى الأصل « الصور » .

(٢) هو المقر الأتابكى تغرى بردى والد أبى المحاسن صاحب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، وقد دأبت النزهة على كتابة اسمه بهذه الصـــورة « السبغاوى » ولكنه « الكمشبغاوى » فى الضوء اللامع ١٣٨/٣ ، وهو «من يشبغا» فى النجوم الزاهرة ١٢/ ١٨٥ ولكنه «من بشبغا» فى طبعة پوپر ١٦/٦ ص ١٢ ، انظر أيضا Wiet : op. cit. No. 751

(٣) مدرسة السلطان حسن وتسمى أيضا بجامع السلطان حسن وهى تجاه القلعة بالقاهرة فيا بين القلعة وبركة الفيل ، وظل العمل فيها وفى الجامع ثلاث سنوات منذ سـنة ٧٥٧ فى عهد الملك الناصر حسن ، وكان الصرف عليه كثيرا جدا ، انظر الخطط ٢/ ٣١٥ — ٣١٧ .

(٤) الغوش هو إحداث غاغة وضوضاء ، وقد يقال أيضا غوشة ، انظر Dozy : Supp. Dict. Arabes, II, 231.

راقدا فى بيته على ما ذكرناه، فجاء إليه بعد العشاء الأمير تمربغا المشطوب ، وقال له : « قم وانهض واشتد فى الطول والعرض، فهذا الأمر كله بسببك وقيام الأمر من تحت رأسك! »، فقام وهو ضعيف ، فلبس وألبس مماليكه ولبس تمر بغا المذكور أيضا فى بيته، والأمير إينال حطب كذلك، فاجتمعوا وركبوا إلى أن وصلوا إلى باب سر بيت الأمير بيبرس الدوادار فاستفتحوه ففتح لهم ، فدخلوا وخرجوا إلى الرميلة(١)، وذلك لعدم تمكنهم من طريق غير ذلك ، فوقفوا عند باب السلسلة(٢)؛ وكذلك خرج الأمير سودون الدوادار ، والأمير جكم رأس نوبة، والأمير جركس وغيرهم ممن يلوذ بهم من الأمراء والمماليك ، وأخذ كل منهم موضعا ليبين حاله ووضعه : بلبوس كاملة ، وخود سابلة ، وسيوف ماضية ، وقسى شامية، وصفاح يمانية ، ورماح خطية ، فصاروا فى شجار وكفاح، من العشاء إلى الصباح، ولم يزالوا فى الكر والفر، من أول الليل إلى الظهر من يوم الاثنين المذكور ، ووقع بينهم قتال عظيم، وخطب جسيم، إلى أن حصلت جراحات كثيرة للطائفتين. فلما قوى القتال من جهة سودون طاز ومن معه، وكثرت حملاتهم وتكاثرت وقعاتهم، انهزم الأمير تغرى بردى والأمير أرغون شاه ومن معهما ، وجاءوا عند أيتمش ، ولم يثبت فى موضعه غير الأمير فارس حاجب الحجاب وقاتل فى ذلك اليوم قتالا عظيما ، وأظهر أمرا جسيما ، ولو كان فيهم من يدانيه فى الثبات، أو يساويه فى الإثبات لغلبوا، ولكنهم انهزموا وانقلبوا، والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء .

(١) كانت الرميلة الأرض الفضاء التى أمام القلعة ، وكان بها الميدان السلطانى المسمى أيضا بميدان القلعة ، وفى شمالها سوق الخيل تجاه جامع السلطان حسن .

(٢) باب السلسلة ويعرف أيضا بباب الاصطبل وبباب الميدان وباب الغرب وباب القلعة .

فلما زالت الشمس من اليوم المـــذكور ، هب نسيم النصر وبان الكاسر من المكسور ، تولى أيتمش ومن معه هاربين ، وخرجوا من باب المحروق سائقين ، ليس معهم من السلاح سوى الرماح ، ولا خيام ولا قماش ، ولا غلام ولا فراش ، ولا جنائب تقاد ، ولا ثقل ولا زاد ، إلى أن وصلوا إلى الخانقاه (١) ، وهم مقدار خمسمائة نفس ، بعد أن كانوا أكثر من عشرة آلاف نفس ، وذلك لأنه لمـــا وقع الكسر ، واشتد الحصر ، انعزل غالب من كان معـــه وتركه وجعل نفسه من الأمراء المنصورين ، حيلة لخلاصهم ، ووســيلة لمناصبهم ، ومنهم من ادعى الركوب لمـــا رأى الأمر المغلوب ، ولو ساقت المماليك الجراكسة وراءهم طالبين أمراءهم لأخذوهم عن بكرة أبيهم ، ولكن حصل لهم الوهج من شدة الحروب ، وسرعة المنهزمين إلى الهروب ، وعدم وثوقهم بمن معهم من الرجال ، خوفا على أنفسهم من الاحتيـــال ، ولكن كان ذلك فى الأزل مسطورا ، [و] على هذا الوجه مقدرا مقدورا .

* * *

(١) أى ناحية سرياقوس ، وهى من البلاد القديمة فى مركز شـــبين القناطر بمحافظة القليوبية وقد جاء فى القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ١ ص ٣٥ أن أميلينو ذكرها فى جغرافيته باسم Siriâqous وهو اسمها القبطى القديم ، على أن المرحوم محمد رمزى رجح فى قاموسه أنها منسوبة إلى عزبة أنشاها Cryaqous والله أعلم بالترتيب ، وذكر ابن دقماق فى الانتصار ٥/٤٩ أن عبرتها خمسة عشر ألف دينار ، وكان بها فى عهده قصور ينزل بهـــا السلطان وكبار الأمراء ، كما أن المـــاليك السلطانية كانوا ينزلون بهـــا فى أوائل فصـــل الخريف للتنزه . أما الخانقاه وتعرف بخانقاه سرياقوس فمن إنشاء الملك الناصر محمـــد بن قلاون وكان بناؤه إياها وفاء لنذر نذره إن شفاه الله من ألم فى جوفه ليبنين فى هذا المكان مكانا يُعبد الله فيه ، فكان ما تمنى ووفى بنذره وجعل فيها خلوة لمـــائة صوفى ، وبنى بجانبها مسجدا لصلاة الجمعة وحماما ومطبخا وذلك سنة ٧٢٣ ، انظر المقريزى : الخطط ٢/٢٤١ .

ذكر
من كان من الأمراء مع الأمير أيتمش البجاسي من مقدمي الألوف

كانوا خمسة : أيتمش المذكور ، وتغرى بردى السنبغاوى أمير سلاح ، وأرغون شاه البيد مرى أمير مجلس، وفارس حاجب الحجاب، ويعقوب :

ومن الطبلخاناة تسعة : تغـرى بردى الجلبانى الرماح، وقرا بغـا الأسنبغاوى الحاجب، ومقبل الطويل ، وآقبغا المحمودى الأشقر، وتنكز بغا الحططى رأس نوبة ، وتمان تمر الأشقتمرى رأس نوبة ، وشادى خجا، وألطنبغا شاوى، وعيسى الملقب بفلان والى القاهرة .

ومن العشرينات ستة : مقبل الرومى الحاجب ، وكمشبغا الخضرى ، وبكتمر جلق ، وقرمان المنجكى ، ومنكلى ، وآقبغا ميق .

ومن العشرات خمسة عشر : يلبغا الظريف، وكزل، وبرسبغا، وجوبان وأرغون، ومحمد بن على نقيب الجيش ، وأحمد بن أرغون شاه، ومحمـد ابن يونس الدوادار، وقردم المحمدى، وأسندمر الأشقتمرى (٦٠ ب)، وبيرم رأس نوبة أيتمش، وخضر بن الدنكزية ، وكمشبغا الجمالى، وتغرى بردى السيفى تنكز ، وألجيبغا .

فالمقدمون كلهم خرجـوا مع أيتمش وغالب الأمراء المذكورين ، ومنهم من اختفى فى المدينة، ثم مسك منهم جماعة،وهم: الأمير مقبل الطويل وبكتمر جلق وألجيبغا وحبسوا بثغر الإسكندرية ، وتوفى منهم من الجراحة أميران : أحدهما بيدمر الحاجب، والآخر الأمير قرابغا الحاجب، وكانت وفاتهما يوم الأحد سادس عشر ربيع الأول منها ، أما بيدمر فإنه أخرج جهرا، وصلى عليه ودفن، وأما قرابغا فإنه غسل وصلى عليه ودفن خفية :

وفى يوم الثلاثاء حادى عشريه — ثانى يوم الوقعة — خرجت جماعة من الأمراء فى إثر الأمراء المنهزمين، منهم : الأمير يلبغا الناصرى، والأمير تنكز(١) الركنى والأمير أقباى الطرنطائى والأمير إينال باى ، وكلهم مقدمو ألوف ، ومعهم الأمير جكم رأس نوبة أمير عشرين، وغيرهم من الأمراء والمماليك، فساقوا إلى أن وصلوا إلى بلبيس ، ولم يلحقوهم فارتدوا منها .

وأما أيتمش ومن معه فإنهم عدّوا من قطية ، ووصلوا إلى غزة بعد أن أخذوا معهم من خيول السلطان التى كانت فى سرياقوس مقدار ثلاثمائة(٢) فرس ، وهى الخيول التى جاءوا بها إلى السلطان الملك الظاهر برقوق من المغرب ، وقاسوا من المشقة والنصب والسهر والتعب وقلة القوت والزاد ما يفتت الأكباد ، وعدم الغطا والوطا ، وعدم العليق للخيول من التبن والشعير ، إلى أن صار غنيهم كالبائس الفقير ، فلما وصلوا إلى غزة أحسن إليهم نائبها وهو الأمير آقبغا اللكاش من جهة الأمير تنم نائب الشام، وكان النائب بها من جهة الملك الظاهر ألطنبغا قراقاش، فلما بعث تنم اللكاش إلى غزة من جهته هرب قراقاش، واستولى على غزة اللكاش ، ثم طالع اللكاش بأمرهم إلى نائب الشام، وبما جرى بينهم وبين المصريين .

* * *

ذكر ما جرى فى القاهرة بعد ذهاب الأمراء الهاربين من الأحكام الظاهرة ، فى الدولة الناصرية بالقاهرة

سلخ يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول مُسكت جماعة من المماليك السلطانية وغيرهم ممن تحقق أنهم كانوا مع أيتمش، ثم شَفع فيهم

(١) « بكتمر الركنى » فى النجوم الزاهرة ١٢/١٨٨ ، و يعرف بيكتمر باطيا .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة ، نفس الجزء والصفحة ، أنهم أخذوا نحو مائة فارس .

الأمير بيبرس الدوادار فأطلقوا ، ما خلا شخصين وهما أنابوى[(١)] الخاصكى وجقمق الرماح .

وفى هذا اليوم خلع على القاضى موفق الدين بن قاضى القضاة ناصر الدين الحنبلى، واستقر قاضى القضاة الحنابلة بالديار المصرية، عوضا عن أخيه قاضى القضاة برهان الدين بحكم وفاته .

وفى يوم الخميس العشرين منه فر[(٢)] ثلاثة من الأمراء المحبوسين وهم : الأمير نوروز الحافظى الذى كان الظاهر حبسه فى الإسكندرية ثم انتقل منها إلى دمياط فى أيام أيتمش ، والأمير تمراز الناصرى، والأمير سودون قريب الظاهر اللذان حُبسا بعد موت الظاهر كما ذكرنا ، وطلعوا عند السلطان وقبلوا الأرض بين يديه وعادوا إلى منازلهم .

وفى يوم السبت الثانى والعشرين من ربيع الأول خرجت مثالات[(٣)] شريفة بالإمريات لجماعة مثل نوروز وتمراز وسودون وغيرهم .

وفى يوم الاثنين الثانى من ربيع الآخر خلع على الأمير آقباى [بن حسين شاه] الطرنطائى، واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية ، عوضا عن

---

(١) كلمة غير واضحة فى الأصل .

(٢) نص أبو المحاسن صراحة فى النجوم الزاهرة ١٢/١٩٣ على أن السلطان «رسم بإحضارهم ... وسارت القصاد لإحضارهم » .

(٣) المثالات جمع مثال وهو ما يكتب فى المطالعات السلطانية من منح إقطاع من الإقطاعات المحلولة أى الخالية ؛ وقد أشار صبح الأعشى ١٣/١٥٣ إلى أن المثال يكتبه ناظر الجيش فى نصف قائمة شامى بعد ترك الثلثين من أعلاها بياضا ، انظر أيضا : Gaudefroy-Demombynes : op. cit., Introd., p. XLIII. ويسمى أيضا بالمثال الشريف ، انظر Dozy : Supp. Dict, Arabes, II, 568.

الأمير فارس [الأعرج]، وخلع على الأمير دقماق الخاصكى الذى كان نائب ملطية ، واستقر حاجب(1) الميسرة عوضا عن الأمير يعقوب شاه .

وفى يوم الثلاثاء الثالث منه خلع على الأمير أسنبغا الناجى الدوادار وعلى الأمير قمارى [الأسنبغاوى] الذى كان والى باب القلعة، وسودون الماموري، واستقروا حجابا صغارا، عوضا عن الأمير بيسدمر وقرابغا الحاجب ومقبل الرومى .

وفى يوم الخميس الثانى عشر منه خُلع على الأمير سودون طاز ، واستقر أمير آخور كبيرا فى أيام أيتمش، عوضاً(2) عن سودون قريب الظاهر وسكن فى باب السلسلة .

وفى يوم السبت الرابع عشر منه خلع على القاضى بدرالدين محمود العينى ، واستقرفى حسبة القاهرة عوضا عن جمال الدين الطنبدى بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره خلع على الأمير منكلى بغا الدوادار واستقر حاجبا ، فصارت الحجاب سبعة(3) بالديار المصرية .

وفى يوم الخميس التاسع عشر منه مُسك الأخوان القاضى سعد الدين ناظر الخاص، والقاضى فخر الدين الوزير ، ومسك معهما الأمير شهاب الدين ابن قطينة والشريف علاء الدين مشد الدواوين .

(1) يستفاد من رواية النجوم الزاهرة ١٢/١٩٣ أنه استقر حاجبا ثانيا .

(2) وذلك لتأخره بدمشق عند تمر رسولا من فرج .

(3) يشير النجوم الزاهرة ١٢/١٩٧ إلى أن عددهم بهذا أصبح ثمانية « وهذا بخلاف العادة » ، أما فى السلوك (ورقة ٢٢٥ أ) فقد أشار إلى أنه فى يوم الخميس ١٢ ربيع الآخر خلع على سودون طاز وعمل أمير آخور واستقر مبارك شاه حاجبا ثالثا بتقدمة ألف « ولم يقع مثل ذلك فيا تقدم » ثم عاد (نفس الورقة) فقال إنه فى يوم ١٨ منه خلع الناصر على أحد الأمراء واستقر حاجبا ثامنا «ولم يعهد بمصر مثل ذلك فيا سلف » .

وفى يوم السبت الحادى والعشرين منه خلع على القاضى بدر الدين ابن الطوخى ، واستقر وزيرا بالديار المصرية عوضا عن الصاحب فخر الدين ابن غراب ، وخلع أيضا على القاضى شرف الدين بن الدمامينى ناظر ديوان المفرد ، واستقر ناظر الجيش وناظر الخاص عوضا عن القاضى سعد الدين المذكور ، فصارت بيد شرف الدين المذكور ست وظائف كبار : نظر الجيش ونظر الخاص ونظر ديوان المفرد ونظر الكسوة ووكالة بيت المال ونظر المصالح.

وفى يوم السبت الثامن والعشرين منه خلع على القاضى سعد الدين ابن غراب ، واستقر على عادته ناظر الخاص والجيش عوضا عن شرف الدين ابن الدمامينى ، وخلع أيضا على أخيه فخر الدين ، واستقر وزيرا على عادته عوضا عن بدر الدين بن الطوخى المذكور .

وفى هذا اليوم خلع على الشيخ أبينا التركمانى الذى كان فى مشيخة قوصون ، واستقر شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس(١) ، عوضا عن الشيخ إسلام بحكم وفاته ، وخلع أيضا على الشيخ شرف الدين يعقوب بن جلال الدين التبانى(٢) الذى كان ناظرا على القدس الشريف ومدرس مدرسة ألجاى(٣)

(١) راجع ما سبق ص ١٨ حاشية رقم ١ ، وفيما بعد ترجمة رقم ٣٣٥ .

(٢) عرف بالتبانى نسبة لسكنه التبانة خارج القاهرة ، وكان يعرف باسم يعقوب بن جلال و بأحمد ابن جلال الدين ورسولا الرومى ، وإن كان الضوء اللامع ٧/ ٢٤٥ يشير إلى أن أباه غلب عليه اسم «رسول» ، وأما أخوه محمد فقد ولد فى حدود سنة ٧٧٠ وتنقلت به الأحوال بين رفع وخفض ، وأهانه الناصر فرج حتى اضطره للاستجداء ومد يده للسؤال ، لكن رفع شيخ قدره وولاه قضاء الحنفية بدمشق ، وكانت وفاته بها سنة ٨١٨ ، راجع أيضا قضاة دمشق ص ٢٠٧ — ٢٠٩ .

(٣) هى من إنشاء الأمير سيف الدين ألجاى سنة ٧٧٤ وإن جعلها المقريزى سنة ٧٦٨ وهى خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل ، وتقع بخط سويقة العزى ، ورتب بها منشؤها درسين للفقهاء الشافعية والحنفية ، ووصفها المقريزى فى خططه ٢/ ٣٩٨ بأنها «من المدارس المعتبرة الجليلة» . وذكر المرحوم محمد رمزى فى تعليقاته على النجوم الزاهرة ٨/ ٢٠٥ س ١٦ وما بعده أنها لا تزال موجودة حتى اليوم بشارع سوق السلاح بالقاهرة الذى حل محل سويقة العزى أيام كتابة المؤلف لهذا الكتاب .

وخطيبها ، واستقر فى مشيخة قوصون عوضا عن الشيخ أبينا المذكور بحكم انتقاله إلى خانقاه سرياقوس ، واستقر أخوه شمس الدين محمد[1] فى نظــر القدس الشريف ومشيخة المدرسة المذكورة .

وفى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى خلع على الأمير شهاب الدين ابن قطينة ، واستقر أستاداراً صغيرا وشادّ الخاص الشريف ، وخلع على علاء الدين الشريف ، واستقر شاد الدواوين على عادته :

وفى يوم الثلاثاء الثامن منه خلع على شرف الدين بن الدماميني ، واستقر قاضى القضاة المــالكية (٦١ ا) بإسكندرية ، عوضا عن أخيــه تاج الدين [أبى بكر] ، وذلك بعد أن قبض عليه[2] ، وبذل ثلاثة آلاف دينار .

* * *

وفى ليلة الخميس العاشر منــه وقعت أمطار كثيرة بمكة — شرفهــا الله تعــالى — واجتمعت ســيول كثيرة ودخلت فى الحرم الشريف وارتفعت إلى أن غطت الحجر الأســود وعلت عليه قدر ذراعين ، ودخلت فى نفس الكعبة ، وارتفعت من عتبة باب الكعبة قدر شبر ، وخربت بيوتات كثيرة بمكة ، ومات بتلك الليلة فى نفس مكة من الغرق والهدم ستة وثلاثون نفسا ، وجاء بذلك كتاب من قاضى مكة القاضى الشافعى مؤرخا بهذا التاريخ :

وفى يوم الخميس العاشر منه خلع على القاضى بهاء الدين البرجى واستقر فى وكالة بيت المــال ، واستقر ولى الدين الدمياطى فى نظر الكسوة ثم استردها بهاء الدين المذكور منه ، فصار بيده الكسوة ووكالة بيت المــال :

(١) انظر حاشية رقم ٢ ص ٤٣ .

(٢) الضمير هنا عائد على شرف الدين محمد بن الدماميني إذ كان سعد الدين بن غراب قد قبض عليه فى ثالث جمادى الأولى .

وفى يوم الاثنين الرابع عشر منه خلع على الأمير بيبرس الدوادار واستقر أتابك العساكر عوضا عن أيتمش البجاسى ، وخلع على الأمير سودون قريب الظاهر (١) واستقر أمير سلاح عوضا عن تغرى بردى اليشبغاوى ، ثم اختار سودون أن يكون دوادارا كبيرا ، فأجابه السلطان الملك الناصر لذلك ، واستقر سودون دوادار كبيرا عوضا عن الأمير بيبرس ، وخلع على الأمير نوروز الحاصكى واستقر نوبة الأمراء ، وخلع على الأمير تمراز الناصرى واستقر أمير مجلس عوضا عن أرغون شاه البيدمرى .

وفى يوم الخميس (٢) السادس عشر منه عزل القاضى بدر الدين محمود العينى عن حسبة القاهرة ، وذلك أن سودون الدوادار لما استقر فى الدوادارية احتاط على موجود أيتمش ، ومن جملة ما وجد له فى شونته ستة آلاف أردب قمح ، وألف أردب حمصا ، وألفا أردب فولا ، وكان الإردب من القمح إذ ذاك يساوى خمسة وثلاثين درهما ، فطلب القاضىَ بدر الدين المذكور ، فقال له : « بع هذا القمح كل أردب بستين درهما » فقال له : « العادة فى هذا أن يباع بقطع السعر من أرباب الخبرة » ، فلما سمع منه هذا الكلام اختبط خبط اللئام ، وركبه ظلام الظلم والعسف ، وهزته أريحية الجور والحيف ، ولم يختر إلا ترويج أمره الفاسد ، وتنفيذ حكمه الكاسد ، فلما رأى إمعانه على ذلك وأن لا بد له [من] إجابة لسؤاله خوفا منه على الغرض الذى لا يزيد الذهب

---

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة أن السلطان خلع على الأمير بكتمر الركنى باستقراره أمير سلاح عوضا عن تغرى بردى والد أبى المحاسن .

(٢) إن صح أن ذلك كان يوم الخميس فلا بد أن يكون التاريخ هو السابع عشر لا السادس عشر من جمادى الأولى ، حيث أشار المؤلف ص ٤٤ س ٤ إلى ما يفيد أن أول هذا الشهر كان الثلاثاء ، وهو يتفق فى هذا مع ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٠١ .

الأرض ، فخرج من عنده وفى خاطره أن أمره قد نفذ وتم، وحكمه قد مضى وانبرم ، قاصدا إلى بيت الأمير جكم فإنه كان من أعز أصحابه ، وأجل مخادمه وإخوانه ، وحكى له ما جرى من الأمر العظيم والخطب الجسيم ، وأشهده على نفسه بأنه معزول من الوظيفة ، حتى لا يباشر هذه الأمور السخيفة ، فلما بلغ المذكور الخبر بذلك أخذه الحنق على ذلك ، وطلب من يوليه لأجل هذا الشأن ، فلم يجد أحدا يقبل هذا الظلم والخسران (١) ، غير تقى الدين المقريزى الذى كان تولى حسبة القاهرة فى أيام الظاهر قبل ذلك ، فخلع عليه فى يوم الجمعة سابع عشر الشهر المذكور .

وفى يوم الخميس الرابع عشر منه خلع على الأمير شهاب الدين أحمد ابن أسد الكردى ، واستقر فى ولاية القاهرة عوضا عن ابن الزين الحلبى ، وخلع على شهاب الدين ابن الزين ، واستقر ملك الأمراء بالوجه القبلى عوضا عن الأمير ألطنبغا الكاشف ، ولبس علاء الدين الحريرى [خلعة] ولاية قوص عوضا عن أسنبغا السيفى سودون باق .

وفى يوم الخميس الثانى من جمادى الأولى منها خلع على القاضى نور الدين الحكرى واستقر قاضى القضاة الحنابلة بالديار المصرية عوضا عن القاضى

---

(١) أشار العينى فى عقد الجمان إلى هذه القصة التى وقعت له شخصيا وإلى أنه عزل نفسه عن حسبة القاهرة لأن سودون الدوادار قريب الظاهر كان قد احتاط على جميع موجود أيتمش وما وجد فى شونته من القمح والفول ، وكان ثمنه يساوى خمسة وثلاثين درهما وأمره أن يبيعه بستين ، فرفض العينى محتجا بقطع السعر من أرباب الخبرة من الطحانين والسماسرة وتمسك الدوادار بظلمه ، فالتجأ العينى إلى الأمير جكم وهو - وإن كان أحد رؤس النواب الصغار - إلا أنه كان جريئا فى الحق مما دعى إلى غضب سودون منه فشرع فى تولية غيره ، ويقول العينى فى ذلك : عقد الجمان ، ج ٢٥ ورقة ٩٩ - ١٠٠ « إنه أغرى أحد نواب الحسبة من اللئام ، فأغرى تقى الدين المقريزى الذى أخذ الوظيفة عنه أولا فتولاها يوم الجمعة السابع عشر » .

موفق الدين بحكم عـــزله ، وخلع أيضا على الأمير بكتمر الركنى واستقر أمير سلاح عوضا عن تغرى بردى السنبغاوى .

وفى يوم الاثنين السابع والعشرين منه خلع على الأمير شهاب الدين الحلبى الذى تولى كشف الصعيد ، واستقر فى ولاية القاهرة على عادته عوضا عن شهاب الدين أحمـــد بن أسد الكردى ، وأضيف إليه ولاية مصر والحجوبية الصـــغيرة .

* * *

ذكر خروج السلطان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر إلى الشام لأجل محاربة تنم نائب دمشق ، وردّه العصاة(١) إلى الطاعة

بتاريخ الاثنين الرابع من رجب منها خرج السلطان الملك الناصر فرج وصحبته العساكر المنصورة المصرية إلى الريدانية(٢) قاصدين الشام لأجل محاربة تنم الحسنى نائب دمشق والأمير أيتمش البجاسى ومن معـــه من الأمراء المسلحين .

وفى يوم الثلاثاء الخامس منه خلع على الأمير بيبرس ، واستقر ناظرا(٣) على المـــارستان المنصورى عوضـــا عن الأمير أيتمش ، وخلع على الأمـــير نوروز الحافظى ، واستقر ناظرا على مدرسة شيخون وجامعـــه ، وذلك فى الريدانية .

---

(١) فى الأصل « العصيان » .

(٢) الريدانية من القرى المصرية القديمة بمركز المنصورة بمحافظة الدقهلية ، وتنسب إلى شخص اسمه ريدان ، انظر عنها محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ١ ص ٢١٤ .

(٣) الواقع أنه خُلع عليه فى ذلك بنظر المارستان و بنيابة الغيبة بمصر .

وفى يوم الخميس السابع من رجب رحل الأمير نوروز الحافظى مقدم العساكر من الريدانية ومعـه سودون الدوادار الكبير وتمراز الناصرى أمير مجلس والأمير بكتمر الركنى أمير سـلاح والأمير شيخ المحمودى وغيرهم من الطبلخاناة والعشرات .

وفى يوم الجمعة الثامن منه رحل السلطان الملك الناصر من الريدانية ومعه من المقدمين الأمير يشبك الشعبانى اللالا ، والأمير سودون طاز أمير آخور كبير ، والأمير سودون المـاردانى رأس نوبة كبير ، وغيرهم من الطبلخانات والعشرات ، وفى صحبته الخليفة المتوكل على الله والقضاة الأربعة ، وهم : صـدر الدين المناوى الشافعى ، وجمال الدين الملطى الحنفى ، وولى الدين ابن خلدون المـالكى ، ونور الدين الحكرى الحنبـلى ، وقاضى العسكر أمين الدين بن شمس الدين (٦١ ب) الطـرابلسى ، والوزير فخرالدين ابن غراب ، وأخوه سعد الدين ناظر الجيش ، وكاتب السر فتح الله العجمى .

واستناب السلطان فى الديار المصرية الأمير بيبرس ابن عمته ، وخلّف من الأمراء المقدمين أربعـة نفروهم : الأمير أقباى الطرنطاى حاجب الحجاب نزل فى بيت منجك اليوسفى ، والأمير إينال باى بن قجماس بالقلعة ، والأمير مبارك شـاه الظاهرى الحاجب وكاشف الجـيزية ، والأمير يلبغا السـالمى أستادار العالية لتحصيل الأموال ، و[خلّف] من الطبلخانات جماعة وهم : الأمير سودون من زاده رأس نوبة فى باب السلسلة ، وهو متحدث عن الوزير بطريق النيابة ، والأمير بيسق أمير آخور فى الإصطبل السلطانى ، والأمـير قطيس[1] عند الحواصل ، والأمير إينال حطب رأس نوبة فى قلعة ، والأمـير

(١) المقصود وبذلك الأمير بهادر قطيس .

أسنبغا الحاجب ، والأمير سيدى أبو بكر الحاجب ، والأمير ناصر الدين ابن سنقر أستادار الأملاك والذخيرة ، والأمير شهاب الدين بن الزين والى القاهرة ومصر ، وغيرهم من العشرات ، منهم سودون الأعرج ، والأمير مصطفى من تكا .

* * *

ذكر وقعة يلبغا الأحمدى المجنون

كان يلبغا المجنون محبوسا فى الإسكندرية كما ذكرناه ، ثم نقل إلى دمياط ، والأمير تمربغا المنجكى الذى كان صاحب الميسرة بالديار المصرية ، وكان فى دمياط أيضا الأمير طولو رأس نوبة ، والأمير طغنجى ، والأمير بلاط السعدى ، كلهم أمراء طبلخانات ، ثم إن السلطان الملك الناصر لما توجه إلى الشام لأجل المخامرين رسم بأن يُنقل هؤلاء إلى الإسكندرية توهما أن يفسدوا شيئا ، وكان كما قال ، وعين لذلك الأمير سودون الماموري الحاجب ، فلما ذهب [سودون] إلى دمياط وخرج بهم متوجهين إلى الإسكندرية اجتمع عليه عند معدية فوة (١) جماعة من إخوة (٢) يلبغا وخلصوه ومن معه ، ومسكوا سودون المذكور ومن معه ، فجاء المجنون إلى دمنهور ، وأخذ من أموال السلطان شيئا كثيرا ، واجتمع عنده طائفة من المتغلبين ، واتفق معه كاشف البحيرة الأمير على وتوجهوا إلى ناحية الصالحية ، وجاء

(١) أطال القاموس الجغرافى للبلاد المصرية الحالية ق ٢ ج ٢ ص ١١٣–١١٥ فى التعريف بفوة وتطورها تاريخيا وعرض لآراء شمبليون و بطليموس وأميلينو ، و بين صواب كل منهم وخطأه فى تحديد موقعها جغرافيا ، وانتهى إلى أن اسمها القديم هو بوى «Poei» ، وهى واقعة فى محافظة الغربية حاليا ، وقريبة من رشيد ، واسمها مشتق من الفوة ، وهى العروق التى تصبغ بها الثياب الحمر .

(٢) فى الأصل «أخوات» .

الخبر بذلك إلى الأبواب الشريفة ، فخرج من القاهرة يوم الجمعة الثانى والعشرين من رجب جماعة من الأمراء وهم : أقباى حاجب الحجاب ، ويلبغا السالمى الأستادار ، وبيسق أمير آخور ، وناصر الدين [محمد] بن سنقر ، وجماعة من المماليك السلطانية ولم يتلاقوا به ، فرد الأمير أقباى ويلبغا السالمى ودخلا القاهرة يوم الأحد الثالث والعشرين من رجب ، ثم جاء الخبر هذا النهار بأن المجنون قد توجه إلى ناحية القاهرة ، وأنه لاقى فى الطريق الأمير ناصر الدين بن سنقر وبيسق فمسكهما وقيّدهما ، وجاء الخبر بذلك إلى القاهرة ، ووقع فيها خباط عظيم ؛ وأما سودون الماموري الذى مسكه المجنون ومسك معه سودون الأعرج ، فكان قصْد المجنون أن يقتلهما ، فشفع فيهما الأمير طولو ، فقبل المجنون شفاعته بعد أمر شديد ، فأطلق سبيلهما وجاءا إلى القاهرة ؛

* * *

ذكر خروج الأمير الكبير بيبرس إلى الريدانية ببقية العساكر لأجل محاربة المجنون

بتاريخ يوم السبت سلخ رجب منها خرجت العساكر المصرية الذين بقوا فى القاهرة فى غيبة السلطان صحبة الأمير الكبير بيبرس ، ومعه من المماليك الأوجاقية وغيرهم مقدار ثلاثمائة نفس ، وتلاقوا مع جماعة المجنون فوق الريدانية ، وكسروا جَمْعَهم ، وفرقوا شملهم ، وخلّصوا الأميرين المذكورين ناصر الدين وبيسق من الأسر والقيد ، ونهبوا كل شيء لهم من الجمال والأثقال ؛

وأما يلبغا فإنه كان هو ومعه جماعة قد أخذوا ناحية أخرى إلى جهة تربة الصحراء ، قصْداً منهم أن يعارضوا العساكر المصرية من ناحية أخرى ، فلما

تحققوا ما جرى على طائفتهم هربوا من وراء قلعة الجبل ومعهم الأمــراء المذكورون غير تمربغا المنجكي ، فإنه جاء إلى بيبرس طائعا مستأمنا ، ثم إنهم عيّنوا آقباى الحاجب وراء المجنون وسار نصف النهار فلم يلحقه ، ورجع إلى القاهرة ، وكان قد وقع في ذلك اليوم هرج حتى قُفلت أبواب المدينــة وأسواقها ، وارتفعت الأخباز من الدكاكين ، فأزال الله هذه النقمة عن هذه الأمــة .

* * *

ذكر الواقعة التي كانت على غزة عند تل عجول بين المصريين والشاميين

بتاريخ يوم الاثنين الثاني عشر من رجب وصل السلطان الملك النــاصر بعساكره المنصورة إلى غزة ، وكان بها جماعة من الأمراء مثل آقبغا اللكاش النائب بها من جهة تنم ، وفارس حاجب الحجاب كان ، وجلبان نائب حلب كان ، وتغرى بردى (١) أمير سلاح كان ، وأرغون شاه البيدمرى أمير مجلس كان ، ودمرداش نائب حماة ، وسراى تمر أتابك العساكر بحلب كان ، وألطنبغا العثماني نائب صفد ، فتقدمت جماعة من المصريين ، منهم : نوروز الحافظي مقدم العساكر ، وسودون طاز أمير آخور كبير ، وجكم رأس نوبة ، وتمربغــا المشطوب رأس نوبة ، وجركس المصارع ، وغيرهم من المماليك الشجعان ، وتلاقوا عند تل عجول ، فانكسر الشاميون (٢) في أسرع وقت ، بل في أسرع من لحظة عين ، وجرح اللكاش جراحة مثخنة ، وقتل منهم جماعة وانهزموا هاربين إلى الرملة ، ونزل السلطان بمن معه على غزة وغنموا جمالهم

(١) هو تغرى بردى والد أبي المحاسن المؤرخ وصاحب النجوم الزاهرة .

(٢) شرحت النجوم الزاهرة ٦ / ٣٣ مرهزيمة الشاميين هذه فراجعها هناك .

وأثقالهم وخيامهم ، وجاء الخبر بذلك إلى القاهرة يوم الخميس الحادى والعشرين من رجب ، وكان الذى أتى به السيفى يشبك العثمانى الخاصكى ، ودقت البشائر فى القاهرة ثلاثة أيام ، وأخبر أن جماعة من الأمراء حضروا إلى السلطان طائعين وهم الأمير صراى تمر ، والأمير بنخاص ، والأمير ألطنبغا العثمانى نائب صفد ، والأمير دمرداش نائب حماه ، والأمير أحمد ابن الشيخ على وابن منجك .

* * *

ذكر الواقعة التى كانت بين غزة والرملة عند بيدراس

لما انهزم الأمراء المذكورون عند تل عجول هربوا إلى الرملة ، وكان الأمير تنم نائب دمشق ، والأمير أيتمش البجاسى ومن معهما على الغور (١) ، فوصلوا إلى الرملة واجتمعوا عليهما ، وكان مع تنم زهاء ثلاثين ألفا من الفرسان المماليك والأجناد والتراكمين ، وكان معه من النواب آقبغا الجمالى نائب حلب ، ويونس بلطا نائب طرابلس ، وسودون الظريف نائب الكرك وغيرهم من الأمراء الشامية ، ومن المماليك السلطانية زهاء مائة وخمسين نفسا ؛ ورحل السلطان بعسكره من غزة حتى نزلوا على بيدراس ، وأرسلوا إلى تنم القاضى صدر الدين [المناوى] الشافعى ، و [المعلم] ناصر الدين [محمد] الرماح (٢) ، فدعوا إلى الطاعة والصلح ، وإخماد هذه الفتنة والشر ، فلم يحصل منه ما يدل على السلامة والصلح ، بل أوقد نار

---

(١) الغور هو كل ما انحدر سيله مغربا ، والغور بفتح الغين وسكون الواو إسم يطلق على عدة جهات منها غور تهامة ويقال إنه هو تهامة ذاتها ؛ أما المقصود فى المتن فهو غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق وفيه نهر الأردن الذى يشقه فى طوله من أوله وهو بحيرة طبرية إلى آخر البحيرة المنتنة كما جاء فى مراصد الاطلاع ٢/١٠٠٤ انظر أيضا Le Strange: Palestine Under the Moslems, pp. 30-33

(٢) كان طغاى تمر مقدم البريدية هو ثالث رجال هذا الوفد .

الحرب وأقامها على ساق ، فعنــد ذلك نهض العسكر المصرى ، واجتهدوا في الملاقات ، وتصافقوا بعد أن أصفوا نياتهم ، وأخلصوا عزائمهم ، وتوكلوا على الله ونعم المتكل؟

وتلاقوا يوم السبت الثــالث والعشرين من رجب ، واصطدموا حتى خرجت النيران من سنابك الخيول ، وارتفع الغبار فوق الجبال والتلول ، بعد أن قدموا الأسنة ، وأطلقوا الأعنة ، ودكسوا إلى أن فرّقوا شملهم ، وبددوا جمعهم ، ولم يثبت الشاميون قدر نصف ساعة رمليــة حتى انهزموا وتخبطوا ، وصاح عليهم الصائحون وعيطوا ، فعند ذلك مسك الأمير تنم ، بعد أن كبا فرسه (١) ، وزالت منعته وحرسه ، وذهبت دولته ، وأزفت منيته ، ثم فرق به آقبغا نائب حلب بعد أن وقع في شرك التعب ، وكذلك فعــل بيونس بلطا نائب طرابلس ، وطيفور حاجب الحجاب بدمشق ، وجلبــان أتابك العساكر بالشام ، وفارس حاجب الحجاب كان ، وغيرهم ، ثم أُركبوا على بغال بسروج مفتقة ، وعليهم كبورة معتقة ، وهم في قيود يقادون ، وإلى ناحية الشام يعادون ، في توبيخ وعتاب ، وشتم ومقت وسباب .

* * *

وأما أيتمش وتغرى بردى وأرغون شاه وغيرهم من بقيــة الأمراء فقد هربوا إلى نحو دمشق ، ونهبت خيولهم وجمالهم وأثقالهم ، وكان معهــم من الأموال مالا يحصى عدته إلا الله تعالى ، وغالب النهب كان من أهــل

(١) يسوق أبو المحاسن قصــة تدل على قوة جنان تنم وكراهيته للكذب ، ذلك أن هناك واحدا سوّلت له نفسه — وقد أسر تنم — أن يدعى أنه هو الذى قنطره عن فرسه ، وكان هذا من المماليك الظاهرية ، فلما سمع تنم بذلك الخبر طلبه عنده وتحقق فيه طويلا ثم قال له : « إنت تستاهل إمرة عشرة وغيرها بدون ذلك ، إلا أن الكذب قبيح ، هذا قرقلى إلى الآن علىّ ، أين المكان الذى طعنتنى فيه برمحك؟ أنا ما رمانى إلا الله تعالى ثم فرسى الأشقر » .

القرى والرملة، حتى قيل إن فرسا بيع بخمسين درهما ، وجملا بيع بمائة درهم، وأن القماش والأعيان[(١)] بيعت بأبخس الأثمان ، وجاء الخبر بذلك إلى الأبواب الشريفة يوم السبت سلخ رجب منها ، وكان الذى أتى به السيفى قمش[(٢)] الخاصكى .

* * *

ذكر دخول السلطان دمشق وأحكامه فيها

لما انتصر السلطان على عسكر الشام عند بيدراس على ما ذكرنا رحل بعساكره إلى أن دخلوا دمشق يوم الاثنين الثانى من شعبان من هذه السنة ، وقبل أن يدخلها جهز السلطان الأمير جكم — رأس نوبة — لتحصيل أيتمش (٦٢ أ) ، وأرغون شاه ، ويعقوب شاه وتغرى بردى ، وغيرهم من الذين هربوا حيث انكسر نائب الشام ، فحصّلهم بالملاطفة ، وطلع بهم إلى قلعة دمشق ، ولما استقر ركاب السلطان فى قلعة دمشق أمر بالمناداة بالأمان والاطمئنان، والبيع والشراء، والأخذ والعطاء، ثم رسم بحبس الأمراء جميعهم فى قلعة دمشق ، بعد أن قُيدوا وخشبوا .

ثم إن السلطان خلع على الأمير سودون الدوادار الكبير ، واستقر نائبَ الشام عوضا عن الأمير تنم الحسنى ، وخلع على الأمير دمرداش نائب حماة واستقر فى نيابة حلب عوضا عن الأمير آقبغا الجمالى ، وخلع على الأمير شيخ المحمودى ، واستقر فى نيابة طرابلس عوضاً عن يونس بلطا، وخلع على الأمير دقماق [الخاصكى] الذى كان حاجب الميسرة بالديار المصرية،

(١) لعله يقصد بذلك كثرة من وقع فى الأسر من أعيان الشام حتى بيعوا رقيقا .

(٢) ربما كان المقصود بذلك قمش (أوقجى) الحافظى الظاهرى الذى قتل فى شهر ربيع الآخر سنة ٨١٧ هـ .

واستقر فى نيـــابة حماة عوضا عن دمرداش المـــذكور ، وخلع على ألطنبغا العثمانى واستقر فى نيابة صـــفد على عادته ، وخلع على الأمير بشباى — رأس نوبة — واستقر حاجبَ الحجاب بدمشق عوضاً عن الأمير طيفور ، وخلع على الأمـــير جركس والد تنم واستقر فى نيابة الكرك عوضا عن سودون الظريف ، وخلع على الأمـــير صراي تمر واستقر أتابك العساكر بالشام ، وخلع على الأمير جقمق الصفوى نائب ملطية كان واستقر حاجبَ الحجاب بحلب عوضا عن الأمير نوروز الحضرى الذى ذبح فى حلب لأجل مخالفته لتنم نائب الشام ؛

ثم مسك جقمق المذكور ، وذلك لأنه جاءت رســـل من عند ابن عثمان وأخبروا أن بغداد أخذت لتمرلنك ، وأن صاحبها السلطان أحمد بن أويس قد هرب وجاء إلى قرا يوسف بن قرا محمد ، وأن ابن عثمان ما جاء على ملطية إلا بسبب أن جقمق مسك رسله وحلق لحاهم ، فعند ذلك مسكوا جقمق المذكور ؛ وكذلك أنعم السلطان على الأمير نكباى الأزدمرى الذي كان أمـــير عشرة بالديار المصرية بتقدمة ألف بدمشق ، وكذلك خلع على الأمير بهاء الدين عمر ابن الأمير ناصر الدين محمـــد بن الطحان الحلبي واستقر فى نيابة غزة عوضا عن الأمير آقبغا اللكاش ، وكذلك خلع على الأمير يشبك الخازندار اللالا ، واستقر دوادارا كبيرا للسلطان الملك الناصر عوضـــا عن سودون بحكم انتقاله إلى نيابة الشام .

وأتى بهـــذه الأخبار إلى الديا ر المصرية أسنبغا الفقيه الخاصكى فى يوم الخميس الثانى عشر من شعبان ؛

* * *

ذكر مقتل الأمراء المحبوسين

بتاريخ يوم الخميس التـاسع من شعبان منها قدم على البريد منطـاش الناصرى وصحبته رأس الأمير أيتمش البجاسى ، ورأس فارس حاجب الحجاب بالديار المصرية كان ، وأخبر بأن جماعة من الأمراء قد ذُبحوا فى قلعة دمشق فى العشر الأوسط من شعبان، وهم: أيتمش أتابك العساكر ، وفارس (١) [الأعرج] حاجب الحجـاب ، وأرغون شـاه أمير مجلس ، ويعقوب شاه الحاجب الثانى ، وطيفور حاجب الحجاب بدمشق ، ويونس بلطا نائب طرابلس ، وآقبغا اللكاش ، والأمير جلبان ، وأحمد بن يلبغا الخاصكى ، وألطنبغا شادى ؛

ولمـا وردت رأس أيتمش وفارس إلى القاهرة ، رُسم بأن تُعلقا على باب القلعة عند الخليلية ، فعُلقتا ثلاثة أيام ، ودقت الكوسات للبشائر ثلاثة أيام ، ثم أنزلتا من باب القلعـة ، وعُلقتا على بابى زويلة إلى يوم الاثنين الرابع والعشرين من شعبان ، ثم أُنزلتا وسلمتا إلى أهلهما ، ودُفنت رأس أيتمش فى مدرسته (٢) التى أنشأها بحد باب الوزير أمام القلعـة ، ودفن رأس فارس فى تربته بالصحراء ؛

---

(١) مما رثيا به قول الشهاب أحمد الأوحدى الشاعر :

يادهر كم تفنى الكرام عامدا ... هل أنت سبع للورى ممارس ؟

أيتمش رب العلا صرعتـه ... ورحت للندب الهمام فارس .

انظر النجوم الزاهرة ٢١١/١٢ .

(٢) كانت مدرسة أيتمش داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبانة ، وهى من إنشاء الأمير سيف الدين أيتمش البجاسى سنة ٧٨٥ ، وجعل بهـا درسا فى الفقه الحنفى ، انظر الخطط ٣٩٩/٢ .

وأما تنم الحسنى فإنه خُنق فى أول رمضان[(١)] منها عند خروج السلطان من الشام ، والأمير علاء الدين بن الطنبلاوى قد قُتل فى غزة فى الحمام عند توجه السلطان إلى القاهرة ، ولم يخلص من الأمراء المحبوسين مع تنم غير تغرى بردى أمير سلاح ، وآقبغا الجمالى نائب حلب ، وقد ذكرنا أنهما بذلا[(٢)] أموالاً عظيمة فداء لروحهما .

* * *

ومما جرى من الحوادث فى القاهرة فى غيبة السلطان أن الأمير بيبرس ولّى جمال الدين الطنبدى حسبة القاهرة ، عوضا عن تقى الدين بن المقريزى بحكم عزله بواسطة الأمير سودون من زاده ، وأن الأمير طولو حضر إلى بيبرس وفارق يلبغا المجنون يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شعبان .

* * *

ذكر خروج السلطان من دمشق ودخوله القاهرة

بتاريخ يوم الخميس الثالث من رمضان خرج السلطان من دمشق ومعه العساكر المنصورة ، ووصلوا إلى غزة يوم السبت الثالث عشر من رمضان ، وأقام فى غزة السبت والأحد والإثنين والثلاثاء ، ورحل ليلة الأربعاء ،

---

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ١٢/٢١٢ أن مقتله كان ليلة الخميس رابع رمضان وليس أوله ، هذا وقد ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٠١ أن أول رمضان كان يوم الاثنين ، انظر عقد الجمان ٢٥/١٢٠ حيث ذكر التاريخ دون النص على اسم اليوم .

(٢) يصرح أبو المحاسن — وهو حجة فيما يرويه فى هذه القصة بالذات — أن بقاء أبيه حيا إنما يرجع لشفاعة أخته خوند شيرين أم السلطان فرج فيه عنده « فإنها كانت ألزمت الأمير نوروز الحافظى والأمير يشبك الشعبانى بالوالد وحرضتهما على بقائه ، وكان لها يومذاك جاه كبير لسلطنة ولدها الملك الناصر ، ثم أوصت ولدها الملك الناصر أيضا به » ، وأما آقبغا الجمالى الأطروشى فهو الذى بذل مالا كبيرا للأمراء حتى يبقوه فأبقوه حيا ، راجع عن خوند شيرين الضوء اللامع ج ١٢ ص ٦٩ — ٧٠ ترجمة رقم ٤٢٧ ، وانظر النجوم الزاهرة ١٢ / ٢١٣ ، ٢١٦ ، وراجع فيما بعد ص ٨١ .

وكان مقـــدم الأول نوروز الحافظى ، ووصل السلطان بعساكره إلى الديار المصرية يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان ، وطلع القلعة قبل صلاة الجمعة وبين يديه مماليكه الأمراء الكبار والصغار والخليفة والقضاة الأربعة والوزير وناظر الخاص وكاتب السر، الذين ذكرناهم وغيرهم من أرباب الوظائف ، وخُلع عليهم كما هو العـــادة ، وكان يوما مشهودا .

* * *

ذكر أحكام السلطان بعد قدومه من الشام

بتاريخ يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان خرجت مثالات شريفة بأربع تقادم لأربعة أنفس وهم : الأمير قطلوبغا الكركى شاد الشراب خاناه، والأمير أقباى الكركى الخازندار ، والأمير سودون من زاده — رأس نوبة — والأمير جركس المصارع ، وكلهم كانوا أمراء طبلخاناه .

وفى يوم الخميس الثانى من شوال منها أُنعم على الأمير جكم رأس نوبة بتقدمة ألف ، وهى التى أُنعم بها على الأمير سودون من زاده بحكم رغبته عنها ، وجُعلت تقدمة جركس المصارع على ستين طواشيا .

وفى هذا اليوم خُلع على سودون من زاده، ورُسم له أن يسافر على البريد إلى البلاد الشامية والحلبية ، ويبشر القلاع بدخول السلطان إلى الديار المصرية وجلوسه على التخت .

وفى يوم الاثنين الثالث عشر من شوال خرج بعض العساكر المصرية إلى بلاد الصعيد بسبب الأمير يلبغا المجنون ، فإنه لمـــا هرب إلى بلاد الصعيد

أفسد هناك وأخذ أموال السلطان ، فظلم الرعية وكبيرهم[1] نوروز الحافظي ومعه من المقدمين : بكتمر الركن أمير سلاح ، وتمراز الناصرى أمير مجلس ، وأقباى الطرنطاى حاجب الحجاب ، وإينال بى بن قجماس ، ومن الطبلخانات : أسنبغا الناجى الحاجب ، وقينار[2] أمير آخور ، وغيرهم من العشرات .

وفى العشر الأول منـــه خُلع على الأمير دمرداش الأحائى واســـتقر ملك الأمراء بالوجه القبلى عوضا عن الأمير مبارك شاه الظاهرى بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء الرابع عشر من شـــوال خُلع على شمس الدين البجانسى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن جمال الدين الطنبدى بحكم عزله .

وفى يوم الاثنين العشرين منه خُلع على الأمير يشبك الدوادار ، واستقر ناظرا على الأحباس المبرورة .

وفى يوم الجمعة الرابع والعشرين منه وقعت الإشاعة[3] والحبطة فى القاهرة والخطباء يخطبون على المنابر ، حتى كادت الخطب أن تقطع ، وغالب الناس خرجوا من الجوامع بلا صلاة ، ولم يصح ذلك .

* * *

وفى يوم الثلاثاء الثـــامن والعشرين منـــه خلع على تاج الدين رزق الله الوزير كان واســـتقر فى ولاية قطيا[4] على عادته الأولى ، وخلع على الأمير على

---

(١) أى كبير العساكر المصرية المتوجهة للصعيد .

(٢) جاء اسمه أيضا فى الضوء اللامع ٦/٧٦٢ كما هو وارد بالمتن ، لكنه قال : « يحرر اسمه » .

(٣) المقصود بذلك ما أشيع حينئذ من وقوع الفتنة بين يشـــبك الشعبانى وسودون طاز ، وكان الذى حدث هو أن مملوكين تخاصما تحت القلعـــة ، وكان حمار أحدهما قـــد ربط فى تخت من خشب فنفر من ذلك ، وسحب التخت بجفلت الخيـــول التى كانت بالقرب من جامع شيخون بالصليبة ، انظر السلوك ، ورقة ٥٧ أ .

(٤) وكان بها فى عهد ابن دقـــاق : الانتصار ٥/٢ ٥ والى برتبة أمير طبلخاناه لأخذ العشر من التجار .

التليلي[١]، واستقر ملك الأمراء بأعمال البحيرة عوضا عن شهاب الدين أحمد ابن أسد الكردى بحكم عزله.

* * *

وفى العشر الأخير من شوال خُلع على الأمير ركن الدين عمر بن الكورانى واستقر فى ولاية مصر عوضا عن شهاب الدين أحمد بن الزين الحلبى.

* * *

وفى يوم السبت الثالث من ذى القعدة خُلع على القاضى ناصر الدين ابن السفاح الحلبى، واستقر ناظر الأحباس بالديار المصرية عوضا عن القاضى بدر الدين حسن الشرفى بحكم عزله.

* * *

ومما جرى فى هذه السنة أنه فى العشر الأول من ذى القعدة جاء الخبر إلى الأبواب الشريفة بأن فى منتصف شوال وقعت وقعة عظيمة بين الأمير دمرداش نائب حلب وبين قرا يوسف التركمانى، والسلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد على حلب ساخور وبقرب حلب، وكان السلطان أحمد قد خرج من بغداد هاربا من تمرلنك[٢]، وجاء إلى قرا يوسف ومعه زهاء عشرين

(١) كلمة غير مقروءة فى الأصل، ولكن فى السلوك، أن الذى استقر هو «على بن مسافر» نائب الوجه البحرى وعزل أحمد بن أسد.

(٢) تفسير هذا الخروج عند أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ١٢/٢١٥ أن ابن أويس كان أساء السيرة فى رعيته وأمرائه حتى لقد ركبوا عليه وحاربوه مما حمله على التوجه إلى قرايوسف، على أن هناك من يرجع هذا إلى أن تيمورلنك بعث إلى أحمد بن أويس رسولا من قبله متظاهرا بالفرار منه إليه ولكنه كان فى الواقع جاسوسا حيث اتصل بأمرائه وأمدهم بالأموال «ليستميل قلوبهم وليتعصبوا على أحمد ابن أويس ويسلموه إلى تيمور» ولم يدرك ابن أويس حقيقة هذا المبعوث المسمى بشروان اولا وقوع ورقة فى يده بها أسماء من اتصل بهم من أمرائه وما دفعه من رشوة لكل منهم، فما كان منه إلا أن قتل كل من تضمنت الورقة اسمه حتى لقد قتل منهم خلال أسبوعين ألفين، وبعد ستة أيام أسرج الخيل سرا وركب فى نفر قليل من خدمه إلى قرايوسف داعيا إياه لنهب بغداد؛ انظر العراق بين احتلالين (نقلا عن الغياثى) ٢/٢٣٣ — ٢٣٥.

ألف تركمانى ، واتفق كلاهما وأرادا أن يدخلا فى مملكة الشام ليخلصا روحيهما من تمرلنك ، فلما دخلا (٦٢ ب) فى حدود حلب خرج إليهما دمرداش من تلقاء نفسه وشوّش عليهما ، وقام بينهم حرب عظيم ، فانكسر عسكر حلب ، وقُتل من أجنادها زهاء ثلاثمائة نفس ، وقُتل من الأمراء جانى بك اليحياوى أتابك العساكر بحلب ، والأمير ناصر الدين محمد بن طقتمر الكلتاوى ، والأمير بطيخ وغيرهم ، وأسر الأمير دقماق نائب حماة ، والأمير ناصر الدين محمد الشهرى نائب ألبيرة ، وذكر أن كلا منهما فدى نفســه بجمـــلة مال حــتى أطلقوهما ، ووقعت النهبات فى بلاد حلب وتل باشر وبلاد عينتاب (١) ، وأخذوا من عينتاب أربعين ألف درهم فضة حتى لا يصعدوا عليها وعلى أهلها ، إلى أن طلعوا إلى الروم ولحقوا بابن عثمان وصاحب برصا .

وفى يوم الاثنين الثانى عشر من ذى القعدة حضر العسكر الذين كانوا جُردوا للوجه القبلى بسبب يلبغا المجنون صحبة نوروز الحافظى ، ومعــه ابن الأحدب ، وتأخر الأمير أقباى حاجب الحجاب لقبض بلاد السلطان .

وفيها جاء الخبر من مكة أن الحريق (٢) وقع فى الحرم الشريف من الجانب الشمالى ، فاحترق مائة وثلاثون عمودا ، نعوذ بالله من ذلك .

وفيها حج بالناس الأمير بيسق الشيخى أمير آخور صغير ، والله أعلم .

* * *

(١) اكتفى مراصد الاطلاع ٢/٩٧٧ فى التعريف بها بأن قال إنها قلعة حصينة ورستاق قرب حلب ورستاقها دلوك ، وتسـمى فى مراجع العصور الوسطى الغربيـة باسم Doliché ، راجع فى ذلك : Dussaud : Topographie Hist. de la Syrie, p. 472. وانظر أيضا ياقوت : المعجم ٣/٧٥٩ ، وأبو الفداء ، التقويم ، ص ٢٦٩ .

(٢) أشار المقريزى فى السلوك ، ٥٧ ب—٥٨ أ إلى هذا الحريق فقال إنه ظهرت فى المسجد الحرام نار ومشت بالجانب الغربى منه فاحترق جميع سقف هذا الجانب وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامى وعمّ الحريق فيه إلى باب دار العجلة لخلوه بالهدم وقت السيل وأنه وتكسر جميع ما كان فى موضع الحريق من الأساطين .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٣١٢ – الأمير الكبير أيتمش البجاسى أتابك العساكر ، قُتل فى منتصف شعبان منها كما ذكرناه ، وكان أصله مملوكا للأمير أسندمر البجاسى ، وكان أسندمر من مماليك الأمير جرجى الإدريسى ، فلما كان أيام يلبغا الخاصكى نفى أسندمر المذكور إلى الشام ، فخرج معه أيتمش ، ولم يزل مع أيتمش إلى أن مات أستاذه ، وكان أسندمر المذكور اشترى أيتمش جنديا ولم يكن أميرا ، فلما تأمر وجرى عليه ما جرى ومات ادعت ورثة الأمير جرجى أنه مات فى الرّقيّة ، فصار أيتمش بهذا الحكم مملوكا لورثة الأمير جرجى ، فلما بلغ السلطان الملك الظاهر برقوق اشتراه من بعض ورثة جرجى بمال كثير وهو أمير كبير فصار من جملة المماليك الظاهرية المعتوقين عنه .

ثم دخل أيتمش القاهرة بعد موت أستاذه ، ثم ترقى به الحال إلى أن حصل له إقطاع ، ثم آل أمره إلى أن تولى أمير آخور كبيراً للملك المنصور حين كان الملك الظاهر أتابك العساكر ، فلما تسلطن الظاهر جعله أتابك العساكر ، ولم يزل معه ظاهرا وباطنا إلى أن توفى الظاهر وجعله ولى عهده نائبا عن ولده الملك الناصر فرج ، فحكم عنه بالديار المصرية ما ينيف على أربعة أشهر ثم جرى عليه ما جرى ، وكان رجلا جيدا متواضعا ، مائلا إلى الخير ، قليل الشر ، كثير الصدقات سرا وجهرا ، وكان يحب العلماء والفقراء ويجالسهم ويحسن إليهم ، ولم يشتهر عنه ظلم ولا عسف ، ولكن كان عنده نوع من التغفل ، يسمع من بعض حاشيته ومن ذلك جرى ما جرى ؛ وله من الآثار البرج الذى بناه فى طرابلس على ساحل البحر المالح لأجل المرابطة ، ووضع به جملة مستكثرة من السلاح ، والمدرسة التى بناها عند باب الوزير أمام قلعة الجبل ، ورتب فيها درسا للحنفية وصوفية ، يحضرون عصر كل

يوم وجماعة من المقرئين بمدفنها . وكان رجلا مربوع القامة ، غليظ الكتفين ، كثيف اللحية ، مدوّر الوجه ، أقنى الأنف ، كثير الشعر ، جاركسى الأصل ؛ والبجاسى منسوب إلى بجاس(١) أستاذ أسندمر الذى هو أستاذ أيتمش .

٣١٣ — الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس كان بالديار المصرية ، قُتل فى منتصف شعبان منها ، وكان أصله(٢) من مماليك بيدمر الخوارزمى نائب الشام ، اشتراه من التاجر وقدّمه للسلطان الملك الظاهر ، فحظى عنده إلى أن جعله ساقيا خاصا ، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة ثم بإمرة طبلخاناه وجعله رأس نوبة ، ثم آل أمره إلى أن أنعم عليه بتقدمة ألف وجعله أمير مجلس ؛ وكان رجلا جيدا ، متعصبا لمن يلوذ به ، مائلا إلى الخير ، وكان يحب العلماء ويعتقد الفقراء ، وكان حسن القامة ، رقيق البشرة ، لطيف الذات ، أصهب اللحية وخفيفها ، ذا خلق حسن ، وتواضع ومسكنة ، ولكن عنده نوع عجلة وقلة تثبت ، وكان تركىّ الجنس ، يفهم من لغات العجم شيئا ، سمع «الصحيحين» : البخارى ومسلم ، وكتاب «المصابيح» للبغوى على جماعة منهم : الشيخ بدر الدين محمود العينتابى . وكان عمره حيث قتل ما ينوف على ثلاثين سنة .

٣١٤ — الأمير فارس القطلوقجاوى حاجب الحجاب بالديار المصرية ، كان قُتل فى منتصف شعبان منها كما ذكرناه ، وكان أصله(٣) من مماليك ابن عرام ، اشتراه من شخص خباز بمدينة الإسكندرية ، وقد كان يبيع

(١) هو بجاس العثمانى النوروزى المتوفى سنة ٨٠٣ ، وكان قدم القاهرة كبيرا فاشتراه الظاهر برقوق ، أنظر الضوء اللامع ٣/٦ .

(٢) العبارة من هنا حتى « جعله أمير مجلس » ص ٨ تكاد تكون منقولة عن الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦٧ س ١٨ — ١٩ .

(٣) عبارة « وكان أصله ... عوضا عن الأمير بخاص » ص ٦٤ س ٤ تكاد تكون هى نفس عبارة الضوء اللامع ٦/٥٤٧ .

الخبز عند أستاذه ، فآل أمره إلى أن صار من جملة مماليك الظاهر ، فحظى عنــده وترقى حاله إلى أن أنعم عليه السلطان بإمرة عشرة ثم بطبلخاناه ، فلما قدم السلطان من سفرته الثانية من الشــام أنعم عليه بتقدمة ألف وولاه الحجوبية الكبرى عوضا عن الأمير بنخاص ؛ وكان رجلا أشــقر ، أزرق العينين ، طوالا غليظا ، وكان رجــلا شجاعا باسلا مشهورا بالرمى المليح ، مائلا إلى المغانى والملاهى ، وكان رومىّ الجنس ، وعمره حين قتل قد ناهز أربعين سنة ؛

٣١٥ — الأمير يعقوب الكمشبغاوى الحاجب الثانى بالديار المصرية كان ، قُتل فى منتصف شعبان كما ذكرناه ، وكان رجلا جميل الصورة ، أبيض اللون ، حسن القامة ، حسن الخلق ، صاحب فهم وذكاء ، وبعض مشاركة فى بعض المسائل ، وكان متولعا بجمع الكتب وغرائب الأشياء ، وكان من الخواص عند أستاذه الملك الظاهر ، وكان تركى الجنس ، وعمره حين قتل ما ينوف على الثلاثين ؛

٣١٦ — الأمير آقبغا الطولوتمرى الشهير باللكاش وبأقبغا [جيار] ، قُتل فى منتصف شعبان كما ذكرناه ، وكان من الخواص عند أستاذه الملك الظاهر حتى أنعم عليه بإمرة عشرة ثم طبلخاناه وجعله رأس نوبة ، ثم بتقدمة ألف وجعله أمير مجلس عوضاً عن بيــبرس ابن أخت الظاهر ، ثم انحطت منزلته عنــد أستاذه لوقعة عليباى [1] إلى أن أخرجه السلطان من الديار المصرية على أنه نائب غزة ، فقبْل أن يدخلها مُسك وحُمــل إلى قلعة الصبيبة فاعتُقل بها ، ثم إنه صار من حزب تنم حتى ولاه نيابة غزة ، ثم جرى عليه ما ذكرنا متقدما ،

(١) راجع نزهة النفوس ، ج ١ ص ٤٦٦ — ٤٧١ .

وكان يميل إلى أهـل العلم والفقر ، وكان عنـده بعض كرم ، وكان تركى الجنس . وكان حين قُتِل قد ناهز عمره أربعين سنة .

٣١٧ ــ الأمير جلبان الكمشبغاوى ، قُتل فى منتصف شعبان كما ذكرناه وكان رجلا جيدا كريما ، شجاعا سيوسا ، يحب العلماء ويعتقد الفقراء ، وكان حسن القامة ، جميل الصورة ، حسن اللحية وكثيفها ، وكان من الخواص عند أستاذه ، أنعم عليه بإمرة عشرة أولا ، ثم بطبلخاناه ، ثم تقدمة ألف ، ثم جعله رأس نوبة كبيرا ، ثم جعله نائبا بحلب ، ثم مسكه وحبسه بثغر دمياط ، ثم أخرجه بشفاعة تنم نائب دمشق وجعله أتابك العساكر بدمشق ، ثم مسكه وحبسه بقلعة دمشق ، ثم أخرجه تنم نائب دمشق ، فجرى ما جرى عليـه ، وعمره حين قُتل ما ينيف ثلاثين سنة ، رحمه الله ، وكان تركى الجنس .

٣١٨ ــ الأمير يونس بلطا نائب طرابلس ، قُتل فى منتصف شـعبان كما ذكرناه ، وكان رجلا عسوفا غشوما ، حتى قيل إنه ضرب القضـاة الثلاثة بطرابلس وخطيبها وجماعةً كثيرة من أهلها فى أيام فتنة تنم نائب دمشق ، وكان جركسى الأصل .

٣١٩ ــ الأمير طيفور حاجب الحجاب بدمشق كان ، قُتل فى منتصف شعبان منها كما ذكرناه ، وكان رجلا تركى الجنس ، حسن القامة ، جميل الصورة ، متزوقا متصلفا بخيلا ، مائلا إلى اللهو والطرب ، وكان عمره حين قتل ما ينيف(١) على ثلاثين سنة .

٣٢٠ ــ الأمير أحمد بن يلبغا الخاصكى العمرى ، قُتل فى منتصف شعبان منها كما ذكرناه ، وكان أحد المقدمين بالديار المصرية فى أيام الملك الظاهر

(١) الوارد فى الضوء اللامع ٤/٩٥ أنه قتل عن نيف وثلاثين سـنة ، والنيف فى اللغة من واحد إلى ثلاث ، انظر لسان العرب ١١/٢٥٦ .

وأمير مجلس ، ونفاه السلطان إلى الشام ، وكان بطالا فى طرابلس ، وكان عمره حين قتل عدّى أربعين سنة .

٣٢١ — الأمير تنم الحسنى نائب الشام ، قُتل فى أول رمضان منها خنقا ، ودفن فى تربته[1] التى بالقبيبات ، وكان رجلا جيدا ، كثير الخير ، مائلا إلى أهل العلم والصلاح ، كريما عاقلا رزينا ، طويل القامة ، حسن الصورة ، خفيف اللحية (٦٣ أ) ، وكان أولا أتابك العسكر بالشام ، ثم تولى النيابة بها بعد وفاة الأمير كمشبغا ، ولم يزل نائبا بها إلى أن تُوفى الملك الظاهر وتولى ولده الملك الناصر ، ثم استولى عليه حزب الشيطان ، واجتمع عنده طائفة الفساد والطغيان ، حتى هزته أريحية الطمع ، وأخرجته عن الطاعة إلى آخره ، وعمره حين قُتل ما يناهز أربعين سنة .

٣٢٢ — الأمير ألطنبغا شادى ، قتل فى منتصف شعبان منها ، وكان من مماليك يلبغا الخاصكى العمرى ، وحين قتل كان عمره خمسين سنة .

٣٢٣ — الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى كان متولى القاهرة وحاجبا بها ، قُتل فى الحمام بغزة فى العشر الأول من رمضان منها ، وكان أولا من جملة عوام الناس ، فآل الأمر إلى أن صار مشدا بالقصر السلطانى ، ثم مشدا بالمارستان المنصورى ، ثم تولى القاهرة واليا ، ثم أُضيفت إليه الحجوبية ، وتقرب عند السلطان الملك الظاهر برقوق إلى أن داخله فى أشغاله ، ثم غضب عليه السلطان لأمور صدرت عنه فنفاه إلى القدس الشريف ، ثم لما خامر تنم ذهب إليه ، وجرى عليه ما ذكرناه .

٣٢٤ — الأمير بيدمر الحاجب الصغير ، توفى يوم الأحد السادس عشر من ربيع الأول منها بجراحة حصلت له فى وقعة أيتمش .

(١) ذكر النعيمى فى الدارس فى تاريخ المدارس ٢/٢٧ أن تربة تنم هذه بميدان الحصا .

٣٢٥ — الأمير قرابغا الأسلبغاوى الحاجب ، توفى يوم الأحد المذكور لجراحات حصلت له فى وقعة أيتمش أيضا .

٣٢٦ — الأمير قُشدُم[(١)] (بضم القاف وسكون الشين المعجمة وضم الدال المهملة) ، ابن الأمير قجماس بن عم الظاهر ، أحد الأمراء الطبلخاناة بالديار المصرية ، توفى يوم الجمعة الحادى والعشرين من ربيع الأول منهـا من جراحات حصلت له فى وقعة أيتمش ، وعمره حين مات قد ناهز عشرين سنة .

٣٢٧ — الأمير محمد بن يونس الدوادار ، توفى يوم السبت الحادى والعشرين من ربيع الأول منها ، وكان شابا متولعا بالملاهى واللعب .

٣٢٨ — الأمير ناصر الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب ، أحد الأمراء العشرات بالديار المصرية ، توفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر منها ، وخلّف موجودا كثيرا .

٣٢٩ — الأمير بهادر [الشهابى] الطواشى ، مقدم المماليك السلطانية ، توفى يوم الأحد السابع والعشرين من رجب[(٢)] منها بالقاهرة المحروسة ، وخلف أملاكا وموجودا كثيرا .

---

(١) اختلف المؤرخون فى كتابة اسمه ، فهو فى الضوء اللامع ٦/٧٣٦ «قشتمر» ، وفى عقد الجمان ٢٥/١٢١ «قشدم» ، على حين أن السخاوى أشار إلى أن العينى سماه بقشتام ، وهو رسم لم يرد فى العقد ، وكذلك ورد « قشدم » فى السلوك ورقة ٢٣٤ أ ، ولكنه جعل مقتله ووفاته يوم ٨ ربيع الأول ؛ هذا وقد جاء فى أبى المحاسن إسم «قشتم» ، انظر النجوم الزاهرة ٦/٩٣٦ فهرست الأعلام وإن لم يكن المذكور فى النجوم هو المقصود فى المتن هنا أعلاه .

(٢) فى السلوك ، ٦٢ ب « ١٧ رجب » وهو الأصح لأن الجمعة كان أول رجب كما جاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٠١ .

٣٣٠ ــ الأمير بشباى الحــاجب كان بالديار المصرية ، توفى فى العشر الأخير من شوال وهو بطال .

٣٣١ ــ الأمير جانبك اليحياوى أتابك العساكر بحلب ، قُتل فى وقعة ساجور مع السلطان أحمــد بن أويس وقرا يوسف بن قرا محمد فى منتصف شوال منها .

٣٣٢ ــ القاضى شمس الدين محمد بن البجاصى الحنفى الحاكم بطرابلس ، قتله نائبها يونس بلطا فى جمادى الآخرة منها ، وكان شافعىَّ المذهب ثم انتقل إلى مذهب أبى حنيفة لأجل القضاء ، وكان خاليا من العلم ، وتولى عوضه شمس الدين بن الصفدى .

٣٣٣ ــ القاضى شهاب الدين أحمــد بن إبراهيم الأذرعى المــالكى الحاكم بطرابلس ، قتله نائبها يونس بلطا فى جمادى الآخرة منها ، وكان شافعى المذهب ثم انتقل إلى مذهب مالك لأجــل الوظيفة ، وكان بارعا فى الشعر فائقا فى نظمه .

٣٣٤ ــ الشيخ شمس الدين محمد بن خطيب الخطباء بطرابلس ، قتله نائبها يونس بلطا فى التاريخ المذكور

٣٣٥ ــ الشيخ إسلام(١) بن الأصفهانى ، شيخ خانقاه سرياقوس ، توفى بها فى يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الآخرة وحُمل إلى القــاهرة ودفن بها ، وأراد بعض الصوفية وبعض أهل الخانقاه أن يرجموا جنــازته لبغضهم له فمُنعوا من ذلك، وكان رجلا عاريا عن العلم والفضيلة ، ويتكلم بكلام الصوفية من غير تحقيق، وكان يُنسب إلى معرفة علم الحــرف ،

(١) فى النجوم الزاهرة (ط . القاهرة) ١٢/٣٨ « أصلم » ، راجع ما سبق ص ١٦ حاشية رقم ١ ، ص ٤٣ حاشية رقم ١ .

ولكن ما كان له فيه يد أصلا ؛ وكان يمد الأطعمة المفتخرة والأسمطة الهائلة للناس، حتى كان بعضهم يقول إنه كان يعرف الكيميا وليس بصحيح، ولكنه يجمع من أموال الخانقاه ويطعم الناس من غير استحقاق ، وكان يجمع في مجلسه من أراذل الناس وأصحاب المغاني والملاهي .

٣٣٦ – قاضي القضاة برهان الدين بن قاضي القضاة ناصر الدين [إبراهيم ابن نصر الله بن أحمد بن محمد] الحنبلي الحاكم بالديار المصرية، توفي في العشر الأوسط[1] من ربيع الأول منها، وتولى عوضه أخوه القاضي موفق الدين كما ذكرناه .

٣٣٧ – الست الكبرى خونده شيرين والدة السلطان الملك الناصر فرج زوجة السلطان الملك الظاهر برقوق، توفيت يوم السبت غرة ذي الحجة منها، ودفنت بمدرسة السلطان الملك الظاهر برقوق بين القصرين ، وقيل إنها سحرت واتهمت جارية من جواريها بذلك ، فضربت ضربا شديدا واتهمت الجارية رجلا نصرانيا كاتبا ، فطولب وعوقب بضرب شديد ، فلم يقر بشيء، فمات بسجن القلعة وماتت الجارية[2] أيضا ، وكانت خوند شيرين روميـة الجنس من معتقات السلطان الملك الظاهر ؛ وشيرين بكسر الشين المعجمة ، بعدها ياء آخر الحروف ساكنة ، وبعدها راء مكسورة ، بعدها ياء أيضا ، وفي آخره نون .

* * *

(١) الوارد في السلوك، ٦٢ ب ، أنه مات يوم ٨ ربيع الأول .

(٢) لم يرد في الضوء اللامع ج ١٢ ص ٦٩ – ٧٠ إسم الجارية التي اتهمت بسحرها .

فصـــل

فيما وقع من الحوادث

فى الســـنة الثالثة بعـــد الثمـانمائة

استهلت هذه السنة وخليفة الوقت أبو عبد الله المتوكل على الله العباسى ، وسلطان الديار المصرية والشامية زين الدين فرج بن الملك الظاهر برقوق ، وليس له نائب بمصر ، ونائبه بدمشق الأمير سودون قريب الظاهر ، وبحلب الأمير دمرداش الخاصكى ، وبحماة دقماق الخاصكى ، وبطرابلس الأمير شيخ المحمودى ، وبصفد الأمير ألطنبغا العثمانى ، وبغزة الأمير بهاء الدين عمـــر ابن الطحان .

وقاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية صدر الدين المناوى ، والقاضى الحنفى جمال الدين الملطى ، والقاضى المـــالكى ولى الدين بن خلدون ، والقاضى الحنبلى موفق الدين .

والوزير بها فخر الدين بن غراب ، وأخوه سعد الدين بن غراب ناظر الجيش وناظر الخاص ، والمحتسب شمس الدين البجانسى ، وأتابك العساكر بها ركن الدين بيبرس ابن عم الظاهر .

وصاحب مكة الشريف حسن بن عجلان، وصاحب المدينة الشريفة ثابت بن نعير، وصاحب اليمن الملك الأشرف، وصاحب ماردين الملك الظاهر مجد الدين عيسى، وصاحب العراقين وبلاد العجم وسمرقند تمرلنك، وصاحب أذربيجان ظهير الدين، وصاحب الروم واللاجات أبو يزيد ابن مرادخان، وصاحب المغرب أبو الفوارس.

* * *

وفي يوم الثلاثاء الثالث من محرم خُلع على الأمير تغرى بردى دوادار جلبان كان، واستقر في ولاية القاهرة عوضا عن ابن الزين الحلبي بحكم عزله، وفي ذلك اليوم حضر الأمير أقباى حاجب الحجاب من الصعيد.

وفي يوم الاثنين التاسع منه حضر طغيتمر مقدم البريدية من الشام، وأخبر بأن تمرلنك قد أخذ سيواس في آخر السنة الماضية، وأنه قاصدٌ مملكة الشام، وكان تمرلنك قد جاء على سيواس من ناحية تبريز وأقام عليها وحاصرها أشد المحاصرة، وأذاق أهلها أشد العذاب، وفيها نائبٌ من جهة ابن عثمان يسمى (٦٣ ب) أمير مصطفى ومعه من العساكر ما يزيد على عشرة آلاف نفر، ولم يفد هؤلاء شيئا فآخر الأمر مُسك نائبها واستولى تمرلنك عليها، وقتل من أهلها ما ينوف على ثلاثة آلاف نفس وأخرب أسوارها، وحرق بقاعها، وأزال بهجتها، وبدد جمعها، وفرق شملها، وأفسد عسكره فيها مفاسد عظيمة من نهب الأموال، وسفك الدماء، وسبي الحريم، وأسر الأطفال، فأقاموا عليها نحو شهر أو فوقه وهم يفسدون، وفي أرجائها يعيثون؛ ثم رحلوا منها وجاءوا على لارندة والبلستين، وأفسدوا فيها فسادا لا يعد ولا يحصى، ثم توجهوا إلى ملطية، ودخلوا فيها وأفسدوا فيها وعتوا عتوا كبيرا، بعد أن أقاموا عليها فوق عشرة أيام، ثم رجعوا منها وتوجهوا

إلى بهسنا (١) ، وهم يفسدون فى كل موضع ينزلون فيه ، وفى أطراف كل بقعة وأرجائها ، وأثناء كل طريق وأنحائها ، بحيث لم يسلم منهم مقيم من أهل الحضر ، ولا مسافر من أهل الخبا والوبر ، إلى أن نزلوا على بهسنا وأطرافها وأذاقوا أهلها العذاب من أوضاعها وأشرافها ، وأفسدوا فيها فسادا عظيما ، وبغوا على أهلها بغيا جسيما ، ثم رحلوا عنها بعد أن أقاموا عليها عشرين يوما متوجهين إلى مدينة عينتاب ، موصلين إلى أهل تلك البلاد من أنواع العذاب ، فقدموا عليها وأخربوا دورها ، وأحرقوا أسواقها ، وهدوا أبراج قلعتها ، ثم رحلوا منها ــ بعد أن أقاموا عليها أربعــة أيام ــ متوجهين إلى حلب ، طالبين لأهلها جميع الشر والنصب ، وكل ذلك فى أوائل السنة .

وفى يوم الخميس الثانى عشر من المحرم خُلع على القاضى نور الدين ابن جلال الدين ، واســتقر قاضى القضاة المــالكية بالديار المصرية عوضا عن القاضى ولى الدين بن خلدون بحكم عزله .

وفى يوم السبت الرابع عشر منه رَسم السلطان للأمير قنباى (٢) العلائى أحد الطبلخاناة بالديار المصرية أن يتولى نيابة غزة فأبى وامتنع ، فغضب السلطان ورسم بأخذ سيفه ، فأُخذ وسُلم للأمير أقباى حاجب الحجاب ، فنزل به إلى بيته ليرى فيه رأيه ، فلما سمع بذلك إخوته وأصحابه من الخاصكية والأمراء صعب عليهم ذلك جدا ، فقاموا واجتمعوا وجاءوا عند الأمير نوروز الحافظى

---

(١) بهسنا ــ بفتح الباء والهاء وسكون السين ــ قلعة حصينة قرب مرعش وسميساط كما جاء فى مراصد الاطلاع ١/٢٣٤ ، انظر أيضا ياقوت : المعجم ١/٧٧٠ ، أبو الفداء ، تقويم ، ص ٢٦٥ .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة ١٢/٢١٨ أنهم اتفقوا على إبقائه فى إمرته وكانت إذ ذاك طبلخاناة ، وفى وظيفته وهى : نيابة غزة ؛ وقد وصفه السخاوى : الضوء اللامع ٦/٦٦٤ بأنه « كان يكثر الاختفاء فى مصر والشام خوفا من جهة السلطنة فكانت العامــة تسميه لذلك بالغطاس » ، كما أنه يتهــم بأنه كان سببا فى أخذ تمرلنك مدينة دمشق ، راجع النجوم الزاهرة ٦/٢٧٨ ، وعقد الجمان ٢٦/٢٤٥ .

ونزل سودون طاز أيضا عنده، واتفقوا على أنه إن لم يطلقه يخلصونه غصبا ، فعند ذلك أرسل الأمير نوروز قاصده إلى الأمير يشبك الدوادار بسبب ذلك وألح عليه، إلى أن طلع الأمير يشبك عند السلطان فأخبره بما جرى ، فرسم بإطـــلاقه .

وفى يوم الخميس السادس والعشرين منه حضر الأمير تمر الحاجب الثانى وذكر أن تمرلنك متوجه إلى حلب ، فعند ذلك برز المرسوم الشريف للأمير أسنبغا الحاجب بالديار المصرية أن يتوجه إلى البلاد الشامية والحلبية لأجل إخراج العساكر وتوجهها إلى حلب ، وإلى الأمير نعير أمير عربان آل مهنا ، وأخذ معه خمسين كمخا (١) بوجهين بطرز زركش لنواب القلاع وأمراء التراكمين ، وأخذ معه أيضا جملة مستكثرة من الذهب المصرى لنفقات العساكر .

وفى يوم السبت الثامن والعشرين منه خُلع على الأمير شهاب الدين أحمد ابن ناصر الدين محمـــد بن رجب ، واستقر شادّ الدواوين بالديار المصرية عوضا عن الشريف علاء الدين بحكم عزله .

وفى يوم الاثنين سلخه خُلع على الأمير مبارك شـــاه الظاهرى كاشف أعمال الجيزية ، واستقر حاجب الميسرة مضافا إلى ما بيده من الكشف ، وخُلع على الأمير تغرى بردى متولى القاهرة واستقر حاجبا صغيرا مضافا لمـــا بيده من الولاية ، وخلع أيضا على الأمير قنباى خلعة الرضا .

وفى يوم الخميس الثالث من صفر خُلع على شهاب الدين بن الأعسر واستقر فى ولاية الأعمال الفيومية (٢) ، وخلع على كرز مملوك محمود الأستادار واستقر فى ولاية دمياط .

(١) الكمخ قماش من الحديد كما جاء فى تعريفه تحت هذه الكلمة فى Dozy: Supp. Dict. Ar. I, 484,Col.2.

(٢) ورد هذا الخبر فى السلوك ، ورقة ٦٤ أ ، بأنه وقع فى سلخ المحرم .

وفى يوم الثلاثاء الحادى عشر منه بُعث بتشريف إلى علاء الدين ابن الملكية متولى منفلوط باستقراره ملك الأمراء بالوجه القبلى عوضا عن الأمير دمرداش الألجاوى بحكم عزله ، مضافا إلى ما بيده من ولاية منفلوط.

* * *

ذكر خروج العساكر الشامية إلى حلب لمحاربة تمرلنك

وخَلّف فى دمشق نائبا عنه الأمير بشباى حاجب الحجاب بها ، وكذلك عسكر طرابلس صحبة نائبهم الأمير شيخ المحمودى ، وعسكر صفد صحبته ونائبهم الأمير ألطنبغا العثمانى ، وعسكر غزة صحبة نائبهم الأمير بهاء الدين عمر بن الطحان الحلبى ، وعسكر حماة صحبة نائبهم الأمير دقماق الخاصكى ، فوصلوا إلى حلب ونزلوا عليها ، واجتمع خلق كثير من سائر الطوائف ، ووقع الجفل والرعب فى بلادها وقراها ، وغالب أهل البلاد تفرقوا شذر مذر .

وفى يوم الخميس ثانى شهر ربيع الأول حضر مملوك نائب الشام وأخبر بذلك .

وفى يوم السبت الرابع منه علق الشا ليش على الطبلخاناة تحت القلعة .

* * *

ذكر مجىء تمرلنك على حلب وأخذها

بتاريخ الحادى والعشرين من ربيع الأول وصل بريدى من الشام إلى الأبواب الشريفة ، وأخبر بأن تمرلنك حضر إلى حلب ، واحتاط[1] بها يوم الخميس الحادى عشر من ربيع الأول ومعه من العساكر مالا يحصيهم إلا الله — عز وجل — من سائر الطوائف من الخراسانية والسمرقندية والحقطانية

(١) المقصود بذلك « أحاط بها » .

والمغل والتراكمين وغيرهم من المفسدين والكفار مالا يعرفون الله تعالى ولا رسوله، فنزلوا على حلب وأرجائها ، واشتملوا على أطرافها وأنحائها ، بحيث صارت بقعة حلب الشهباء مظلمة كالليل الدهماء ، فخرجت من العساكر المنصورة طائفة بمثلها مقرونة ، وتقاتلوا مع طلائعهم المفسدة ، فتحاربوا وتشاجروا ، وتخابطوا وتعابطوا ، وتراموا بالحجارة والنبال ، وتقابلت النساء والرجال ، وارتفعت الأصوات كما يلبي العمار والحجيج ، وجرحت ناس كثيرون ، وسفكت دماء غزيرة ، فافترقوا على ذلك ، وخواطر المسلمين فى هم وغم من ذلك .

ولما كان يوم السبت الثالث عشر من ربيع الأول ركبت عساكر تمرلنك وتكردسوا على المسلمين وركسوا (١) ، وصبر المسلمون على ذلك صبرا عظيما ، وابتلوا بلاء مبينا ، ثم ضعفت قلوبهم وبالهم ، وتشتت شملهم ، وتلاشت أحوالهم ، إلى أن ولوا مدبرين ، وطلبوا أبواب المدينة هاربين ، فتزاحموا على الدخول فى الأبواب ، حتى هلك خلق كثير على الأعتاب ، ووقع فى المدينة الهرج والمرج ، وارتفعت أصواتهم بالنوح والضجيج ، واجتمعت نساؤهم فى الجامع الكبير ، وتزاحم الكبير على الصغير ، فكأنهم وقد نفخ فيهم الصور ، وحشروا إلى يوم النشور ، فبينما هم فى هذه الداهية الدهماء ، وإذا هم بالتمرلنكية لحقوهم بالسيوف السود ، وركبوا أقفيتهم إلى أن دخلوا مدينتهم ، فتفرقوا فى أزقتها وهم ينهبون ، وشرعوا يقتلون ويأسرون ، ويخربون ويحرقون ، فأذاقوا أهل الشهباء من أنواع العذاب من القتل والعصر الكى والعقاب ، ولله در من قال :

---

(١) يعنى بذلك « كبسوا » .

على حلب الشهباء حلت مصائب ... بأيدى تمرلنك ومغل وجقطاى
من آل هلاوز وباطو وجنكز ... وإلغاز وقازان وبيد وطقطاى
وطوسى وخربندا ونبجى وكتبغا ... نويس وصمغار وقيدو وبولاى
وروس ونكدا د وبلطد ووطلسبا ... وطولوا وسور وزبخى ونوغاى

ولم يزالوا فى أزقتها جاثمين ، وفى دماء المسلمين عائمين ، فقتلوا خلقا لا يحصى عددهم من الصغار والكبار ، غير من مات من الأطفال تحت سنابك الخيول من الدوس والعثار ، وغير من مات من النساء فى أبواب الجوامع وسوق البلاط ، ومن مات من شدة الرعب وكثرة الصياح والعياط ؛ ثم اشتغلوا بنقب القلعة وتخريبها ، وصرف المياه عنها وسيبها ، وذلك بعد أن تحصن بها أمراؤها ونائبها ، ونواب القلاع الشامية ممن ذكرناهم سالفا ، ونزل تمرلنك فى السلطانية التى تجاه باب القلعة ، ثم إنه أرسل للأمراء وغيرهم وغشهم ، إلى أن اطمأنوا إليه وأقبلوا عليه ، فنزلوا واحدا بعد واحد ، فأخلع على بعضهم خلعا ظاهرها رضى وصفا ، وباطنها مكر وجور وجفا ، فلما تمثلوا كلهم بين يديه ، أقبل يخاطب كل واحد بما لديه ، ثم أشار بمسك الجميع ، بعد التهديد (٦٤ أ) والتقريع ، وأخذ جميع ما فى القلعة من الحواصل والأموال من الذهب والفضة والقماش والسلاح والأثقال ، ومسك أعيان الشهباء وقضاتها وكبراءها وولاتها ، واستخلص منهم أموالا تعجز عن حصرها العقول والأفهام ، ويكل عن ضبطها الحساب بالأقلام ، وأقام عليها عشرين يوما يسقيهم عذابا أليما ، ويعاقبهم عقابا عظيما ، فصارت الشهباء عبرة للناظرين ، وموعظة للمتذكرين ، فكأنها وقد صاح بها صائح فإذا أهلها خامدون ، ولسان حالها يقول : يا حسرة على العباد الذين كانوا بالأمس

فى أمن راغدين (فإنا لله وإنا إليه راجعون)[1] ، فصار أغنياؤها فقراء يسألون ، وتجارها لابسين وا لإجلال الأعدال يدورون ، ومخدراتها عاريات مأسورات ، ثكلى عن أولادهن مكسورات ، وجوامعها ومساجدها عن الأذان والصلاة والخطب خالية ، ودورها على أرضها خاوية ، ولسان حالها يقول : (هلك عنى سلطانيه ، ما أغنى عنى ماليه)[2] .

* * *

ذكر من مسكه تمرلنك من النواب والأشراف

الأمير دمرداش [المحمدى] نائب حلب ، والأمير سودون نائب الشام ، والأمير دقماق نائب حماة ، والأمير شيخ نائب طرابلس ، والأمير ألطنبغا نائب صفد ، والأمير بهاء الدين عمر نائب غزة ، والأمير صراى تمر أتابك عسكر دمشق ، والأمير بنخاص ، والأمير بيغوت ، والأمراء المقدمون بدمشق ، والأمير فارس ، والأمير آقبلاط ، والأمير يونس الحافظى ، والأمير أقمول نائب عينتاب ، والأمير شهاب الدين أحمد بن الهدبانى المقدمون بحلب ، والأمير سودون الظريف أتابك حلب ، والأمير أسنبغا الناجى الحاجب الذى كان توجه لإخراج العساكر الشامية وغيرهم من أمراء الطبلخانات والعشرات وسائر الأكابر من الأعيان ، ثم أطلق منهم الأمير أسنبغا المذكور ، وأطلق معه بنخاص البريدى وقال لهما : « إذهبا إلى مصر وأخبرا بما رأيتما وشاهدتما » ، فخرجا مسرعين وهما يشكران الله تعالى شكرا جزيلا على خلاصهما بحسن العبارة ، ودخلا مصر يوم الأحد الرابع من ربيع الآخر منها ، وأخبرا بما شاهدا .

وحصل للمسلمين بذلك تشويش عظيم ، وهم جسيم .

* * *

---

(١) سورة البقرة ٢ : ٤٦ (٢) سورة الحاقة ٦٩ : ٢٩ .

ذكر خروج الملك الناصر من القاهرة لمحاربة تمرلنك

بتاريخ يوم الأربعاء الثانى والعشرين من ربيع الأول فُرِّقت النفقة على مماليك السلطان ، على كل نفر ثلاثة(١) آلاف درهم ، وعلى كل مقدم ألف ثمانون ألفا إلى مائة ألف وعشرين ألف ، وعلى كل طبلخانات عشرون ألفا وعلى كل [أمير] عشرة : عشرةُ آلاف درهم .

وفى يوم الخميس مستهل ربيع الآخر بعث السلطان من الأمراء الطبلخانات نفرين إلى دمشق يخبر(٢) أنهم بقدوم السلطان الملك الناصر ، وهما الأمير سودون من زاده ، والأمير إينال حطب ، كلاهما رؤوس نوب .

وفى يوم الأحد الرابع من ربيع الآخر خرج السلطان الملك الناصر بعساكره المنصورة إلى الريدانية(٣) ، وأقام هناك إلى يوم السبت ، وفى هذا اليوم بعثـــوا تشريفا إلى الأمير أرسطاى [بن خجا] الذى كان محبوسا(٤) بالإسكندرية ثم أُطلق ورُسم بإقامته فيها بطالا ، وأن يستمر فيها نائبا عوضا عن الأمـــير فرج الحلبى بحكم وفاته ، ثم إن السلطان خلّف فى القاهرة من الأمراء المقدمين أربعة أنفس وهم : الأمير تمراز الناصرى وعيّنه لنيابة الغيبة ، ورَسم له أن

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ٦/٤ ه أن نصيب كل مملوك كان ٣٤٠٠ درهما .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة ٦/٥ ه أن خروجهما كان لكشف ما أشيع من أخذ تيمور مدينة حلب .

(٣) الريدانية قرب منطقة العباسية من ضواحى القاهرة ، وتعتبر مفتاحا لها من هـــذه الناحية . هذا وقد ذكر ابن دقماق فى الانتصار ٥/٧٠ أن عبرتها ألفان وستمائة دينار ومساحتها ٦٩٢ فدانا ، وأشار المقريزى فى خططه ٢/١٣٨ إلى أنها كانت فى الأصل بستانا لريدان الصقلبى أحد خدام العزيز بالله نزار بن المعز الذى كان يحمل المظلة على رأس الخليفة ؛ انظر أيضا القاموس الجغرافى ق ٢ ج١ ص ٢١٤ ، وإن جعلها من أعمال الدقهلية كما جاء فى قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد .

(٤) يستفاد من النجوم الزاهرة ٦/٥٥ أنه كان بالاسكندرية «بطالا» وليس « مسجونا » .

ينزل في بيت شيخو بالرميلة، والأمير جكم العوضي في بيت نوروز، والأمير مبارك شاه الحاجب الثاني في بيت منجك اليوسفي ، والأمير يلبغا السالمي أستادار العالية في بيت يشبك بين القصرين؛ وخلّف في باب السلسلة الأمير بيسق الشيخي والأمير فطيس ، كلاهما أمير آخور ، وخلّف في القلعـة الأمير جرباش والأمير تمرباي ، كلاهما طبلخاناة ورؤوس نوب ، وخلّف أيضا من الطبلخانات الأمير سيدي أبو بكر الحاجب والأمير أرغون والأمير تمان تمر رأس نوبة وتغرى بردى متولى القاهرة ، ومن العشرات تلتمر والأمير منكلى بغا الحاجب والأمير سودون الأعرج .

وفي يوم الخميس ضحوة النهار الثامن منه رحل الأمير نوروز الحافظي مقدم العساكر ومعه الأمير بيبرس أتابك العساكر ، والأمير بكتمر أمير سلاح ، والأمير يلبغا الناصري، والأمير إينال بى وغيرهم من الطبلخانات والعشـرات .

ورحل السلطان يوم السبت العاشر منه وصحبته بقية العساكر وبقيّـة الأمراء وهم : الأمير يشبك الدوادار، والأمير سودون طاز أمير آخور كبير، والأمير سودون المـاردانى رأس نوبة كبير ، والأمير أقبـاى الكركى الخازندار ، والأمير قطلوبغا الكركى شاد الشراب خاناه ، والأمير سودون الطيار أمير آخور ثانى، وغيرهم من الطبلخانات والعشرات ، والخليفـة المتوكل على الله، والقضاة الثلاثة وهم : صدر الدين المناوى الشافعى ، والقاضى نور الدين بن الجلال المـالكى، والقاضى موفق الدين الحنبلى ؛ وأما القاضى جمال الدين يوسف الحنفى الملطى فإنه ما سافر لكونه [كان] ضعيفا، وسافر معهم القاضى ولى الدين بن خلدون وهو معزول ، والوزير سـعد الدين

ابن غراب ، وأخوه سعد الدين ناظر الخاص وناظر الجيش ، وكاتب السر فتح الله العجمى ، وغيرهم من الموقعين وأرباب الوظائف ، وكان الأمير أقباى حاجب الحجاب ضعيفا حين رحل السلطان من الريدانية ، ورسم له أن يسافر فى محفة على هينته ، فسافر وراء السلطان إلى أن وصل إلى غزة وأقام فيها بسبب ضعفه ، ثم لما رجع السلطان من دمشق رجع معه من غزة .

وفى يوم الخميس الخامس عشر منه خرج الأمير جركس المصارع إلى التجريدة وراء السلطان ، وكان تأخيره بسبب ضعفه .

وفى يوم الثلاثاء العشرين منه خرج أجناد الحلقة المصرية إلى الشام وراء الركاب الشريف .

* * *

ذكر دخول السلطان غزة وخروجه منها

بتاريخ يوم الثلاثاء العشرين من ربيع الآخر دخل السلطان وصحبته العساكر المنصورة مدينة غزة ، فلما حل ركابه الشريف بها أطلق الأمراء البطالين الذين كانوا مقيمين بالقدس الشريف وهم ثلاثة نفر : الأمير تغرى بردى اليشبغاوى أمير سلاح كان ، والأمير تمربغا المنجكى حاجب كان بالديار المصرية ، والأمير آقبغا الجمالى [الأطروش] نائب حلب كان ، فخلع عليهم بالنيابات ، فتولى الأمير تغرى بردى المذكور نائب دمشق عوضا عن سودون قريب الظاهر (١) ، وأخبرنى ولده الجناب الجمالى يوسف عين المؤرخين بالديار المصرية من لفظه فى داره التى أنشأها بحارة برجوان المعروفة بسكن الشيخ محب الدين ولد الشيخ زين الدين القمى الشافعى رحمهما

(١) كانت النيابات الثلاث : دمشق وطرابلس وصفد قد خلت من نوابها الذين هم على التوالى : سودون قريب الظاهر وشيخ المحمودى وألطنبغا العثمانى لو قوعهم فى أسر تيمورلنك .

الله أنّه أخبره مَن كان حاضرا لمـــا طُلب تغرى بردى ليولوه نيابة الشام، فقال له: «لى نصيحة أذكرها للسلطان»[(١)] فقال بعض الحاضرين من الأمراء الكبار: «وكيف لا تذكر نصيحتك وهذا السلطان الملك الناصر بن الملك الظاهر أستاذك وابن أستاذك؟» فقال: «الرأى عندى أن أسبق عسكر السلطان وأدخل إلى دمشق (٦٤ ب) فأطمئن خواطر الخواص والعوام، وأنصب المناجنيق، وأحصّن القلعة والبلد، وأقتتل مع تمرلنك، والسلطان يمـــدنى بالعسكر دفعة بعد دفعة، ثم يحضر بعد ذلك، فإن رآى السلطان ذلك فنفعله»، فقال بعض الحاضرين: «هذا نظيره نظير ثعبان قُطع ذنبه وبقى رأســه، لا نأمن له أن يروح إلى الشـــام ويعصى علينا ونعجز عنــه، أو يتفق مع تمرلنك، فإنه كان فى السجن مع تنم نائب الشام وأيتمش البجاسى وغيرهم». وقد ذكرنا قتلهم:

وأما خلاصه هو فكان السبب فيه أنه أخو زوجة الملك الظاهر خوند شيرين، فلما سُجن طَلبت خوند نوروز الحافظى، فلما دخل إليها قبّـــل الأرض فأرسلت تقبل الأرض وتتعلق بأذياله وتسأله فى تغرى بردى أخيها، فأجابها إلى سؤالها، واستمر إلى أن خلّصه من السجن وتوجه إلى القـــدس، فلأجل هذا لم يقبلوا رأيه، بل للمقدور المسطور فى الأزل أن يحل بهذه البلاد ما حل من هذا الظالم الغاشم الكافر ومن معه:

وتولى آقبغا الجمالى نيابة طرابلس عوضا عن شيخ المحمودى، وتولى تمربغا المنجكى نيـــابة صفد عوضا عن ألطنبغا العثمانى، وخُلع أيضا على

(١) أورد أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/٥٦ — ٥٧ ما يقرب من هذا، وأنه طلب أن تكون غزة نهاية سفر السلطان.

الأمير طولو رأس نوبة كان واستقر فى نيابة غزة عوضا عن الأمير بهاء الدين عمر بن الطحان ؟

ثم رحل السلطان من غزة يوم الاثنين السادس والعشرين من ربيع الآخر وصحبته العساكر المنصورة متوجهين إلى دمشق ؟

* * *

ذكر دخول السلطان دمشق وخروجه منها وما جرى عليه وعلى عسكره وعلى المسلمين

لما كان بتاريخ يوم الخميس السادس من جمادى الأولى دخل السلطان الملك الناصر وصحبته العساكر المنصورة المصريون إلى دمشق واستقر ركابه فى القلعة ، وكان تمرلنك قد أتى ونزل إلى تحت جبل الثلج ؛ وفى يوم السبت جاءت من عند تمرلنك طائفة زهاء عشرة آلاف فارس ، ومقدّمهم رجل يقال له السلطان حسين ، فتقدم إليهم من عسكر السلطان جماعة ، فتقابلوا وقتلوا منهم خلقا ، فولّوا منهزمين ، ولم يتحرك تمرلنك من منزله ذلك مدة أيام ، وكان كل يوم يخرج من عسكره شرذمة إليهم ويقربون منهم ثم يرجعون ؛ ثم أرسل تمرلنك إلى السلطان فطلب منه شخصا يقال له أطلمش ، وكان الملك الظاهر قد مسكه وحبسه ، واستمر محبوسا بقلعة الجبل من مدة سنين وقال : « أرسلوا إلىّ هذا وأنا أرحل ! » وذلك مكر وخديعة وكذب .

ثم بعد أيام قلائل حضر للسلطان الملك الناصر حسينٌ المذكور طائعا ، وعلى رأسه تاج مرصع بالجوهر والفصوص ، وهو شاب ذو صورة جميلة وقامة حسنة ، فخلع عليه السلطان قباء بطرز زركش ، وأنعم عليه بفرس

بسرج ذهب وكنبوش زركش ، وذكر عن تمرلنك أنه فى التلاشى والهوان ، ثم إنه تواخى مع الأمير يشبك الدوادار ، وقد قيل إن مجيئه كان بطريق النصيحة للمسلمين ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

وكان المذكور عند تمرلنك من الأمراء الكبار ومعه حاشيته فوق ألف نفس ، وكانوا كلهم ينتهزون الفرصة للهروب والمجىء عند السلطان لأجل مخدومهم حسين ، وكان ما تهيأ لهم ذلك بسبب هروب العسكر المصرى :

ثم بعد أيام قلائل رحل تمرلنك من منزلته تلك وأخذ ناحية شقحب من فوق جبل الكسوة ، فلما رأت العساكر المصرية ذلك طمعوا فيهم وقالوا إنه يريد الهرب ، فقام جماعة من الأمراء وبرزوا إليهم حتى عدّوا جسر الكسوة ، وكان تمرلنك قد أكمن جماعة كثيرة وراء الجبل ، ولم يظهر للمصريين منهم إلا أناس قلائل ، فهزت أنفسهم أريحية الشجاعة فحملوا عليهم ، فعند ذلك ظهرت أناس مثل قطع الليل المظلم ، كردوسا (١) بعد كردوس ، وصفّا بعد صف إلى أن هجموا على المسلمين ، فلما رأى المصريون ذلك شرعوا فى تولى الإدبار ، ونووا الهروب والفرار ، فرجعوا وهم يقاتلون مدافعةً عن أنفسهم ، ولم يزالوا على ذلك إلى أن تفرقوا كلهم شغر بغر ودخلوا المدينة متفرقين ، وقد أُخذ منهم بعض ناس من ورائهم ممن كان فرسه ضعيفا ، وقُتل من عسكر تمرلنك جماعة ، ولم يزل عسكر تمرلنك فى السّوْق وراءهم إلى أن وصلوا قريبا من قبة يلبغا الخاصكى ، فنزلوا تحت جبال الكسوة مد البصر ، فلما أظلم الليل أوقدوا نيرانا عظيمة ، بحيث أوقعوا فى قلوب الناس رعبا عظيما :

---

(١) الكردوس فى اللغة بضم الكاف وسكون الراء بعدها دال مضمومة : الخيل العظيمة ، وقيل القطعة من الخيل العظيمة ، ويقال كردس القائد خيله أى جعلها كتيبة كتيبة — أنظر لسان العرب ج ٨ ص ٧٩ .

فلما أصبحوا اصطف الفريقان وتجهزوا للقتال، وكان ذلك يوم الخميس العشرين من جمادى الأولى، فقـــام تمرلنك وصفّف عسكره مدّ البصر فوق سبعين صفا، واصطفت المصريون كذلك، وجعل الأمير نوروز الحافظى رأس الميمنة، ويشبك الدوادار رأس الميسرة، والسلطان واقف فى القلب، فوقع بينهم بعض القتال من أطراف الطرفين، ولم يزالوا على ذلك إلى آخر النهـــار.

ثم وقع بين المصريين هرج عظيم، لمـــا قيل إن بعض الأمراء الخاصكية قد هربوا من دمشق طالبين الديار المصرية، وكثر الكلام والقيل والقال حتى وقع فى قلوب الناس رعب عظيم وخوف جسيم.

ولمـــا[(١)] كان نصف الليل — ليـــلة الجمعة الحادى والعشرين من جمادى الأولى — خرج السلطان وصحبته بعض المماليك، ويشبك الدوادار والأمير أقباى وقطلوبغا الكركى، فأخذوا طريق بعلبك، وساقوا من فوق جبل الثلج على طريق عكا، ولم يلتفتوا وراءهم، فعنـــد ذلك وقع الجفـــل بين الأمراء المصريين، فلما تواترت الأخبار بذلك نهض كل منهم وساق، ولم يتخلف أحد من الأمراء الكبار والصغار إلا أربعة أنفس من العشرات وهم: سودون البجاسى، وألطنبغا الحبشى، وآقبغا رأس نوبة، ومصطفى بن تكا؛ ثم حضروا بعد أيام كثيرة ما خلا مصطفى المـــذكور، فإنه لحق بتمرلنك، وتخلفت غالب المماليك السلطانية هناك متفرقين، ولم يجىء فى صحبته غـــير

(١) تختلف رواية أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/ ٦٠ عما هو هنا إذ يذكر أنه فى هـــذه الليلة ركب الأمراء « وأخذوا السلطان الناصر على حين غفـــلة وساروا به من غير أن يعـــلم العسكر به يريدون الديار المصرية » ، ومن ثم بقى الجنود وعامة الناس بلا سلطان يدبر أمرهم مما أوقع الفوضى فى الصفوف ، فكان من ذلك تتابع العسكر والأمراء الباقين فى اللحاق بالسلطان وقصدهم مصر متخففين من سلاحهم وكراعهـــم .

مقدار خمسمائة نفس من مماليكه ومماليك الأمراء ، والجميع تركوا الخيول والهجن والجمال والأسلحة والأثقال والخيام والبغال وسائر الأصناف من الذهب والفضة والدروع وغير ذلك، حتى ذُكر أن جملة ما خلفوه من الخيول ما يقارب ثلاثين ألف رأس، ومن البغال ما يقارب عشرين ألف رأس ، ومن الجمال ما يقارب خمسين ألف رأس، ومن الهجن ما يقارب عشرة آلاف رأس؛ ثم إنهم قاسوا في الطريق من التعب والنصب والخوف والجوع والبرد مالا يوصف ، حتى ذُكر أن منهم من أصبح صائما ثلاثة أيام ولا يجد غير المـاء، ومنهم من كان يأكل العشب والكلأ ، ومنهم من مشى حافيا عاريا حتى تورمت قدماه، وغالبهم قلعوا دروعهم ورموها[1] حتى أخذها العشير ، وذُكر أن منهم من حل سيفه ورمى به، ثم كل مَن سمع من المماليك المتخلفة أن السلطان أخلى دمشق وطلب الديار المصرية ترك ثقله وخرج طالبا متوجها إليهم ، فمنهم من أسر ومنهم من عُرى ، وما عَرى أكثرهم إلا العشير من جبال صفد (٦٥ أ) واللجون وقاقول وغير ذلك .

واختلفت طرقهم ، فمنهم من جاء من عقبة دمر[2] ، ومنهم من جاء من عكا ، ومنهم من جاء من وادى التيم ، ومنهم من ركب البحر المـالح من طرابلس، ومنهم من ذهب إلى ناحية حلب ، ومنهم من ذهب إلى ناحية السواحل ، ومنهم الأمير آقبغا الجمالى والأمير دمرداش نائب حلب ، وتفرقت العساكر شغر بغر؛ ولم يزل كل يوم كان يدخل القاهرة جماعة من المماليك المسلحين بعد أخرى إلى أكثر من شهرين ، فمنهم من جاء ماشـيا وقد ورمت رجلاه، ومنهم من جاء راكبا على حمار، ومنهم من جاء على

(١) في الأصل « وأرموها » .

(٢) في الأصل « هرة » ، لكن راجع النجوم الزاهرة ١٢/١٠ س ١٥ .

الجمال وعلى رؤسهم الزموط(١) الدنسة العتيقة ، وعلى أكتافهم اللبابيد الدنسة المهرية ، والبسط العتق ، وكل من المذكورين يذكر عن أفعال العشير أنهـا أنجس من أفعال تمرلنك فى حق المسلمين ، فإن عسكر تمرلنك — مع ما فعله قاتله الله — كانوا يشفقون على أسراهم بشىء من القوت والكسوة ، بخلاف العشير ، ولا سيما فى تلك الأيام الباردة(٢) ، أيام الثلج والمطر والصقعة ، مع الجوع والخوف الزائد :

* * *

ذكر دخول السلطان غزة وخروجه منها

لما دخل السلطان غزة على هذه الهيئة ، نزل فى دار عدّها ، وأراد أن يمسك الأمراء المتهمين بالهروب أولا ، فوقعت فيهم الشفاعة ، وكلهم حضروا فى الركاب الشريف ، سوى الأمير قنباى رأس نوبة فإنه اختفى من قبل أن يدخل غزة ، ثم إن السلطان خلع على الأمير صرق(٣) أحد مقدمى الألوف بدمشق ، وتولى نيابة غزة عوضا عن الأمير طولو :

---

(١) فى الأصل « الزبوط » ولعلها « الزعبوط » الذى عرفه دوزى فى قاموس الملابس : Dozy Vétements Chez Les Arabes P. 195. بأنه لباس شعبى فى مصر و يصنع من الصوف ، وهو مفتوح من الرقبة حتى الوسط ، وله أكمام طويلة وأكثر ما يلبس فى فصل الشتاء ، وهو يؤكد أن هذه الكلمة من أصل إسبانى Capote حيث انتقلت إلى لغة أهل شمال إفريقية فصارت « كبوط » . ونضيف إلى ما قاله دوزى أن الكلمة قد ترجع إلى أصل لاتينى وهى مشتقة من كلمة Caput بمعنى الرأس انظر فى ذلك Smith: English Latin Dictionary (1895) ، وربما أراد ابن الصيرفى بهذه الكلمة فى المتن « الزنط » التى أورد لها Dozy : op. cit., pp. 198 - 9 استعمالات مقتبسة من ابن إياس فى سنة ٨٤٠ مما يدل على أنها شىء يلبس وإن لم يستطيع التعريف به .

(٢) ذلك أن أحداث الهروب هذه جرت فى شهر ديسمبر ١٤٠٠ ويناير من السنة التالية .

(٣) صرق — بضم الصاد والراء كما جاء فى النجوم الزاهرة ٦/٩٤ والضوء اللامع ٣/١٢٣٧ ويعرف بصرق الظاهرى برقوق . ومعنى « صرق » : « الرمح » ، وقد تولى كشف الوجه البحرى فأسرف فى القتل ، ولم يرد فى ترجمته المذكورة بالضوء اللامع ما يدل على أنه كان فى هذه الفترة بالذات مقدم ألف بدمشق بل إن توليته التقدمة كانت فى أيام الناصر فرج بعد هذه الأحداث ، وكان قتله صبرا بين يدى شيخ سنة ٨٠٧ حين خرج لمحاربته وهو نائب للشام ، انظر النجوم الزاهرة ٦/١٢٤ وإن أهمل الترجمة له فيمن مات فى هذه السنة .

وفى يوم الاثنين ثانى جمادى الآخرة قدم إلى القاهرة آقبغا الفقيه الدوادار وذكر أن السلطان واصل ، وحكى بما جرى على العسكر والمسلمين ، فخلع عليه الأمير تمراز الناصرى نائبُ الغيبة والأمير جكم العوضى .

* * *

ذكر دخول السلطان القاهرة

بتاريخ يوم الخميس خامس جمادى الآخرة قدم السلطان الملك الناصر وطلع القلعة — أعنى قلعة الجبل — وصحبته الخليفة والأمراء الذين خرجوا معه والأمراء الذين أنعم عليهم بالنيابات أيضاً وهم : الأمير تغــرى بردى اليشبغاوى نائب دمشق ، وتمربغا المنجكى نائب صفد ، وطولو نائب غزة المنفصل ، وحضر أيضا صحبة السلطان الوزير فخرالدين بن غراب وأخوه سعد الدين ناظر الخاص وناظر الجيش ، والقاضى فتح الله كاتب السر الشريف ، ولم يحضر معه أحد من القضاة الثلاثة . أما صدر الدين المناوى الشافعى فقــد اختُلف فيه أولا ، فقيل إنه فى دمشق ، وقيل إنه خرج منها ، وقيل أُسر عند تمرلنك ، ثم صح أنه كان مأسورا معه ، وأنه ذهب مع تمرلنك (١) حين رحل من الشام ، وأما القاضى نور الدين بن الجلال فإنه توفى إلى رحمة الله تعــالى والسلطان ذاهب إلى دمشق ، وأما موفق الدين الحنبلى فإنه تأخر عن السلطان ثم قدم يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة .

* * *

ذكر استيلاء تمرلنك على دمشق وما افسده فيها لعنه الله

لمــا أخلت العساكر المصرية مدينة دمشق فى التاريخ الذى ذكرناه ، استولى تمرلنك بعسكره عليها ، ونزلوا فى حواليها .

(١) ولقد مات المناوى فى أسر تيمور .

وفى يوم الجمعة الحادى والعشرين صبيحة الليلة التى رحل فيها السلطان نهض الشاميون وقاتلوا مع عسكر تمرلنك (١) قتالا عظيما ، فقتل منهم ناس كثير ، فلما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ملك تمرلنك دمشق وفتحوا الأبواب ، وولى على كل باب شحنة (٢) ، ونادى بين الناس بالأمان والاطمئنان حتى سكن أهل المدينة ، وكل ذلك مكر منـه وحيلة وخبث وخديعة ، ثم شرع فى حصار القلعة ونصب عليها مناجيق من نواحيها ، فنصبوا منجيقا فى وسط جامع بنى أمية وقفلوا أبواب الجامع ، ولم يصل فيه الجمعة بعد دخول تمرلنك الشام إلا مرة واحدة ، ونصبوا منجنيقا آخر فى ناحية حكر السماق ، وآخر من ناحية الصالحية ، وآخر من ناحية العقبة ، وآخر من ناحية التربة ، ورسم بالنقوب ، وصرف ماء الخندق ، فنقبوا إلى أن علقوا البرج الذى عليه الطارمة وهدوه ، وزحفوا زحفا عظيما ، فقتل من جمـاعة تمرلنك خلق كثير تحت الردم ، ثم لم يزل أهل القلعـة فى رمى المـكاحل والمدافع والحجارة والقتال ليلا ونهارا مدة شهر ، ثم لمـا تعبوا وضجروا وخافوا على أنفسهم لعدم من يساعدهم سلموا ، فتسلمها تمرلنك يوم الجمعة الحادى والعشرين من رجب ، فولى فيها شحنة من جهته ، ومسك جميع من فيها ونائبهم معهم ، وهو الأمير يزدار وقيدهم ولم يقتل أحدا منهم ، ثم شرع فى أخذ أموال الناس ، فحول من القلعة أموالا لا تعد ولا تحصى ولا تحصر ،

---

(١) أى قاتلوا ضد عسكر تيمورلنك .

(٢) الشحنة فى الأصل « الرابطـة » وجاء فى لسان العرب ١٧/٩٩ « قول العامة فى الشحنة إنه الأمير غلط » ، وقال الأزهرى «شحنة الكورة من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان» وهذا قريب من المعنى المقصود فى العصر الذى تتناوله المخطوطة ، وقـد ذكر Dozy : Supp. Dict. Arabes, I, p. 733 أن الشحنة فى الشرق هو صاحب الشرطة ويطلق على الوظيفـة نفسها إسم « الشحنكية » .

ما بين ذهب وفضة وقماش وسلاح وأثاث وغير ذلك من أموال الشاميين والمصريين ، ثم إنه باع دمشق لأهلها ثلاث مرات ، فى كل مرة بجملة مستكثرة من الذهب والفضة :

وأخبر الثقات أن تمرلنك عنده أربعة أنفس من الفقهاء ، وهم : عبد الجبار وعضد الدين ، وعبيد ، وعمر ؛ فأما عبيد فهو مثل الإمام ، وأما عمر فهو مثل كاتب الخزانة ، فكل ما يأتى إليه من الأموال يحصرها ويضبطها .

وولى تمرلنك فى مدينة دمشق قضاة وحجابا وولاة ، فولى قاضى القضاة محيى الدين محمود بن القاضى نجم الدين بن كشك (١) الحنفى على عادته وجعله أكبر من الشافعى ، ولم يول شافعيا ولا مالكيا ، وقرر القاضى شمس الدين النابلسى (٢) الحنبلى على عادته ، ثم إنه رسم بهد القلعة فهدمت وهدوا معها جامعها الذى تحيرت العقول فى تكوينه وكنهه وحسنه الذى لم يكن فيه عيب سوى أنه لم تقع العيون على نظيره ، ولله در مادحه ، فقد أجاد فى المقال :

دمشق لها منظر فائق ... وكل إلى وصلها مائق
وكيف تقاس بها بلدة ... أبى الله والجامع الفارق

فإنه يوقظ النائم بحسن رخامه القائم ، ويجلو بهيم الدجى حصة الفجر من بياض حصته ، ويروى لك زخرفته حديث الحسن بنصه ، كم أزهرت فيه ليلة النصف من ذباله ، وهى نجم توقد ، وكم دار به دولاب كانت قناديله تدور مثل الفرقد ، وكم طلع فى سماء صحنه من ثريا ، وكم تمنى القمر لو كان بين نجومه فما اتفق له ذلك ولا تهيا ، وكم طائر لرفع نشره مخفوض ، وكم

(١) راجع قضاة دمشق ص ٢٠٢ .

(٢) ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٨٧ .

حسن بناء غدا بناؤه يعرب أنه مرفوض ، وكم أظهرت الصناع فيه بدائع لا يدّعيها غيرهم ولا يتعاطى ، وكم أبرزوا فيه من معجز لأنهم جعلوا من الحجارة أوراقا ، ومن الرخام احتياطا ، ولله در القائل :

تقول دمشقٌ إذ تفاخر غيرها بجامعها الزاهى البديع المشيد
جرى ليباهى حسنه كل جامع وما قصبات السبق إلا لمعبد

فبينما المدينة بجامعها على هذه الصفة البهية ، إذ وردت عليها الطغاة من التمرلنكية ، فأزالوا بهجتها بالهد والنيران ، وغيّروا رسومها وآثارها من العمران ، فصارت النيران كأنّها قد نشرت فى مدد الطعام ومعصفرات عصائبها ، وصعدت إلى عنان السماء عذبات من ذوائبها ، شعر :

ذوائب لحت فى علو كأنما تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

وعلت فى الجو كأنها أعلام ملائكة النصر ، وكان الواقف فى الميدان يراها وهى ترمى بشرر كالقصر ، فكم زمر لذلك الدخان جاثية ، وكم نفس كانت فى النزعات وهى تتلو ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾(١)، ولم تزل النار تأكل ما يليها ، وتفنى ما يشعلها ويقليها ، إلى أن شملت على دورها ومدارسها ، وعلت على أسواقها ومجالسها ، فكادت تكون كنار القيامة ، وقودها الناس والحجارة ، وأصبح باب الساعات وهو من آيات الساعة ، وخلت مصاطب الشهود من السنة والجماعة ، وأصبحت الدهشة وقد آل أمرها إلى الوحشة ، كأن لم يكن بها شهيد ولا شهود ، من ثيابها وقماشها جبة وحرير ، وأصبحت الميادين وقد صارت كالعهن المنفوش ، ومحيت بأيدى النار سطور كل جام منقوش ، وأصبح أصحابها كالحمام ينوح على أقفاصها ،

---

(١) سورة الغاشية ٨٨ : ١ .

وتود اللآلىء أنها لم تخرج إليهم من مغائصها ، فما منهم إلا رب نعمة سُلبت ، وأصبح بعد الحديد فى خلق ، وغنّى أمسى فقيراً يكدى فى الخلق ، ولله در الشاعر المـــاهر :

حريق دمشق قد بدا لعيـــان ليظهر لى عنـــد البيان معانى
غدت ناره فى الجو تعلو وترتقى كأن لهـــا عنـــد النجوم أمانى
ولو لم تكن نار الأعادى لمـــا غدت (٦٥ ب) وخبآتها باد لكل بنان
ولا صبغت بالزعفران قميصها سرورا بها ، ولا طارت بكل لسان

فيا لسيوف المكفن كيف باد ، وفتتت به الأكباد ، وأين بأسه الشديد ، ومنافعه التى لا تبيد ، وبالسيوف الخيم كيف ذهب ، وعدم النصرة على الكافرين فتبت يدا أبى لهب ، لقد تمسكت النار بأطنابه وتجلّد بها ، والنار تحت ثيابه وياما حصل لها ولأهلها ، من ضرب بسياط كشط غلظ جلدهم ، وأوهى قوى شجاعتهم وجلدهم ، كم فيه من أسْود اللحية فتق جلده الشيب ، وخُطّ على جنبه ما كان مخبوءا له فى الغيب ، وكم من عالم فى الذل بالهزء واليـــد ، وكم من تاجر يقاد وهو فى قيد ، وكم من شاب يستغيث وهو ينقل التراب ، وكم من شيخ يصيح وهو فى العقاب ، وكم من صغير تحت سنابك الخيل طريح ، وكم من فقير من الجوع يصيح ، وكم من بكر قد أزيلت عذرتها ، وكم من مخدرة قد أهتك سترها ، وكم من غنيّ كان يطعم الناس ويعطيهم ، فصار اليوم يسأل الناس ويستعطيهم ، وكم من عزيز وصاحب رفعة وشأن صار اليوم فى قهر وخذلان ، فصار أهلها ما بين كسير وطريح ، وأسير وجريح ، فصاروا كبنى إسرائيل فى القضايا ، سلط عليهم أنواع البلايا ، قهر تمرلنك وأسره ، وخراب الدور والبقاع ، ووقوع الحريق فى الأصقاع ، وسبي

الحريم والأطفال ، واستعباد النساء والرجال ، والغلاء المفرط الشامل ، والبرد والثلج والمطر النازل ، ثم بعد ذلك كله جراد منتشر وموت ذريع ، وخوف مستمر وضنك منيع ، آيات بينات فيها عبر وتنبيه ، ولم تزل دمشق ترى أمورا عجابا ، ولسان حالها يقول : (يا ليتنى كنت ترابا) ، فلعبت فيها التمرلنكية يمينا وشمالا ، فى أرضها : وهادا وجبالا ، ولم يزل خيلهم ورجلهم تركض من باب الشهباء إلى جسر الحديد ، ومن جسر الحديد إلى جسر الشريعة الزهراء ، إلى أن خرجوا فى أوائل شعبان ، بعد أن أخربوا العمران ، وهدوا البنيان ، فصارت أسوارها كيمانا سودا ، ينعق عليها غربانها جردا ، ولما رحلوا أخذوا معهم غالب النساء الجميلة والجوارى والعبيد والطواشية والصناع الحذاق من كل طائفة ، وذهب معهم قاضى القضاة محيى الدين محمود ابن القاضى نجم الدين الحنفى وأخوه بهاء الدين محمد الشهيران بابنى الكشك ، فلما قربوا من حلب جاء إليهم من كان تمرلنك خلفهم فيها لحماية الأموال التى أخذوها وهم ثلاثة آلاف نفس أو يزيدون ، وذلك بعد أن أخربوا قلعة حلب ، فأرموا أبراجها وأسوارها فى الخندق ، ثم اجتمعوا وعدوا من جسر البيرة ، ولم يتعرضوا لنائبها وهو الأمير ناصر الدين محمد بن شهرى يعرف بصرق[(١)] سيدى ، وذلك لإظهار الطاعة إليهم ، فقرره على أنه نائب غزة ، ثم ذهبوا وأخذوا طريق ماردين ، فلما وصلوا إليها نازلوها واستنزلوا صاحبها وهو الملك الظاهر مجد الدين عيسى ، وكان قد تحصن بقلعتها ، فلم يسمع منهم ولا أصغى إليهم ، فأقاموا مدة عشرين يوما ، ثم لما رحلوا أمرهم

(١) كلمة غير مقروءة فى الأصل ، هذا وقد اكتفى الضوء اللامع ٧/٦٨٢ فى ترجمته إياه بقوله : « حاجب الحجاب بحلب ، قتل فى وقعة آمد مع جكم سنة تسع » ، ولم يشر له أبو المحاسن إلا فى نصف سطر فى النجوم الزاهرة ٦/١٨٦ فى كلامه عمن قتل مع جكم فى تلك السنة .

تمرلنك بتخريب المدينة فأخربوها كلها وطمّوا آبارها، وقلعوا أشجارها، وجعلوا أعاليها أسافلها، ولقد أخبر من الثقات جماعة أن تمرلنك لما وصل إلى حلب وقرر رجوعه أرسل شرذمة وراء طائفة من التركمان يقال لهم ابن كُبلك، بكافين أولاهما مضمومة، بينهما باء موحدة ساكنة، وكانوا نازلين عند عينتاب من ناحية الشمال، فناجزوهم بالكبس، وأخذوا أموالهم وحريمهم وأغنامهم وجمالهم وخلّوهم على الأرض السوداء، ثم لما رجعوا دخلوا عينتاب مرة أخرى، وأخذوا كل امرأة جميلة فيها، وما ظفروا به من الأموال والأطفال، بل أخذوا مثل الزبيب ومثل الدبس ومثل الأرز، ونهبوا الأسواق، ثم لحقوا بتمرلنك، فعند ذلك وصلت الغرارة القمح في دمشق إلى ثلاثة آلاف درهم فضة، والغرارة ثلاثة أرادب مصرية، ووصلت كل عليقة إلى نصف دينار أو عشرين درهما؛ وأما أهل القرى فماتوا من الجوع والعرى والبرد، وكانت التمرلنكية يأخذون لحوم الكلاب يطعمونها للجمال .

ولقد خربت في هذه السنة على أيدي التمرلنكية من البلاد الشمالية ملطية وأبلستين ودرنده وزبطرا وكختا وكركر وحصن منصور وبهسنا وقلعة الروم وعينتاب وتل باشر وكلت وأعزاز وحلب الشهباء والباب والرها ومعرة النعمان وحماة وبعلبك، وأعظمها (١) دمشق التي لم يكن مثلها في البلاد، من زمن إرم ذات العماد؛ وأما التي أخذ منها الأموال، ووقع فيها الشتات والنكال: صفد وصيدا وبيروت وحمص والبيرة؛ وأما التي وقع فيها الحوادث وأخلي أهلها منها : راوندان وتبريز وبيسة وحارم وسرمين وشيزر وكرك نوح وطرابلس، وكل ذلك بمقدور الله تعالى وصغر سن

(١) في الأصل « ومعظمهم » .

المقام الشريف ورأى يشبك الدوادار ومن وافقه على ذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إذا أراد أمرا بلغه ◌

فمن جملة ما قيل فى وصف هذه السنة ، أعنى سنة ثلاث وثمانمائة المشهورة بأمور الشوطية :

سنةٌ بها أبصرت ما لا أبصرت عين ، ولا سمعت بـه أذنان
من نهب أموال وسفك دما ، ومن تسليط شيطان على السلطان

وقال آخر :

لا يشربون سوى الدماء مدامة أو ينشقون من الأسنة سوسنا

وقال غيره :

وخوّفنى ذكر الأسير لوصفهم فلما رأيت القوم زدت تخوّفا

وقال آخر غيره :

عساكرٌ كظلام الليل مقبلة فيها الأسنة مثل الشهب قد لمعت
الخيل قد صهلت ، والسُّمْر قد نهلت ، والهام قد سجدت ، والبيض قد ركعت

فتذكرت قول من قال ، فضممته إلى هذا المقال :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

ووجدت بيتين لبعض الشعراء أنشدهما كبير من كبراء حلب عندما طافت الشوطية ببلده ثم فر خارجا منها ، وكان مترجما بالشجاعة والبسالة ، لما عوتب على الهروب وهما فى هذا المصراع الذي سيذكر ، أعنى معناهما « أعاير بذلك ولا أقتلا »

فأما الرملة فإن العشير أخربوها وأفسدوا فيها وأخذوا أموالها ، وزادوا فى الطغيان أكثر من التمرلنكية ، نعوذ بالله من ذلك .

ذكر ماوقع من الحوادث فى غيبة السلطان بمصر

بتاريخ يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الآخرة منها خُلع على القاضى بدر الدين محمود العينتابى الحنفى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن القاضى شمس الدين البجانسى ، وكان لبْس المذكور عند الأمير تمراز نائب الغيبة برسالة من عند الأمير نوروز الحافظى والأمير يشبك الدوادار على لسان الأمير بيسق أمير آخور .

ومن الحوادث فيها أن الأمير يلبغا السالمى لما جاء من عند السلطان حين رحل من الريدانية ذكر أن السلطان أعطى له مرسوما بأن يحكم فى المذاهب الأربعة ، وأن يحكم على كل متولى أمر فى الديار المصرية ، وجعل عنده نقيب الحنفية ونقيب الشافعى وجماعة من الموقعين ، وشرع يكتب على القصص كالقضاة .

ومنها أنه طَلب أصحاب الديون ، وألزمهم بأن يصالحوا المديونين ، ويأخذون شيئا ويتركون شيئا ، ومن أبى وامتنع ضرب . .

ومنها أنه شرع فى إراقة الخمور وكسر جرارها ، حتى قيل إن جملة ما كسره منها يقارب خمسين ألف جرة ، وهى من منية الأمراء وشبرا وطنان وبلبيس وبعض الحارات من القاهرة .

ومنها أنه نادى أن النصارى واليهود لا يدخلون الحمامات إلا بجلاجل فى أعناقهم ، وأنهم لايضلعون عمائمهم ، وأن نساءهم لايخرجن[1] فى الطريق إلا بأزر مصبوغة : النصرانية بإزار أزرق ، واليهودية بإزار أصفر ، ومسك البطرق بسبب ذلك ، ووقع بسبب ذلك بينه[2] وبين الأمير تمراز نائب

(١) فى الأصل « لايخرجون الطريق » .

(٢) الضمير هنا عائد على يلبغا السالمى .

الغيبة عداوة ، فإنه أبطل كلمته بالكلية ، وشرع كل واحد منهما (٦٦ أ) يناقض ما يفعله الآخر ، وكل منهما يكاتب إلى السلطان فى حق الآخر ، وحصل للناس بذلك ضرر عظيم ، فآخر الأمر ورد كتاب السلطان يوم الثلاثاء الخامس عشر من جمادى الأولى صحبة مملوك تمراز بأن يلبغا السالمى لا يتحدث سوى فيما يتعلق بالديوان المفرد ، فعند ذلك طلب الأمير تمراز الأمراء المقيمين بالقاهرة ونواب القضاة والشيخ سراج الدين البلقينى ، فلما حضروا قرئ كتاب السلطان بحضورهم ، فأمر تمراز بأن ينادى بذلك فى البلد ، وأن من قدّم قصة للسالمى يضرب بالمقارع .

وفى يوم الأربعاء السادس والعشرين منه أرسل الأمير تمراز مماليك من جهته وهجموا بيت السالمى وأخذوا من كان محبوسا ومن فى الترسيم ، وجمع نواب القضاة أيضا ، ورسم بكتابة محضر فى حق السالمى ، فعند فراغهم منه نزل الأمير بيسق (١) ودفع هذا العمل وقال : « إن هذا ليس بمصلحة ، والسلطان غايب » ، وكل ذلك والسالمى غائب ببلبيس ، فلما قدم سمع بذلك وتأكدت العداوة ، ثم إن تمراز خلع على ناصر الدين بن ليلى يوم الاثنين ثانى جمادى الآخرة واستقر فى كشف الفيوم ، فتوجه بالخلعة إلى بيت السالمى فقلع التشريف منه وعرّاه وضربه وزنجره (٢) وأشهر فى الأسواق ،

(١) هو يبسق الشيخى الظاهرى أمير آخور الذى ورد و يرد اسمه كثيرا فى صفحات هذا الجزء ، وقد عاش حياته بين إقامة ونفى فى عهدى الناصر والمؤيد ، وتولى فى هذه السنة إمرة الحاج المصرى وأقام بمكة لعمارة ما كان قد تبق من المسجد الحرام دون عمارة بعد حريق شب فيه . وكانت وفاته سنة ٨٢١ ، أنظر عنه النجوم الزاهرة ٦/٩٠ ، ٤٦١ - ٤٦٢ ، والضوء اللامع ٣/١١٤ .

(٢) عرف لسان العرب ٥/٤٢٠ « زنجر بأنها أن يقول المرء شيئا بظفر إبهامه و يضعها على ظفر سبابته ثم يقرع بينهما ، والاسم « الزنجير » وهو قرع الإبهام على الوسطى بالسبابة » ، ويختلف المعنى عما يريده المؤلف ، « فزنجر » تعبير مصرى دارج معناه « قيده بالحديد » والزنجير هو القيد الحديدى ، انظر فى ذلك Dozy: Supp. Dict. Arabes, I, 606.

فصادفه مملوك من مماليك تمراز فخلصه من ذلك ، وهرب المذكور وهو عريان والزنجير فى رقبته إلى أن دخل بيت تمراز ، فبلغ هذا الخبر السالمى ، فخرج من بيته وهو ملبس ، فلحق ذلك المملوك فضربه بطبر (١) كان بيده ومسكه وتوجه به إلى بيته وضربه ضربا شديدا ، فلما سمع بذلك الأمير تمراز رسم لمماليكه أن يركبوا ، فمنعه الأمير جكم دفعا للفتنة ، ووقع ذلك اليوم خباط (٢) عظيم فى القاهرة ، فأزاحه الله عن المسلمين .

* * *

ذكر ما وقع من الحوادث بعد قدوم السلطان من الشام

منها أن غالب أهل الرملة وغزة والقدس ودمشق وصفد وحماة وطرابلس قدموا إلى الديار المصرية وتركوا أولادهم وأوطانهم وأموالهم خوفا من تمرلنك ، فمنهم من جاء حافيا عاريا ، ومنهم من جاء عليه قميص واحد على بدنه فى البرد الشديد ، بعدما كان فى الخدم والعز السديد ، وأبلاهم الله بإجلائهم عن أوطانهم فى مثل هذه الأيام الشديدة ، فحين دخل السلطان فى التاريخ المذكور أصبحت أسواق البلد خرابا خالية عن الخبز خمسة أيام ، وما كان شراؤهم (٣) ذلك إلا من الأفران بعد مشقة زائدة ، ويجتمع وقت الصبح على كل فرن أكثر من خمسمائة نفر ، حتى أخبرنا من رأى تلك الأيام والذى جرى فيها ما جرى (٤) فى أيام الغلاء الشديد ، ولكن الأسعار ما تحركت ، غير

(١) الطبر فى الفارسية هو الفأس ، والطبردار واحد من جماعة تعرف بالطبردارية ومهمتهم حمل الأطبار حول السلطان فى المواكب ، أنظر فى ذلك صبح الأعشى ٥/٤٦٢ ، G - Demombynes: La Syrie à l'epoque des Mamelouks, Introd., p. LXIII.

(٢) الخبط أصلا هو ضرب إحدى اليدين بالأخرى ، وكان فى الأصل للجمل وهو ضرب البعير الشىء بخف يده ، والمقصود به فى المتن « الاضطراب والفوضى » ، أنظر لسان العرب ٥/١٥٠ – ١٥٤ ، Dozy: Supp. Dict. Arabes.

(٣) فى الأصل « شراهم » . (٤) أى لم يحدث مثله فى أيام الغلاء الشديد .

أن الذهب غلا وخلا ، حتى وصل الدينار إلى تسعة وثلاثين [درهما] ، والمشخص الأفلورى إلى ثمانية وثلاثين درهما ، وقلّ اللحم جدا .

ومنها أن يلبغا السالمى أنفق(١) على كل شخص ألف درهم ممن حضر فى صحبة السلطان ومَن حضر بعده من المماليك .

ومنها أنه التزم بتكفية العساكر وشرع فى تحصيل الأموال بكل جهة ، فأخذ غالب حواصل القاهرة التى للتجار والأيتام والغائبين ، فقلّ حاصل [ما] سلم منه ، وإن سلم بعضه لم يسلم كله :

ومنها أنه أشار أن يؤخذ من الأملاك والأوقاف التى فى مصر والقاهرة كراء شهر واحد ، وتولى قبْض ذلك الأميرُ ناصر الدين [محمد] بن سنقر أستادار الذخيرة [والأملاك] ، ثم خرج وتولى بعده شهاب الدين بن قطينة نيابة عن السالمى ، وتولى السالمى بنفسه استخراج الأموال من الأراضى والأرزاق الأحباسية عن كل فدان عشرة دراهم ، ومن البساتين والقصب والقلقاس عن كل فدان مائة درهم ، وكتبت مراسيم إلى البلاد المختصة بالديوان المفرد أن يستخرج عن عبرة كل ألف دينار : فرس واحد، ويؤخذ عنه ألف درهم ، وكل ذلك من مال الفلاحين خارجا عن الأموال الديوانية، ورسم أيضا أن يستخرج من جميع البلاد بالديار المصرية عن عبرة كل ألف دينار من ديوان الجيوش: خمسمائة درهم، ومن أجناد الحلقة الذين ما سافروا : نصف متحصل إقطاعهم، ومن ليس له قدرة على السفر من الشيوخ والأطفال عن عبرة كل ألف دينار : خمسمائة درهم، وأن يؤخذ من البيوت التى على البحر والخلجان كل بيت : أجرة نصف سنة، ومن المراكب

---

(١) فى الأصل «نفق» .

التى فى بحر النيل عن كل مركب تحمل مائة أردب عشرة دراهم ، وما دون ذلك عن كل واحد أجرة شهر ، وقد حصل بذلك ضرر عظيم للناس[1] .

وفى يوم السبت آخر النهار السابع من جمادى الآخرة خلع على البجانسى واستقر محتسب القــاهرة عوضا عن القاضى بدر الدين العينى بسفارة يلبغا المــذكور .

وفى يوم الاثنين التاسع منــه خلع على الأمير نوروز الحافظى واستقر أتابك العساكر المنصورة ومستشارا فى المملكة ، وخُلع أيضا على الأمــير يشبك الدوادار خلعة الاستمرار ، وحلف جميع الأمراء لهما أنهم لا يخرجون عن كلامهما ورأيهما .

وفيه خُلع على بهاء الدين بن رسلان ، واستقر نقيب الجيوش المنصورة عوضا عن أسندمر بحكم غيبته .

وفى يوم الخميس الثانى عشر منه خُلع على القاضى أمين الدين بن القاضى شمس الدين الطرابلسى الحنفى واستقر قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن القاضى جمال الدين الملطى الحنفى بحكم وفاته ، وخُلع أيضا على القاضى جمــال الدين الأقفاصى قاضى القضاة المــالكية بالديار المصرية عوضا عن القاضى نور الدين بن جلال بحكم وفاته .

وفى يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب أخلع على شهاب الدين أيضا فى ولاية مصر ، واستقر عوضا عن ناصر الدين بن ليلى .

---

(١) ندد المقريزى فى الســلوك وابن حجر فى إنباء الغمر بالسالمى لاتخاذه هذه الإجراءات المالية ، على أن أبا المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/٦٦ نظر لهــا من زاوية أخرى فراح يدافع عن السالمى بقــوله «وإيش يعمل السالمى وقد ندبه السلطان لإخراج عسكر ثان من الديار المصرية لقتال تيمور؟» .

وفى يوم الخميس ثالث رجب خُلع على القاضى علم الدين يحى قريب الصاحب شمس الدين كاتب أرنان الشهير بأبو كم ، واستقر فى الوزارة بالديار المصرية عوضا عن فخر(١) الدين بن غراب بحكم استعفائه ، واستقر عوضه فى نظر الدولة تاج الدين بن الرملى ، وفيه خُلع على الأمير شهاب الدين أحمد بن ناصر الدين محمد بن رجب ، واستقر شاد الدواوين على عادته .

وفى يوم الاثنين (٦٦ ب) الرابع عشر من رجب مُسك الأمير يلبغا السالمى ، وسُلم للقاضى سعد الدين بن غراب ناظر الخواص الشريفة ، ورسم عليه الأمير أزبك الأشقر ، ومسك معه شهاب الدين أحمد بن قطينة .

وفى يوم الخميس السابع عشر منه خلع على القاضى سعد الدين بن غراب ناظر الخواص وناظر الجيش ، واستقر أستادار العالية ، عوضا عن يلبغا السالمى بحكم مسكه مضافا إلى ما بيده من نظر الخواص ونظر الجيوش ، ولم يغيّر قماشه ، بل استقر على عادته فى قماش المتعممين المباشرين .

وفى يوم الجمعة السابع والعشرين منه آخر النهار خلع على الأمير رزق الله ابن نقولا الذى كان متولى قطيا ، وقبل ذلك كان وزيرا بالديار المصرية وأستادار العالية ، واستقر فى ولاية القاهرة عوضا عن الأمير تغرى بردى بحكم عزله .

وفى يوم الاثنين الخامس من شعبان منها خرج الأمير تمراز الناصرى أمير مجلس ، والأمير جرباش رأس نوبة ومن يضاف إليهما متجردين إلى الشام ، فنزلوا فى الريدانية .

(١) فى الأصل « يحيى الدين » ، انظر ابن قاضى شهبة : تاريخ ، ورقة ١٨٠ ب .

وفى يوم الأربعاء السابع منه قدم (١) إلى الديار المصرية الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس الذى أُسر عند تمرلنك فى وقعة حلب ، فهرب منه بعد مدة .

وفى يوم الجمعة التاسع منه خرج الأمير أقباى الطرنطاى حاجب الحجاب بالديار المصرية متوجها إلى البلاد الشامية .

وفى يوم [الجمعة (٢)] السادس عشر منه قدم إلى الديار المصرية الأمير دقماق الخاصكى نائب حماة ، وكان قد أسره تمرلنك فى الوقعة المذكورة .

وفى يوم الاثنين التاسع عشر منه خُلع على الأمير تغرى بردى اليشبغاوى نائب الشام خلعة الاستمرار ، فخرج فى ذلك اليوم ومعه جميع (٣) أمراء الشام وأجنادها ، وأصحاب وظائفها الذين قدموا إلى القاهرة هاربين من تمرلنك ، وحق لهم إذا هربوا ، ولقد تقصينا التواريخ وأمعنا النظر فيها فما رأينا مصابا أصاب المسلمين [مثل] ما أصابهم فى هذه السنة .

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين منه خُلع على الأمير تمربغا المنجكى واستقر فى نيابة صفد على عادته ، وخرج إليها فى ذلك اليوم ، وكذلك أُخلع على الأمير دنكز بغا ، واستمر فى نيابة بعلبك على عادته .

وفى يوم السبت الرابع والعشرين منه نودى فى القاهرة أن جميع من فيها يخرجون ويذهبون إلى أوطانهم وبلادهم ولا يبقى منهم أحد إلى ثلاثة أيام ، وكذلك نودى يوم الأحد ، فحصل بذلك ضرر عظيم للغرباء ، ثم أبطل ذلك .

(١) كان قدومه عن طريق البحر ، انظر ابن قاضى شهبة : تاريخ ، ورقة ١٨١ ب .

(٢) مكانها فراغ فى الأصل .

(٣) اكتفى ابن قاضى شهبة ، ١٨١ ب بأن ذكر جمال الدين بن القطب وأنه خرج متوليا قضاء الحنفية بدمشق .

وفى يوم الاثنين السادس والعشرين منـــه خُلع على القاضى نور الدين البـــكرى ، واستقر فى حســـبة مصر على عادته عوضا عن شمس الدين الشاذلى بحكم عزله ؛

وفى يوم الخميس التاسع والعشرين منه خُلع على القاضى ناصر الدين محمد الصالحى ، واســـتقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن القاضى صدر الدين المناوى بحكم انقطاعه عن العسكر عند تمرلنك ، بل بحكم أسره ، ولقد أخبرنى أجل شيوخى وأعظمهم قاضى القضاة بالثغـــر السكندرى كان وما معه وخليفة الحكم العزيز بالديار المصرية أدام الله وجوده « الجـــلال البكرى » الشافعى مزنى وقتـــه ، وفريد عصره ، وشامة مصره ، الذى إن قال حقق ، وإن نطق وفق ، صاحب الأقوال البديعة المحررة ، والألفاظ الوجيزة المعتبرة ، والمصنفات اللائقة الفائقة ، منها « شرح المنهاج » المسمى « بزاد المحتاج إلى توجيه المنهاج » و « الفتح العزيزى فى شرح مختصر التبريزى » وغير ذلك ، ولقد انتفعت بترددى إليه ، وإن كنت حنفيـــا — من أمور شتى — ولازمت مجالسه فى الدروس وقراءة الحديث الشريف كالبخارى والشفا ، وتضلعت منه علوما وفوائد ، على ما كان عنـــدى من أيام شيخ الإسلام ، وحافظ عصره فى الأنام أحمد بن حجر الشافعى العسقلانى — تغمده الله برحمته — ، وقرأت عليه كتبا منها « الأذكار » للإمام الحجة الشيخ

محيي الدين النووي[1] ، وقطعة من « السيرة » لابن سيد الناس[2] ، وغالب ما ألفه وجمعه معروضا على مسامعه الشريفة ، ومرقوما عليه بكتابته بخط يده الكريمة ، وهذا فضل علىّ من الله ومنه ، إذ وفقني لاستماعي لمثل هذا العالم الصالح الدين الصافي الخاطر ، الذي ما عرف عندي في مقامه إلا سيدي شيخ الإسلام ابن حجر ، وسيدي شيخ الإسلام محيي الدين الكافيجي ، وهو والشيخ تقي الدين الشمني ، والشيخ أمين الدين الأقصرائي[3] ، والشيخ قاسم الحنفي أن القاضي صدر الدين المذكور لما خرج مع الأئمة للدخلة على تمرلنك أغلظ عليه في القول وقال له : « أنت خارجي » وكلمه كلمات عنيفة ، فأخذ في خاطره وأسره ، ولقد أحضر بين يدي تمرلنك ، والقاضي الحنبلي ابن مفلح جالس عنده ، فلما رآه قام إجلالا له ، وأخذه وأجلسه إلى جانبه ،

(١) هو محيي الدين يحيى بن شرف بن مري الفقيه الزاهد الواعظ الحافظ أبو زكريا النواوي — ويجوز فيها حذف الألف — ولد سنة ٦٣١ ثم قدم دمشق شابا فسكن المدرسة الرواحية وأخذ في التصنيف من حدود سنة ٦٦٠ حتى مات سنة ٦٧٦ أو في التي تليها على رواية أخرى ، وكان موصوفا بأنه «رأس في الزهد ، قدوة في الورع » وكان دفنه عند القرية المنسوب إليها وهي نوى ، راجع الدارس في تاريخ المدارس ١/٢٤ — ٢٥ ، وشذرات الذهب ٥/٣٥٤ — ٣٥٦ .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله أبو الفتح بن سيد الناس قدم أبوه من إشبيلية إلى مصر وأسمعه على أعلام عصره في الفقه والحديث واللغة وأظهر الإبن براعة في كل ما لقنه ، وبرع في الخطين المغربي والمصري ، وله في السيرة « عيون الأثر » ووصفه ابن حجر بقوله بأنه « كتاب جيد » في بابه كما برع في النظم ، راجع ترجمته بالتفصيل في الدرر الكامنة ٤/٤٣٧ .

(٣) الأقصرائي « بالصاد المهملة والسين أيضا » نسبة لأقصرا إحدى مدن الروم وهو يحيى بن محمد ابن ابراهيم بن أحمد القاهري الدار والنشأة الحنفي المذهب ولد سنة ٧٩٧ وحفظ القرآن الكريم وتفقه بكثير من الشيوخ في مصر وخارجها ، وكانت له إجازات من كثير من أعلام وقته ، وتولى التدريس والإسماع ببعض المدارس وقصد بالفتاوى على مذهبه ، وكان موته سنة ٨٨٠ ، راجع ترجمته بالتفصيل في الضوء اللامع ١٠/١٠٠٨ .

وعلى رأسه قطعة من خروق ، وعلى جسده أيضا مثــل ذلك ، وعجزوا فى تمرلنك أن يطلقه ، فامتنع غاية الامتناع .

وكان سبب دخول الأئمة على تمرلنك لمــا هرب الساطان وبلغهم أن أهل حمص وقفوا له وقالوا : « نحن ندخل عليك بخالد بن الوليد، فإنه مدفون عندنا أن لا تتعرض لنا[1] » فرسم لهم بأن لا يعارَضوا ونادى لهم بذلك، فدخلوا عليه كما دخل عليه أهل حمص، فأجابهم : « أهل حمص ما حاربونى ، وأهل الشام حاربونى » ، فاعتذروا إليه « بأن المحاربة كانت من السلطان ومن مماليكه ، وقد رحــل السلطان وصحبته جميع الأغنياء ، ولم يتأخر عنــدنا فى الشام إلا الضعاف والعواجز » .

وكان عند حضورهم إليه رسم أن تُضرب لهم خيمة مقابلة له ، ثم شرع ينظر إليهم ، وسلط عليهم من مماليكه الحسان جماعة لابسين الحرير والديباج ، فلم يلتفتوا إليهم بالكلية ، ثم سلط عليهم أحسن نسائه ، فلم يزيدوهم شيئا على الإطراق والسكوت ، ثم إنه طلبهم بعد ذلك وبالغ فى طلبهم ليحصل لهم الردع والخوف والوجل فلم يكترثوا بذلك، وكلموه فقال لهم : « هاتوا هدية » ، فتوجهوا وصحبتهم قاصد من جهته ليحضر بما طلبه ، فجمعوا له مالا كثيرا . ثم إن بعض أهل الشام استكثر المــال ولم يرسله ، وأرسل منــه النصف ، فلما وصل إليه صحبة جماعة من الشام غير الأئمة المذكورين ، وحكى له القاصد ما وقع ، ودخلوا عليه وهم لابسون السنجاب والصوف رسم عليهم ومسكهم وقال : « كيف علماؤكم يكذبون علىّ وتقولون إن ما فى دمشق أحد من الأغنياء ؟ » ، واستمروا يصالحونه ثلاث مرات .

(١) فى الأصل « تعترض » .

ووقع له أمور مع العلماء منها أنه دخل جامع بنى أمية فوجد فيه محاريب أحدها مدهون بالذهب واللازورد، وبقيتها ساذجة بلا دهان (١)، فسأل: «لأى شيء خُصَّ هذا بهذا؟» فقيل له: «هذا محراب الشافعية» فسأل من ابن مفلح: «أى الإمامين أفضل: الإمام أبوحنيفة أوالإمام الشافعى؟» وألح عليه فى ذلك فأجابه: «إن هذين مايفرق بينهما إلا من يكون نظيرهما»؛ وسأل عن حارة بنى أمية فرسم بحرقها وهدها، لأنهم حاربوا عليا ــ رضى الله عنــه ــ؛ وفعل افعالا يجازى عليها فى الآخرة، وآخر ما جرى للقاضى صدر الدين المناوى أنه استمر فى الأسر إلى أن غرق فى النهر. انتهى.

* * *

وفى يوم الثلاثاء الخامس من رمضان قدم الأمير تمراز وأقباى حاجب الحجاب ومن معهما من الأمراء والأجناد، بعد أن خرجوا ووصلوا إلى الصالحيــة.

وفى يوم الخميس السابع منه خُلع على الأمير يلبغا الذى كان حاجبــا بالديار المصرية فى أيام الظاهر ثم نفاه إلى الشام، واستقر حاجب الحجاب بطرابلس عوضا عن الأمير قمارى بحكم وفاته.

وفى يوم الثلاثاء الثــانى عشر منه خُلع على الأمــير جنتمر التركمانى الطرنطاى، واستقر ملك الأمراء بالوجه القبلى، عوضا عن الأمــير على [ابن غلبك] بن المكللة، وكان أحد أمراء الطبلخانات بالشام، فأسر عند تمرلنك فى وقعة حلب، ثم تخلص وجاء إلى مصر.

(١) فى الأصــل «أحدهما مدهون بالذهب واللازورد وبقيتهم ساذجين»، وقد عدلت العبارة ليستقيم المعنى.

وفى يوم الاثنين الثامن عشر منـــه خُلع على الأمير شيخ المحمودى واستقر نائبا بطرابلس على عادته ، وكذلك خلع على الأمير دقماق الخاصكى الذى كان نائب حمـــاة ، واستقر نائبا بصفد عوضا عن تمربغا المنجكى ، وتعين لتمربغا تقدمة ألف بدمشق ، وفوضت الحجوبية الكبرى بدمشق للأمير جقمق الصفوى الذى كان نائبا بملطية عوضا عن الأمير بشباى ، وعينت أتابكية عساكر الشام للأمير آقبغا الجمالى الذى كان نائب حلب :

وفى اليوم المذكور رُسم بتجهيز بعض الأمراء إلى إسكندرية ورشيد ودمياط ، وهم : الأمير جكم ، والأمير آقباى حاجب الحجاب ، والأمير بكتمر أمير سلاح ، والأمير سودون الطيار أمير آخور ثانى ، والأمـــير صوماى رأس نوبة ، فلم يخرج منهم غير بكتمر أمير سلاح :

وفى يوم السبت الثالث والعشرين منه خُلع على القاضى ولى الدين بن خلدون المغربى المـــالكى ، واستقر قاضى القضاة المـــالكية بالديار المصرية على عادته عوضا عن القاضى جمال الدين الأقفاصى بحكم عزله ، وكذلك خُلع على القاضى مجد الدين سالم ، واستقر قاضى القضاة الحنابلة بالديار المصرية ، عوضا عن القاضى موفق الدين بحكم وفاته .

* * *

وفى يوم العيد مستهل شوال منها أُفرج عن يلبغا السالمى (١) ، ونزل إلى بيته .

وفى يوم الاثنين الثالث منه أخرجوا إقطاع الأمير سودون الطيار وعينوا له تقدمة ألف بحلب ، وأعطوا إقطاعه للأمير (٦٧ أ) بشباى واستقر حاجبا . وكذلك خُلع على الأمير تمر الذى كان بريديا فى أيام الملك الظاهر ، ثم تولى

(١) أنظر ابن قاضى شهبة ، ورقة ١٨١ ب .

الحجوبية الثانية بحلب ثم هرب من تمرلنك وجاء إلى القاهرة ، واستقر في وظيفة المهمندارية بالديار المصرية عوضا عن الأمير ألطنبغا المهمندار ، وعينوا له إمرة طبلخاناة بحلب عوضا عن المذكور ، والله أعلم .

* * *

ذكر ما وقع من حوادث فيها حكم وعبر وركوب الأمير جكم

بتاريخ يوم الأحد الثامن من شوال منها كان ابتداؤ إثارة الفتن بين الأمراء والمماليك ، وذلك أن جماعة من المماليك الظاهرية الناصرية ممن كانوا ينتمون إلى الأمير نوروز الحافظي والأمير سودون طاز والأمير جكم العوضي ومن تبعهم مثل الأمير سودون الطيار وغيره ، اجتمعوا وهجموا على الأميرين قطلوبغا وآقباي الكركيين الخازندار في الرميلة ، وهما نازلان من القلعة ، فضربوهما ضربا مبرحا بليغا ، وشجوا رأس قطلوبغا الكركي فحمله مماليكه إلى بيته ، وهرب آقباي ، وذلك لكونهما متفقين مع الأمير يشبك الدوادار ، وكونهم قطعوا خبز سودون الطيار وشوشوا على الأمير جكم تشويشا عظيما ، فصارت الأمراء فرقتين ، مع كل فرقة منهم طائفة .

وفي ليلة الاثنين التاسع منه ركب الأمير جكم ومعه الأمير قرقماس الإينالي الرماح أمير عشرة ، والأمير قانباي رأس نوبة الذي كان قد غيب من قبل أن يدخل السلطان غزة ، ثم قدم القاهرة خفية واختفى عند أحد أصحابه وجماعة من المماليك السلطانية منهم برسبغا الدوادار وأخوه طرباي الخاصكي ويشبك العثماني ، ويشبك الساقي وسودون الجلب وغيرهم ،

فتكردسوا وجاءو ووقفوا بعد عشاء الآخر عند سبيل المؤمنى (١) ، وكان الأمير يشبك الشعبانى قد طلع عند السلطان ، وبعث طلب الأمراء فطلعوا كلهم ، منهم الأمير نوروز الحافظى الذى كان عمدة الأمير جكم وظهره الأعظم ، فلما جاءوا وقفوا قريبا من باب السلسلة ، معتقدين أن الأمير سودون طاز يساعدهم إما بنزوله إليهم أو فتحه لهم باب السلسلة ، فلم يفعل شيئا من ذلك ، وذلك لأن الأمير يشبك الدوادار أرسل إليه على لسان السلطان وقال له : « إرم على الذين ركبوا ووقفوا تحت باب السلسلة » ، فاضطر سودون طاز إلى ذلك لأجل مرسوم السلطان ، فأمر بمن يرمى عليهم بالسهام والمدافع ، فلما رآى ذلك جكم ومن معه ظنوا أن ســودون اصطلح معهم عليهم ، فأيسوا من جهته ، وأخذ حالهم إلى التلاشى والتفرق ، ثم عزموا على الخروج من القاهرة والذهاب (٢) صوب الصعيد ، فعادوا ولم يبق مع الأمير جكم إلا بعض مماليكه وقليل من مماليك السلطان ، منهم : يشبك الساقى ، وقمش الخاصكى ، وسودون وإينال الناصرى ، والأميران المذكوران ، وذهبوا تحت [جنح] الليل ، وأخذوا صوب إطفيح .

فلما أصبح صباح الاثنين شاع فى القاهرة رواح المذكورين ، ففرح بذلك ناس ، واغتم آخرون ، وكان مماليك السلطان ومماليك الأمراء كلهم

---

(١) اختلف فى كتابة اسم هذا المسجد وفى تحديده ، فجعله بعضهم «صلاة والبعض سبيلا ، ومنهم من سماه «جامع المؤمنين» ، ومهما يكن من اختلاف الأمر فإنه يقع بأول شارع السيدة عائشة بالقاهرة كما ذكر ذلك المرحوم محمد رمزى فى تعليقاته على النجوم الزاهرة ١٢/٣٢٨ حاشية رقم ٢ وقال « وبمعاينة العمارة تبين لى أنها تقع على يسار الداخل بأول شارع السيدة عائشة من جهة ميدان صلاح الدين ولم يبق منها الآن إلا المصلى وهى عبارة عن مسجد بمحـراب مبنى بالحجر النحيت ويشتمل على رواقين بثلاث بوائك ويعرف الآن بجامع الغورى » انظر نفس المرجع ١١/٥٠ حاشية رقم ١ وكذلك المراجع الواردة هناك .

(٢) فى الأصل « الذهاب على صوب الصعيد » .

لابسين إلى قريب الظهر ، ثم رسم لهم بقلع اللبوس فقلعوا ، ثم إن الأمير يشبك رسم أن يكتب كتاب الأمان عن لسان السلطان إلى الجماعة الذاهبين ، وعينوا أيضا أن يكون الأمير جكم نائب صفد والأمير قنباي نائب حماة ، والأمير قرقماس نائب ملطية ، وسودون الحاجب نائب طرسوس ، وعينوا إقطاع الأمير جكم للأمير دقماق الذى هو فى نيابة حماة :

وفى يوم الثلاثاء العاشر منه شاع فى المدينة أن الأمير جركس المصارع ترك إمرته ، ولبس[1] لبس الفقراء ونزل فى الزاوية ، وقد قيل إن ذلك حيلة منهم على أن يجمعوا الأمراء الكبار ليلة الأربعاء عند السلطان بسبب ذلك ، ثم يمسكون من كان بينه وبين جكم مودة وصحبة ، فبعثوا وراءهم وطلبوهم للمشورة ، فطلعوا واجتمعوا ، فلما تحصلوا فى القصر غلقوا أبوابه ومنعوهم من النزول فى ذلك اليوم ، والله أعلم .

* * *

ذكر نزول الأمير سودون طاز من الاصطبل وتوجهه وراء الأمير جكم ، موافقة له فيما أشار به وعزم

بتاريخ يوم الأربعاء الحادى عشر من شوال نهض الأمير سودون طاز بعد العشاء الأخيرة ، فلبس وألبس مماليكه ، وجمع كل شىء فى الإصطبل السلطانى من الخيول والبغال والسلاح وغير ذلك ونزل إلى سوق الخيل ، فوقف هنيهة ، واجتمع عنده جماعة كثيرة من المماليك ، فوقعت ضجة عظيمة فى سوق الخيل ، ودقت الكوسات ، وتخبطت القاهرة ، ثم توجهوا

---

(١) لم ترد فى ترجمته الواردة بالضوء اللامع ٣/ ٢٧٣ ما يفيد أنه لبس بالفقيرى : حيلة أو صدقا ، وراجع Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No. 800. والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٨ .

إلى صوب بركة الحبش ، وفى ذلك الوقت جهز نجابا إلى الأمير جكم يعلمه بما جرى ، ونزل هو عند بركة الحبش ، فضربت له خيمة هناك فوصل النجاب إلى الأمير جكم وأعلمه بصورة الحال ، ووجده قد عاد بمن معه طالبين القاهرة ، فلما أصبح يوم الأربعاء الحادى عشر منه وصلوا إلى مخيم الأمير سودون طاز ، فقاموا وتعانقوا ، وصاروا حزبا واحدا :

ثم إن الأمير يشبك [الشعبانى الدوادار] أخذ السلطان والأمراء معه ، ونزل بهم إلى باب السلسلة وقعدوا فى المقعد ، فقامت طائفة من المماليك فصاحوا على يشبك وقالوا : «نحن كلنا طائعون للسلطان ، ولا أحد من الأمراء ولا من المماليك عاصى ، وإنما وقعت الفتنة من أجلك ، فإن قدرت على الملاقاة مع غرمائك فانهض وانزل ولاقيهم ، وإلا اجتمعنا كلنا ورحنا إليهم » ، فلما سمع منهم ذلك أخذه الخوف والجزع والقلق ، وأطلق(١) الأمراء الذين عوقهم ، ثم اجتمع رأيهم على أن يبعثوا سودون الماردانى رأس نوبة كبيرا والمعلم ناصر الدين الرماح إلى سودون طاز لأجل الصلح ، فذهبا إليه وأخبراه بما اتفقوا عليه فلم يجب إلى ذلك ، وأظهر سيف المهالك ، ثم بعثوا الأمير نوروز الحافظى ، والقاضى ناصر الدين الصالحى ، فلما جاء إليهم قاموا إليه وتعانقوا وتصافحوا ، وكان عندهم هناك زهاء عشرة آلاف نفس رجالا ونساء وصبيانا ، فلما سمعت العامة بالصلح صاحوا : «لا تصطلحوا ! » فعوقوا الأمير نوروز عندهم ، وأطلقوا القاضى الشافعى وحده ، فلما جاء القاضى الشافعى وأخبره بذلك أيسوا من الصلح وتحققوا القتال ، فعند ذلك قالت المماليك السلطانية ليشبك : « قم انزل ولاق غرماءك ، فالذى يركب البحر

(١) فى الأصل « وانطلق » .

ما يخاف من الموج » فقام ونزل إلى بيته ثم طلع إلى السلطان ، واستمر يطلع وينزل ويتقدم ويتأخر ، ولما أراد الطلوع إلى السلطان رابع مرة منعه المماليك، وردوا فى وجهه باب السلسلة، فاضطر إلى أن وقف فى سوق الخيل ؛

* * *

ذكر اصطفاف الفريقين وتلاقيهم وانهزام الأمير يشبك

لما وقف الأمير يشبك ومعه الأمير جركس المصارع والأمير أقباى والأمير قطلوبغا الكركيان ومماليكهم ومن يلوذ بهم ، اصطفوا من الأشرفية إلى بيت شيخو ، ووقف الأمير سودون طاز والأمير جكم والأمير نوروز ومماليكهم ومن يلوذ بهم من عند سبيل المؤمنى إلى سويقة المنعم ، ووقفت مماليك السلطان من عند باب السلسلة إلى سبيل المؤمنى أمام سور الإصطبل ولم يختلطوا بالفريقين ، فلما كان بين الصلاتين من يوم الأربعاء المذكور تراص الفريقان وتصافقت الفئتان، وكل منهم أضرموا أسنتهم ، وأطلقوا أعنتهم ، فدكسوا بعد أن تكردسوا (٦٧ ب) ، وصاحوا صيحة تشبه صيحة الصور، حين يبعث الناس إلى يوم النشور، فحملت الطازية والحكمية حملة شجعان الإنس ، وخرجوا كخروج السهم من القوس، فنزلوا عليهم كنزول الباز على صيده، ونهضوا كانتهاض الأسير من قيده ، فما ثبتت اليشبكية فلكة مغزل إلا وقد ولوا مدبرين، وحطم بعضهم على البعض هاربين ، فركب الطازية والحكمية أقفيتهم، وأخذوا أزياقهم وأقبيتهم، إلى أن وصلوا إلى سويقة العزى، وفرقوهم وتفرقوا شغر بغر ، ودخلت العوام بيت الأمير يشبك وقطلوبغا [الكركى] فنهبوا كل شىء فيهما ، وانحلت الحرب فى أقرب ساعة ؛

* * *

فأما الأمير يشبك فإنه لما دخل بيته حين ولّى خرج من باب السر ، ومعه جماعة يسيرة وأخذوا طريق الهلالية ، وأما جركس وقطلوبغا فقيل إنهما اختفيا ، وأما أقباى الخازندار فإنه طلع عند السلطان وبات تلك الليلة عنده ، فلما أصبح يوم الخميس الثانى عشر منه نزل إلى بيته ، ثم إن سودون طاز والأمير جكم والأمير نوروز طلعوا عند السلطان وقبلوا يده ، وخلع السلطان على سودون طاز ، ونزل فى باب السلسلة على عادته ، واستمر فى وظيفته ، وطلع الأمير نوروز مع السلطان إلى القصر ، ونزل الأمير جكم إلى بيته ، وتفرقت الناس وزال الشك :

* * *

ذكر مسك الأمراء الهاربين وتسييرهم إلى إسكندرية واعتقالهم فيها

بتاريخ يوم الخميس الثانى عشر من شوال منها ركب الأمير جكم ومعه مماليك كثيرة وجاءوا إلى بيت الأمير آقباى الخازندار بالشارع الأعظم ، وهجموا عليه ، فمسكوه فى بيته لما سمعوا أنه اهتم بالركوب قبل الهروب ، وطلعوا به عند سودون طاز ، وكذلك مسكوا قطلوبغا الكركى عند بيته عند جامع قوصون ، وطلعوا به عند سودون طاز أيضا ، وكان الذى مسكه الأمير تمربغا المشطوب : وفى يوم الجمعة الثالث عشر منه مسكوا جركس المصارع وطلعوا به عند سودون طاز أيضا.

وفى ليلة السبت رابع عشره سفّروا هؤلاء المذكورين وهم : قطلوبغا وآقباى وجركس إلى إسكندرية للاعتقال بها صحبة الأمير نكباى[1] الأزدمرى أحد الطبلخاناة :

(١) ترقى نكباى فى الخدم السلطانية حتى شغل الحجوبية الكبرى بدمشق ونيابة حماة وطرسوس ، انظر عنه الضوء اللامع ١٠/٨٦٧ .

وفى ليلة الاثنين السادس عشر منه وُجد الأمير يشبك فى القرافة فى تربة (١) الست سمرا ، وقدم عليه شخص من الفقهاء وأخبر بذلك ، فعند ذلك توجه الأمير جكم صحبة مماليكه وبعض إخوته بعد عشاء الأخيرة وأحاطوا بالتربة فخاف الأمير يشبك وأراد أن ينزل من زرب السطح إلى زرب آخــر ، فوقع على قفاه فجُرح فى رأسه وجبهته وساعده ، فمسكوه وأركبوه فرسا ، وأتوا به إلى بيت نوروز الحافظى ، فأقام عنده تلك الليلة ونهار الاثنين ، فطلب مباشريه وكتب ماله وما عليه ، ثم سُفر إلى ثغر الإسكندرية للاعتقال بعد النصف الآخر من ليلة الثلاثاء السابع عشر منه صحبة جماعة من الخاصكية .

* * *

وفى اليوم المذكور خُلع على الأمير دقماق ، واستقر نائبا بصفد كما كان أولا ، والله تعالى أعلم بالصواب .

* * *

ذكر من أنعم عليه بالوظائف والإقطاعات

بتاريخ يوم الخميس التاسع عشر من شوال خُلع على الأمير جكم العوضى واستقر دوادارا كبيرا للملك الناصر فرج بن السلطان الملك الظاهر برقوق ، عوضا عن الأمير يشبك الشعبانى بحكم مسكه واعتقاله بسكندرية ، وكذلك

(١) قال أبو المحاسن عن المكان الذى كان مختفيا فيه إنه « تربة بالقرافة » ، وقد قارن المرحوم محمد رمزى ذلك فى النجوم الزاهرة (الطبعة المصرية) ٢٧٦/١٢ حاشية رقم ١ بما جاء فى ابن إياس ٣٢٩/١ فقال « إنه أمسـك من تربة خوند سمرا إلى اتجاه باب جامع قوصون خارج باب القرافة » وعلق على ذلك بأن نص ابن إياس هـذا كان سببا فى التعريف بأثر من أهم آثار القرافة الصغرى تحت القلعة وهو مسجل ضمن الآثار العربية تحت رقمى ٢٨٨ ، ٢٨٩ باسم التربة السلطانية ؛ هذا ويلاحظ أن نص الصيرفى أقدم فى كتابته من نص ابن إياس لذلك نرجح أن يكون ابن إياس قد أخذ هذا عن الصيرفى .

أخلع على الأمير سودون من زاده رأس نوبة ، واستقر خازندارا عوضا عن الأمير آقباى بحكم مسكه ، وكذلك أخلع على الأمير أرغون أحد الطبلخاناه . واستقر شاد الشراب خاناه ، عوضا عن قطلوبغا الكركى بحكم مسكه ؛

وفى اليوم المذكور خرج المحمل الشريف متوجها إلى الحجاز صحبة الأمير قطلوبغا أستادار أيتمش ؛

وفى يوم الجمعة العشرين من شوال عَقد الملك الناصر على بنت الأمير بلاط[(١)] السعدى ، وحضر العقد القضاة الثلاثة وهم : القاضى ناصر الدين ابن الصالحى الشافعى ، والقاضى أمين الدين بن الطرابلسى الحنفى ، والقاضى مجد الدين سالم الحنبلى وخلع عليهم ، ولم يحضر القاضى ولى الدين بن خلدون المالكى المغربى ؛

وفى يوم السبت الحادى والعشرين منه رُسم بتجهيز خلعة للأمير أرسطاى نائب إسكندرية باستقراره على عادته ، وذلك لأنه كان قد عزل قبل الوقعة كما ذكرناه ؛

وبالتاريخ المذكور رسم بكتابة توقيع باستقرار قاضى القضاة شمس الدين الإخنائى فى القضاء بدمشق[(٢)] ، عوضا عن القاضى علاء الدين بن أبى البقاء

(١) كان بلاط السعدى هذا طبلخاناه فى أيام الظاهر برقوق ومات سنة ٨٠٨ بطالا ، انظر عنه النجوم الزاهرة ٢٧٨/٦ ، والضوء اللامع ٨٣/٣ .

(٢) الوارد فى قضاة دمشق لابن طولون ، ص ١٢٥ أنه كان قد عزل عن قضاء دمشق فى سنة ٨٠١ ثم أعيد فى ذى القعدة من سنة ٨٠٣ وليس فى الحادى والعشرين من شهر شوال كما هو وارد فى المتن أعلاه ، على أن الضوء اللامع ٣٤٩/٩ خلا من تحديد التاريخ ولكنه أشار إلى ماجاء فى إنباء الغمر من أن ابن حجر لقيه بدمشق وإن كنا لانعرف فى أى شهر كان ذلك ؛ هذا وقد شغل الإخنائى منصب قاضى القضاة الشافعية فى كل من مصر الشام مدة مرات ، وكانت وفاته سنة ٨١٦ ، كما أنه دفن بتربته المعروفة بالإخنائية . ويلاحظ أن النعيمى فى الدارس فى تاريخ المدارس ١/١١-١٢ فى كلامه عن دار القرآن الرشائية أشار إلى أنها ربما كانت هى « الإخنائية التى أنشأها قاضى القضاة بدمشق شمس الدين محمد بن القاضى تاج الدين محمد الإخنائى الشافعى ودفن فيها فى شهر رجب سنة عشر وثمانمائة » .

بحكم عزله بسفارة تغرى بردى نائب الشام ، وكذلك استقر فى قضاء القضاة الشافعية بطرابلس القاضى جمال الدين يوسف الشافعى ، عوضا عن القاضى شرف الدين مسعود بحكم عزله ، وكذلك استقر القاضى ناصر الدين ابن القاضى كمال الدين المعرى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب ، عوضا عن القاضى شرف الدين بحكم وفاته ؛

وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين منه خُلع على الأمير دمرداش الإلجاى ، واستقر حاجبا ثانيا بدمشق ؛

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين منه خرجت مثالات شريفة بتقادم ألوف لثلاثة نفر وهم: سودون الطيار أميرآخور ثانى ، فخرج له مثال شريف بتقدمة ألف على إقطاع الأمير جكم بحكم استقراره على إقطاع يشبك الشعبانى ، والأمير تمربغا المشطوب خرج له مثال شريف بتقدمة ألف على إقطاع قطلوبغا الكركى ، والأمير قنباى خرج له مثال بتقدمة ألف على إقطاع آقباى الكركى ، واستقر الأمير سودون من زاده على إمرة خمسين فارسا ، واستقر الأمير قرقماس الإينالى أحد الأمراء العشرات على إقطاع طبلخاناة التى كانت باسم تمربغا المشطوب ، وأنعم على الأمير يشبك بن أزدمر بإمرة عشرة ؛

وفى هذا اليوم خُلع على الأمير يونس الحافظى الذى كان حاجب الحجاب بحلب ، واستقر فى نيابة حماة ، وخلع على الأمير ناصر الدين ابن الطبلاوى ، واستقر والى القاهرة على عادته من غير حجوبية ، عوضا عن تاج الدين رزق الله بن نقولا ، وخُلع على الأمير تمر البريدى ، واستقر حاجبا ثانيا بحلب على عادته ، وكذلك استقر الأمير ناصر الدين محمد بن شهرى (١) نائب

(١) فى الأصل « الشهرى » .

البيرة المعروف بصر وسيدى حاجب الحجاب بحلب بحكم شغورالمحجوبية عن يونس الحافظى :

وفى يوم الاثنين سلخ شوال خلع على الأمير جكم الدوادار ، واستقر فى نظار الأحباس ، وكذلك خلع على الأمير ... ... (١) ، واستقر كاشفا بالبحيرة :

وفيه أيضا برز المرسوم الشريف بمسك يلبغا السالمى ، فدخل عليه الأمير شهاب الدين أحمد مشد الدواوين ، فمسكه وأتى به إلى بيته فعاقبه وعصره ، وكذلك مسك فى هذا اليوم تاج الدين رزق الله بن نقولا (٦٨ أ) متولى القاهرة المعــزول :

وفى يوم السبت الخامس من ذى القعدة منها خُلع على القاضى بدر الدين حسن الشرفى الشهير بابن المرضعة ، واســتقر على عادته ناظر الأحباس بالديار المصرية ، عوضا عن ناصر الدين بن السفاح الحلبى بحكم عزله :

وفى ليلة الجمعة العاشر منها زفت إلى السلطان الملك الناصر بنت بلاط السعدى ، وفرّق السلطان فى تلك الليلة مائة خلعة ، وستين شــقة ، وثلاثة آلاف دينار :

وفى يوم الثلاثاء الرابع عشر منها أُفرج عن يلبغا السالمى :

وفى يوم الخميس السادس عشر منها قدم الأمير سودون الظريف الذى كان أتابكا بحلب وأسيرا عنــد تمرلنك فى وقعة حلب ، وذهب معه إلى أن عدى إلى ماردين ، فهرب والتجأ لصاحب ماردين الملك الظاهر مجد الدين عيسى الأرتقى ، فأرسله إلى السلطان الملك الناصر صحبة قاصده .

(١) فراغ فى الأصل بقدر كلمتين .

وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين منها اجتمعت الأمراء وغالب مماليك السلطان عند الأمير نوروز الحافظى بسبب ما وقع بينهم بسبب الفتنة حتّى انقطع غالب الأمراء عن الخدمة وحلّفو المماليك الذين اتّهموا بالفتنة على أنهم لا يخونون أحدا ولا يثيرون الفتنة ولا يتفقون على الضلالة :

وفى يوم السبت السادس والعشرين منها عَوق المماليك القاضى سعد الدين ابن غراب فى القلعة ، وشوشوا عليه :

وفى يوم السبت الرابع من ذى الحجة عدّى القاضى سعد الدين بن غراب إلى ذاك البر من النيل بسبب رؤية الأغنام للأضحية ، ثم غُيب من هنالك ومعه أخوه الوزير فخر الدين ، ثم ظهر (١) أنه وصل إلى البحيرة وأقام بها .

---

(١) تشير النجوم الزاهرة ٦/٩١ إلى أن مشايخ تروجـة بعثوا إلى السلطان فرج بكتاب وصله يوم ٩ ذى الحجة يتضمن «قدوم سعد الدين بن غراب عليهم ومعه مثال سلطانى باستخراج الأموال» ، والظاهر من كلام أبى المحاسن هذا وما يليه أن ابن غراب كان يدبر خطة لإخراج يشبك الشعبانى ومن معه من سجن الاسكندرية مستعينا فى ذلك بعرب تروجة ، فلما وقف السلطان على ذلك كتب مثالا سلطانيا بالقبض على ابن غراب . أما تروجة فن البلاد المصرية القديمة أشـار القاموس الجغرافى ، قسم أول ص ١٩٠ إلى أنها أن اندثرت وأن مكانها اليوم كوم تروجة بناحية زاوية صقر بمركز أبو المطامير بمحافظة البحيرة ، وقال عنها ياقوت فى المعجم إنها قرية من كور البحيرة وقيل اسمها ترنجة .

أما العرب الذين كانو ينزلونها فهم عرب لبيد الذين كانت مساكنهم ببلاد برقة ، انظر القلقشندى نهاية الأرب فى معرفة أنساب العـرب ، ص ٤١٠ ، على أن المؤلف ذاته أشار فى كتابه قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ص ١٧٥ أن عرب لبيد بن مسلم – وهم من العرب المستعربة أن السلطان الملك المؤيد شيخ أنزلهم فى سنة ٨١٨ –أى بعد التاريخ الذى يشير إليه المؤلف فى المتن بخمس عشرة سنة فى الناحية التى يسكنها عرب البحيرة من زنارة وغيرها ، وكان ذلك فى المنطقة الممتدة فيما بين الإسكندرية والعقبة الكبيرة ببرقة .

وفى[(١)] يوم الاثنين السادس منه خلع على الأمير ناصر الدين بن سنقر أستادار الذخيرة ، واستقر أستادار العالية ، عوضا عن سعد الدين بن غراب بحكم غيبته .

وفى يوم الثلاثاء السابع منها خُلع على الصاحب علم الدين يحيى ، واستقر ناظر الخاص مضافا إلى ما بيده من الوزارة ، وكذلك خُلع على القاضى تاج الدين بن بنت الملكى ، واستقر ناظر الجيوش عوضا عن سعد الدين .

وفى يوم الاثنين الثالث عشر منها خُلع على بهاء الدين رسلان نقيب الجيش ، واستقر حاجبا ، مضافا لما بيده من نقابة الجيش ، وكذلك خلع على الأمير قرا تمر واستقر نائبا بالرحبة .

وفى يوم الخميس الخامس عشر منها خلع على ناصر الدين بن الطبلاوى متولى القاهرة والى القرافة مضافا إلى ما بيده .

وفى هذا اليوم حضرت رسل من عند ابن يزيد بن مراد بن عثمان صاحب الروم ، وهم جماعة كثيرة وكبيرهم شخص يقال له أمير أحمد ، وكان من الأمراء الأكابر عند ابن يزيد ، فتلقته الحجاب والمهمندارية وأنزلوه فى بيت أمير قشتمر المنصورى بباب البرقية .

---

(١) ربما كان ابن قاضى شهبة فى تاريخه الأعلام ، ورقة ١٨٣ ب ، أوضح من الصيرفى هنا ، إذ يقول إنه فى العشر الأول من ذى الحجة اختفى الأستادار ابن غراب وأخوه فخر الدين وجمال الدين ابن قطينة فلم يدر أحد أين ذهبوا وكان المماليك قد قاموا عليه (أى على ابن غراب) وطلبوا منه مالا ، فاستقر الأمير ناصر الدين سنقر فى الأستادارية ورسم له بإقطاع سعد الدين بن غراب ، وأضيف نظر الخاص إلى الصاحب علم الدين أبوكم الوزير ، واستقر سعد الدين أبو الفرج سبط الصاحب تاج الدين الملكى فى نظر الجيش عوضا عن ابن غراب .

وفي يوم الأحد التاسع عشر منها خُلع على ناصر الدين محمد صهر الأمير بهاء الدين رسلان الحاجب، واستقر نقيب الجيوش المنصورة، عوضا عن بهاء الدين المذكور بحكم انتقاله إلى الحجوبية.

وفي يوم الاثنين العشرين منها حضر القاضي سعد الدين بن غراب بالأمان، وأُنزل عند الأمير سودون طاز (١).

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين منها خُلع على القاضي سعد الدين ابن غراب، واستقر في جميع وظائفه التي كانت بيده، وهي: نظر الجيش ونظر الخاص وأستادار الأستادارية.

وفيها حج بالناس — أعني بالركب المصري — الأمير قطلوبك أستادار أيتمش، وكان أمير الركب الأول جمق رأس نوبة. ولم يحج أحد من طريق الشام ولا من العراق بسبب تخريب تمرلنك بلادهما.

وكانت هذه السنة شديدة على الحجاج، فمات خلق كثير من المغاربة وغيرهم، بعضهم من العطش، وبعضهم من القتال مع العرب.

* * *

ذكر من توفي فيها من الأعيان

٣٣٨– الشيخ يوسف بن الشيخ الإمام القاضي شرف الدين موسى ابن بدر الدين محمد الخرتبرتي (٢) ثم الحلبي الشهير بجمال الدين الملطي، كان عالما فاضلا محققا، وكانت له يد طولى في الفقه وأصول الفقه، وكان

(١) يرجع الفضل في حصول ابن غراب على هذا الأمان إلى كتب شيوخ تروجة، راجع ذلك بالتفصيل منذ يوم ٢٠ ذى الحجة حتى ٢٣ منه في النجوم الزاهرة ٦/٩٢ وانظر أيضا ماسبق ص ١١٧، وحاشية رقم ١ بها.

(٢) انظر الطباخ: إعلام النبلاء ٥/٣٣.

مستحضرا للفروع غاية الاستحضار، متصديا للإفتاء فى المعضلات طــول أيامه، كان قد قدم من بلاده إلى مصر وأقام فيها مدة يشتغل بالعلوم الشرعية، فأخذ عن قوام الدين الأتوارى[1] الفارابى شارح الهداية، وعن أرشد الدين السرائى وأنظارهما، وأخذ النحو عن جمال الدين أبى محمد عبد الله بن يوسف ابن أحمد بن هشام النحوى الحنبلى، وعن الشيخ بهاء الدين أبى محمد عبد الله ابن عبد الرحمن بن عقيل المصرى الشافعى، أدرك الشيخَ الإمامَ العلامة أبا على حسن بن قاسم بن عبد الله بن على المرادى المـــالكى، وكتب شرحه على « التسهيل » بخطه وصحّحه كما ينبغى، ثم انتقل منها إلى مدينة حلب، وأقبل أهلها عليه إقبالا عظيما، وتصدى فيها لإشغال الناس والتدريس والإفتاء حتى صار هو المشار إليه فى البلاد الحلبية، وعظم قدره عند ملوكها، وتولى جملة من المدارس، ورزق مالا جزيلا، ولم يزل على ذلك إلى أن طلبه السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق إلى الديار المصرية لأجل قضاء القضاة الحنفية فقدم مصر فى سنة [ثمانمائة] ونزل عنــد كاتب السر الشريف القـــاضى شمس الدين السيرامى وأقام عنده مدة يسيرة، ثم خُلع عليه [بقضاء الحنفية]، واستمر قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن القاضى شمس الدين الطرابلسى بحكم وفاته، ثم تولى مشيخة مدرسة صرغتمش، وخُلع عليــه فى سنة [إحدى وثمانمائة] عوضا عن القاضى بدر الدين الكلستانى السرائى كاتب السر الشريف، ولم يزل فى حكم وإفتاء وتدريس إلى أن أدركته المنية

---

(١) فى الأصل « اترارى » والصحيح ما أثبتناه بالمتن وهى منسوبة إلى « اتوار » المدينة الواقعة على ضفة نهر سيحون الشرقية وكانت تعرف قديمـا بباراب أو ماراب وهى التى مات بها تيمـورلنك، انظر بلدان الخلافة الشرقية ٥٢٨ راجع أيضا Cf. Popper (in) Al Nujum-Al Zahira, (Index) Vol. VI, p. 152, note 1.

فى هذه السنة يوم الأحد الثامن عشر من ربيع الآخرة بالقاهرة ، ودُفن خارج باب النصر ، وعُمره قد ناهز ثمانين سنة ، وكان رجلا عالمـا ظريفا لطيفا خفيفا جميل الصورة ، حسن اللحية ، وقامته إلى القصر أقرب ، وجمع من الأموال شيئا كثيرا ، وأكثرها انتُهب بحلب فى وقعة تمرلنك ، وكان عنده بعض شح وطمع ، وبعض تغفل ، رحمه الله .

وهو أحد مشايخ القاضى بدر الدين محمود العينى ، وهو من جملة مَن أجازه بالإفتاء والتدريس ، وكتب له عبارة عظيمة نقلتُها من تاريخ البـدر (١) العينى ما صورته : « الحمد لله المعطى المنان ، والصلاة (٦٨ ب) والسلام على رسوله الذى أوتى سبعا من المثانى والقرآن ، وعلى آله وصحبه صـفوة صفاء أهل الإيمان ، وعلى متبعيه ومحيّي شرائعه فى كل زمان ، وبعد يقول العبد الفقير إلى فضل ربه الأحد ، يوسف بن محمد ، لمـا نسخ لى أقبـاى الولد ، الأعز الأنجب الأكمل الأفضل الأمجد ، افتخار الفقهاء وفخر المدرسين زين العلماء بدر الإسلام والمسلمين ، محمود بن المرحوم الشيخ العالم القاضى شهاب الدين أحمد الحنفى ، عامله الله ووالده باللطف الخفى ، فى العلوم الشرعية ، والصناعة الأدبية ، حتى كان بين أقرانه كالبدر بين النجوم ، وامتـاز عن أهل زمانه بالتجلى بأنواع العلوم ، وكأنى به وقد برع بصفاء ذهنه وقـوة قريحته فى أساليب العلوم والفضائل ، وتوشح بأكرم الأخلاق والوسائل ، صانه الله عن المكاره والرذائل ، أطلقت له فى الإفتاء ، وإبانة الرشد عن مداحض الأهواء ، فمن رجع إليه فيما أشكل عليه من الأحكام ، أو استعجم عليه من الحلال والحرام ، رجع إلى هادٍ يرشده إلى الصواب ، ويحجزه عن

(١) خلت نسخة عقد الجمان من هذه الإجازة .

الوقوع فى مظان الارتياب ، والمأمول منه أن لا يتخطى أقوال السلف ، وأن يجعل التقوى فى سلوكه زادا ، والنظر فى فتاوى السلف عمادا ، وأن لا ينسى المطلق المجيز فى دعائه فى مصان إجابته ، جعله الله إماما تسعد به المنابر والمدارس ، وتفتخر به المناصب والمجالس ، وتمتد إليه أعناق الآمال ، ويُشد من كل أوب إليه الرحال . وأما كتاب «المستجمع فى شرح المجمع» فقد وقع موقع القبول لما رآه مرتبا بأدلة المنقول والمعقول ، جامعا للفروع والأصول ، وهو كتاب كافٍ للمهتدى ، شاف للمنتهى ، مفيدٌ لمن له همة عليّة لاستحضار الأدلة ، سهل لحفظه كون حجمه فى غاية القلة ، نفع الله تعالى به كل ناظر ينظر فيه بعين الانتصاف ، ويترك جانب الاعتساف ، وصان جامعه عن عين الكمال ، ويقوى همته ويزيد اجتهاده على الاشتغال والأشغال ، وكونه محسودا دلالة كونه مسعودا ، قال الشاعر :

[قد] يحسدونى وشرُّ الناس منزلة   من عاش فى الناس يوما غير محسود

فعليه أن يدفعهم بالتى هى أحسن كما أمر الله تعالى فى كتابه بقوله : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وما يُلَقَّاها إلا الذين صبروا وما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (١) . وليكن النظر فى وصية الإمام الأعظم أبى حنيفة — رضى الله عنه — وأرضاه ، ليوسف بن خالد الشمبتى حين خروجه إلى البصرة فى معاشرة أهلها بما نصحه ووعظه ، وملاك ذلك حسن المعاشرة مع الإخوان ، والمداراة والاجتماع معهم ، وتوقير أهل العلم ، وتعظيم الشيوخ ، وملاطفة الأحداث ، والتغافل عن زلات القوم ، والصحبة مع الأخيار ، ومجانبة الأشرار ، وكتمان الأسرار ، وسعة الصدور ، وحسن الخلق

(١) سورة فصلت ٤١ : ٣٤ — ٣٥ .

مع العامة، وقلة الكلام والمجادلة مع الخاصة، ومجازاة السيئة بالحسنة، وإفشاء السلام ولو على اللئام، ومجانبة الغدر، واستعمال الصدق فى الأفعال والأقوال، والاعتصام بالتقوى فى كل حال، فإذا وُفق لمـا ذكرناه يصير له الأجانب أقارب، والأعداء أصدقاء، وأصبح وعظا للناس بقوله وفعله، فانتفـع الناس بعمله وسيرته، وأصبح محبوبا مشكورا، وأمسى محمودا مذكورا، والوصيةُ كثيرة وهو بها من العارفين، ولكنها هى ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين، جعلنى الله تعـالى وإياه من الفـائزين المطمئنين، «الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون» فى الدارين برحمته وكرمه وفضله، فإنه أرحم الراحمين، وصلى [الله] على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا. حرره فى حادى عشر صفر، ختم بالخير والظفر، سنة ست وثمانين وسبعمائة».

٣٣٩ ــ الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل بن يحيى، العبطينى مولدا، الحلبى محتدا، المصرى دارا، الملقب ناصر الدين أغا، كان رجلا فاضلا، مشتغلا بالعلوم الكثيرة، مجتهدا فى تحصيلها، حصّل كتبا كثيرة، وتردد إلى مشايخ كثيرين وحضر دروسهم، وكتب ودرّس وأفنى عمره، وكان يحسن إلى الطلبة كثيرا، وكان فى نفسه رجلا جيدا متواضعا، وكان يلبس لبس الأجناد، وكانت له حرمة وافرة فى أيام الأمير منكلى بغا الشمسى فى الدولة الأشرفية، وتولى النظر على المـارستان المنصورى وغيره، ولم يزل دأبه فى الاشتغـال بالعلوم الشريفة إلى أن سافر فى صحبة السلطان الملك الناصر فرج بن السلطان الملك الظاهر أبى سعيد برقوق إلى الشام لأجل محاربة تمرلنك فى سنة ثلاث وثمانمائة، عوضا عن القاضي جمال الدين يوسف قاضى القضاة الحنفية الملطى

بسبب ضعفه وانقطاعه عن السفر ، ولمـا وقعت الكسرة على المسلمين فُقد فيمن فُقد مع المسلمين ، ولم يدر حاله كيف كانت ، والله أعلم .

٣٤٠ – وقيل : مات فى هذه السنة قاضى القضاة بدر الدين محمـد ابن [أبى البقاء محمد بن عبد البر الخزرجى السبكى] (١) الشافعى ، توفى يـوم السبت السابع عشر من ربيع الآخر وهو معزول ، ودُفن بالقرافة ، وكان رجلا فاضلا ، ذا صورة جميلة ، وحشمة زائدة ، ورياسة نامية ، تـولى القضاء بالشام ومصر مرارا عديدة .

٣٤١ – قاضى القضاة نور الدين على بن الجلال (٢) المالكى ، توفى فى أوائل جمادى الأولى ، ودفن فى أرض اللجون ، وكان على جناح السفر مع السلطان الملك الناصر وهم ذاهبون إلى دمشق لأجل محاربة تمرلنك ، وكان قد زاد عمره على سبعين سنة ، وكان مستحضراً لفروع الإمام مالك ، عارفا بصناعة المكاتيب ، وأقام يباشر النيابات عن القضاة المـالكية مدة طويلة ، ثم تولى قضاء القضاة فى التاريخ المذكور ، واستمر على ذلك إلى أن توفى فى التاريخ المذكور أيضا .

٣٤٢ – قاضى القضاة موفق الدين محمد بن قاضى القضاة نصر الله الحنبلى الحاكم بالديار المصرية ، توفى يوم الاثنين الحادى عشر من رمضان منهـا ،

---

(١) الإضافة من السـلوك ، ورقة ١٠٨ أ ، والاعـلام لابن قاضى شهبة ورقة ١٩٠ أ ، لكنه فى شذرات الذهب ٧/٣٧ « محمد بن محمد بن عبد البر بن يحيى من تمام السبكى » وهى الأرجح ، وفى النجوم الزاهرة ٦/٥٢ « ابن أبى البقا » يعنى « السبكى » ، وقد جعل وفاته يوم ٢٧ ربيع الآخر .

(٢) فى الأصـل « الخـلال » وكذلك فى عقد الجمان ، راجع ابن شهبة : الأعلام ، ورقة ١٩٠ أ ، والنجوم الزاهرة ٦/١٥٢ ، وشذرات الذهب ٧/٣٢ ، والضوء اللامع ٦/١٥٦ حيث ذكر أن الجلال لقب أبيـه أما جده فكان يعرف بابن نصر ، انظر ترجمته أيضا فى ذيل رفع الإصر ، ص ١٩٦ – ١٩٧ ، السلوك ، ١٠٧ ب .

ودُفن من غده يوم الثلاثاء، وكان رجلا حليما، ذا تواضع ومسكنة، ولكنه كان قليل العلم ؟

٣٤٣ — قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم التاذلى[1] المالكى، الحاكم بالديار الشامية ، توفى فى جمادى الأولى من جراحته فى وقعة تمرلنك ؟

٣٤٤ — قاضى القضاة علاء الدين على الشهير بابن مفلح الحنبلى، الحاكم بالديار الشامية، توفى بقرية دِيماس[2] من قرى دمشق فى شعبان منها من أثر الكى الذى كواه به ناس من التمرلنكية لما خرج إلى تمرلنك بسبب شفاعته فى أهل الشام ، وكان رجلا جيدا عفيفا ، مقبولا بين الناس ؟

---

(١) « الشاذلى » فى الأصل وكذلك فى السلوك ورقة ١٠٩ أ ، وتاريخ ابن قاضى شهبة ورقة ١٨٤ أ، ولكنه التادلى فقد نص عقد الجمان ، لوحة ١٦٠ ، س ١٠ على أنه بالتاء المثناة ، وهو منسوب إلى « تادلة » من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان كما جاء فى مراصد الاطلاع ١/٢٤٨، و ياقوت ١/١٨٠ ط . طهران حيث ضبطها بفتح الدال واللام ، وقال إنها قرب تلمسان وفاس ، انظر أيضا شذرات الذهب ٧/٢٢ ، كما جاء فى عقد الجمان ١/٥٦ تادلا بكسر الدال مدينة بين جبال صنهاجة وفى غربيها جبل درن ممتد إلى البحر المحيط ، وتادلا بين مراكش وبين أعمال فاس من الغرب الأقصى ، ولها عمل جليل ورعيتها بربر يعرفون بجراوة »

(٢) عرف ياقوت ٢/٧١٢ ومراصد الاطلاع ٢/٥٨١ « ديماس بأنه موضع عال فى وسط عسقلان قرب الجامع ، و يظهر أنه مكان غير المقصود هنا بالمتن ، كما أنه لم يرد لهذه القرية ذكر فى ديسو فى هذه الناحية ولكنه أوردها فى Topograhie Historique de la syrie, Cart No III, D, 3 وقال إنها قرب الحسينية وليست قريبة جدا من دمشق كما هو مذكور بالمتن ، وإلى الجنوب منها خان ديماس ، هذا ولم يرد ذكر لديماس فى الدارس فى تاريخ المدارس إلا فى ج ٢ ص ٣٢٧ حيث قال إنه يوجد « مسجد فى الديماس عنده عمود مخلق لطيف » . انظر أيضا : Le Strange : Palestine Under the Moslems, pp. 368, 438.

٣٤٥ ـ قاضى القضاة بدرالدين محمد [بن محمد(١) بن مقلد] الشهير بالقدسى الحنفى ، الحاكم بالديار الشامية ، توفى بالرملة فى أوائل ربيع الآخر وهو ذاهبٌ إلى الشام من مصر على تولية القضاء ، وكان رجلا فاضلا ذكيا ، اشتغل (٦٩ أ) على مشايخ كثيرة ، وكان عمره حين توفى قارب ستين سنة :

٣٤٦ ـ قاضى القضاة شرف الدين موسى(٢) [بن محمد بن محمد بن أبى بكر ابن جمعة] المحدث الشافعى الحاكم بالديار الحلبية ، توفى رمضان منها ، وكان رجلا جيدا ، دمثا عفيفا ، ذا ضبط فى الحديث وأسماء الرجال :

٣٤٧ ـ القاضى ناصر الدين محمد التروجى المالكى أحد نواب المالكية بالديار المصرية ، توفى يوم الأربعاء الثالث والعشرين من صفر منها .

٣٤٨ ـ القاضى تقى الدين ابن أخت الشيخ جمال الدين الإسنوى ، توفى يوم السبت الثالث من ربيع الآخرة :

٣٤٩ ـ القاضى شمس الدين محمد [بن محمد] بن مكين المالكى ، مدرس المالكية بالمدرسة السلطانية الظاهرية وأحد نواب المالكية ، توفى يوم السبت الثالث(٣) من ربيع الآخرة منها ، وكان رجلا فاضلا جيدا ، دينا ذا وقار وسكون :

٣٥٠ ـ وكذلك توفى فى هذا التاريخ القاضى سعد الدين بن قارورة :

---

(١) الإضافة من النجوم الزاهرة ٦/١٥٢ ، وذكر أن وفاته كانت فى ربيع الأول وأنها كانت بغزة ، وهذا هو نقس الوارد فى شذرات الذهب ٧/٣٧ ، وورد فى قضاة دمشق ، ص ٢٠٣ ، أنه مات بالرملة ، انظر أيضا السلوك ١٠٨ ب .

(٢) انظر الطباخ : إعلام النبلاء ٥/١٢٥ .

(٣) اختلفت المصادر فى أى الربيعين كانت وفاته ، فهو فى ربيع الآخر فى كل من السلوك ١٠٨ أ ، وشذرات الذهب ٧/٣٧ ، وإن جعل الأول وفاته يوم ٢٢ منه ، والثانى فى «عشرينه» ، وهو فى ربيع الأول فى الضوء اللامع ٩/١٤٩ .

٣٥١ — وبهاء الدين بن الشامى شاهد الديوان المفرد :

٣٥٢ — القاضى أبو الفتح بهاء الدين ابن أخت الشيخ سراج الدين البلقينى ، أحد نواب الشافعية ، توفى يوم الأحد الثانى والعشرين من جمادى الآخرة .

٣٥٣ — القاضى بدر الدين حسن بن منصور الحنفى، توفى تحت عقوبة تمرلنك ، وكان قد ولى الحسبة بالديار الشامية (١) :

٣٥٤ — القاضى شمس الدين محمد بن الغزولى الشافعى ، توفى تحت عقوبة تمرلنك ، وكان لمـــا توفى محتسبا بدمشق :

٣٥٥ — القاضى ناصر الدين محمد بن أبى الطيب ، توفى فى رجب منها من أثر عقوبة تمرلنك، وكان باشر كتابة السر الشريف بدمشق مرارا عديدة، وكان تمرلنك قد ولاه أيضا حين استولى على دمشق، ثم نمّوا عليه، فضربه إلى أن مات فى التاريخ المذكور :

٣٥٦ — الشيخ الإمام العالم العلامة أبو عبد الله بدر الدين محمد ، الشهير بابن عرفة [الورغمى] (٢) شيخ بلاد المغرب على الإطلاق، توفى يوم الثلاثاء رابع عشرين من جمادى الأولى منها ، وكان رجلا فاضلا ، عالمـــا كبيرا ، صاحب تصانيف فى الأصـــول والفروع والقراءات وغير ذلك ، وكان

---

(١) انظـــر العينى : عقد الجمان ٢٥/١ لوحة ١٦٢ فالترجمة أعلاه منقولة منه ، وانظر أيضا الضوء اللامع ٥٠٢/٣ .

(٢) الوارد فى الشذرات ٣٨/٧ «ليلة الخميس ٢٤ جمادى الآخرة» ، ولم ينص السخاوى فى الضوء اللامع ٥٨٦/٩ على اليوم ، ولا ابن شهبة فى الإعلام ، ١٩٣ أ ، ولكنه اتفق مع الشذرات فى التاريخ وجعل وفاته فى تونس ، ويستفاد من جدول السنين الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٠٢ أن أول جمادى الآخرة سنة ٨٠٣ كان يوم الإثنين . أما «ورغمة» فبفتح الواو وسكون الراء وفتح الغين وتشديد الميم ، وقد عرفها الضوء بأنها قرية من إفريقية ولم يرد لها ذكر فى ياقوت ولا فى عقد الجمان ، ج (٩)

فى الذكاء والضبط والحفظ على النهاية ، وقد قدم الديار المصرية فى سنة ثمانين وسبعمائة على ما قيل لقصد حج البيت الحرام ، وزيارة قبر النبى عليه أفضل الصلاة والسلام .

٣٥٧ — الشيخ الإمام العالم العلامة جلال الدين أحمد بن محمد بن محمد الخجندى (١) أحد الحنفية الكبار المشهورين ، توفى فى شهر رمضان أو ذى القعدة (٢) منها فى مدينة النبى — عليه السلام — بالبقيع رحمه الله ، وكان رجلا فاضلا عالما زاهدا عابدا متقشفا . أقام فى مدينة النبى — صلى الله عليه وسلم — مدة سنين واشتغل بالعلوم الشريفة ، وكانت له يد طولى فى الحديث وسنده ، وله مصنفات كثيرة وتعليقات مفيدة ، وروى بخطه أنه قال : « مولدى فى جمادى الأولى من تاريخ تسعة عشر وسبعماية » ، وكان رحمه الله تعالى يريد أن ينقل إلى بلاده ، ورأى فى منامه تلك الليلة النبى — صلى الله عليه وسلم — وقال له : « ياخجندى إيش رأيت من جوارنا حتى تذهب إلى بلدك؟ » (٣) ، فلما انتبه بطل السفر وقعد يشتغل بالعلم الشريف ، إلى أن أدركته المنية فى هذه السنة ، رحمه الله .

٣٥٨ — الشيخ زين الدين عمر النيربى (٤) الشافعى ، المفتى بدمشق ، توفى تحت عقوبة تمرلنك .

(١) الضبط من الضوء اللامع ج ١٢ ص ١٩٩ ، و يعرف أيضا بالأخوى . أما خجند فأول مدن فرغانة من الغرب وتقع على ضفة سيحون اليسرى ، وطولها أكثر من عرضها وذكر ياقوت : معجم ٢ ص ٤٠٤ أنها بلدة نزهة فيما وراء النهر ، ونقل عن الاصطخرى أنها متاخمة لفرغانة وإن كانت مفردة فى الأعمال منها انظر فى ذلك لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٢٢ .

(٢) تردد السخاوى فى الضوء اللامع ٢ / ٥٣٠ بين الشهرين أيضا فقال « مات فى رمضان وقيل فى ليلة الخميس سابع ذى القعدة ، ولكنه جعل وفاته فى سنة ٨٠٢ ، وكذا أدرجته الشذرات ٧ / ١٦ . هذا وقد ترجم له ابن حجر فى إنباء الغمر بأنباء العمر فى سنتى ٨٠٢ ، ٨٠٣ .

(٣) جاءت عبارة الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٠٠ هكذا : «أرغبت عن مجاورتى » .

(٤) لعله هو الذى ذكره ابن قاضى شهبة : الاعلام ، ورقة ١٩٠ ب باسم «عمر بن على بن الشاطر الدمشقى » وقال عنه إنه ضعف عن النهوض لما أحرق البلد ولما نا له من ألم العقوبة فمات هناك » .

٣٥٩ — الشيخ شمس الدين محمد بن الكتانى الحنفى المؤذن المشهور بالديار الشامية ، توفى فى شعبان منها من أثر عقوبة تمرلنك ، رحمه الله ؛

٣٦٠ — شمس الدين محمد، الشهير بابن المنير ، المؤذن المشهور بالديار المصرية ، توفى رحمه الله من أثر عقوبة تمرلنك، وكان قد سافر صحبة السلطان النــاصر ؛

٣٦١ — الشيخ شمس الدين الحدرانى الشافعى ، المفتى بدمشق ، مات تحت عقوبة تمرلنك ؛

٣٦٢ — الشيخ شهاب الدين أحمد البرائى ، توفى فى يوم الأربعاء الرابــع عشر من ربيع الآخرة منها، وخلّف موجودا كثيرا ، رحمه الله ؛

٣٦٣ — الصاحب كريم الدين [عبد الكريم بن عبد الرزّاق بن إبراهيم] ابن مكانس، توفى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ، وخلّف أحد عشر ولدا ، وكان رجلا أديبا بارعا فى الأدب والنثر ؛

٣٦٤ — قاضى القضاة شرف الدين محمد بن محمد [بن عبدالله بن أبى بكر] الشهير بابن الدمامينى[1] المــالكى ، توفى فى السابع والعشرين من محرم منهــا بثغر إسكندرية ، وكان رجلا جيدا ذكيا ، عارفا بالعلوم الديوانية، كاتبا مطيعا ، باشر عدة وظائف بالديار المصرية ، باشر نظر الأسواق ، ثم تولى الحسبة بالقاهرة غير مرة ، ثم تولى نظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية ، وباشر الخاص أيضا وغير ذلك من المباشرات منها : الوكالة ونظر الكسوة ،

(١) ذكره السخاوى فى الضوء اللامع ج ١٢ ص ٢٤٧ باسم «محمد بن محمد بن عبدالله بن أبى بكر» ، وقال «يحرر» ، ثم لما ترجم له فى نفس المرجع ج ٩ رقم ١٦٧ قال «وربما قدم عبدالله على أبى بكر» . انظر النجوم الزاهرة ١٥٢/٦ .

ونظر ديوان المفرد وغيره ، وآخر الأمر استقر قاضيَ القضاة الملكية بإسكندرية ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى فى التاريخ المذكور ، وكان رجلا كريما ، ذا مروءة تامة ، وفتوة عامة ، محسنا إلى أصحابه ، متعصبا لمن يلوذ ببابه ، ذا خلق جميل ، وسماط جزيل ، وأدب ورياسة ، ودراية وسياسة ، رحمه الله ؛

٣٦٥ ــ الأمير خليل بن دنكز بغا أمير عشرة ، توفى يوم الخميس الحادى عشر من صفر منها ؛

٣٦٦ ــ الأمير قزقا رأس نوبة أمير عشرة ، توفى يوم الخميس التاسع من ربيع الأول منها ؛

٣٦٧ ــ الأمير شهاب الدين أحمد بن الزين الحلبى ، توفى يوم الأحد الثانى عشر من ربيع الأول ، منها ، تولى ولاية القاهرة ثلاث مرات ، ومات وهو معزول ، وكان رجلا ظالما مفسدا ، كثير الأذى للناس ، مشتغلا بالملاهى والمسكرات ، وكان صارما فى ولايته ، مقداما جسورا ؛

٣٦٨ ــ سيدى موسى بن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون ، توفى يوم السبت الخامس عشر من جمادى الأولى ؛

٣٦٩ ــ وتوفى فى هذا اليوم أيضا ابن طغيتمر النظامى ؛

٣٧٠ ــ و [مات] لولو الخادم بن يلبغا ؛

٣٧١ ــ [ومات] الأمير أسنبغا التاجى الحاجب ، توفى فى العشر الأول من جمادى الأولى بالأشمونين ، وذلك عند توجهه لعمارة الجسور السلطانية ، وأحضروه إلى القاهرة فى سفينة ، فدُفن بها (١) ؛

(١) أى بالقاهرة ، وهذه هى نفس ترجمة الضوء اللامع ٢ / ٩٨٣ وقد نقلاها عن العينى ٢٥ / ١ لوحة ١٦٥ س ٨ ــ ١١ .

٣٧٢ — الأمير سيف الدين أبو بكر بن سنقر الحاجب، توفى يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة منها ، وكان رجلا جيدا ، قليل الأذى ، كثير البر ، ذا تواضع ومسكنة ، وكان يحب أهل العلم ويعتقد العلماء والفقراء ولكن كان عنده تغفل ، رحمة الله عليه ؛

٣٧٣ — الأمير بُجَاس(١) العثمانى أحد المقدمين الألوف بالديار المصرية فى الدولة الظاهرية ، توفى يوم الخميس العاشر من رجب منها وهو بطال ، وذلك لأنه استعفى من السلطان الملك الظاهر فأعفاه وأعطاه إقطاعا يكفيه ، وكان أصله من مماليك يلبغا الخاصكى ، وكان صاحب ثروة ومال وأملاك ، وكان رجلا جيدا قليل الشر ؛

٣٧٤ — الأمير حبك(٢) (بضم الحاء المهملة والباء الموحدة) ، رأس نوبة أمير طبلخانات مصر ، توفى ليلة الثلاثاء مستهل ذى القعدة ، وخرج إقطاعه لخمسين مملوكا من مماليك السلطان الملك الناصر بن الملك الظاهر برقوق ؛

٣٧٥ — الأمير سودون قريب(٣) الظاهر ، توفى بعد أن أسره تمرلنك فى وقعة حلب وهو فى قيد وأسر ، وقيل أنه دُفن فى قيده بدمشق ، وكان رجلا ظالما ، متكبرا بخيلا ، سيىء الفعال ، كثير الشر ، ذميم الخلق ، سيىء الخلق ؛

٣٧٦ — الأمير أزدمر أخو إينال [اليوسفى] فُقد فى المعركة بحلب ، وكان قاتل قتالا شديدا مع عسكر تمرلنك ، فلما انكسر عسكر المسلمين فُقد أزدمر المذكور ، فقيل إنه قُتل فى المعركة ، وقيل بل أُسر ، وقتل على

(١) الضبط من تاريخ ابن قاضى شهبة ، ورقة ١٨٦ ب .
(٢) انظر العينى عقد الجمان ٢٥/١٦٥ حيث وصفه بأنه « كان من المقدمين الجهلة » .
(٣) يعنى بذلك أنه كان ابن أخت برقوق .

يد العــدو وقيل غير ذلك والله أعلم بحقيقة حاله، وكان رجلا شهما شجاعا كريما ، محبا للعلماء والفقراء، معتقدا فى أهل الصلاح ، وكان من حمــلة المماليك الظاهرية ، ثم أنعم عليه بإمرة طبلخانات ، ثم تغيرت عليه الخواطر الشريفة فى أيام فتنة عليباى ، ونُفى إلى الشام، ثم بعد فتنة تنم أُنعم عليه السلطان الملك الناصر بن الظاهر بتقدمة ألف فى دمشق ، ثم جرى عليه ما جرى :

٣٧٧ ــ السلطان الملك الأشرف عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد على بن الملك المؤيد داود بن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول التركمانى [الأصل](١) صاحب اليمن ، توفى فى هذه السنة ، وتولى عوضه ولده أحمد ، ولُقّب بالملك الناصر ، وكان رحمــه الله ذا فضيلة ومعرفة بالإنشاء والنظم ، وله أشعار حسنة ، وكان متولعا بالتاريخ مشتغلا بأخبار الناس ، جمع تاريخا حسنا لطيفا فى جزئين ، رحمه الله تعــالى بفضله وكرمه :

* * *

(١) الإضافة من تاريخ ابن شهبة ، ورقة ١٨٦ ب حيث ذكر أن وفاته كانت فى ربيع الأول بتعز.

(٦٩ ب) فصل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الرابعة بعد الثمانى مائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر فرج ابن السلطان الملك الظاهر برقوق، وخليفة الوقت المتوكل على الله، وأتابك العساكر بمصر الأمير ركن الدين بيبرس ابن أخت الظاهر، والأمير الكبير نوروز الحافظى وإليه كان الأمر والنهى.

ونائب دمشق الأمير تغرى بردى اليشبغاوى، ونائب حلب الأمير دمرداش الخاصكى، ونائب طرابلس شيخ المحمودى الصفوى، ونائب حماة الأمير يونس الحافظى، ونائب صفد الأمير دقماق الخاصكى، ونائب غزة الأمير صرق، ونائب الإسكندرية الأمير أرسطاى، وصاحب اليمن الملك الناصر بن الملك الأشرف، وصاحب الروم والآجات أبويزيد بن مراد ابن أرخان بن عثمان جق، وصاحب الدشت وصراى الأمير أذكا، وصاحب سمرقند وما والاها تمرلنك.

* * *

وفى يوم السبت التاسع من محرمها خُلع على الأمير أركماس الظاهرى، واستقر فى نيابة ملطية، وكان المذكور أمير عشرة ونائبا فى عينتاب،

عزله الأمير دمرداش نائب حلب ، وخلع فيه أيضا على الأمير علاء الدين صهر بيليك واستقر كاشف البحيرة ، وكذلك خُلع فيه على سعد الدين ابن غراب لأجل تكميل النفقة على المماليك السلطانية ؛

وفى يوم السبت السادس عشر منه خُلع على القاضى شمس الدين بن البنا واستقر ناظر الأحباس بالديار المصرية عوضا عن القاضى بدر الدين حسن ابن الدّاية بحكم عزله ؛

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين منه كانت وليمة الأمير الكبير نوروز الحافظى فى بيت الأمير شيخو الذى بالرميلة ، وذُكر أنه ذُبح فيها ثلاثمائة رأس غنم وست رؤوس من الخيل ، وكان دخوله على مخطوبته بنت السلطان الملك الظاهر أخت السلطان الملك الناصر من الأب — ليلة الجمعة الثانى والعشرين منه ؛

وفى يوم السبت الثالث والعشرين منه خُلع على الأمير أبى يزيد أمير عشرة ، واستقر أحد الحجاب الصغار بالديار المصرية ؛

وفى يوم الخميس السادس والعشرين منه خُلع على القاضى شهاب الدين الحواشى واستقر قاضى القضاة الحنفية بدمشق عوضا عن القاضى شمس الدين بن القطب بحكم عزله ؛

وفى أول صفر جاء الخبر إلى الأبواب الشريفة أن الأمير تغرى بردى قد اختفى فى المدينة ، وقيل هرب ، وذلك بسبب أن المراسيم الشريفة (١) قد وردت إلى أمراء الشام بمسكه ، فأحس بذلك وتغيب ، وعين السلطان عوضه آقبغا

(١) يستفاد من النجوم الزاهرة ٦/٩٢ أنه وصل الى أمراء الشام مكاتبات صادرة من أمراء مصر بالقبض على تغرى بردى ، وكان السلطان متفقا معهم على ذلك .

الجمالى أتابك العساكر بدمشق ، الذى كان نائب حلب المعروف بالأطرش ، وعين الأمير تمربغا المنجكى نائبا بصفد، عوضا عن الأمير دقماق نائب صفد بحكم انتقاله إلى نيابة حلب ، عوضا عن الأمير دمرداش بحكم عزله (١) ، ثم بعد ايام جاء الخبر الصحيح بأن تغرى بردى توجه إلى حلب عنـد الأمير دمرداش نائبها :

وفى يوم الجمعة العشرين منه أرسل تشريف للأمير آقبغا الجمالى بنيابة دمشق ، عوضا عن الأمير تغرى بردى ، على يد منجق الخاصكى :

* * *

وفى هذه الأيام فى هذه السنة مَسك الأمير دمرداش نائب حلب : عليباك (٢) ابن الأمير خليل بن الأمير قراجا بن ذلغادر كبير التركمان ، ومسك معـه خمسين نفرا من التراكمين من أجنـاد عليباك وقرابته وحبسهم فى حلب مقدار شهر ، وبعد هذا أفرج عنهم وأخلع عليهم ، وقيل إن تغرى بردى نائب الشام لمـا حضر إليه شفع فيهم فقبل شفاعته :

وفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من صفر خُلع على الوزير علم الدين يحيى الشهير بأبى كم خلعـة الاستمرار ، وذلك بسبب أنه اختفى أياما قليلة بسبب كثرة الكلفة عليه ، وقلة الحاصل من الجهات :

وفيه أيضا رسم أن يخلع على الأمير سودون الحمزاوى بنيابة صـفد ، وذلك بسبب ماجرى بينه وبين الأمراء ، وانقطعت جماعة من الأمراء بسبب

(١) كان عزله عن النيابة راجعا إلى مشاركته فى شق عصا الطاعة على السلطان فرج وانضمامه إلى تغرى بردى والد أبى المحاسن . راجع رقم ١ ص ١٣٤ .

(٢) الوارد فى النجـوم الزاهرة ٦/٩٣ أن الذى قبض عليـه هو الأمير خليل بن قراجا بن ذلغادر وليس عليباك بن خليل ، ولكن تشفع فيه تغرى بردى فأطلق سراحه واجتمعت كلمتهم كلهم على الخروج على السلطان .

ذلك عن الخدمة من أول الشهر إلى هذا التاريخ وهم: الأمير نوروز الحافظى ، وجكم الدوادار الكبير ، وسودون طاز ، وتمربغا المشطوب ؛ وقنباى العلائى حتى كاد أن تقع بينهم فتنة عظيمة وكادوا يركبون ؛ وأما سودون الحمزاوى فإنه لبس فى بيته الذى فى الباطلية(١) ، واجتمع عنده أصحابه ومن يلوذ بهم ، وكانوا قد عينوا ثمانيــة أنفس أن يخرجوا من الديار المصرية إلى الشام على الإقطاعات والإمريات ، وهم : سودون الحمزاوى وسودون بقجة كلاهما طبلخاناة ورؤوس نوب ، وأزبك الدوادار أمير عشرة ، وسودون بشــتا أمير عشرة ، وقنباى الخازندار الجندى ، وبردى بك الخاصكى وآخران من الخاصكية ، ثم مشى بينهــم بعض الأمراء بالصلح ، فاصطلحوا على أن يخرج سودون الحمزاوى لنيابة صفد ، ويقعد الباقون ولا يطلعون إلى الخدمة ، فحلّفوا الأمراء عند الأمير نوروز الحافظى ، ثم حلّفوا المماليك طبقةً طبقة .

وفى هذا اليوم أرسلوا تشريف الأمير دقماق بنيابة حلب .

وفى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر خُلع على الأمــير حسن ابن قــراجا واستقر فى ولاية الجيزية عوضا عن عمــر بن الكورانى بحكم عزلـــه .

وفى يوم الخميس السابع والعشرين منه خُلع على الأمير سودون الحمزاوى واستقر بنيابة صفد ، عوضا عن الأمير دقماق المنتقل إلى نيابة حلب .

---

(١) الباطلية حارة من أخطاط القاهرة المعزية ، وترجع تسميتها إلى ذلك الاسم إلى أن المعز لدين الله الفاطمى حين فرغ من تقسيم العطاء بين الناس جاءت طائفة فسألت عطاء فقيل لها « فرغ ما كان حاضرا ولم يبق شىء » فقالت : « رحنا نحن فى البــاطل » فسموا الباطلية وعرفت هذه الحارة بهم وقد أصابها حريق مدمر فى سنة ٦٦٣ ، انظر المقريزى : الخطط (طبعة بولاق) جـ ٢ ص ٨ .

وفيه قدم الأمير ألطنبغا العثمانى الذى كان نائبا بصفد، والأمير بهاء الدين عمر ابن الأمير ناصر الدين محمد بن الطحان الحلبي الذى كان نائبا بغزة إلى القاهرة وكانا مأسورين عند تمرلنك من وقعة حلب، وذكرا أنهما قد فارقاه عند أطراف بغداد ؟

وفى يوم الاثنين خامس عشر ربيع الأول طلع الأمير نوروز الحافظى إلى الخدمة ، وكان قد انقطع من مدة تزيد على شهر كما ذكرناه ، وذلك بسبب الخباط الذى وقع ، وخلع السلطان عليه أطلسين، وكذلك طلع سودون طاز وخلع عليه أطلسين ؟

وفيه خُلع على الأمير ألطنبغا العجمى الذي كان متولى دمياط واستقر كاشف الوجه القبلى عوضا عن الأمير جنتمر الطرنطاى بحكم وفاته ؟

وفى يوم الخميس الثامن عشر منه طلع الأمير جكم الدوادار إلى الخدمة وكان منقطعا منذ شهرين كما ذكرنا، وخلع عليه أطلسين وحياصة ذهب ؟

وفيه خُلع على القاضى شمس الدين الشاذلى الذى كان محتسب مصر ، واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن القاضى شمس الدين البجانسى بحكم عزله ؟

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين منه خُلع على القاضى فخر الدين ابن غراب الوزير المنفصل ، واستقر ناظر الخاص ، مضافا إلى ما بيده من الوزارة ، عوضا عن أخيه القاضى سعد الدين بحكم اختياره لذلك ؟

وفى يوم السبت السابع والعشرين منه خُلع على القاضى تاج الدين ابن الحزين مستوفى الدولة بالقاهرة ، واستقر وزيرا بالديار الشامية عوضا عن الصاحب ابن الصلاح بحكم عزله ؟

وفى يوم الخميس الثالث من ربيع الآخر خُلع على القاضى تاج الدين قريب ابن جماعة ، واستقر فى حسبة مصر عوضا عن القاضى نور الدين البكرى بحكم عزله :

وفى يوم السبت الخامس منه خُلع على الأمير جَمَق أمير عشرين ورأس نوب ، واستقر دوادارا ثانيا ، عوضا عن الأمير جركس المصارع ، وكذلك خلع على تغنبك الخاصكى واستقر دوادارا .

وفى يوم الاثنين السابع منه خَلع على القاضى بدر الدين محمود العينى الحنفى واستقر ناظر الأحباس عوضا عن شمس الدين بن البنا بحكم وفاته . وكذلك خُلع على الأمير سلمان ، واستقر نائب الكرك عوضا عن الأمير جركس والد تنم :

وفى يوم الخميس السابع عشر منه خُلع على الأمير مبارك شاه الظاهرى كاشف الجيزية وحاجب الميسرة واستقر وزيرا بالديار المصرية مضافا إلى ما بيده من وظائفه عوضا عن الصاحب علم الدين أبو كم ، ومُسك هو وسُلم إلى مشد الدواوين :

وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين منه خُلع على الأمير أقطتمر أحد المماليك السلطانية ، واستقر فى ولاية القاهرة عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد الطبلاوى بحكم عزله :

وفى يوم الاثنين الخامس من جمادى الآخرة (١) خُلع على القاضى جلال الدين ابن شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى ، واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن القاضى ناصر الدين بن الصالحى بحكم عزله :

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ٦ / ٤ ٩ أن ذلك التعيين تم فى العشر الأخير من ربيع الثانى ، على أن رواية ابن الصيرفى تتفق مع أبى المحاسن فى تحديد تاريخ الخبر التالى المتعلق بتعيين ألطنبغا العثمانى فى نيابة غزة .

وفى يوم الخميس الثامن منه خُلع على الأمير ألطنبغا العثمانى نائب صفد كان، واستقر فى نيابة غزة عوضا عن الأمير صرق بحكم عزله :

وفى أواخر رمضان منها كثر القيل والقال بين أرباب الدولة من أهـــل مصر وبين ســـودون طاز أمير آخـــور كبير ونوروز الحافظى والأمير جكم الدوادار الكبير ، حتى انقطع نوروز وجكم وقنباى عن الخدمة إلى تهنئـــة العيد المنفصل عن (٧٠ أ) رمضان ، ولا طلعوا إلى صلاة العيـــد ، فصلى السلطان الملك الناصر فى جامع القلعة ، وصلى الأمراء المذكورون كل واحد فى منزله :

* * *

ذكر الوقعة التى كانت بين نوروز الحافظى وسودون طاز

بتاريخ ثانى عيد الفطر يوم الجمعة الثانى من شوال منها وقعت حروب عظيمة بين سودون طاز وبين نوروز الحافظى وجكم ، فنزل السلطان إلى الإصطبل وحصل شر كبير ، ومما جرى لهم أن حضر الخليفة والقضاة الأربعة ، فأصلحوا بينهم وارتفع الحرب ، ثم فى يوم الخميس الثامن من شوال طلع نوروز إلى الخدمة وخلع السلطان عليه ، وكذلك طلع جكم وخلع عليـــه ، فصلح الحال .

* * *

ذكر خروج الأمير جكم بمن معه من الأمراء والمماليك إلى بركة الحبش

بتاريخ ليلة الجمعة الثامن من شوال خرج الأمير جكم ومعه جماعة من الخاصكية الكبار مثل قمش الخازندار، ويشبك الساقى، ويشبك العثمانى، وألطنبغا جاموس، وجانى بيه الطيبى، وترصبغا الدوادار، وطربای الدوادار، وخرجوا أولا فأولا، واجتمعوا عند دير الطين(١) من فوق(٢) بركة الحبش، وطلع الأمير أيضا قبجق أمير عشرة، ومن المماليك مقدار خمسمائة نفس؛

ولما كانت ليلة السبت عاشر شوال جاء الأمير سودون من زاده رأس نوبة كبير، والأمير تمربغا المشطوب إلى الأمير سودون الحافظى، وأركباه

---

(١) دير الطين من البلاد القديمة بمركز الجيزة.

أما بركة الحبش فلها عدة أسماء هى بركة المغافر وبركة حمير وإصطبل قرة وإصطبل قامش، وتقع بظاهر مدينة الفسطاط من الناحية القبلية فيما بين النيل وجبل المقطم، وكانت أرضا مواتا فأحياها وغرسها قصبا قرة بن شريك فعرف بإصطبل قرة، وأشار ياقوت فى معجمه إلى أنها كانت فى بداية أمرها أرضا زراعية يغمرها النيل بمائه عند فيضانه حتى لتشبه البركة؛ وتسميتها ببركة الحبش نسبة إلى قتادة بن قيس ابن حبشى الصدفى أحد من شهدوا فتح العرب لمصر، وكانت أرضها فيما يقال وقفا على الأشراف الأقارب والطالبيين، وكان المصريون مسلمين وأقباطا يخرجون إليها فى أيام الأعياد كالنوروز والغطاس والميلاد والمهرجان وعيد الشعانين، وقد وصفها أحد شعراء الأندلس وكان قد جاء مصر بقوله:

لله يومى ببركة الحبش	والأفق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب	كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوفة	دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام	فنحن من نسجها عشى
فعاطنى الراح إن تاركها	من سورة الهم غير منتعش
وأثقل الناس كلهم رجل	دعاه داعى الهوى فلم يطش

أنظر فى ذلك خطط المقريزى ٢/١٥١ — ١٥٤.

(٢) فى الأصل «فوق من»

من بيته ، فخرجوا كلهم وجاءوا عند الأمير جكم فنزلوا هناك[١] فاجتمعوا ما يقارب ألفى نفر من المماليك السلطانية والأمراء ومماليكهم ، فأقاموا يوم السبت والأحد والاثنين والثلاثاء، وكل يوم تخرج طائفة منهم ويأتون إلى باب القرافة[٢]، وربما تلاقوا مع جماعة من جهة سودون طاز ووقع بينهم بعض المناوشة، فلما كان يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال نزل السلطان الملك الناصر، وركب معه سائر الأمراء والمماليك فخرجوا من القرافة ، وكان النوروزية يعتقدون أن الحرب تكون يوم الخميس، لأن السلطان نادى بالعرض يوم الأربعاء، والبزوز يوم الخميس ، وكان يوم العرض يوم الخروج ، وكان ذلك أيضا حيلة من سودون طاز ، فآخر الأمر تلاقوا فى آخر القرافة ، وانكسرت مقدمة نوروز وجكم ، وأسر الأمير تمربغا المشطوب بعد أن جُرح جراحة عظيمة فى رقبته، وكذلك أُسر الأمير سودون من زاده بعد أن جُرح جراحة ثقيلة ، وأسر أيضا أمير على بن إينال ، والأمير أرغون فمسكوا، فلما مُسك هؤلاء انفلتت حواشيهم، فلما رأى نوروز وجكم ذلك وليّا ، وولى كل منهما ، وأسرعوا فى الذهاب طالبين ناحية الصعيد، فرجع السلطان ببقية العساكر إلى القلعة ، ولم يزل نوروز وجكم ومن معهما من الأمراء والمماليك سائرين إلى أن وصلوا إلى منية ابن فايد من ذلك البر ؟

وأما الممسوكون فطلعوا بهم إلى باب السلسلة ليلة السبت، وسفُروا مقيدين فى الحراقة إلى اسكندرية ، وهى ليلة السابع عشر من شوال ؟

(١) يعنى أنهم نزلوا ببركة الحبش .

(٢) ورد التعريف بباب القرافة بقلم المرحوم محمد رمزى فى تعليقه على النجوم الزاهرة ٢٨٥/١٢ حاشية رقم ١ بأنه أحد الأبواب فى سور صلاح الدين ، ويمتد هذا السور من القلعة إلى مصر القديمة ، وقد اكتشفته إدارة حفظ الآثار العربية ، وهو بجوار مدفن تمرباى الحسينى الذى يفصل بينه وبين باب السيدة عائشة .

وفى هذه الليلة جاءت الأخبار إلى القاهرة بأن الأمراء عادوا ونزلوا على طموة ، ثم جاء الخبر بأنهم نزلوا على الجيزية إلى أنبوبة ، فعند ذلك نادى السلطان بمنع المعادى إلى البهطلة وغيرها ، فحصل بذلك ضرر كثير للناس :

* * *

ذكر قدوم الأمير يشبك
من سجن إسكندرية وما جرى بعد ذلك

بتاريخ يوم الاثنين التاسع عشر من شوال قدم الأمير يشبك الشعبانى من سجن إسكندرية ، وكان القاصد توجه إليه يوم الخميس الخامس عشر من شوال وطلع للسلطان وتمثّل بين يديه ، ثم نزل فى خدمته خلق كثير ، وسلم على بعض الأمراء وعاد إلى بيته [على] العادة — بيت منجك اليوسفى — عند مدرسة السلطان حسن :

ولما كان ليلة الثلاثاء العشرين نهض الأمير نوروز فى نصف الليل وعدّى إلى ناحية مصر وجاء إلى بيت الأمير بيبرس أتابك العساكر ، وذلك أن الأمير بيبرس والأمير إينال باى تحدثا له عند السلطان والتزما أن يحضراه بشرط (١) أن يتوجه إلى نيابة دمشق ، ورضى السلطان بذلك ، وهذا كان مكرا من سودون طاز لتفريق شمل الأمراء الذين كانوا مع نوروز ، فبعث بيبرس إلى نوروز وحلفا له بالطلاق وغيره على ذلك الأمر ، فاطمأن قلبه به وركن إليه وقام فى نصف الليل ولم يعلم أحد بذلك ، وعدّى النيل وجاء إلى بيت الأمير بيبرس ، فأصبحت الناس يتحدثون بذلك ، فلما رأى الأمير جكم

(١) الواقع أنهما لم يشترطا على السلطان أن يوليه نيابة دمشق وإنما كان ذلك «من مكر سودون طاز ، وأن ذلك مشى على نوروز لخضر» كما يقول أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/٩٧ .

ذلك الحال ، وتفرق العسكر ، وغيب الأمير قنباى أيضا ، وانفلت الناس ، وبقى هو وحده فبعث كتابا مع رأس نوبة له إلى الأمير بيبرس يطلب الحضور ، فأرسلوا له الأمير أزبك الأشقر رأس نوبة ، والأمير يشباى الحاجب فقعدوا فى بستان الأمير قطلوبك إلى المغرب ، ثم بعد المغرب عدوا وجاءوا به إلى باب السلسلة . فلما أصبح طلعت الأمراء وسلموا عليه ، وكذلك طلع الأمير يشبك وسلم عليه ، وكانت تلك الليلة ليلة الأربعاء الحادى والعشرين ، ولما كانت ليلة الخميس الثانى والعشرين سُفّر الأمير جكم فى الحراقة إلى سكندرية للاعتقال بها وهو فى قيد .

* * *

وفى يوم الخميس المذكور خرج المحمل الشريف ، وطلعوا بالأمير نوروز من بيت الأمير بيبرس إلى باب السلسلة ، بعد أن لبّسوه نيابة الشام يوم الأربعاء المذكور ، وقلعوا منه الخلعة وسفّروه إلى إسكندرية ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شوال ، وضاع كلام الأميرين فى الوسط ، حتى انقطع الأمير بيبرس عن الخدمة بهذا السبب أياما كثيرة ثم أرضوه ، وأما الأمير قنباى ، والأمير قرقماس فقد اختفيا فى المدينة .

* * *

ذكر من أنعم عليه بالإقطاع والوظيفة

بتاريخ يوم الاثنين الثالث من ذى القعدة خرجت إقطاعات الأمراء الممسوكين ، فخرج إقطاع الأمير نوروز باسم الأمير إينال العلائى الشهير بالحطب ، وكان طبلخاناة ورأس نوبة ، ولكن أخذ منها بالنحريرية ، وخرج إقطاع الأمير قنباى باسم الأمير علان الأقطع ، وكان أمير طبلخاناة ، وخرج

إقطاع الأمير تمربغا المشطوب باسم الأمير بشباى الحاجب [الثانى] وكان طبلخاناة ثم بعد يومين رماه لكونه بلا زيادة فأعيدت إلى الأمير قطلوبغا الكركى على عادته أولا، واستمر الأمير بشباى الحاجب على إقطاعه أولا، وقبل هذا التاريخ بقليل خرج إقطاع الأمير جكم باسم الأمير يشبك على عادته أولا، وأنعم على الأمير بيغوت بطبلخاناة وكان أمير عشرة، وعلى الأمير أسنبغا المصارع بطبلخاناة وكان أمير عشرة؛ وعلى الأمير سودون يشتا بطبلخاناة وكان أمير عشرة:

* * *

ذكر قدوم الأمراء من سجن الإسكندرية

بتاريخ يوم الخميس السادس من ذى القعدة قدمت بقية الأمراء المحبوسين فى إسكندرية وهم: الأمير أقباى، والأمير قطلوبغا الكركى، والأمير جركس المصارع، وكانوا محبوسين من العام الماضى كما ذكرناه، وطلعوا عند السلطان ثم نزلوا إلى منازلهم؛ وكان قصد الأمير سودون طاز أراد أن يشيعهم إلى بلاد الشام، ولكن لم يتهيأ له ذلك لكثرة أحزاب هؤلاء وميل السلطان إليهم ميلا عظيما:

وفى آخر اليوم المذكور خلع على بدر الدين حسن بن الأمدى الجندى من أهل حسينية القاهرة، واستقر فى مشيخة خانقاه سرياقوس عوضا عن الفقيه أنبيا التركمانى بحكم عزله، وكان المذكور يلبس زى الجند ويدخل إلى بعض الأمراء ويدعى عندهم الدهقنة (١) وأنواعا من علوم الحرب، فقلع لبسه ذلك ولبس قماش أهل التصوف:

---

(١) الدهقنة الاسم من الدهقان، ودهقن الرجل جعل دهقانا، والدهقان فارسى معرب، وهو التاجر أو القوى على التصرف مع حدة. أنظر الجواليق، المعرب، ص ١٥٤ س ٦؛ وحاشية رقم ٨ وكذلك لسان العرب، جـ ١٧ ص ٢١.

وفى يوم السبت الثـامن منها خُلع على الأمراء — الذين قـدموا من الإسكندرية — خلع حرير بطرز ذهب ونزلوا :

وفى يوم الثلاثاء الثامن عشر منها كانت الأمراء فى بيت الأمير بيبرس يلعبون الأكرة ، فاجتمع من مماليك السلطان فوق ألف نفـر ، واستر صدوا سودون طاز وكان معهم ، فلما رأوه غوشوا عليه ، وكان الأمير يشبك معه ، وما لحق سودون طاز باب السلسلة إلا بجهد جهيد :

وفى هذا التاريخ سُفر الأمير يلبغا السالمى إلى دمياط بطالا :

وفى (٧٠ ب) يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى القعدة خُلع على الأمير بيبرس خلعـة الاستمرار على الأتابكية ، وخُلـع أيضا على يشبك واستقر دوادارا كبيرا على عادته عوضا عن جكم بحكم عزله ومسكه :

وفيه أيضا خُلع على ناصر الدين الطناحى ، واستقر ناظر الأحباس عوضا عن القاضى بدر الدين العينتابى الحنفى بحكم عزله .

وفى هذا [الشهر] خرجت العساكر المصرية مسرعين إلى عرب تروجة ، ولم يبق فى القاهرة غير أميرين أحدهما بيبرس أتابك العساكر والآخر بشباى الحاجب الثانى وبعض الأمراء الصغار :

وفى ليلة عيد الأضحى قدمت الأمراء الذين خرجوا إلى البحيرة :

وفى يوم السبت الرابع عشر من ذى الحجة خُلع على الأمير أقباى الكركى واستقر خازندارا كبيرا على عادته :

وفى يوم الاثنين السادس عشر منها خُلع على الأمير يشـبك الدوادار واستقر ناظر الأحباس :

وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين منها خُلع على الأمير ناصر الدين محمد ابن كلبك الذى كان نقيب الجيش ، واستقر فى ولاية القاهرة والحجوبية عوضا عن الأمير سيف الدين أقطتمر بحكم عزله ، وكذلك خلع على الأمير ناصر الدين بن ليلى ، واستقر فى ولاية مصر عوضا عن ناصر الدين محمد الضانى .

وفى يوم الخميس السادس والعشرين منه آخر النهار خُلع على القاضى ولى الدين بن خلدون ، واستقر قاضى القضاة المالكية بالديار المصرية عوضا عن قاضى القضاة جمال الدين البساطى .

وفى يوم الاثنين سلخ الشهر المذكور خلع على الأمير جقمق الدوادار الثانى أمير الطبلخاناة ، واستقر فى نيابة الكرك عوضا عن الأمير سلمان التركمانى ، وكذلك خلع على الأمير علان[(1)] الأقطع أحد المقدمين واستقر فى نيابة حماة عوضا عن الأمير يونس الخاصكى بحكم عزله ، وذلك بغير رضاهما قصدا لقص أجنحة سودون طاز ، فإنهما كانا من أعضاده وأعوانه . وفيها حج بالناس بالركب المصرى الأمير تكباى الأزدمرى أمير طبلخاناة ، ولم يحج أحد فى هذه السنة من طريق الشام ولا من طريق العراق من جهة الغلاء والخباط الذى حصل من تمرلنك .

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٣٧٨ — الشيخ الإمام العالم فخر[(2)] الدين الضرير الإمام بجامع الأزهر ، توفى يوم الأحد آخر النهار الثانى من ذى القعدة ، وكان رجلا فاضلا فى علم

(١) هو علان جلق ، راجع النجوم الزاهرة ٦/ ١٠٠ .

(٢) هو الشيخ فخر الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان البلبيسى الضرير .

القراءات وغيرها ، وكان شيخ الجماعة فى وقته ، وقرأ عليه خلق كثير وانتفعوا به ، رحمه الله ؛

٣٧٩ — القاضى شرف الدين البرماوى أحد الموقعين بالديار المصرية ، توفى يوم الأربعاء الحادى عشر من ذى الحجة منها ؛

٣٨٠ — القاضى شمس الدين بن البنا ، توفى يوم السبت الخامس من ربيع الآخر فى هذه السنة ، وكان شاهد ديوان الأمير جكم ، ثم تولى نظر الأحباس لغير مرة ؛

٣٨١ — الأمير جنتمر الطرنطاى (١) كاشف الوجه القبلى ، توفى بالصعيد فى منتصف صفر منها ، قتله عرب بنى عمر (٢) ، وقتلوا من حاشيته مقدار مائتى نفس ، ونهبوا جميع ما كان معهم من الأثقال والجمال ، وكان المذكور من أمراء الشام ، تولى حمص ونيابة بعلبك ، ثم اسر فى وقعة تمرلنك وتخلص وحضر إلى القاهرة ، ثم تولى كشف الصعيد ، وكان رجلا كريما ضحوكا خفيفا ، ولكنه كان غشوما جبارا ظالما ؛

٣٨٢ — الأمير علاء الدين على الشهير بابن المكللة ، متولى منفلوط ، قتله عرب بنى كلب (٣) فى أواخر ربيع الأول ؛

(١) فى النجوم الزاهرة ٦/١٥٤ « الطزخانى » ، لكن أنظر ابن حجر إنباء الغمر حيث يبدو أن الكاتب نقل هذه الترجمة عنه ؛ راجع أيضا الضوء اللامع ٣/٣١١ .

(٢) يرجع عرب بنى عمر إلى بلى (بفتح الباء وكسر اللام) وكان منهم جماعة بصعيد مصر و ببلاد إخميم ، ثم استقر لهم من حدّ سوهاج الى قرب قولة انظر فى ذلك القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٤٦ ؛ ونهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ١٨٠ ؛ والمقريزى : البيان والإعراب عما بمصر من الأعراب ، ص ٣٦—٣٧ .

(٣) كان عرب بنى كلاب يقيمون فى منفلوط من صعيد مصر كما جاء فى قلائد الجمان ، ص ٤٨ ؛ على أن القلقشندى لم يستطع فى نهاية الأرب ، ص ٤٠٨ ، الجزم بأنهم قضاعيون .

٣٨٣ — الست خوند شقرا بنت الملك الأمجد حسين بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون الصالحي النجمي ، أخت السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين ، توفيت ليلة الاثنين الثامن عشر من المحرم ، ودفنت نهار غده فى مدرسة [أمها] أم السلطان شعبان فى التبانة بظاهر القاهرة ، وخلفت موجودا كثيرا .

٣٨٤ — قاضى القضاة تقى الدين(١) [عبد الله بن يوسف بن أحمد بن فرارة ابن الكفرى(٢)] الحنفى الحاكم بدمشق ، توفى فى شهر المحرم ، وكان عنده فضيلة ويد طولى فى الأصول والفروع ، أدرك ناسا من العلماء الكبار وسمع منهم وأخذ عنهم .

٣٨٥ — الشيخ مؤمن العينتابى الحنفى ، كان رجلا عالما فاضلا ، وكانت له فضيلة ويد فى الأصول والفروع ، أدرك ناسا من العلماء الكبار وسمع منهم وأخذ عنهم ، وكان قصيرا لطيفا عريقا ، وكان حسن الوجه مليح الشكل والشمائل ، وكان عنده تواضع وأدب ، وكان مدرسا بمدينة عينتاب فلما خربت فى وقعة تمرلنك انتقل إلى حلب ، وتوفى بين(٣) حلب وعينتاب فى موضع يقال له كسك كبرى ، ودفن بها فى هذه السنة ، رحمه الله .

* * *

(١) إيراد ابن الكفرى فيمن مات فى هذه السنة خطأ من الصيرفى فقد أجمعت المصادر على أنه مات فى السنة التى قبلها أعنى سنة ٨٠٣ ، النجوم الزاهرة ٦/١٠٥ ، والضوء اللامع ٥/٢٦٦ ، وشذرات الذهب ٧/٢٩ ، وقضاة دمشق ص٢٠٣ .

(٢) فراغ فى الأصل .

(٣) الوارد فى الشذرات ٧/٤٤ أنه «تحول إلى حلب فأقام بها إلى أن مات» ، نقلا عن العينى : عقد الجمان ، ٢٥/١٧٧ .

فصــل
فيما وقع من الحوادث
فى السـنة الخامسة بعـد الثمـانمـائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر فرج ابن السلطان الملك الظاهر برقوق، وخليفة الوقت المتوكل على الله ، وأتابك العساكر بالديار المصرية الأمير بيبرس ، ونائب دمشق الأمير آقبغا الجمالى الأطروش، ونائب حلب الأمير دقماق الخاصكى، ونائب طرابلس الأمير شيخ المحمودى، ونائب صفد الأمير سودون الحمزاوى، ونائب غزة الأمير ألطنبغا العثمانى ، ونائب الإسكندرية الأمير أرسطاى :

وقاضى القضاة الشافعية القاضى جلال الدين بن البلقينى ، والقاضى الحنفى أمين الدين بن الطرابلسى ، والقاضى المـالكى ولى الدين بن خلدون المغربى ، والقاضى الحنبلى مجد الدين سالم :

* * *

ذكر الوقعة التى جرت بين تمرلنك
وبين الملك أبى يزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان
صاحب الروم واللاجات وما جرى عليه من الانكسار والأسر

فى أوائل هذه السنة قوى الخبر بأن تمرلنك قد توجه إلى بلاد الروم بسبب ابن عثمان ، وجرت بينهم وقائع وأمور ، ولم تتبين على الحقيقة، ثم أخـبر

من يوثق بقوله ممن شاهد الوقعة بأن السلطان أبا يزيد صاحب الروم لما سمع بقدوم تمرلنك وتحقق ذلك جمع عساكره من البلاد ثم عرضهم على مدينة آقشهر (يعنى المدينة البيضاء)[1]، فعرض من الفرسان ما يقارب سبعمائة ألف فارس، ومن الرجال ثلاثمائة ألف شخص، فالجميع قريب ألف ألف، حتى قيل: لقد مات فى العرض تحت الأقدام من الدوس والعطش من كثرة الزحام خمسة وعشرون نفسا، وكان معه من الأمراء الكبار [ممن] يسمونهم فى اصطلاحهم «صوباشى»[2] جماعة كثيرة، منهم الأمير قبوتمرداش وابرلاز الذى هو صهر السلطان أبى يزيد وولده الأمير سلمان (بضم السين وسكون اللام) وولده الآخر الأمير كرشجى صاحب توقات وأماسيه وغيرهم، ووزيره الأمير عليباك جلبى، ثم إنه لما تحقق توجه تمرلنك استقبله مسيرة خمسة عشر يوما، ثم إن تمرلنك أرسل إليه وقال له: «أنت رجل غازى مجاهد فى سبيل الله تعالى، وأنا ما أتعرض إليك فأنت إقنع ببلادك التى كانت مع والدك وجدك وأعطنى البلاد التى كانت تحت يد الإمير أرطنا أمير الروم(٧١أ) فى زمن أبى سعيد خان»، فلما سمع ابن عثمان هذا الكلام مال بقلبه أن يفعل هذا ليرتفع النزاع وتستريح الناس ولا تسفك الدماء، ثم بعد مدة يسيرة من هذه الرسالة حضر جماعة من مدينة كماخ[3] (بفتح الكاف وتخفيف الميم، وفى آخره خاء معجمة) وهم حفاة عراة، وأخبروا أن تمرلنك ضرب كماخ وقتل غالب من فيها وسبى أولادهم وشتت شملهم، فقال ابن عثمان:

(١) انظر لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٨٤، ١٨٥ والعينى فى عقد الجمان.

(٢) الصوباشى لفظ تركى «صوباشاه» وهو شرطى تحت قيادة نائب فى منطقة حربية كما جاء فى Dozy: Supp. Dict Ar. I, 698.

(٣) وهى بفتح الكاف ويجوز فى ميمها السكون والفتح أيضا مع حذف الألف، وهكذا كتبها ياقوت فى معجمه ٣٠٤/٤ وقال إنها هى نفس كاخ، ويسميها الروم Kamcha كمخا، ولها قلعة على الفرات الغربى أسفل أرزنجان، انظر فى ذلك بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٥٠ — ١٥١.

« كيف يقول نصطلح ونتقاسم البلاد ثم أرد إلى بلادى ثم يفعل هذه الفعال القبيحة ؟ هذا كله كذب ومكر وخديعة ودهاء ! ! » فاشتد عزمه حينئذ على القتال .

وآخر الأمر سار بعساكره ، وذاك أيضا سار بعساكره إلى أن قربت إحدى الطائفتين من الأخرى ؛ ثم إن تمرلنك عمل حيلة ورجع إلى ورائه ، فظن ابن عثمان أنه رجع من الخوف ؛ ثم إنه دار من طريق أخرى وساق مجدا وهو فى بلاد الروم مسيرة ثمانية أيام حتى وصل بعساكره إلى مدينة « أنكورية »[1] التى تسمى أيضا « عمورية » ، فاشتغل بحصارها ، ورسم بإحراق المدينة وأسواقها ، فوصل الخبر إلى ابن عثمان على هذه الهيئة ، فنهض مسرعا بعساكره يسوقهم منذ ثمانية أيام حتى أشرفوا على عسكر تمرلنك ولكنهم موتى من التعب والنصب والعطش ، وغالب المشاة انقطعوا ، وأكثر الخيول تلفت ، وكان وصولهم إلى تمرلنك فى أول المحرم من هذه السنة ، فلما سمع تمرلنك بقدومهم أمر بمصادمتهم وملاقاتهم على الفور ، وألا يمكنوهم من المقام والراحة ، وحرض عساكره على الحرب ، فتوجهوا نحوهم ، فلما رآى ابن عثمان ذلك منهم اضطر إلى ملاقاتهم ، فكان ذلك فى أرض فلاة ، ذات فضاء واسع عظيم عند أنكورية يوم الأحد خامس المحرم من هذه السنة ولم يزالوا فى القتال إلى قريب العصر ، حتى قتل من الطائفتين ما وصل عدده ثمانين ألفا من الأنفس ، فلما دخل العصر تعب عسكر ابن عثمان من الكر والفر ، فإذا بكمين تمرلنك قد طلع مقدار مائة ألف نفس فتصادموا ، فكسروا الأمير سلمان بن أبى يزيد الملك ، وردوهم إلى والده فى القلب ، وانكشفت الميمنة وانقلبت على القلب ، وذلك كله بعد أن كان عسكر

(١) وهى المعروفة اليوم باسم Angora وليست عمورية التى هى Amorion كما جاء فى بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧٤ ، ١٨٦ .

تمرلنك قد قصد الهروب ، ولكن الله تعالى خذل عسكر الروم ، فهـرب الأمير سلمان ومعه مقدار مائة ألف نفس وتوجهوا طريق بورصة التى هى كرسى الملك ، وأحاطت التمرلنكية بعسكر ابن عثمان الذين ثبتوا وأحدقوا بهم ، ومسكوا الملك أبا يزيد وأتوا به إلى تمرلنك ، وتفرقت عساكره شذر مذر ، ولم يحجز بينهم إلا الليل ، ولولا ذلك لكان قُتل عسكر أبى يزيد ، فلما أصبحوا حصّلوا المنقطعين من عسكر الروم والجرحى ، وهم نحو ثلاثة آلاف نفس .

ثم إن تمرلنـك احتفظ بأبى يزيـد ، وأنزله فى موضـع ، ووضع عنده جماعة يحرسونه ، ثم عاثوا فى بلاد الروم ، وخاضوا وعتوا وأفسدوا ونهبوا البلاد والقرى ، وحصل لأهل الروم أنواع العقاب والبـلاء كما حصل لأهل الشام وحلب ، وأحرقوا مدينة برصا التى هى كرسى البلاد ، وأقاموا فى بلاد الروم نحو نصف سنة أو أكثر وهم متفرقون فى أطرافها ، يقتلون ويأسرون وينهبون ويعيثون ويظلمون ويحرقون ويخربون :

وأما الأمير سلمان فإنه لـما هرب بمن معـه عدى إلى بر قسطنطينية ونجى بنفسه ، والله أعلم بحقيقة الحال :

* * *

ذكر ما وقع من الأحوال بالديار المصرية

بتاريخ يوم الخميس الثالث من محرمها خرج إقطاع الأمير علان الذى استقر فى نيابة الكرك باسم الأمير أقباى الخازندار ، على ما بيده من بلد سميسطـاء :

وفى يوم الاثنين سابعه نزل الأمير سـودون طاز من الإصطبل بأهله ومماليكه وحاشيته إلى بيته الذى كان فيه الأمير جكم الدوادار الكبير ، وعزل نفسه من الأمير آخورية الكبرى :

وفي يوم الخميس السابع عشر منه خرج الأميران علان وجقمق : الأول لحماة، والثاني للكرك ونزلا الريدانية، وفي ليلة السبت التاسع عشر منه سافرا منها ؛

وفي هذا الشهر لما وصل الحجاج إلى منزلة نخلة ورد المرسوم السلطاني لهم بمسك الأمير نكباي أمير حاج وتسفيره إلى الكرك للاعتقال ومعه بعض مماليك ، فمسكوا وسُفروا من المكان المذكور ؛

وفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين منه ظهر الأمير قرقماس الرماح ، وطلع إلى السلطان ونزل إلى بيته، وكل ذلك بشفاعة الأمير أقباي[1] الخازندار فإنه التزم له برضاء السلطان وخلاصه .

وفي ليلة الاثنين الثاني عشر من صفر ركب الأمير سودون طاز وخرج بطلبه وحاشيته من القاهرة ونزلا في المرج والزيات ، وسبب ذلك أنه أحس بالمسك فنزل من باب السلسلة ، ثم حصل له قهر وغبنة، فإنه كان يدعى أنه صاحب الأمر والنهي ، وخصوصا لما حُبس الأمير نوروز والأمير جكم يصير منفردا بالكلمة ولا يكون له معارض ، فلما حضر الأمراء الذين كانوا بسجن إسكندرية تلاشى حاله ، وضعف مقاله ، وجاء وباله، سيما الأمير أقباي [طاز الكركي] الخازندار فإنه أكبر أعدائه ، وعداوتهما قديمة راسخة، وصار ينصب له المكايد والشبك، ويحفر له المعاطب والشرك، حتى أوقعه في هذه الفعلة، وغاية أمل أقباي بنزول سودون من باب السلسلة حتى يستقر في وظيفته ، ويجلس في موضعه، وأشيع ذلك حتى كان سودون

(١) يؤكد أبو المحاسن في النجوم الزاهرة (ط مصر) ج ١٢ ص ٢٩١ أن الذي شفع له عند فرج هو أبوه تغري بردي .

فى التجريدة مع الأمراء لأجل العربان بتروجة فى أواخر السنة الماضية كما سقناه، وبلغه الخبر بذلك فرجع ، ولولا ذلك كان الأمير أقباى استقر أمير آخور وطلع باب السلسلة، وأخبروه أن سودون لما أحس بأنه فى غاية الحصر (٧١ ب) من أعدائه، وأنهم أمالوا السلطان عنه حتى انقلب عليه ركب وخرج إلى ظاهر البلد، ظانا منه أن يتبعه من هو فى هواه ويجتمعون معه ويعملون عملا له وقع فى النفوس ، ويحارب أعداءه ويكسرهم ، ويخرجهم من الديار المصرية بالكلية، ويعود هو إلى ما كان عليه من الوظيفة بل إلى أعظم منها ، ويأبى الله إلا ما أراد :

وفى يوم الاثنين العشرين منه أخلع على الأمير إينال بيه بن قجماس، واستقر أمير آخور كبيرعوضا عن الأمير سودون المذكور ، وطلع إلى باب السلسلة على العادة :

* * *

ذكر ركوب السلطان وخروجه بعساكره خلف سودون طاز وكسرهم له

لما خرج سودون طاز من المدينة بعث إليه السلطان ثلاث مرات : مرة مع الأمير قطلوبغا الكركى ، ومرة مع بشباى الحاجب، ومرة مع أحد الأمراء، أن يعود إلى وظيفته وعلى إقطاعه وإمرته فى غاية ما يكون من العز والإكرام ، ولا يحصل له تشويش من أحد من الأنام، أو يتوجه إلى بلاد الشام على أى نيابة أراد، فما كان جوابه إلا أن قال : « اخرجوا أقباى الخازندار إلى الشام وأنا عبد السلطان وفى طوعه حسب ما يراه ويختار ، إن شاء أقيم بمصر أو بغيرها من البلاد، أو يحبسنى السلطان، ولا سبيل إلى دخولى وأقباى موجود فى مصر » ، فامتنع السلطان من ذلك غاية الامتناع ،

وركب وخرج بعساكره يوم الأربعاء؛ فلما سمع سودون طاز بذلك رحل من موضعه ومعه من المماليك السلطانية خمسمائة نفر ممن كانوا ينتمون إليه ، وصحبته الأمير قنباى ، وكان قد ظهر واجتمع به من عشرة أيام ، وأخذوا من طريق سرياقوس ، وداروا إلى أن دخلوا القاهرة بعد الظهر من عند باب البحر(١) إلى أن وصلوا إلى الميدان .

فأما السلطان فإنه ساق بعساكره خلف سودون ، معتقدين أنه توجه ناحية بلبيس ، فتاه عنهم ولم يعلموا من خبره بشىء ، ثم إن سودون دخل القاهرة ووصل عسكره إلى الرميلة من ناحية الصليبة وصحبتهم الأمير قنباى [العلائى] ، وقصدوا الهجم على باب السلسلة فلم يصلوا إلى ذلك ، فبينما هم فى تلك الحالة بلغ الخبر إلى السلطان بما وقع فى المدينة من سودون المذكور ، فرجع بالعسكر وساقوا سوقا عظيما ، ووصلوا إلى القاهرة بعد العصر من يوم خروجهم ، وطلع السلطان من باب الإصطبل الذى عند المدرج وجلس فى مقعد باب السلسلة ، وأمر بعض الأمراء وبعض المماليك أن يقاتلوا سودون ، فتطاعنوا بالرماح والسيوف والسهام فى الحارات والأزقة ، وجرح جماعة من الفريقين إلى المغرب ، وولى سودون وقنباى منهزمين ، وانفل عنهما من كان معهما ودخلوا القاهرة ، وتوزعوا وتفرقوا فى الحارات ، وكانوا قد ضجروا وعيوا من اللبس ، وملوا أوار الشمس والغبار ، فحجز الليل بينهم فتفرقت جموعهم شذر مذر ، فلما أصبح يوم الخميس السابع من ربيع الأول لم يسمع لهم حس ولا خبر ولا أثر ، فاختلفت الأقوال فى أمرهم — أعنى الأميرين — ولم يعلم لهما خبر .

(١) يستفاد مما ورد فى السلوك ١/٦٠٩ أنه كان قصرا ، فقد قال فى سنة ٦٧٢ «فى المحرم نقض باب القصر المعروف بباب البحر» تجاه المدرسة الكاملية بين القصرين ، على أنه يستفاد من نفس المؤلف ولكنه فى مؤلف آخر هو المواعظ والاعتبار ، ٢/٤٣١ أن باب البحر كان خارج القاهرة عند ساحل المقس .

ولما كانت ليلة الجمعة الثامن منه حضر سودون بعد العشاء الآخرة إلى الأمير يشبك الدوادار، ومعه ثلاثة نفر وهو فى ذل وهوان، فأصبح يوم الجمعة سمع به العسكر، فأتى إليه بعض الأمراء فسلموا عليه، وكتب وصيته بما له وما عليه :

وفى ليلة الأحد عاشر ربيع الأول سُفر سودون إلى دمياط بطالا، ولكن بلا قيد ولا ترسيم، ورُتب له بالثغر المذكور ما يكفيه، وأُنعم[1] عليه يشبك الدوادار بألف دينار، ولولا الأمير يشبك المذكور وسعيه لسودون ومساعدته له عند السلطان ما كان إلا مسجونا بإسكندرية، ولكنه جازاه، فإن يشبك لما كان مسجونا بإسكندرية سعى فيه حتى أخرجه منها والخير ما يضيع، ولولا هذا وإلا كان فى التصفيد، بل ولقتلوه أصلا، وبما أشيع أن السلطان رسم بقتله وخنقه، ولكن الله تعالى أخر فى عمره بوساطة الأمير يشبك؛ وأما الأمير قنباى فإنه اختفى فى المدينة كما اختفى قبل هذا التاريخ ولم يعلم له خبر :

وفى يوم الخميس الرابع عشر من ربيع الأول خلع على الأمير يلبغا السودونى الذى كان من أمراء طبلخانات حلب قبل وقعة تمرلنك، واستقر أتابك العساكر بدمشق عوضا عن الأمير أسنباى بحكم مسكه، وكذلك خُلع على الأمير سودون الظريف الذى كان نائب الكرك قبل وقعة تمرلنك، واستقر حاجب الحجاب بدمشق عوضا عن الأمير جقمق الصفوى بحكم مسكه :

* * *

(١) فسر السلوك ورقة ١٢٨ب هذا الإنعام بأنه كان مكافأة له على ما كان من سعيه فى إخراجه من سجن الاسكندرية وعودته الى مرتبته بعد نوروز وجكم .

وفى هذا الشهر دخل الأمير دمرداش الخاصكى إلى مدينة طرابلس، واستمر نائبا فيها عوضا عن الأمير شيخ الأطروش(١) بحكم عزله وإقامته فى القدس بطالا، وكان السلطان قد طلب الأمير دمرداش والأمير تغرى بردى(٢) [اليشبغاوى] وكانا قد توجها إلى التراكمين حين عُزلا من ولايتهما فى أيام نوروز كما ذكرناه مفصلا مشروحا، وكان الذى حضر بالأمير دمرداش إلى نيابة طرابلس الأمير سودون بقجة أمير طبلخاناة ورأس نوبة، أما دمرداش فإنه سبق الأمير تمرداش فى المجىء، وقدم القاهرة فى أواخر صفر منها؛

* * *

ذكر قدوم الأمير سودون الحمزاوى إلى القاهرة

اتفق بعد ذلك لما كان يوم الاثنين الحادى والعشرين من ربيع الأول حضر الأمير سودون الحمزاوى من صفد إلى القاهرة وتمثّل لدى المواقف الشريفة، وكان قد طُلب بمرسوم على يد عبداللطيف الطواشى لالا السلطان، وكان هذا يسمى الأمير أقباى [طاز الكركى] الخازندار، فإنه كان صاحبه وصديقه، فسعى فى ذلك ليكون كل منهما عضدا وعونا لرفيقه؛

وفى يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الآخرة بعد صلاة الجمعة خُلع على الشيخ أنبيا التركمانى واستقر فى مشيخة الشيوخ بخانقاه سرياقوس على عادته، عوضا عن الشيخ بدر الدين حسن بن الآمدى بحكم عزله.

---

(١) فى السلوك، ٢٩ ١ أ « المحمودى ».

(٢) هو والد أبى المحاسن المؤرخ.

وفى يوم الاثنين السادس عشر منـــه خُلع على الأمير شـــيخ السليمانى [المسرطن] شاد الشراب خاناه ، واستقر فى نيابة صفـــد عوضا عن الأمير سودون الحمزاوى بحكم انتقاله إلى القاهرة ؛

وفيـــه أعطى له مثال بالتقدمة ، وكذلك[1] أعطى للأمير تغـــرى بردى [اليشبغاوى] الذى كان نائب الشام تقدمة ألف بالديار المصرية :

وفى يوم الثلاثاء السابع عشرمنه أعطى مثالٌ للأمير قرقماس الرماح ، ورُسم له بالخروج (١٧٢ ا) إلى الشام ، وكان هذا خبز الأمير صرق ؛

وفى يوم الخميس العشرين منه خُلع على الأمير سودون الحمـــزاوى واســـتقر شاد الشراب خاناه للسلطان عوضـــا عن الأمير شيخ [السليمانى المسرطن] بحكم انتقاله إلى نيابة صفد ؛

وفى يوم الخميس ثالث جمادى الآخرة خُلع على كريم الدين محمد الهوى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن شمس الدين الشاذلى بحكم عزله .

وفيه غلا السعر وزاد جدا ، فوصل الدينار من الهرجة إلى خمسة وستين درهما ، والأفلورى المشخص إلى ستين درهما بالجدد ، وبيع أربع شقات سنجاب بما فوق آلاف ، وهذا شىء لم يعهده أحد ؛

---

(١) كذلك زاد السلطان فى إقطاعه مدينة أبيار ، وكانت داخلة ضمن أملاك الديوان المفرد ، كما رسم له أن يجلس رأس ميسرة ، راجع فى ذلك النجوم الزاهرة ٦/ ١٠٤ ، إما أبيار فهى من البلاد القديمة بكفر الزيات ، وهى بكسر الهمزة وإن كان مراصد الاطلاع ١/ ٢١ قد نص على فتحها وعرفها بأنها قرية بجزيرة بنى نصر بين مصر واسكندرية .

اما ابن دقـاق فقد أشار فى الانتصار إلى أنها مدينة كبيرة فى طرف جزيرة نصر ، كما أشار إلى كثرة ما بهـا من القياسر والحمامات ، وذكر القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص ١٢٠ أن أميلينو ذكر أن اسمها القبطى هو Hah Schfi أى « الآبار الكثيرة » فلما دخل العـرب مصر ترجموا اسمها إلى أبيار بجمع بئر على أنه المرحوم محمد رمزى دحض هذا الرأى .

وفيه سافر الأمير أطلمش الذى كان محبوسا فى قلعة مصر مدة عشر سنين من أيام الظاهر، وكان تمرلنك كلما يبعث رسلا إلى الديار المصرية يطلب هذا الرجل، فلما وقع له ما وقع استولى على البلاد — أعنى بلاد الروم — وكسر ابن عثمان — على ما ذكرناه — بعث رسلا كبيرهم يدعى الخواجا مسعود إلى الديار المصرية وطلب أطلمش المذكور، وذكر أنه متى وصل إليه يخلى هذه البلاد ويذهب إلى بلاده وحلف على ذلك، فقدمت رسله فى أول جمادى الأول منها، وجهز أطلمش بعد ما أنعم عليه بجملة قماش ونفقات مستكثرة، فخرج مع الرسل فى التاريخ المذكور، وكان رحيلهم من الريدانية يوم الخميس المذكور، وخروجهم من القاهرة يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة منها .

وفى يوم الاثنين السابع من جمادى الآخرة خُلع على الأمير سودون الحمزاوى، واستقر خازندارا كبيرا للملك الناصر عوضا عن الأمير أقباى الكركى بحكم وفاته .

وفى يوم الخميس العاشر منه خُلع على الأمير قطلبك أستادار أيتمش كان واستقر فى كشف البلاد الجيزية، عوضا عن الأمير مبارك شاه الظاهرى بحكم عزله .

* * *

ذكر مسك الأمير قنباى

وخروج الأمير سودون طاز من دمياط وما جرى بعد ذلك

لما كان ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من جمادى الآخرة غمز على الأمير قنباى فكبسوا عليه ومسكوه من بيت شهاب الدين الأستادار المشهور بأستادار الأمير قديد، وطلعوا به إلى باب السلسلة .

وفى يوم السبت السابع والعشرين منـــه سُفر مقيـــدا إلى الإسكندرية للاعتقال بها .

وفيه جاءت الأخبار بأن سودون طاز قد خرج من دمياط يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ومعه بعض ناس (١) .

وفى يوم الاثنين التاسع والعشرين منه تجرد من القاهرة وراء سودون طاز جماعة من المقدمين وهم : الأمير تغرى بردى اليشبغاوى، والأمير تمـــراز الناصرى ، والأمير يلبغا الناصرى، والأمير سودون الحمزاوى، وغيرهم من الطبلخانات والعشرات .

وفى يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة قدم الأمراء المذكورون ومعهم سودون طاز ومن معه تحت الاحتراس، وكان مسكهم إياه عنـــد (٢) الأمير علم الدين سليمان بن بقر ، وكان حين خرج من دمياط قصده (٣) معتقدا فيـــه المساعدة فأنزله وأكرمه ، وبعث من تحت بطنٍ يعلم به الأمير يشبك الدوادار .

وفى يوم الخميس مستهل شهر رجب منها سمر خمسة أنفس ممن كانوا مع سودون طاز ، أحدهم سودون الحلب الذى هو كبيرهم فى الفعل ، وكان ذلك فى الإصطبل، واجتمعت من أصحابهم مماليك كثيرة ، وأرادوا إقامة فتنة بسببهم، فشفع الأمراء فيهم عند السلطان ، فأطلقهم من التسمير ، ثم جُعلوا فى قيد وسلاسل، وحبسوا فى خزانة شمائل ، ما خلا سودون الحلب فإنه سفر إلى الإسكندرية . ثم نفى إلى بلاد الفرنج (٤) لعنهم الله .

---

(١) نص النجوم الزاهرة ٦/٥/١٠٥ على هؤلاء الناس بأنهم جماعة كبيرة من العربان والمماليك .

(٢) وذلك بالشرقية . (٣) أى قصد ابن بقر .

(٤) كان نفيه فى الواقع إلى قبرص .

وفى يوم السبت ثالث رجب الفرد آخر النهار سُفّر الأمير سودون طاز إلى الإسكندرية للاعتقال بها :

وفى هذا اليوم خُلع على القضاة الأربعة خلعة الاستمرار :

وفى يوم الاثنين الثانى عشر منه دار بالمحمل الشريف قبل أوانه على العادة :

وفى يوم الجمعة السادس عشر منه عَقد الأمير سودون الحمزاوى على بنت السلطان الملك الظاهر المدعوة زينب(١) أخت السلطان الملك الناصر فرج من الأب ، وكان عمرها ثمانى سنين تخمينا :

* * *

وفى هذا الشهر ارتفعت الأسعار جدا ، فوصل الإردب من القمح إلى سبعين ، ومن الشعير كذلك بل زاد على القمح فى السعر ، ومن الفول إلى تسعين درهما ، وبلغ ثمن التبن : كل حِمْل خمسين درهما بعد ما كان يباع بخمسة دراهم ، وذكر بعض الثقات أنه سمع رجلا يقول له : « اشتريت حمل تبن بسبعين درهما » ، وهذا أمرٌ لم يُعهد أصلا ، ووصل الفدان من القرط الأخضر — أعنى البرسيم — إلى ستمائة درهم ، والقنطار من السمن إلى ستمائة درهم ، وكذلك العسل النّحل ، أما السكر المكرر فوصل القنطار إلى ألفين وأكثر ، ووصل القنطار من قلب الفستق إلى أربعة آلاف درهم بالفلوس

(١) ترجم لها السخاوى فى الضوء اللامع ج ١٢ ص ٤٠ رقم ٢٣٤ فذكر أنها بنت أم ولد رومية الجنس وكانت بالغة الجمال ، ثم أشار إلى زواجها فيما بعد المؤيد بقجق العيساوى ، ولكنه لم يشر إلى زواجها من سودون الحمزاوى ، كذلك أهمل السخاوى فى ترجمته لسودون بالضوء اللامع ٣/١٠٥٧ الإشارة إلى هذا الزواج ، وكذلك فعلت النجوم الزاهرة ٦/٧٧٩ فقالت "توفيت خوند زينب بنت السلطان برقوق وزوجة الملك المؤيد شيخ ثم من بعده الأتابك بقجق العيساوى وماتت تحته " .

الجدد معاملة مصر ، ومن الذهب إلى خمسمائة درهم ، ومن الدبس إلى أربعمائة درهم ، ومن الزيت كذلك ، ومن الصابون إلى خمسمائة درهم ، ومن اللحم إلى ثلاثمائة درهم ، ومن البقرى إلى مائة وسبعين فأكثر ؛

وكذلك ارتفعت الأسعار جدا فى أنواع القماش ، فوصل الثوب البعلبكى الذى طوله ثلاثون ذراعا إلى أربعمائة درهم ، والثوب البطانة إلى مائة وأكثر وكانت قيمته ثلاثين درهما ، ووصل الثوب من الصوف القبرصى إلى ألف وخمسمائة ، وكانت قيمته ثلاثمائة وأربعمائة ، ولم يبق شىء من سائر الأصناف حتى ارتفع سعره ؛

وفى يوم الاثنين السادس والعشرين من رجب ، خُلع على القاضى كمال الدين عمر بن القاضى جمال الدين إبراهيم المعروف بابن العديم الحلبى ، واستقر قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية (١) عوضا عن القاضى أمين الدين ابن الطرابلسى بحكم عزله ، وكذلك خُلع على زين الدين أمير حاج بن رجب واستقر شادا بالمرستان المنصورى ؛

* * *

ذكر تحويل الأمير نوروز الحافظى وجكم وسودون طاز وقنباى من سجن الإسكندرية إلى بلاد الشام للحبس بها

بتاريخ ليلة الثلاثاء السادس والعشرين من رجب جُهز إلى الإسكندرية أميران من العشرات أحدهما يدعى أقبردى ، والثانى تانيبك ومعهما من المماليك السلطانية وغيرهم مقدار ثلاثين نفرا ، بسبب تحويل الأمراء

(١) كان استقرار ابن العديم فى قضاء الحنفية بالديار المصرية بسعى من تغرى بردى البشبغاوى والد أبى المحاسن لصحبة قديمة بينهما منذ أيام حلب .

المذكورين من حبس الإسكندرية إلى بلاد الشام للاعتقال بها ، فنى التاسع من شعبان منها سُفر هؤلاء الأربعة صحبة الجماعة المذكورين فى البحر المـــالح ولم يبق فى إسكندرية من الأمراء المحبوسين إلا الأمير تمربغـــا المشطوب والأمير سودون من زادة ، ولمـــا ركب المذكورون البحر المـــالح وسافروا ووصلوا إلى ساحل بلاد الشام وخرجوا حبس الأمير نوروز والأمير قنباى فى قلعة الصبيبة تحت حكم الشام ، وحُبس الأمير جكم فى قلعة (٧٢ ب) حصن الأكراد (١) ، وحُبس الأمير سودون فى قلعة المرقب (٢) تحت حكم طرابلس ، ثم بعد مدة طويلة حُوِّل الأمير جكم إلى المرقب أيضا . •

وفى يوم الثلاثاء الثـــانى عشر من شعبان خُلع على شمس الدين بن شعبان ابن أخت ناصر الدين الرماح شاهد الخزانة الشريفة واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن كريم الدين محمد الهوى بحكم عزله .

---

(١) حصن الأكراد أو حصن الكرك ، أو قلعة الحصن من الحصون المنيعة بين بعلبك وحمص ، كما جاء فى ياقوت ، وقد لعب هذا الحصن دورا هاما فى تاريخ هذه البقعة ، فقد اتخذته جماعة الاسبتارية مركزا لهـا بعد الاستيلاء الصليبى على بلاد الشـام ، وسمى " بحصن الفرسان " عندهم ، انظـر
Le Strange: Palestine Under the Moslems, pp. 504-505.

(٢) قلعة المرقب من القلاع الحصينة التى تشرف على سواحل بحر الشام وعلى مدينة بانياس كما جاء فى مراصـد الاطلاع ٣ / ١٢٦٠ ؛ هـــذا وقد ورد كثير من الإشـارات إلى المرقب دائمـا فى Dussaud: Topographie Historique de la Syrie, ويلاحظ أنها هى القلعـة المسماة عنـد الصليبيين باسم Marget . أما الحصن فيسمى عندهم Castrum Marghatum كما أشار إلى ذلك Van Berchem: Voyage en Syrie, t. I, p. 292
هذا ويمكن للقارئ مراجعة ما جاء فى المصـادر العربية من معاجم البـلدان وكتب الرحلة فى
Le Strange: Palestine Under the Moslems, pp. 504-505.

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين من شعبان تفاوض الأمير سودون الحمزاوى مع القاضى سعد الدين بن غراب بحضور السلطان الملك الناصر وكل منهما تكلم بكلام غث فج فظيع ، فلما نزل القاضى سعد الدين من القلعة حمل عليه بعض المماليك بالدبابيس وضربوه وأرموا عمامته من رأسه ، فهرب منهم وألقى نفسه فى باب السلسلة ، وطلعوا به محمولا عند الأمير إينال أمير آخور كبير ، وانقطع عن الخدمة أياما بذلك السبب :

وفى يوم الثلاثاء الرابع من رمضان منها خُلع على الأمير علاء الدين الشريف واستقر فى الوزارة بالديار المصرية عوضا عن القاضى فخر الدين ابن غراب بحكم عزله ، وكذلك خُلع على الأمير قجماس كاشف الشرقية كان ، واستقر فى كشف البحيرة :

وفى يوم الاثنين العاشر من رمضان خُلع على الأمير بهاء الدين رسلان واستقر فى حجوبيته على عادته أولا ، وكان قد عُزل من مدة بالأمير شهاب الدين بن سلام :

وفى يوم الثلاثاء الحادى عشر منه ضرب الأمير يشبك الدوادارُ محتسبَ القاهرة ابن شعبان فوق أربعين عصا ، وكان الذى ضربه والى القاهرة بين يديه فى بيته :

* * *

ذكر مسك أولاد ابن غراب

لما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من رمضان منها مَسك السلطان آخر النهار القاضى سعد الدين بن غراب وأخاه فخر الدين ، واعتُقلا فى القلعة بالزردخاناه ، وكذلك مسك معهما من كان من إلزامهما وهم زين الدين

صدقة ، والشيخ محمد بن الوارث المغربي ، وابن الشيخة ، وكذلك مسكوا جمال الدين أستادار بجاس ، وعوّقوه في بيت الأمير يشبك :

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من رمضان خُلع على القاضي تاج الدين ابن الدماميني واستقر ناظر الجيش بالديار المصرية عوضا عن القاضي سعد الدين بن غراب بحكم مسكه ، وكذلك خُلع على تاج الدين البقري واستقر ناظر الخواص الشريفة عوضا عن سعد الدين المذكور :

وفيه رسم السلطان بقطع جوامك المماليك المستخدمين الذين تقرروا في الديوان السلطاني بعد موت والده الملك الظاهر ، وقطع عليقهم ، فقطع ما يقارب ألفاً ومائتي نفس ، ثم وقعت فيهم الشفاعة فردوا ما خلا مائتي نفس وثلاثين نفسا :

وفي يوم الاثنين السابع والعشرين من رمضان خُلع على الأمير ركن الدين عمر بن قيماز ، واستقر أستادار الأستادارية ، عوضا عن القاضي سعد الدين ابن غراب بحكم مسكه :

وفيه أطلقوا أستادار الأمير بجاس ، واستقر أستادار الأمير الكبير بيبرس عوضا عن ابن قايماز مع ما بيده من أستادارية الأمير سودون الحمزاوي :

وفي يوم السبت التاسع والعشرين منه خُلع على الأمير أزبك الأشقر الرمضاني أحد الأمراء الطبلخانات ورأس نوبة واستقر أمير الحاج ، وكان قبله بأيام استقر الأمير بيسق الشيخي ، فقلق الحاج منه وتصد أكثرهم تبطيل الحج بسببه ، وكان بيسق قد تقرر فيه عوضا عن الأمير قطلوبك أستادار أيتمش ، وكان قد خلع عليه بأن يستقر أمير الحاج ، ولكن لما مسك ابن غراب بطلوه من ذلك :

وفى يوم الخميس رابع شــوال خُلع على الأمير مبارك شاه الظاهرى الحاجب الثانى وحاجب الحــيزية واستقر فى الوزارة بالديار المصرية عوضا عن الأمير علاء الدين الشريف بحكم عزله ومسكه :

وفى يوم الاثنين الثامن من شوال خُلع على الأمير ألجيبغا الذى كان أحد الحجاب بالديار المصرية واستقر فى نيابة ملطية ، وكذلك خُلع على سرماس أحد الأمير آخورية واستقر فى نيابة سيس ، وكانت ملطية قد استولى عليها ابن كبك التركمانى من حين وقعة تمرلنك ، وكذلك سيس :

وفى ليلة الاثنين الخامس عشر منــه اختفى الأمير مبارك شاه الظاهرى الوزير هاربا من الكلفة :

* * *

وفى هذا الشهر انحط سعر الذهب بعض الشىء عما كان عليه ، فنزل الدينار من الهرجة إلى ستين وكان قد وصل إلى سبعين ، ونزل المشخص الأفلورى إلى خمسة وأربعين ، وكان قد وصل إلى ستين :

* * *

وفى يوم الخميس الثامن عشر منه خُلع على الأمير ســودون الحمزاوى واستقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن الأمير سودون المــاردانى ، واستقر أمير مجلس عوضا عن الأمير تمراز الناصرى ، وخُلع على تمــراز واستقر أمير ســلاح عوضا عن الأمير بكتمر الركنى ، وخُلع على بكتمر واستقر رأس نوبة الأمراء ، وهو ثانى أتابك العساكر فى المنزلة :

وفيه خُلع أيضا على يلبغا السالمى واستقر مشيراً فى الدولة ، وكان قد قدم من دمياط بطلب المرسوم الشريف له :

وفيه خرج المحمل الشريف إلى الريدانية :

وفى يوم الاثنين الثانى والعشرين منه خُلع على الأمير تاج الدين رزق الله ، واستقر وزيرا بالديار المصرية عوضا عن الأمير مبارك شاه الظاهرى بحكم هروبه واختفائه ؛

وفى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين منـــه خُلع على القاضى ناصر الدين ابن الصالحى واســتقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن قاضى القضاة جلال الدين بن البلقينى بحكم عزله ؛

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين منـــه خُلع على الأمير الخازندار الصغير واستقر خازندارا كبيرا عوضا عن الأمير سودون الحمزاوى ؛

وفى يوم الاثنين السابع والعشرين منه خلع على الأمير سودون الحمزاوى رأس نوبة كبير واســتقر ناظر خانقاه شيخو وجامعه عوضا عن الأمـــير سودون المـــاردانى ؛

* * *

وفى يوم الثلاثاء سلخ شوال خُلع على القاضى تاج الدين بن البقرى ناظر الخاص الشريف ، واستقر ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية عوضا عن القاضى تاج الدين (٧٣ أ) بن الدمامينى بحكم استعفائه من الوظيفـــة ، وكان قد كتب خطه بمبلغ أدّى منه مائة وخمسين ألفا ، ثم استعفى من الوظيفة فأعفاه السلطان بواسطة الأمير يشبك الدوادار الكبير ؛

* * *

وفى يوم الخميس التاسع من ذى القعدة خُلع على الأمـــير تاج الدين ابن نقولا واستقر كاشفا بالبحيرة عوضا عن الأمير قجماس بحكم عزله ، وكذلك خُلع على الأمير ألطنبغا العجمى واستقر كاشفا بالشرقية :

وفى يوم الثلاثاء الرابع عشر من ذى القعدة رسم السلطان لجماعة من الأمراء أن يسافروا إلى إسكندرية بسبب الفرنج ، فإنه بلغ المسامع الشريفة أن قصدهم أن يهجموا عليها ، ووردت الأخبار بأن سفنا كثيرة من جهتهم قد حضرت إلى ساحل البحر بإسكندرية وهم : الأمير بكتمر الركنى رأس نوبة الأمراء ، والأمير يلبغا الناصرى ، والأمير جركس القاسمى ، والأمير آقباى الطرنطائى حاجب الحجاب بالقاهرة ، والأمير سودون الماردانى أمير مجلس ، والأمير تمراز الناصرى أمير سلاح ، والأمير تغرى بردى اليشبغاوى ؛ ومن الطبلخانات : الأمير سودون بقجة ، والأمير بشباى الحاجب ، فسافروا آخر نهار ذلك اليوم فرقتين : فرقة صوب إسكندرية ، وفرقة صوب دمياط .

* * *

وفى يوم الجمعة السابع عشر منه عقد السلطان الملك الناصر على كريمته ... ... ، وحضر هناك الأمراء والقضاة فخلع عليهم .

وفى يوم السبت الخامس والعشرين من ذى القعدة رضى السلطان على القاضى سعد الدين بن غراب وأخيه القاضى فخر الدين ونزلا إلى بيتهما وذلك بعد أن سُلِّما للأمير ركن الدين عمر بن قايماز ، وبعد أن ضُرب القاضى فخر الدين بعض الضرب ، وبعد أن التزم سعد الدين بألف ألف درهم ، والقاضى فخر الدين بثلاثمائة ألف درهم ، وبعد أن سُلما للأمير يلبغا السالمى[(1)] ، ثم سلما لمشد الدواوين ابن جلبان .

(١) يستفاد من رواية أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/١٠٧ أنهما سلما ليلبغا السالمى « ليستخرج منهما الأموال ثم يقتلهما ... فلم يعاملهما السالمى بمكروه ولم ينتقم منهما ... وعاملهما من الإكرام والإحسان بما لم يكن ببال أحد ، وما زال يسعى فى أمرهما حتى نقلا من عنده إلى بيت شاد الدواوين ناصر الدين محمد بن جليان الحاجب » .

وفي يوم الاثنين السابع والعشرين منه قطع السلطان الزيادات التي مع الأمراء المقدمين ، ما خلا الأمير بيبرس .

وفيه خُلع على الأمير يلبغا السالمي واستقر أستادار العالية عوضا عن الأمير ركن الدين عمر بن قيماز .

وفيه خرج إقطاع الأمير إينال حيا أمير طبلخاناة ، واستقر باسم تنبك الدوادار .

وفي هذا الشهر عُزل الأمير ألطنبغا العثماني عن نيابة غزة واستقر عوضه الأمير خير بك أحد المقدمين بدمشق .

* * *

وفي يوم الأحد ثالث ذي الحجة دخل طُلْب الأمراء المتجردين إلى إسكندرية ، ثم إنهم حضروا أولا فأولا ، فكلهم ضحوا (١) في القاهرة ، ما خلا الأمير أقباي حاجب الحجاب ، فإنه ضحى في السفر .

* * *

وفي هذا الشهر وصل القنطار بالمصري من الصابون الشامي إلى سبعمائة درهم ، وهذا شيء لم يعهده أحد في الديار المصرية ، ووصل الإردب من القمح إلى خمسة وتسعين درهما ، والشعير إلى ستين فأكثر ، والفول إلى ثمانين وأكثر ، والأرز إلى مائتين وخمسين درهما ، وبيع البطيخ العبدلاوي كل عشرة أرطال بدرهم في أيام يسيرة ، ثم تحسن ولم يزد على ذلك ، بل انحط سعره إلى أن فرغ ، ووقع الرخص في بلاد الشام وحلب وعينتاب والبلاد الشمالية ، وعادت أحوالها إلى ما كانت عليه .

(١) أي قدموا ضحية عيد الأضحى .

وفى يوم السبت السابع عشر من ذى الحجة (١) عيّن السلطان أربعة من الأمراء أن يخرجوا إلى الشام على الإقطاعات والأرزاق، وهم : الأمير أسنبغا المصارع والأمير نكباى الأزدمرى ، كلاهما طبلخانات، والأمير إينال حيا أمير عشرين ، والأمير إينال المظفرى أمير عشرة ، وذلك أن السلطان غضب عليهم لأنهم لما توجهوا إلى التجريدة أرسل وراءهم مرسوما بالإقامة هناك ، ، فلم يسمعوا للمرسوم وحضروا ؛

وفى يوم الخميس التاسع والعشرين منها غلق المماليك السلطانية أبواب القصر وعوّقوا الأمراء مدة طويلة بسبب الجوامك والنفقات وأُنزلوا من باب السر إلى الإصطبل، وصار كل من وجد شيئا من المراكيب ركب عليه وقصد إصطبله، وغُيّب الأمير يلبغا السالمى ثم حصّلوه وعوّقوه فى باب السلسلة عند الأمير إينال بى أمير آخور ، ورُسم عليه حتى يكمل النفقات ؛

وفيها حج بالناس بالركب المصرى الأمير أزبك الأشقر الرمضانى ، وكان أميرَ الركب الأول الأميرُ قنباى الخازندار.

وحجت فى هذه السنة أخت السلطان الملك الظاهر والدة الأمير الكبير بيبرس، وجماعة من جوارى السلطان، ولم يحج أحد فيها من طريق الشام ولا من طريق العراق ولا من طريق اليمن لأجل الخباطات وقلة الأمن ، والله أعلم ؛

* * *

(١) فى النجوم الزاهرة ٦/١٠٨ «سابع ذى الحجة» ، على أن كلا من هذين التاريخين لا يتفق ويوم السبت ، إذ ورد ص ١٦٩ س ٩ أن الأحد ثالث ذى الحجة ، فيكون بذلك الجمعة أوله وهو يتفق مع ما ورد فى جداول السنوات فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٠٣ وهو يعادل ٢٨ بؤونة ١١١٩ ، و٢٢ يونيو ١٤٠٣ م وعلى ذلك فالأرجح أن يكون «السبت تاسع» ذى الحجة أو يحذف يوم السبت ، لكن إذا نظرنا الى ص ١٧٠ س ٧ وجدناه يجعل الخميس ٢٩ منه أى أن أوله الخميس لا الجمعة ، وبذلك يكون السبت هو السابع عشر منه .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٣٨٦ — الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى[١] ابن رسلان الكنانى الشافعى، اندرج بالوفاة إلى رحمة الله تعالى يوم الجمعة بعد صلاتها، وهو العاشر[٢] من ذى القعدة من هذه السنة، ودفن صبيحة يوم السبت الحادى عشر منها فى مدرسته التى أنشأها بحارة بهاء الدين قراقوش الأسدى الصالحى، بعد أن صلى عليه فى جامع الحاكم بأمر الله عند باب الفتوح، وحضر جنازته خلق لا يحصى عددهم إلا الله، وحضر الخليفة المتوكل على الله والأمراء الكبار كلهم والقضاة الأربعة وسائر الأعيان والأكابر، وكان يوما مشهودا، وكان رحمة الله عليه علامة دهره وحافظ عصره، وكان له يد طولى فى سائر العلوم، ولا سيما فى الفروع والأصول وعلم الحديث وضبط أسماء الرجال، وكانت تشد إليه الرحال من البلاد، ويقصده العباد من أقاصى الشرق والغرب، وكان يكتب فى كل يوم على الفتاوى أكثر من خمسين فتوى، وربما كان يكتب من صلاة العصر إلى قريب العشاء الآخرة، وله مصنفات كثيرة: منها «محاسن الإصطلاح فى الزيادة على كتاب ابن الصلاح»، ومنها «شرح الترمذى» ومنها «الكشاف» (بضم الكاف) فى شرح الكشاف» للزمخشرى، ولكن لم يكمله، وغير ذلك من التعاليق والفوائد فى مذهب الشافعى وغيره من الحديث والأصول والعربية، وكان علامة القاهرة (٧٣ ب) على الإطلاق والتحقيق، بل كان علامة الدنيا فى وقته، ولم يبق فى آخر وقته من الشافعية — بل ولا غيرهم — من يقاربه

---

(١) نسبة إلى بلقينة من أعمال المحلة الكبرى من أسفل مصر، راجع القاموس الجغرافى، ق ٢، ج ٢، ص ١٩؛ وكان جده الثانى صالح أول من سكنها.

(٢) ذكرت الشذرات أنه مات يوم الجمعة «١١ ذى القعدة»، لكنه «العاشر» أيضا فى السلوك، ورقة ١٣٩، انظر Wiet: Le Biographies du Manhal Safi, No. 1723

ولا يدانيه ولا يجاريه، بل كان المشار إليه فى المجالس والمحافل، طرازهم الكامل، وفى مجلس السلطان كذلك، وكان عمره رحمه الله قد زاد (١) على الثمانين عاما ؛

٣٨٧ — القاضى زين الدين الشهير بالتاجر، توفى يوم الأحد الثالث من ذى الحجة منها، وكان أحد الحنفية الكبار فى الديار المصرية، وكان فى أول أمره سمسارا فى قيسارية الشرب، ثم إنه انكسر عليه مال كبير، وكان يشتغل بالعلم الشريف، فدخل القاضى محب الدين ناظر الجيش على قاضى القضاة جمال الدين حتى استنابه، ولم تزل القضاة بعد ذلك تستنيبه إلى آخر وقته، وكان رجلا سالكا مسلك المولهين، ولم يكن مغترا بزينة الدنيا مثل سائر القضاة ؛ [و] حين توفى كان سنه قد زاد على سبعين سنة ؛

٣٨٨ — قاضى القضاة تاج الدين بهرام (٢) المالكى، توفى يوم الاثنين السابع من جمادى الآخرة منها، وكان من أهل العلم والديانة، تولى قضاء المالكية بالديار المصرية ؛

٣٨٩ — قاضى القضاة جمال الدين [محمد] المالكى الشهير بالقفصى (٣)، توفى فى محرم منها فى مدينة دمشق من هذه السنة ؛

---

(١) الوارد فى الشذرات أنه ولد فى شعبان سنة ٧٢٤هـ.

(٢) ورد فى النجوم الزاهرة ٦/١٥٦ والضوء اللامع ٣/٩٦ باسم «بهرام بن عبدالله الدميرى»، ولكنه ورد فى الشذرات «ابن الديرى» وقد تردد السخاوى فى الضوء اللامع فى أى الشهرين: جمادى الآخرة أو ربيع الأول كانت وفاته.

(٣) فى الأصل «العقهى» والأرجح أنه هو علم الدين وليس جمال الدين محمد بن محمد الدمشقى القفصى المتوفى فى ٢١ محرم، راجع السلوك، ورقة ١٣٩ ب، وشذرات الذهب ٧/٥٣، وقد ترجم له النجوم الزاهرة ٦/١٥٨ باسم «العفصى»، ووردت ترجمة له فى قضاة دمشق، ص ٢٤٩ — ٢٥٠ وإن لم يذكر لقبه، وأشار الناشر فى الهامش رقم ٤ إلى أنه لم يجد له ترجمة ومن ثم ترك اسمه مقصورا على «المحمدين» فقط.

٣٩٠ ـ قاضي القضاة شمس الدين النابلسي الحنبلي، الحاكم بمدينة دمشق ، توفى فيها في محرم ، وكان رجلا مشكور السيرة .

٣٩١ ـ شيخ الشيوخ أبو محمد بدر الدين حسن بن علي الشهير بابن الأمير ، توفى في أوائل شعبان منها ، وكان رجلا جنديا من أهل الحسينية فخلع لبس الأجناد ولبس لبس أهل التصوف ، وتولى مشيخة خانقاه سرياقوس بواسطة الأمير سودون طاز ، ثم عُزل بصاحبها الشيخ أنبيا التركماني كما ذكرناه مشروحا ، وجاء إلى بيته بالقاهرة ، ولم يزل ضعيفا حتى توفى في التاريخ المذكور .

٣٩٢ ـ الأمير عنان بن مغامس بن رميثة الحسني ، توفى أوائل[1] ربيع الأول منها وذلك بعد أن أخرج من حبس إسكندرية بواسطة يشبك الدوادار ، وكان محبوسا منذ عشرين سنة في أيام الملك الظاهر ، وكان سعيه أن يتولى مكة ـ شرفها الله تعالى وعظمها ـ فأدركه الأجل قبل بلوغ الأمل ، وكان الأمير حماز بن شيحة الحسني في الحبس معه ، فأُخرج معه أيضا في القاهرة وتولى سلطنة المدينة على عادته عوضا عن الأمير نعير بن ثابت ، واستخدم مماليكا أتراكا وخرج إليها .

٣٩٣ ـ الأمير أقباى الكركي الخازندار ، توفى ليلة السبت الرابع عشر من جمادى الآخر منها ، ودُفن يوم السبت في حوش السلطان الملك الظاهر ظاهر باب النصر ، وكان ضعيفا مقدار شهرين وأكثر بانطلاق بطنه ، ولم يفرح بعد خروجه من الحبس إلا أياما قلائل[2] ، حتى أتاه الموت ، ولحقته لواحق الفوت .

(١) في النجوم الزاهرة ١٥٧/٦ « أول » .
(٢) راجع العيني ٥ ١٩٤/٢ .

٣٩٤ – الأمير يلبغا السودونى حاجب الحجاب بدمشق ، توفى فى شهر جمادى الآخرة ودفن بدمشق ، وتولى عوضه الأمير جركس والد تنم الذى كان حاجب الحجاب بطرابلس ، وتولى عوضه فى طرابلس الأمير مراد :

٣٩٥ – الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير ناصر الدين محمد بن رجب أحد الأمراء العشرات بالديار المصرية وأحد الحجاب الصغار بها ، توفى يوم الأحد الحادى عشر من رجب منها ، وكان رجلا شابا حسن الصورة شجاعا باسلا :

٣٩٦ – الأمير قرقماس الإينالى الرماح ، قتل فى دمشق بسيف السلطان الملك الناصر فى أواخر رمضان منها ، وكان قد خرج من القاهرة على ماذكرناه على إقطاع الأمير صرق ، ثم تولى[(١)] كشف مدينة بعلبك ، وأتى به إلى دمشق فحبسه نائب دمشق ، ثم حضر إليه مرسوم شريف بقتله فقتل هو ومعه جماعة من المماليك ، والله تعالى أعلم :

٣٩٧ – الشيخ أحمد بن خليل بن يوسف بن عبد الرحمن العينتابى الضرير ، المقرئ المجود بحارة البساتين بعينتاب ، كان رجلا فاضلا وصاحب قراءات بالروايات السبعة وغيرها ، وكانت له يد طولى فى حل الشاطبية وحفظها ، وفى كتاب « الرائية » أيضا ، وفى « النونية » للسخاوى ، وفى « المنظومة » للنسفى ، وهو أحد أشياخ الشيخ الإمام قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى ، ذكره فى تاريخه وأثنى عليه وقال[(٢)] : « قرأت عليه القرآن الكريم ، وعرضته عليه من أوله إلى آخره مرارا عديدة عن ظهر قلب برواية حفص وغيره ،

---

(١) الوارد فى الضوء اللامع ٦/٢٢٧ أنه « تولى كشف الرملة » ثم حدث أن هرب فأمسكوه عند بعلبك .

(٢) أنظر فى وفاته الحاشية التالية .

وقرأت عليه كتاب « النونية » وبعض « الشاطبية » وذلك فى حدود سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وأنا مناهز للبلوغ ، ومراهق للإدراك ، وتوفى (١) قبل هذه السنة بسنتين ، فى أيام محنة تمرلنك » .

٣٩٨ — الشيخ محمود بن محمد بن عبد الله الرومى ، ثم العينتابى ، الملقب بدر الدين الواعظ ، وكان رجلا زاهدا عارفا حاذقا ، عالمـــا فاضلا متورعا فى غاية ، ذكره شيخنا الشيخ بدر الدين محمود العينى الحنفى وأثنى عليـــه ، وقال (٢) : « كان متجنبا عن الناس ، مشتغلا بالعبادة والاشـــتغال بالعلوم والوعظ والتذكير للناس ، وأدرك فى بلاد الروم كبار مشايخنا وأخذ العلم عنهم مثل الشـــيخ موفق الدين الأقصرائى والشيخ جمال الدين الأقصرائى وأنظارهما ، قدم مدينة عينتاب فى حدود سنة سبعين وسبعمائة ، ونزل بدار بجوار جامع شرف الدين موسى بحارة البهلوان ، وأقام فيها مدة يذكر الناس ويعظهم فى الجامع المذكور ، وكان يحصل فى مجلسه رقة عظيمة وخشوع وبكاء عظيم ، ولقد تاب على يديه خلق كثير من الظلمة والفسقة ، ثم ارتحل منها إلى القدس الشريف ، ثم عاد منها إلى حلب واستوطن بهـــا ونزل فى الباقهوسية منها ، ولم يزل يذكر الناس ويعظهم فى جامعها العتيق إلى أن أدركته المنية فى حدود الثمانين والسبعمائة ، وهو أحد مشايخى الذين أخذت عنهم وقرأت عليهم ، ولقد قرأت عليه بمدينة عينتاب كتاب الغزى فى علم

---

(١) هـــذا يعنى أن وفاته وقعت ســنة ٨٠٣ ، وقد أدرجه ابن حجر فيمن مات فى سنة ٨٠٤ فى كتابه « إنباء الغمر ، بأنباء العمر » .

(٢) لم يرد نص هذه العبارة فى عقد الجمان ولا الإشارة إلى اسمه واسم من سبقه فى الترجمة رقم ٣٩٧ ، كما خلت نسخة عقد الجمان المستعملة فى هذه الحواشى من ترجمتيهما ، ولكن لا يستبعد أن تكون هنالك نسخة أخرى أكمل من هـــذه استعان بها الصيرفى ، كما وردت مثل هـــذه الإشارة فى شـــذرات الذهب ٧ / ٥٤ .

التصريف وسمعت عليه كتاب المصابيح للبغوى بقراءة الشيخ شمس الدين المشهور باللام البابى ، وقرأتُ عليه بمدينة حلب كتاب السراجية فى الفرائض . وكانت وفاته قبل هذا التاريخ بعشرين[(١)] سنة ، ولكن ذكرته فى هذا الموضع للتبرك ، وأيضا ما ظهر لى تاريخه فى أى سنة توفى » . توفى فى حلب رحمه الله ، وسبب ضبطى لوفاته ووفاة من تقدمه كونهما شيوخ الشيخ بدر الدين وهو شيخى ، فأردت أن لا أخلى التاريخ مما يقع لى من أشياخ شيوخى على الإطلاق ، راجيا بذلك المغفرة من الكريم الخلاق ، إنه على كل شىء قدير ، وإليه المصير وهو اللطيف الخبير ، والملك الكبير .

* * *

(١) لاندرى تفسيرا لوضع هذه الترجمة فى هذه السنة عند العينى إلا إن أخذنا بقوله « للتبرك » الذى لا مبرر له ، وقد سار على نهجه الصيرفى فى إدراجه ترجمته هنا وإن كان قد اعتذر لذلك بعذرين أحدهما أنه لم يعرف فى أى سنة توفى صاحب الترجمة ، وثانيهما أنه هو وسابقه من شيوخ شيخه العينى ، وهذه سذاجة تاريخية منه .

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى الســنة السادسة بعــد الثمــانمــائة

لمــا كان يوم الاثنين الثالث من محرم هذه السنة قدمت رسلٌ من عند تمرلنك وهم جماعة — وكبيرهم الخواجا مسعود — ومعهم فيل أسود هدية للسلطان ، وكان يوم وصولهم إلى القاهرة يوما مشهودا :

وفى يوم الثلاثاء رابع المحرم خُلع على الأمير ركن الدين عمر بن قايماز واستقر أستادار العالية عوضا عن الأمير يلبغا السالمى بحكم عزله ومسكه :

وفى يوم السبت الثامن منــه خُلع على الصاحب علم الدين يحيى الشهير بأبى كم ، واستقر وزيرا بالديار المصرية وناظــرا على الخواص الشريفة (٧٤ أ) عوضا عن القاضى تاج الدين بن البقرى بحكم عزله واستقراره فى نظر الجيش ونظر ديوان المفرد على عادته :

وفى يوم الاثنين العاشر منه خُلع على القاضى شمس الدين بن شعبان واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن القاضى شمس الدين الشاذلى :

وفى يوم الأربعاء الحادى عشر منه نودى فى المدينة : « ألّا من ظالم من يلبغا السالمى فعليه بالأبواب الشريفة » كل ذلك ويلبغا مُعوَّقٌ بباب السلسلة تحت الترسيم ، وقيل إنه ضُرب ضربا شديدا مبرحا :

وفى يوم الخميس السادس عشر منه خُلع على قاضى القضاة شمس الدين الإخنائى الشافعى ، واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن قاضى القضاة ناصر الدين بن الصالحى بحكم وفاته ، وكان قد قدم من الشام بعد عزله منها بمدة عشرين يوما أو أكثر بشىء يسير ، وبذل على ذلك جملة من المـال ؛

وفى يوم السبت الخامس عشر منه غُيِّب الوزير علم الدين أبو كم ، وهرب عن الوظيفتين (١) من العجز وقلة الحاصل ، وخُلع أيضا على الأمـير ناصر الدين محمد بن كلبك متولى القاهرة ، واستقر مشد الدواوين مضافا لمـا بيده من الولاية والحجوبية ، وتسلم فى ذلك اليوم يلبغا السالمى ، ثم بعد أيام قلائل سُفر يلبغا إلى إسكندرية للاعتقال بها ؛

* * *

وفى أواخر المحرم تحسنت الأسعار جدا ، فوصل الإردب من القمح إلى مائة وعشرين درهما ، ووصل القنطار المصرى من العنب إلى مائة وعشرين درهما ، والقنطار من الصابون الشامى إلى تسعمائة درهم ، ووصل الدست من الورق الشامى وهو خمسة وعشرون فرخة إلى ستة عشر درهما ، والدست الحموى إلى عشرين درهما ؛

* * *

وفى هذا الشهر — أعنى المحرم — عُزل الأمير جمق عن نيابة الكرك ، واستقر عوضه الأمير جمال الدين بن الهيدبانى ، ورُسم للأمير جمق أن يقيم بطالاً ؛

وفى أوائل صفر من السنة ارتفع سعر الذهب جدا ، فوصل الدينـار الهرجة المصرى إلى أربعة وستين درهما ، ووصل المشخص الأفلورى إلى فوق الخمسين ، وأبيع كل أربع شقات سنجاب جديد بألف وخمسمائة درهم ، وهذا شىء لم يسمعه أحد ؛

* * *

(١) يعنى بذلك وظيفة الوزارة ووظيفة نظر الخاص ؛

وفيه جاءت الأخبار من بلاد الشام بأن الفرنج — لعنهم الله — قد طلعوا إلى بلاد صيدا وبيروت وطرابلس وعاثوا فيها بالفساد، وأن نائب طرابلس وهو الأمير ... ...[1] قد طلع إليهم وقاتلهم وانكسروا بإذن الله تعالى، وقُتل منهم بعض ناس :

وفى يوم الثلاثاء تاسع صفر عَرض السلطان خِلع النواب، فقام الأمير سودون الحمزاوى وأخذ خلعة نائب الشام ولبسها ونزل، وكانت له مدة يطلب نيابة الشام، واشتاع فى القاهرة ذلك، ثم بطل ولم يصح :

وفى يوم الخميس الحادى عشر منه — ثانى يوم النيروز — كُسر خليج البحر بعد العصر ونزل إليه الأمير يشبك الدوادار، وكان النيل قد توقف كثيرا :

وفى يوم الاثنين الخامس عشر منه خرج الأمير سودون الطيار إلى ثغر إسكندرية بسبب الفرنج :

وفى يوم الأربعاء السابع عشر منه خَرج الأمير أقباى حاجب الحجاب، والأمير يلبغا الناصرى، والأمير إينال العلائى، الشهير بالحطب :

وفى يوم الاثنين الثانى والعشرين منه خُلع على الأمير صرق الذى كان نائب غزة، ثم قدم إلى القاهرة فأُنعِم عليه بإمرة عشرين واستقر كاشفَ البحيرة :

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين منه خُلع على طغيتمر الذى كان دوادار الأمير قلمطاى، واستقر مشد الخاص الشريف :

(١) فراغ فى الأصل بقدر كلمة .

وفى أول ربيع الأول منها نقص النيل ونزل إلى أقل من ستة عشر ذراعا ، فحصل بذلك ضرر عظيم للناس سيما الفقراء وضعفاء الحال ؛ وارتفعت الأسعار جدا ، فوصل الإردب من القمح إلى مائة وسبعين وثمانين درهما ، ومن الشعير إلى مائة ، وكذلك الفول ، وعدم الخبز من القاهرة ثلاثة أيام ، وارتفعت الأسعار ، ووصل سعر الهرجة من الذهب إلى سبعين ، ومن الأفلورى المشخص إلى خمسة وخمسين درهما ، ثم وصل إلى ستين درهما ؛

وفى يوم السبت رابع ربيع الأول منها خُلع على القاضى جلال الدين ابن الشيخ سراج الدين البلقينى ، واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن القاضى شمس الدين الإخنائى بحكم عزله ؛

وفى يوم الاثنين سادس ربيع الأول منها خُلع على القاضى شمس الدين البجانسى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن القاضى شمس الدين محمد بن شعبان بحكم عزله ؛

وفيه بيع الإردب الشعير بمائة وعشرة دراهم ، والفول بثمانية وعشرين درهما ، والإردب من الأرز بأربعمائة درهم ، والبطة من الدقيق بخمسين درهما ، وهى خمسون رطلا مصريا ؛

وفى يوم الاثنين أيضا بعد العصر خُلع على القاضى جمال الدين البساطى ، واستقر فى قضاء القضاة المالكية بالديار المصرية عوضا عن قاضى القضاة ولى الدين بن خلدون المغربى ؛

وفى يوم السبت الحادى عشر منه خُلع على الأمير ناصر الدين محمد ابن محمود الأستادار واستقر كاشف الجيزية حاجبا صغيرا عوضا عن الأمير مبارك شاه الظاهرى ، وأنعم عليه بإمرة عشرة ؛

وفيه بيع الإردب من القمح بمائتين وعشرين درهما ، والإردب من الشعير بمائة وثلاثين درهما .

* * *

وفيه وصلت الأخبار من نائب حلب أن السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد وتبريز قدم إلى حلب هاربا من قرا يوسف التركمانى ، واعتذر للسلطان عما صدر منه من الإساءة ، وقُبل ذلك ، وسأل أنهم إن لم يقبلوه يذهب إلى بلاد الروم ؛ وكان سبب مجيئه أنه تقاتل مع أبيه الملك الظاهر على بغداد ، وطلب قرا يوسف مستنجدا به ، وقتل ابنه ، ثم إن قرا يوسف نهب السلطان أحمد حتى أخذ حريمه ، وهرب هو وحده وجاء إلى حلب (١) .

وفى العشرين من ربيع الأول انتهى سعر القمح إلى مائتين وأربعين درهما ، والفول إلى مائة وثلاثين وكذلك الشعير ، وقل الشعير جدا حتى أُعْطى لمماليك السلطان — عوض الشعير — الفول .

وفى يوم الاثنين السابع والعشرين من ربيع الأول خُلع على الرسل الذين قدموا من عند تمرلنك خلع السفر ، وكذلك خُلع على الأمير قنباى التمربغاوى أمير طبلخاناه وخرج على البريد لعزل نائب حلب الأمير دقماق ، فطلبه إلى الديار المصرية .

وفيه خلص تمراز من خزانة شمائل وهو أحد المسمرين لأجل سودون طاز ، ورُسم له أن يروح إلى الشام صحبة الأمير قنباى المذكور .

(١) ربما كانت عبارة النجوم الزاهرة ١٠٩/٦ أوضح من عبارة المتن فى شرح هذا الحادث فقد جاء فيها « إن قرا يوسف قدم إلى دمشق ... وكان من خبره أنه حارب السلطان غياث الدين أحمد بن أويس وأخذ منه بغداد ، فلما بلغ تيمور ذلك بعث إليهم عسكرا فكسرهم قرا يوسف ، فجهز إليه تيمور جيشا ثانيا فهزموه ، ففر بأهله وخاصته إلى الرحبة فلم يمكن منها ونهبته العرب ، فسار إلى دمشق فوافى بها السلطان أحمد بن أويس ، وقد قدمها أيضا قبل تاريخه » ، أنظر فيما بعد ص ١٨٣ س ١٢ — ١٨ .

وفى يوم الخميس مستهل ربيـــع الآخر قدم الأمير إينـــال حطب من إسكندرية :

وفى يوم الجمعة آخر النهار قدم الأمير يلبغا الناصرى ، ثم بعده قدم الأمير سودون الطيار والأمير آقباى حاجب الحجاب :

وفى هذا الشهر عُزل القاضى شمس الدين (٧٤ ب) بن الصفدى الحنفى عن قضاء طرابلس ، واستقر عوضه القاضى تاج الدين بن الحافظ الحلبى :

وفى يوم الاثنين التاسع عشر منه هرب القاضى تاج الدين بن البقـــرى الوزير وناظر الخاص وناظر الجيش عن كلفة اللحم والنفقات فى بيت السلطان :

وفيه عومل بالديار المصرية الدينار بمصارفة اثنين وسبعين درهما :

وفى العشرين منه أُخلـــع على القاضى سعد الدين بن غراب واســـتقر أستادار العاليـــة عوضا عن الأمير زين الدين عمر بن قايماز ، واستقر أيضا ناظر الجيش عوضا عن تاج الدين بن البقرى بحكم هروبه واختفـــائه ، وخُلع على الأمير تاج الدين رزق الله بن نقولا متولى كشف البحيرة واستقر فى الوزارة عوضا عن ابن البقرى المذكور :

وفى هذا الشهر عُزل القاضى زين الدين عبد الرحمن بن يوسف الكفرى(١) الحنفى عن قضاء القضاة الحنفية بدمشق ، وتولى عوضه القاضى محيى(٢) الدين ابن القاضى نجم الدين بن الكشك ، ثم قبل وصوله إلى محل ولايته عُزل وتولى عوضه القاضى ابن قطب(٣) الحنفى ، وكذلك عُزل القاضى ابن يحيى عن

(١) أنظر قضاة دمشق ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

(٢) قضاة دمشق ، ص ٢٠٤ .

(٣) قضاة دمشق ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٦ .

قضاء القضاة الشافعية بحلب ، واستقر عوضه القاضي شمس الدين أخو جمال الدين أستادار بجاس :

وفي يوم السبت ثاني شهر جمادى الأول من هذه السنة خُلع على القاضي كريم الدين محمد الهوى ، واستقر محتسبا بالقاهرة عوضا عن القاضي شمس الدين البجانسي بحكم عزله ، وكذلك خُلع على ابن المزوق واستقر في كشف الغربية :

وفي هذا الشهر عومل بالديار المصرية الدينار بثلاثة وسبعين درهما ، والأفلوري المشخص بسبعة وخمسين درهما :

وفي يوم الثلاثاء الخامس منه خُلع على القاضي بدر الدين بن نصر الله ، واستقر ناظر الخواص الشريفة عوضا عن القاضي تاج الدين بن البقري بحكم عزله كما ذكرنا (١) :

* * *

وفيه جاءت الأخبار بأن تمرلنك قد أرسل أولاده الثلاثة مع عسكر كثيف وراء قرا يوسف بن قرا محمد التركماني ، وكان نازلا بعسكره على بغداد من حين كسر السلطان أحمد بن أويس (٢) ، فنهض قرا يوسف ومعه ما يزيد على عشرين ألفا من التراكمين ، فتلاقوا مع عسكر تمرلنك ، فانكسر قرا يوسف انكسارا شديدا بحيث لم يخلّص إلا نفسه وإحدى زوجاته وأحد أولاده ، فهرب طردا وركضا ومعه ما دون الخمسين حتى وصل إلى دمشق ونزل عند نائبها شيخ المحمودي :

* * *

---

(١) راجع ص ١٨٢ ، س ٧ – ٨ .

(٢) ربما كان هذا يفسر ما جاء في النجوم الزاهرة ٦/١٠٩ س ٢١ — ٢٢ من أنه في جمادى الآخرة رسم بالقبض على السلطان أحمد بن أويس وقرا يوسف بدمشق فقبض عليهما الأمير شيخ وسجنهما .

وفى هـذه السنة فى هذه الأيام جاءت الأخبار بأن الأمير قنباى العلائى الذى كان محبوسا فى قلعة الصبيبة مع الأمير نوروز الحافظى قد هرب من السجن بالحيلة ونجا بنفسه :

وفى يوم السبت سابع جمادى الأولى خُلع على القاضى شمس الدين الشاذلى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن القاضى كريم الدين محمد الهوى بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخر هرب الوزير تاج الدين بن نقولا من كثرة الكلفة وقلة اللحم .

وفى يوم الاثنين سادس عشره قدم الأمير قنباى الذى سافر لمسك الأمير دقماق نائب حلب :

وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين منه خُلع على القاضى تاج الدين ابن البقرى — الذى كان هرب واختفى — واستقر وزيرا بالديار المصرية على عادته عوضا عن تاج الدين رزق الله بن نقولا المتسحب عن الوزارة ، واستقر أيضا ناظر الخواص الشريفة على عادته عوضا عن القاضى بدرالدين ابن نصر الله بحكم عزله .

وفيه وصل الإردب من القمح إلى مائتين وسبعين درهما ، والقدح من الأرز[1] إلى خمسة دراهم وأكثر ، والرطل المصرى من السمن إلى ثمانيـة ، والعسل إلى ستة ، والدبس إلى خمسة .

وفى أوائل رجب وصل الإردب من القمح إلى ثلاثمائة درهم ، والشعير إلى مائتين ، والفول إلى مائتين ، والحمل التبن إلى ستين درهما ، والقدح من

(١) فى الأصل «الأردب» .

الأرز إلى سبعة ، والرطل من اللبن إلى درهم ، ومن الجبن المقلى إلى ستة دراهم .

وفى يوم الاثنين خامس عشر رجب داروا بالمحمل الشريف ، ونودى بأن الأمير طولو أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية يكون أمير الحج .

وفى يوم الخميس الثامن عشر من رجب حضر سيف الأمير آقبغا الجمالى الأطروش الذى كان تولى حلب عوضا عن الأمير دقماق وأخبر بوفاته .

وفى يوم السبت العشرين من رجب خُلع على الرسل الذين قدموا من عند تمرلنك خلعة ثانية لأجل السفر ، وعُيّن معهم الأمير منكلى بغا الحاجب الصغير وخُلع عليه أيضا .

وفى يوم الاثنين الثالث[1] من شعبان جاءت الأخبار بأن الأمير دقماق جاء على حلب ومعه جماعة من التراكمين ، والأمير عليباك بن الأمير خليل ابن الأمير قراجا بن ذلغادر كبير التركمان واستولى على حلب ، وهرب أمراء حلب وجاءوا إلى مدينة حماة ، ثم إن السلطان سفّر الأمير سودون المحمدى ومعه تقليد الأمير دمرداش الخاصكى نائب طرابلس لنيابة حلب عوضا عن الأمير آقبغا الجمالى الأطروش بحكم وفاته ، وسُفّر الأمير أقبردى ومعه تقليد الأمير شيخ السليمانى نائب صفد لنيابة طرابلس عوضا عن دمرداش ، وسُفّر إينال المامورى ومعه مرسوم بإنفاذ قضاء الله فى الأمراء المحبوسين .

---

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٠٣ أن أول شعبان ٨٠٦ كان يوم الاربعاء ، وهذا يطابق ما جاء فى ص ١٨٦ ، س ١ وما جاء فى عقد الجمان ٢٥/٢٠٣ س ٩ وعلى ذلك لا يمكن أن يكون قوله « الاثنين ثالث شعبان » صحيحا ، والأرجح أنه السادس منه .

وفى يوم الخميس السادس عشر من شعبان خُلع على ابن شعبان واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن شمس الدين الشاذلى .

وفى هذا الشهر بيع كل حمل تبن بثمانين درهما وأكثر ، والإردب من الشعير بمائتين وخمسين درهما وكذلك الفول ، والإردب من القمح بأربعمائة درهم ، والبطة من الدقيق بمائة وعشرة دراهم ؛ ومع هذا كان اللحم الضأن بدرهمين ونصف الرطل .

* * *

وفى العشر الأخير من شعبان جاءت الأخبار بحدوث زلزلة عظيمة فى البلاد الطرابلسية وانهدمت أبنية كثيرة ، ووقع غالب قلعة المرقب وغيرها فى أوائل رمضان منها ، ووصل الدينار المصرى إلى تسعين ، والأفلورى إلى سبعين ، والحمل التبن إلى ثمانين وأكثر ، وكل راوية ماء حلو من النيل إلى سبعة وأكثر ، وبيع كل درهم فضة بثلاثة من الفلوس الجدد ، والفضة الحجر بأربعة من الفلوس .

وفى أواخر رمضان وصل الحمل من التبن إلى تسعين درهما ، ولقد بلغنى عن بعض الثقات أن شخصا اشترى فى هذا التاريخ عشرين فروجا بخمسمائة وخمسين درهما .

وفيه وصل الرطل السكر المكرر الأبيض إلى خمسين درهما ، والنبات إلى سبعين .

* * *

وفى يوم الثلاثاء الرابع من شوال خُلع على القاضى كريم الدين محمد الهوى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن ابن شعبان ، ووصل القنطار من السكر إلى ستة آلاف درهم ؛ ولقد بلغنى من بعضهم أن الفروج الواحد بيع بسبعين درهما ، وبيع الرطل من البطيخ الصيفى بثلاثة دراهم ، والحمل التبن بمائة وأكثر .

* * *

وفيه جاءت الأخبار بأن الأمير نعير [بن حيار بن مهنا] أمير آل فضل تواقع مع تركمان سالم الدوكارى على قريب من [حلب] (١) فانكسر تركمان سالم كسرة شنيعة بشعة ، وقتل كبيرهم دمشق (٢) خواجا بن سالم الدوكارى .

وفى يوم الجمعة رابع عشر شوال خُلع على تاج الدين محمد — المعروف بابن شقير خطيب الجيزة — واستقر فى حسبة مصر العتيقة عوضا عن البكرى بحكم عزله :

وفى يوم الاثنين سابع عشره خرج المحمل الشريف ، وأمير (٣) الحج الأمير طولو ، وسافر أيضا معه من الأمراء الأمير جرباش رأس نوبة أحد الطبلخانات والأمير بيسق الشيخى أمير آخور صغير وأحد الطبلخانات .

وفى هذا اليوم مُسك الأمير القاضى تاج الدين (٧٥ أ) بن البقرى بحكم مسكه وتسليمه إلى ابن غراب :

وفى يوم الاثنين مستهل ذى القعدة خُلع على شمس الدين بن شعبان واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن الهوى بحكم عزله .

وفى يوم الخميس رابع ذى القعدة خُلع على الهوى حسبة القاهرة عوضا عن ابن شعبان بحكم عزله :

---

(١) فراغ فى الأصل بقدر كلمتين ، والإضافة من السلوك .

(٢) هو دمشق خجا بن سالم بن سيف الدكرى التركمانى الذى ظل معظم حياته خارجا على سلطان مصر ، ولم يشر الضوء اللامع ٣/٨٢٣ ، ولا النجوم الزاهرة ٦/١٦٢ إلى مكان قتله ، هذا وقد كان قتله فى رمضان من هذه السنة .

(٣) أنظر ما سبق ، ص ١٨٥ ، س ٣ – ٤ .

وفى أوائل الشهر خُلع على الشيخ شمس الدين القليوبى واستقر شيخ الشيوخ بخانقاه[١] سرياقوس ، عوضاً عن الفقيه أنبيا التركمانى بحكم رغبته عنها.

وفى التاريخ المذكور نزل الشيخ شرف الدين يعقوب بن التبانى عن مشيخة خانقاه قوصون للشيخ محيى الدين يحيى البهنساوى موقّع الأمير جركس .

* * *

وفى ليلة الأحد التاسع والعشرين من ذى القعدة وُلد للسلطان الملك الناصر ولد ذكر سماه برقوق باسم أبيه ، وزُينت القاهرة سبعة أيام .

وفى يوم الخميس خامس[٢] ذى الحجة عُمل أسبوعٌ برسم ولد المقام الشريف المذكور ، وصرف فيه أموالا جزيلة كثيرة .

* * *

وفى هذا الشهر تحسن كل شىء ، فوصل الرطل من الجبن المقلى إلى إثنى عشر درهما ، والرطل من اللحم البقرى إلى ثلاثة دراهم ، والضانى إلى خمسة دراهم ، وقلّت الغنم جدا ، ولقد بلغنى أن عشر دجاجات أُبيعت بألف درهم لكنهم[٣] معلوفات سمان .

وفى يوم الاثنين سابع ذى الحجة الحرام خُلع على القاضى جلال الدين ابن البلقينى واستقر فى قضاء القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن القاضى شمس الدين الإخنائى بحكم عزله .

وفى يوم الأربعاء سادس عشر ذى الحجة شاع فى القاهرة ركوب بعض الأمراء ، وحصل بذلك جفل كثير بين الناس ، فلما أصبحوا نهار الخميس مسك السلطان جماعة من الأمراء الطبلخانات وهم : الأمير بيبرس الدوادار

(١) راجع عنها ماسبق ص٣٨ حاشية رقم ١ .
(٢) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٠٣ أن أول ذى الحجة هو الثلاثاء .
(٣) هكذا فى الأصل .

الصغير والأمير جانم [بن حسن شـــاه] والأمير سودون المحمدى ، وسُفِّروا فى يومهم إلى إسكندرية للاعتقال بها .

وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين منه خلع على الأمير قرقماس غليظ الرقبة ـ أحد الطبلخانات ـ واستقر دوادارا صغيرا عوضا عن الأمـير بيبرس الصغير .

وفى هذا اليوم برز المرسوم الشريف بإبطال سائر الحجاب من القاهرة ، ما خلا الحاجب الكبير الأمير أقباى والحاجب الثانى الأمير بشباى .

وفى يوم السبت السادس عشريه خُلع[1] على أمين الدين بن المنهـــاجى ، واستقر فى حكم مصر عوضا عن تاج الدين بن شقير بحكم عزله .

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٣٩٩ ـ قاضى القضاة نور الدين على [بن خليل] الحكرى الحنبلى ، توفى يوم الأحد[2] التاسع من محرم هذه السنة ، وهو بطال من مدة سنين وأكثر ، تولى قضاء القضاة الحنابلة بالديار المصرية كما ذكرنا ، وكان فى ولايته على بعض جهالة وقلة بهجة ، وكان عنده بعض العلوم ، وكان أولا يعظ الناس فى الجامع الأزهر وغيره ، ثم ابتُلى بالقضاء على ما ذكرنا .

٤٠٠ ـ قاضى القضاة ناصر الدين محمد [بن محمد بن عبـــد الرحمن] الشهير بابن الصالحى ، توفى ليلة الأربعاء الثانى عشر من المحرم وقت التسبيح وكان به مرض قولنج ، وكان يتحرك عليه كل حين ، فتحرك عليه يومين

(١) راجع العينى عقد الجمان ٢٥/ ٢٠٥ سطر ١٣ .

(٢) فى السلوك أنه مات ليلة السبت ٨ محرم ، ولكنه قال عنه « كان من فضلاء الحنابلة » .

وتوفى منه ، فصلى عليه يوم الأربعـاء قبل الظهر فى جامع الصالح (١) خارج باب زويلة ، فصلى عليـه القاضى كمال الدين عمر بن العديم الحنفى الحلبى ، وحضر جنازته صهره أمير المؤمنين الخليفة ، ومن الأمراء قطلوبغا الكركى ، ولم يحضر من الأعيان غيرهما ، ودُفن فى تربته عند مشهد السيدة نفيسـة رضى الله عنها ؛ قال شيخنا العلامة قاضى القضاة بدرالدين محمود العينى فى تاريخه (٢) : « وكان عاريا من العلوم ومن الفقه أيضا ، بلغ المنصب بجاه الخليفة وبالبذل ، ولقد كانت القضاة من قبله ما يرضونه بالنيابة فضلا عن القضاء المستقل ، ولكن هذا الزمان لا يقدم إلا غير أهله » ، فلعمرى إذا كان هذا من مدة ستين عاما وشيخنا يذكر ذلك ، فما حالنا هذا الزمان المنطوى على أمور لا نحتاج إلى تفصيلها فى هذا المحل ؟ ، ولقد أجاد من قال :

زماننا كأهـله وأهله كما ترى
وسيرنا كسيرهم وسيرهم إلى ورا

وأصدق من ذلك كلام الصادق المصدوق ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل عام ترذلون .

٤٠١ ـ الشيخ الإمام العالم العلامة حافظ عصره وفريد دهره ، المحدث المسند زين الدين عبد الرحيم بن حسين بن أبى بكر العراقى الشافعى ، توفى ليلة الأربعاء ثامن شعبان وقت التسبيح (٣) ودُفن صبيحة يوم الأربعاء ، وكان

(١) يقع جامع الصالح خارج باب زويلة من القاهرة المعزية وقد عمر زمن الفاطميين ، وهو ينسب إلى منشئه الصالح طلائع بن رزيك ، وكان بهـذا الجامع ضريح يملأ بواسطة ساقية على الخليج قرب باب الخرق ، انظر ذلك بالتفصيل فى خطط المقريزى ٣/١٩٢ ـ ١٩٤ .

(٢) راجع العينى عقد الجمان ٢٥/٢٠٦ .

(٣) أنظر فى التاريخ شذرات الذهب ٧/٥٦ .

فاضلا عالمـــا ، ورعا ديّنا ، مفننا زاهدا ، أفنى عمره فى تحصيل الأحاديث النبــوية وفى معرفتها ومعرفة أسماء رجالها ، وكان مشهورا فى الشام ومصر « بالمحدث » ، تولى قضاء المدينة النبوية فى آخر عمره مدة من الزمان ، ثم قدم القاهرة واشتغل بإسماع الحديث الشريف والتصنيف والتدريس ، واجتمع عليه الطلبة إلى أن أدركه الأجل ؛ ومن مصنفاته : كتاب « الألفية فى علم الحديث وشرحها » وهو كتاب جليل المقدار ، ظهر فيه علمه للمتأخرين ، كثير النفع للمبتدى والمنتهى ، وشرح أكثر « الترمذى » و« الأحــكام » وغير ذلك ، وهو شيخ شيوخنا كالعلامة حافظ العصر شهاب الملة والدين ابن حجر ، والعلامة الشيخ محمود العينتابى الحنفى ، كذا ذكره الشيخ محمود العينتابى فى تاريخه وقال[1] : « إنه سمع عليه صحيح البخارى من أوله إلى آخره بقراءة الشيخ شهاب الدين الأشمونى بقلعة الجبل بالجامع فى سنة ثمان[2] وثمانين وسبعماية ، رحمه الله » .

٤٠٢ — القاضى ::::. ....[3] ابن عز الدين الحنبلى المفتى ، أحد رؤساء الحنابلة ، توفى يوم الاثنين التاسع والعشرين من رجب :

٤٠٣ — القاضى شمس الدين محمد ....[3]: الشهير بالبرلسى ، المــوقع بخدمة الأمير بيبرس ، توفى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى القعدة ، وحضر جنازته خلق كثير ، وفيهم الخليفة أمير المؤمنين :

٤٠٤ — القاضى نور الدين [على بن عبد الوارث] البكرى ، محتسب مصر ، توفى فى ذى القعدة ، وكانت وفاته بعــد عزله بمدة يسيرة ، وكان رجلا دينا عفيفا ، صالحا فاضلا من أهل العلم والخير والصّلاح والدين والعفة :

(١) أنظر عقد الجمان ٢٥ / ٢٠٨ .
(٢) فى الأصل « ثمـانية » .
(٣) فراغ فى الأصل .

٤٠٥ – القاضى شمس الدين محمد البجانصى(١) الشافعى، محتسب القاهرة، توفى ليلة الثلاثاء خامس جمادى الأول ودفن صبيحة غده يوم الثلاثاء، وكان قد عُزل عن الحسبة يوم السبت ثانى الشهر المذكور، وكان به ضعف حين عُزل، ثم قوى الضعف عليه إلى أن أدركه الكأس المحتوم، وذاق الكأس الذى لابد منه لكل مخلوق. قال الحافظ بدر الدين محمود العينى(٢) فى تاريخه: «كان عاريا من العلوم لكونه اشتهر فى الحسبة بالشطارة والعفة، ولقد ذكروا أنه قتل جماعة من السوقة تحت الضرب، وكان عنده إقدام وجرأة، ونوع من الجنون» انتهى:

٤٠٦ – الأمير(٣) أزبك الأشقر الرمضانى أمير طبلخاناة ورأس نوبة، توفى ليلة الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الأول منها ودُفن صبيحة غده، وخلّف موجودا كثيرا استولى عليه السلطان، وكان كثير البخل إلى الغاية.

٤٠٧ – الأمير قطلوبغا(٤) أستادار أيتمش، توفى أيضا كما ذكرنا (٧٥ ب) وكان صاحب دواليب كثيرة وأموال جزيلة، ولم يشتهر عنه معروف كبير ولا حقير.

---

(١) فى النجوم الزاهرة ٦/١٥٩، وفى الخطط التوفيقية لعلى مبارك ٩/١٣ «البنجاسى»، والصحيح «البجانسى».

(٢) راجع العينى: عقد الجمان ٢٥/٢٠٧.

(٣) تكاد هذه الترجمة تكون هى نفس الترجمة الواردة فى الضوء اللامع ٢/٨٤٦، راجع أيضا النجوم الزاهرة ٦/١٦٠.

(٤) فى النجوم الزاهرة ٦/١٦٠ والضوء اللامع ٦/٧٥٠ قطلوبك العلائى الأيتمشى، أما قول ابن الصيرفى هنا «توفى أيضا كما ذكرنا» فيقصد بذلك أنه مات فى الشهر الذى مات فيه سابقه – أعنى ربيع الأول – وهو نفس الشهر الذى اعتمده ابن حجر فى إنبائه، على حين أن العينى فى عقد الجمان ٢٥/٢٠٨ جعله فى ربيع الآخر وسماه قطلوبك مثل السخاوى.

٤٠٨ — آقبغا الفقيه الدوادار الصغير الجندى ، توفى ليلة الثلاثاء الثانى عشر من جمادى الأولى ، ودُفن صبيحة غده يوم الثلاثاء ، وخلف موجودا كثيرا ، ولم يكن مشكورا فى وظيفته ، اشتهر بالرشوة المتعدية عن الحد وارتكاب المحرمات وأخذ أموال الناس .

٤٠٩ — الخواجا برهان الدين إبراهيم المحلى التاجر الكبير المشهور ورأس تجار الكارم ، توفى يوم الأربعاء آخر النهار الثانى والعشرين من ربيع الأول ودُفن صبيحة غده يوم الخميس ، وركبت الأمراء إلى جنازته ، وخلف أموالا كثيرة حتى قال شيخنا قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى (١) : «لا تعد ولا تحصى ، وتفرقت من بعده ، كأن لم تكن شيئا مذكورا » ، وقال شيخنا شيخ الإسلام حافظ العصر العسقلانى الشهابى ابن حجر : « ذهب ماله شذر مذر ، وأخذ شهود التركة أجرتهم سبعين ألف درهم ، وقس على هذا باقى أمواله » ، وكان ولده انكسر فى اليمن حتى توفى ، ثم توفى ابنه أيضا ، واستولى على أمواله سلطان اليمن ومكة وسلطان مصر الملك الناصر ، ولم يشتهر عنه من المعروف غير ما جدّده فى الجامع العمرى المنسوب إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه .

٤١٠ — الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير شيخ على ، الذى كان أحد الأمراء المقدمين بالشام ، توفى فى ذى القعدة بالديار (٢) المصرية ، وكان قد تولى صفد والكرك وغيرهما .

* * *

(١) عقد الجمان العينى ٢٥/٢٠٩ .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة ٦/١٦٤ أنه مات بدمشق .

فصـــل

فيما وقع من الحوادث

فى الســـنة السابعة بعـــد الثمـانمائة

استهلت هذه السنةوسلطان الديار المصرية والشامية الملك الناصر بن الملك الظاهر ، وخليفة الوقت هو أبوعبد الله محمد المتوكل على الله العباسى ، وصاحب اليمن هو الملك الناصربن الملك الأشرف ، وصاحب الروم الأمير سلمان ابن الأمير أبى يزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان ، وصاحب ماردين هو الملك الظاهر مجد الدين عيسى الأرتقى ، وصاحب بغداد وتبريز نواب تمرلنك الأعـــرج :

وفى يوم الثلاثاء الرابع عشر من محرم هـــذه السنة خُلع على القـــاضى شمس الدين محمد الملقب سويدان واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن شمس الدين محمد الهوى بحكم عزله :

وفى يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من المحرم أوفى بحر النيل ، ونزل السلطان الملك الناصر لكسر الخليج بكرة النهار :

وفى يوم الجمعة ثانى صفر سافر الأمير طولو إلى الشام ليصلح بين نائب الشام شيخ المحمودى وبين الملك الناصر ، فإنه(1) كان قد أظهر بعض العصيان :

(١) الضمير هنا عائد على شيخ محمودى المؤيدى .

وفي يوم السبت ثالث صفر خُلع على القاضي فخر الدين بن غراب واستقر ناظر الخواص الشريفة عوضا عن القاضي بدر الدين بن نصر الله بحكم عزله :

وفي هذا الشهر وصل الدينار المصري إلى مائة وعشرة دراهم ، والأفلوري إلى سبعين درهما ، وتنازل(١) سعر الحبوب أدنى شيء ، فبيع الإردب من القمح الطيب بمائتين وعشرين وثلاثين درهما وأربعين ، وكان قد وصل إلى أربعمائة درهم وأكثر كما قدمنا ذكره ، والإردب من الشعير بمائة وثلاثين وأربعين وكان قد وصل إلى فوق المـــائتين ، وبيع الحمل من التبن بثلاثين وأربعين وكان قد وصل إلى مائة وأكثر منها ، ولكن تحسن سعر القماش جدا ، فبيع الرطل المصري من الكتان الذي كان يساوي ثلاثمـــائة بألفين وخمسمائة ، والثوب البعلبكي الذي كان يساوي مائة بألف وأكثر ، والبدن(٢) من السنجاب الجديد الذي كان يساوي ثلثمائة بألفين ، ووصل الرطل من السمن إلى أربعة عشر درهما ، والرطل من العسل المصري إلى إثني عشر درهما ، والرطل من الجبن المقلي إلى عشرة دراهم ، والرطل من الجبن الحالوم إلى ثمانية وتسعة ، والرطل من العنب إلى درهمين وأكثر ، والرطل من الزيت إلى خمسة دراهم والسيرج إلى ســـتة دراهم ، واللبن إلى درهم ونصف ، واللحم الضاني السليخ إلى ستة دراهم ، والسميط إلى خمسة ، والبقري إلى ثلاثة كل رطل :

وفي شهر ربيع الآخر تحسن ســـعر الذهب ، فوصل الدينـــار إلى مائة وعشرين ، والأفلوري إلى قريب مائة ، وفي الإسكندرية عومل بالدينار : بمائة وثمانين درهما ، وبالأفلوري بمائة وستين ، ووصل الدرهم الفضـــة

(١) يعني بذلك « نزل سعر الحبوب » .

(٢) جاء في تعريف البدن بلسان العـــرب إنه شبه درع إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد مع قصر الكمين ، وورد هذا اللفظ في الحديث الشريف استعارة للحيسة القصيرة .

إلى ثلاثة دراهم فلوس ، وأبيع كل ثوب صوف بثـلاثة آلاف ، وكل بدن سنجاب بثلاثة آلاف درهم ، وبدن السمور بخمسة عشر ألف درهم ، وأبيع الزوج الأوز المعلوف بثلاثمائة وخمسين ، والدجاجة الواحدة السمينة بأربعين درهما ، والبطيخ الصيفى بأربعين كل حبة ، والرطل من السمن بستة عشر درهما ، والدهن من الإلية بعشرين درهما كل رطل ، والعسل المصرى والسيرج بسبعة الرطل ، والحرة من اللبن بخمسة وعشرين درهما ، وتحسن اللحم الضانى إلى أن وصل إلى ثمانية ثم إلى إثنى عشر كل رطل ، والبقرى بأربعة وأكثر .

* * *

ذكر ركوب الأمير يشبك

وفى[1] ليلة الأحد الرابع من جمادى الآخرة ركب الأمير يشبك الشعبانى وانضم إليه جماعة من الأمراء هم : الأمير تمراز الناصرى ، والأمير يلبغا الناصرى ، والأمير إينال حطب العلائى ، والأمير قطلوبغا الكركى ، والأمير سودون الحمزاوى رأس نوبة كبير ، والأمير طولو طبلخاناه ، وغيرهم من الأمراء الصغار وبعض المماليك الظاهرية ، والتف عليه القاضى سعد الدين ابن غراب ، وكان اجتماعهم فى بيت الأمير يشبك ، وهو بيت الأمير منجك عند مدرسة السلطان حسن ، ونصبوا السلالم من بيت شـاهين الحسنى وطلعوا إلى سطح مدرسة السلطان حسن ، وتراموا بالسهام والمدافع والمكاحل : كل من الفريقين ، من باب السلسلة ومن المدرسة المذكورة ، واشتبكوا فى القتال يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء ، وجرى بينهم أمور عظيمة ، وآخر الأمر انكسرت الطائفة اليشبكية آخر يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة

(١) فيما يتعلق بأوليات هذا النزاع راجع النجوم الزاهرة ٩/١١٠ سطر ١١٣ .

فخرجوا بعد عشاء الآخرة وهربوا نحو الشام، ولم يذهب وراءهم أحد من المماليك السلطانية .

ثم بعد أيام جاءت الأخبار بأنهم وصلوا إلى دمشق، وتلقاهم نائبها شيخ المحمودى ، وأنزلهم عنده وأحسن إليهم إحسانا جزيلا واتفق معهم على الخروج من طاعة السلطان وأظهر ذلك واجتمع بهم أيضا الأمير نوروز الحافظى، وكان نائب الشام شيخ المحمودى أخرجه من حبس الصبيبة وأحسن إليه ؛ واجتمع بهم أيضا الأمير قنبـاى العلائى الكبير وكان قد هرب من حبس الصبيبة واختفى عند نائب الشام، وكان نائب الشام هو الذى هربه من الحبس بالحيلة، وأظهر للسلطان أنه هرب وعمل له محضرا مزورا :

وكان الأمير جكم فى هذه الأيام صاحب طرابلس وحماه وحمص وحلب وبلادها بالتغلب ، وأظهر هناك صيتا عظيما وسطوة زائدة ظاهرة ، ولم يكن لا مع السلطان ولا مع الشاميين المخامرين ، ولكن أرسل السلطان الملك الناصر ألطنبغا شقير دوادار الأمير جكم فى الرابع من رجب ومعه خلعة سنية وكُتبٌ بالملاطفات إلى الأمير جكم بأن يكون تحت الطاعة الشريفة ، وأن لا يتفق مع هؤلاء المخالفين المخامرين ، فوصل إليه ألطنبغا شقير من طريق البر خوفا من الشاميين واجتمع به واستماله إلى الطاعة الشريفة ؛ ولكن الأمير قنباى العلائى مشى بين الشاميين وبين جكم مرارا عديدة إلى أن أخرجه عن الطاعة واتفق معهم ، ثم عن قليل حضر إلى الشام وتلقاه أمراء الشام والأمراء الهاربون من مصر ومشوا كلهم فى خدمته وأنزلوه فى ميدان (٧٦ أ) الشام ، وكان لدخوله الشام يوم مشهود ، وبادر نائب الشام إلى خدمته وبالغ فيها ، فخدمه الخدمةَ الزائدة الهائلة ، ولم يزل هو وبقية العسكر فى خدمته طرفَىِ النهار ، وحلفوا له وجعلوه رأسهم وكبيرهم

واستمر على هذا إلى أن قدموا معه الديار المصرية ، كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وأما الأمير نوروز ، فإن نائب الشام أحسن إليـه غاية الإحسان على ما ذكرناه ، ورسم له بأن يخـرج ويدور فى بلاد الشام ويأخذ ما كان للنواب عادة ، ويأخذ من الأموال والخيول وغيرها ، فخرج ودار الشام وحصّل جمـلة من الأموال والخيول والجمال وغير ذلك ، ثم هرب وخامر عليهم وقصد الديار المصرية طلبا للطاعة الشريفة ، فدخل القاهرة يوم السبت الرابع عشر من رمضان ، وقبّل الأرض للسلطان ، فأخلع عليه خلعة سنية ، وأحسن إليه غاية ما يكون ، وأنزله فى بيت الأمير طشتمر فى الرميلة ، ثم أنعم عليه بتقدمة الأمير قنباى المحمدى ، وخلع على قنباى بنيابة طرابلس .

وفى يوم السبت التاسع من جمادى الآخرة خُلع على ناصر الدين الملقب « بمحى الفِلس » واسـتقر فى ولاية القـاهرة عوضا عن الأمـير أقطمر بحكم عزله .

وفى يوم الاثنين الثانى عشر من جمادى الآخرة خلع على الأمير سودون الطيار أمير آخور ثانى واستقر أمير المجلس عوضا عن سودون الماردانى بحكم انتقاله إلى الدوادارية ، وخُلع على الأمير أقبـاى حاجب الحجاب واستقر أمير سـلاح عوضا عن الأمير تمر از الناصرى بحكم هروبه ، وخُلع أيضا على علم الدين أبوكم — الوزير كان — واستقر ناظر الجيوش عوضا عن سعد الدين بن غراب بحكم هروبه إلى الشام مع المخامرين .

وفى يوم الخميس خامس عشر منه خُلع على الأمير ركن الدين عمـر ابن قايماز ، واستقر أستادار العالية عوضا عن سعد الدين بن غراب .

وفى يوم السبت السابع عشر منه قدم الأمير تمربغا المشطوب والأمير سودون من زاده والأمير صرق الذين كانوا فى حبس إسكندرية من وقعة جكم وسودون طاز من سنة خمس وثمانمائة وطلعوا إلى القلعة ، وأحسن السلطان إليهم وأرسل إليهم قماشا وغير ذلك :

وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين من جمادى الآخرة خُلع على الأمير سودون المارداني واستقر ناظرا على الأحباس المبرورة بالديار المصرية ، وخُلع على الأمير يشبك بن أزدمر واستقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن الأمير سودون الحمزاوى بحكم هروبه إلى الشام :

وفى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين منه خُلع على القاضى شمس الدين الإخنائى واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن قاضى القضاة جلال الدين بن البلقينى بحكم عزله ، وكذلك خُلع على القاضى بدر الدين بن نصر الله واستقر ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية عوضا عن القاضى علم الدين أبوكم بحكم عزله ، وكذلك خُلع على القاضى شمس الدين بن العطار واستقر فى حسبة مصر العتيقة عوضا عن المنهاجى بحكم عزله ، وكان المنهاجى تولى قبله بخمسة أيام عوضا عن تاج الدين قريب ابن جماعة .

وفى يوم الثلاثاء الرابع من رجب خلع على جمال الدين يوسف أستادار بجاس ، الذى كان أستادار الأمير بيبرس ، والأمير سودون طاز ، والأمير أقباى الخازندار ، والأمير سودون الحمزاوى واستقر أستادار العالية عوضا عن الأمير ركن الدين عمر بن قايماز بحكم عزله :

* * *

وفى يوم الاثنين الثامن من شعبان مسك السلطان تاج الدين بن البقرى وسلمه إلى مشد الدواوين ، وأخذ جميع موجوده .

وفى يوم الثلاثاء التاسع منه خُلع على القاضى بدر الدين بن نصر الله الذى هو ناظر الجيش ، واستقر وزيرا وناظر الخواص الشريفة عوضا عن ابن البقرى مضافا إلى ما بيده من نظر الجيش :

وفى يوم الخميس الحادى عشر منه خُلع على القاضى ولى الدين بن خلدون المغربى ، واستقر قاضى القضاة المالكية بالديار المصرية عوضا عن القاضى جمال الدين البساطى :

وفى يوم السبت الرابع عشرين من شعبان ، خلع على الأمير بشباى واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية ، عوضا عن الأمير آقباى الطرنطاى بحكم انتقاله إلى وظيفة أمير سلاح ، وأنعم عليه بتقدمة ألف ، وكان طبلخاناة .

* * *

وفى يوم السبت (١) الحادى عشر من رمضان قدم الأمير يلبغا السالمى من حبس إسكندرية :

وفى يوم الثلاثاء الخامس عشر منه خلع على يلبغا السالمى واستقر مشيرا فى الدولة ، وخُلع أيضا على ناصر الدين قريب ابن الطبلاوى الذى كان مشد الدواوين ، واستقر وزيرا وناظر الخواص الشريفة عوضا عن القاضى بدر الدين بن نصر الله ، واستمر ابن نصر الله على عادته ناظر الجيش ، وخُلع على الأمير أقطمر واستقر مشد الدواوين عوضا عن ناصر الدين بحكم انتقاله إلى الوزارة :

* * *

(١) إذا أخذنا بما جاء فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٠٤ ، س ١٤ هنا كان أول رمضان هو الثلاثاء ، وعلى ذلك يكون السبت ١٢ منه وليس بالحادى عشر .

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين من شوال قدم الأمير خير بك نائب غزة طائعا للسلطان ، وخُلع على القاضى تقى الدين المقريزى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن شمس الدين سويدان بحكم عزله :

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى القعدة خُلع على شمس الدين ابن الحباس واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن تقى الدين المقريزى بحكم عزله ، وكذلك خلع على أقطمر واستقر فى ولاية القاهرة عوضا عن الحجازى ، وكان الحجازى قد تولى يوم الاثنين التاسع عشر من ذى القعدة عوضا عن السيراجى :

وفى يوم السبت الثالث والعشرين من ذى القعدة خلع على القاضى جلال الدين بن البلقينى ، واستقر فى قضاء القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن القاضى شمس الدين الإخنائى بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء السادس والعشرين منه خلع على القاضى جمال الدين واستقر فى قضاء القضاة المالكية بالديار المصرية عوضا عن القاضى ولى الدين بن خلدون المغربى بحكم عزله .

* * *

وفى يوم الخميس السادس (١) من ذى الحجة وقعت البطاقة من بلبيس بأن العساكر الشامية المخامرين قد وصلوا إلى قطيا ، ووقع الهرج بين العساكر المصرية .

وفيه برز المرسوم الشريف بمسك يلبغا السالمى ، وكان فى أرض الشرقية يجمع العليق .

* * *

(١) يتفق هذا التاريخ والتاريخ الوارد فى النجوم الزاهرة ٦/١٢٣ س٢ — ٣ ، على حين أن أول ذى الحجة فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٠٤ هو الأحد ، وهو ما يرجحه بوبر ناشر النجوم الزاهرة ٦/٢٣ حاشية رقم a .

ذكر خروج السلطان الملك الناصر
إلى جهة الشام لأجل محاربة الطائفة الخارجين عن الطاعة

لما كان يوم السبت الثامن من ذى الحجة من هذه السنة ، خرج السلطان بعساكره المنصورة المصرية ونزل فى الريدانية .

وفى يوم الأحد التاسع من ذى الحجة وصلت الأخبار بأن العساكر الشامية نزلوا على الصالحية ، ورحل السلطان إلى العكرشة .

وفى يوم [الثلاثاء] الحادى عشر منه خلع على شمس الدين بن شعبان واستقر فى حسبة مصر العتيقة ، ثم عزل يوم الخميس الثالث عشر من ذى الحجة ، وأعيد ابن الجباس على عادته .

وفى يوم الأربعاء الثامن (١) عشر منه مسك يلبغا الناصرى — بأمر السلطان — وعوق بباب السلسلة ، وكان بها من جهة السلطان الأمير بكتمر أمير سلاح .

وفى ليلة الخميس الثالث عشر من ذى الحجة كبست العساكر الشامية على العساكر المصرية بأرض السعيدية (٢) فوق من مدينة بلبيس ، وكان هذا

(١) الأصح أن يكون التاسع عشر ، انظر الحاشية السابقة .

(٢) هناك مكانان يعرفان بالسعيدية فى محافظة الشرقية ، أحدهما قرية قديمة كان اسمها الأصلى «المحروقة» غير أن الأهالى — كما جاء فى القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ٩٨ — استهجنوا هذا الاسم وغيروه إلى «السعيدية» نسبة إلى ولى الله الشيخ سعيد ، وقد تم ذلك فى سنة ١٩٢٩ ؛ أما الأخرى — وهى المقصودة فى المتن هنا — فقد وردت بهذا الاسم فى بعض مراجع ذلك العصر فجاء فى صبح الأعشى ١٤/٣٧٦ — ٣٧٧ فيما يتعلق بمراكز البريد أنها من مراكزه الهامة . والسعيدية هذه من إنشاء الظاهر بيبرس ونسبتها إلى ابنه السعيد محمد بركة خان ، وقد أشار إلى ذلك المرحوم محمد رمزى فى ٣/٧٠ وأضاف إلى ذلك أن البحوث دلته على أنها اندثرت وأن مكانها اليوم عزبة السعيدية المعروفة بعزبة الشيخ مطر حنفى قرب ترعة السعيدية مركز أبو حماد بالشرقية .

حيلة من الشاميين ، وقد قيل إن هذا كان مكرا من الأمير قرا يوسف ابن قرا محمد كبير التركمان ، وكان مع الشاميين ، وكان معه من التركمان قريب أربعمائة نفس ، وكانت عساكر الشام قريبا من ثلاثة ألف نفس ، وكان كبيرهم ورئيسهم الذى يرجع إليه الحل والعقد هو الأمير جكم ، ثم الأمير شيخ المحمودى (٧٦ ب) نائب الشام ، والباقى كانوا أتباعا لهذين الأميرين ، وحصل فى تلك الليلة تشويش عظيم على العسكر المصريين ، وقتل ناس كثيرون ، وجرح خلق كثيرون ، ولم يزالوا فى الحروب من أثناء الليل إلى وقت التصبيح ، ثم إن السلطان لما رأى تضعضع عسكره وما وقع لهم ركب هجينا طيارة ، وأخذ معه جماعة من الأمراء الخواص ، منهم الأمير سودون الطيار ، والأمير سودون الأشقر وبعض المماليك ، وأخذوا طريق البر من ناحية طريق « عجرود » ، وتوقعت(١) العساكر المصرية ورموا ما معهم من القماش والسلاح والخيول والجمال والبغال ، وفاز كل منهم بنفسه على فرسه ، ووقعت النهبة فى الوطاق ، وأخذ الفلاحون من تلك النواحى شيئا كثيرا ، ومسكت العساكر الشامية القضاة الأربعة والخليفة ، وقريبا من ثلثمائة مملوك من مماليك السلطان وبعض أمراء منهم : الأمير شاهين الأفرم ، وقتل الأمير صرق ، قتله(٢) نائب الشام شيخ المحمودى بين يديه صبرا .

وفى يوم السبت الخامس(٣) عشر من ذى الحجة نزلت العساكر الشامية فى بركة الحجاج ، ووصل السلطان بمن معه إلى القلعة من طريق البر آخر النهار فى ليلة الكبسة ، وقاسى فى طريقه مشقة عظيمة ، ولما حضر السلطان

---

(١) فى الأصل « توقعت » .

(٢) قتله شيخ محمودى لأن السلطان كان قد ولاه نيابة الشام بدلا منه .

(٣) فى الأصل « الحادى » .

التفت عليه[1] العساكر المصرية المتفرقة من كل جانب واستعدوا للقتال في المدينة ، وتجهزوا تجهيزا ثانيا .

وفى يوم الأحد السادس عشر من ذى الحجة نزلت السعاكر الشامية فى الريدانية ، ووقع هرج عظيم فى القاهرة ، وغلقت الأبواب والدروب ، ووقع جفل عظيم بين الناس .

وفى يوم الاثنين السابع عشر منه ركبت العساكر الشامية ، ومشوا من عند قبة النصر إلى أن وصلوا قريبا من تربة قلمطاى عند دار الضيافة :

وفى أول النهار كان الظهور للشاميين ، فكادو أن يأخذوا المصريين وتملكوا المدينة ، ولكن جماعة منهم خامروا وطلبوا الطاعة الشريفة وهم : الأمير جمق نائب الكرك ، والأمير أسنباى التركمانى أحد المقدمين بالشام وغيرهما ، وعقيب ذلك استأمن الأمير سودون الحمزاوى ، والأمير إينال حطب العلائى ، والأمير يلبغا الناصرى ، وكلهم دخلوا المدينة وحضروا بين يدى السلطان . وهرب الأمير يشبك الشعبانى ، والأمير تمراز الناصرى ، والأمير جركس القاسمى ، وتنكروا ودخلوا المدينة واختفوا عند ناس من أصحابهم ، ولم يبق فى العساكر الشامية إلا الأمير شيخ المحمودى نائب الشام والأمير جكم العوضى والأمير قرا يوسف بن قرا محمد التركمانى ؛ ولما رأوا تلاشى حالهم وتفرق عساكرهم وتبديد جمعهم أدبروا وطلبوا جهة الشام ، وارتدوا سائقين ومعهم جماعة يسيرة ومعهم بعض الحيول والقماش ، إلى أن وصلوا إلى بلبيس واجتمعوا هناك وتكردسوا ، وساقوا إلى أن وصلوا إلى « الصالحية » ثم إلى « قطيا » ثم إلى « غزة » ، ولم يتوجه أحد من العساكر المصرية خلفهم وأنهى ما فى الباب ،وراحت بعض

(١) فى الأصل « إليه » .

العساكر إلى مدينة بلبيس ثم رجعوا ، فلما انتهى هذا الأمر نادى السلطان بالأمن والأمان والدعاء للسلطان والبشرى بنصرته على أعدائه ، ثم استقر كل أحد على حالته ، إلى أن خرجت هذه السنة .

وفى يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذى الحجة سُفِّرت الأمراء الذين ذكرناهم إلى الإسكندرية للاعتقال بها .

وفى يوم الأربعاء التاسع عشر من ذى الحجة ظهر القاضى سعد الدين ابن غراب وحضر بين يدى السلطان ، فخلع عليه خلعة على عادته فى وظائفه ، وقيل إنه التزم على ذلك بجملة أموال ، وكان هذا الأمر كله مكرا وحيلة منه وهو الذى دبر هروب الأمراء المذكورين من الشاميين ، واختفى الأمير يشبك ومن ذكرنا معه ؛ قال شيخنا الحافظ بدر الدين محمود العينى (١) ، قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية : « وكان المذكور صاحب مكر وحيلة ودهاء ، وكان يلعب بأرباب الدولة وأركان المملكة ، وكان يستعين على ذلك كله ببذل الأموال الجزيلة ، من الأموال التى حصّلها فى أيام الملك الظاهر ، واستيلائه على الخزائن الظاهرية ، هو والأمير يشبك والأمير آقباى » .

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٤١١ — الشيخ الإمام جلال الدين عبد الله [الأردبيلى الحنفى] (٢) توفى فى آخر رمضان من هذه السنة ، وكان رجلا فاضلا عالما ، ذكره البدر العينى

(١) الواقع أن الصيرفى نقل الأسطر الثلاثة الأولى من هذا المتن من العينى ، عقد الجمان ٢١٩/٢٥ أما النص الذى نقله عنه فهو كالآتى فى الأصل « وكان صاحب مكر ودهاء ، وكان يلعب على الأمراء كيف يشاء » .

(٢) فى الأصل فراغ ولكن ما بين الحاصرتين من النجوم الزاهرة ١٦٢/٦ ، انظر أيضا العينى : ٢٢٢/٢٥ حيث سماه عبد الله بن عوض بن محمد بن عبد الله الأردبيلى الملقب بجلال الدين ، أما العبارة التى اقتبسها الصيرفى فى المتن أعلاه فهى واردة فى العقد ، ج ٢٥ ورقة ٢٢٢ س ١ .

فى تاريخه وقال : « أدرك مشايخ كثيرة من مشايخ العـــرب والعجم » ؛ تولى قضاء العسكر فى أيام منطاش ، وتأخر عند السلطان الملك الظاهر بسبب ذلك ، وكان بيــده من الوظائف تدريس المدرسة التنكزية والخاتونية(١) التى فى التبانة ، وإعادة المدرسة الصرغتمشية ، وغير ذلك ؛

٤١٢ ــ الشيخ الإمام شرف الدين عبد المنعم البغدادى الحنبلى [مات] فى يوم السبت الثامن عشر من شوال من هذه السنة ، كان رجلا فاضــلا فى مذهب الإمام أحمــد بن حنبل ، مفتيا عظيما جليــلا ذا وقار [مــع] انقطاعه عن الناس ، مشتغلا بأحوال نفسه ، صاحب محاضرة ونوادر كثيرة ؛

٤١٣ ــ القاضى نور الدين على بن الشيخ سراج الدين بن البلقينى(٢) أحد نواب الشافعى ، توفى فى أوائل رمضان بمدينة بلبيس ، وحُمل إلى القاهرة ، ودفن بها ، قال البدر العينى(٣) فى تاريخه : « كان عاريا من العلوم » ؛

٤١٤ ــ القاضى ناصر الدين محمد بن السفاح الحلبى موقع الأمير يشبك الشعبانى ، توفى يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من محرم هذه السنة ، وكان هو وجماعته أهل بيت فى حلب ولُّوا وظائف كثيرة منها نظر الجيش بحلب وغيره ؛

٤١٥ ــ القاضى :........:::::: الشهير بابن السنيتى أحد نواب القاضى الشافعى ، توفى فى أوائل رمضان من هذه السنة ؛

٤١٦ ــ الأمير قنباى رأس نوبة أحد الأمراء العشرات ، توفى بالديار المصرية يوم الخميس مستهل شهر جمادى الأخيرة من هذه السنة ؛

(١) المقصود بالمدرســة الخاتونية مدرســة خوند بركة أم السلطان الأشرف شــعبان فى التبانة وقد سبق الكلام عليها .

(٢) فى الأصــل ابن الملقن وكذلك فى عقد الجمان ، ٢٥ /٢٢١ والصحيح ما أثبتناه بالمتن بعد مراجعة النجوم الزاهرة ٦/١٦٣ حيث ذكر أنه مات يوم الاثنين سلخ شعبان .

(٣) لم ترد فى العينى : عقد الجمان ٢٥ / ٢٢١ هــذه العبارة ولكن ورد بدلهــا قوله عنه « ولم يكن مثل أبيه ولا قريبا منه » .

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى الســنة الثامنة بعـد الثمـانمـائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك النـاصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ، ونائب دمشق شـيخ المحمودى ولكنه عاص على السلطان ، وأما حلب وبلادها فالمستولى عليها الأمـير جكم بطريق التغلب ؛

* * *

ففى يوم الثلاثاء مستهل المحرم [من] هذه السنة خُلع على صدر الدين أحمد بن جمال الدين العجمى القيسرانى ، واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن ابن الجباس بحكم عزله ؛

* * *

وفى ليلة الاثنين السابع من صفر مُسك الأمير يشبك بن أزدمر رأس نوبة (1) ، ومسك معه الأمير تمـر والأمير سودون من إخوة طاز ، وهـرب فى تلك الليلة الأمير إينال باى أمير آخور كبير ونزل من الإصطبل وهرب معه الأمير سودون الجلب ؛

---

(1) فى النجوم الزاهرة ١٢٨/٦ « رأس نوبة النوب » .

وفى يوم الثلاثاء الثامن من صفر سفر الممسوكون إلى الإسكندرية للاعتقال بها .

وفى يوم الجمعة العاشر من صفر ظهر الأمير إينال باى ، وطلع إلى السلطان وصفح عنه ، وسفره إلى دمياط بطالا .

وفى يوم الخميس التاسع من صفر خُلع على شمس الدين بن شعبان واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن ابن العجمى بحكم عزله ، وكذلك خُلع على ابن المزوق واستقر ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية عوضا عن الصاحب بدر الدين بن نصر الله .

وفى يوم الثلاثاء الرابع (١) عشر من صفر خُلع على قاضى القضاة شمس الدين الإخنائى واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن القاضى جلال الدين بن البلقينى بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء الحادى (٢) والعشرين من صفر فرّق السلطان إقطاعات الأمراء الذين أُمسكوا وحُبسوا بالإسكندرية ، فأنعم بإقطاع الأمير إينال باى على الأمير (٣) تغرى بردى ، وبإقطاع الأمير تغرى بردى على الأمير دمرداش المحمدى ، وبإقطاع دمرداش على الأمير أينبك (٤) الإبراهيمى ، وقدم الأمير بيبرس الصغير ، وأعطى قراجا الخازندار إمرة عشرين وكان أمير عشرة ، وقدم الأمير بشباى الحاجب وكان أمير طبلخاناه ، وقدم (٧٧ أ) الأمير علان رأس نوبة وأعطى طبلخاناة الأمير سودون الجلب للأمير أكش الشعبانى ؛

(١) فى الأصل « الحادى » وهو ما لا يتفق وإشارته إلى أيام هذا الشهر مما يدرك معها أن أوله كان الثلاثاء .

(٢) فى النجوم الزاهرة ٦/١٢٨ أنه جعلت خاتمة هذه الاقطاعات يوم ٢٥ صفر .

(٣) على أنه زاد فى هذا الاقطاع : إمرة طبلخاناة .

(٤) « أزبك » فى النجوم الزاهرة ٦/١٢٨ .

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين من صفر خُلع على الأمير شرباش رأس نوبة ، واستقر أمير آخور كبيرا عوضا عن الأمير إينال بي ، وخلع على الأمير أرسطاى واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية عوضا عن الأمير بشباى الحاجب .

وفي يوم الاثنين الثامن والعشرين من صفر خُلع على صدر الدين أحمد ابن العجمى واستقر في حسبة القاهرة عوضا عن شمس الدين بن شعبان بحكم عزله ، وكذلك خُلع على الحجازى واستقر في ولاية القاهرة عوضا عن علاء الدين الشهير بمُخَنَّى الفلس .

* * *

وفي يوم الخميس مستهل ربيع الأول منها خُلع على القاضي جمال الدين ابن التنسى ، واستقر في قضاء القضاة المالكية بالديار المصرية عوضا عن القاضي جمال الدين البساطى .

وفي يوم السبت الثالث من ربيع الأول — وهو يوم النيروز — أعيد قاضى القضاة جمال الدين البساطى إلى ولايته على عادته ، وعُزل ابن التنسى .

وفي هذا الشهر — والذى قبله — تعامل الناس بالدينار الهرجة بمبلغ مائة درهم ، والأفلورى بمائة وعشرين درهما ، وبيع الرطل من اللحم الضأن بثمانية ، والبقرى بخمسة ، وبيع القدح من الأرز هذا الشهر بستة عشر درهما ، وهذا شىء لم يُعهد قبل ذلك .

* * *

وفيه جاءت الأخبار بموت تمرلنك[1] ، لعنه الله ولا رحم الرحمن تربة قبره ، ولا زال فيها منكر ونكير ، ووقع في عسكره خباط كثير .

(١) أمامها في الهامش «موت تمرلنك» .

وفى يوم الاثنين الخامس من ربيع الأول خُلع على الأمير بشباى حاجب الحجاب كان واستقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن الأمير يشبك بن أزدمر بحكم مسكه واعتقاله بإسكندرية .

وفيه أيضا خُلع على قاضى القضاة جلال الدين بن البلقينى واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية على عادته عوضا عن القاضى شمس الدين الإخنائى بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء السادس منه وقع تخبيط كثير بين السلطان وبين مماليكه والأمير الكبير بيبرس قريب الظاهر ، وتهيأوا للركوب .

وفى ليلة الأربعاء المذكور ظهر الأمير يشبك والأمير تمراز ، وكانا مختفيين فى القاهرة من يوم وقعة الكسرة على ما ذكرنا .

وفى يوم الخميس الثامن منه خُلع على الأمير سودون [تلى] المحمدى المجنون أمير آخور كبيرا عوضا عن الأمير شرباش [الشيخى] بحكم عزله[1] .

وفى يوم السبت العاشر منه خلع السلطان على الأمراء — الذين ظهروا — خلع الرضا .

وفى يوم الاثنين الثانى عشر منه خُلع على كريم الدين الهوى ، واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن صدر الدين بن العجمى بحكم عزله .

وفى يوم الخميس الخامس عشر منه وصل الأمراء من إسكندرية وهم الذين كانوا مسجونين بها [و] هم قطلوبغا الكركى ، وإينال حطب العلائى ، وسودون الحمزاوى ، ويلبغا الناصرى المقدمون ، والأمير تمر طبلخاناه ،

(١) ليس معنى عزله هنا تجريده عن كل ما كان بيده ، بل إنه عاد إلى إقطاعه وهو إمرة طبلخاناة ووظيفة ثانى رأس نوبة .

وأسندمر الناصرى أمير عشرة وحاجب صغير ، وكذلك وصل فى هذا اليوم الأمير إينال بى من دمياط ، ومعه الأمير تمان تمر الناصرى رأس نوبة .

وفى يوم السبت السابع عشر منه خُلع على الأمراء المذكورين خلع الرضا .

وفى يوم الاثنين التاسع عشر منه قدم الأمير يشبك بن أزدمر من حبس إسكندرية وطلع إلى السلطان .

وفى يوم الثلاثاء العشرين منه مُسك القاضى فتح الله كاتب السر الشريف وسُلم إلى مشد الدواوين ناصر الدين كلبك ، ووقعت الحوطة على بيته وحواصله .

وفى هـذا اليوم خُلع على القاضى سعد الدين [إبراهيم] بن غراب واستقر كاتب السر الشريف عوضا عن المذكور بحكم عزله ومسكه ، وخُلع عليه خلعة كتابة السر كخلع الأمراء بطراز ذهب ، ولم يسبقه إلى هـذا أحـد .

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين منه خلع على الأمير دمرداش المحمدى واستقر فى نيابة غزة ، ورسم السلطان للأمير يشبك بن أزدمر أن يلبس[1] الخلعة ويستقر نائب ملطية ، فأبى وامتنع غاية الإباء وأُلبسها غصبا ، ورسّم السلطان عليـه الحاجب الكبير الأمير أرسطاى ، والحاجب الصغير [محمـد] ابن جلبان ، وأمرهما أن يخرجاه من الديار المصرية فى يومه ذلك فخرجا به إلى التُرب ، وكذلك عيّن السلطان الأمير أزبك الإبراهيمى — الشهير بالخاص خرجى — أن يستقر فى نيابة طرسوس ، ولكنه ما طلع إلى الخـدمة ، وحصل فى ذلك اليوم خباط كثير بين الأمراء والمماليك .

(١) نصت النجوم الزاهرة ٦ / ١٣١ على أن ذلك كان يوم ٢٤ ربيع الأول ولبس ٢٢ منه .

وفى آخر هذا اليوم اجتمعت المماليك وتوجهوا خلف يشبك بن أزدمر وردّوه من الطريق ، وكان قد وصل إلى خانقاه سرياقوس ، وضربوا الحاجب (١) الصغير ، فوقعت فتنة كبيرة بسبب ذلك :

وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين وقع الخباط ، وقوى وشاع فى القاهرة خبر الركوب :

وفى يوم السبت الرابع والعشرين قويت الفتنـــة وأمر بالركوب ، وأنزل السلطان إلى باب السلسلة ، واجتمع عنده بعض الأمراء ، ولم يفد ذلك شيئا :

* * *

ذكر اختفاء السلطان الملك الناصر فرج وتولية أخيـــه الملك المنصور عبد العـــزيز

لمـــا كان يوم الأحد الخامس والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، غيّب السلطان الملك الناصر فرج قبيل الظهر واختفى ، ولم يعلم حاله فى ذلك اليوم ما كان ، هل اختفى فى القلعة؟ أم نزل إلى عند أحد؟ أم ذهب إلى الشام؟ فكثر القيل والقال بسبب ذلك :

وفى آخر هذا اليوم اجتمع الأمراء كلهم الأكابر والأصاغر والخليفة والقضاة الأربعة ، وطلعوا إلى باب السلسلة ، وطلبوا أخا السلطان «عبد العزيز» وعقدوا له السلطنة ولقبوه «الملك المنصور عز الدين عبد العزيز» :

وفى يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه خُلع على الأمير بيبرس الصـــغير المقدم ، واستقر لالا السلطان الملك المنصور :

---

(١) يقصد بذلك محمد بن جلبان .

وفى يوم الخميس التاسع والعشرين منه عُملت خدمة الإيوان ، فحضر الأمراء وأرباب الوظائف كلهم ، وخُلع على أرباب الوظائف خلع الاستمرار وهم : الأمير بيبرس الكبير أتابك (٧٧ ب) العساكر ، والأمير أقباى أمير سلاح ، والأمير سودون الطيار أمير مجلس ، والأمير سودون المحمدى أمير آخور كبير ، والأمير بشباى رأس نوبة كبير ، والأمير أرسطاى حاجب الحجاب وغيرهم من أصحاب الوظائف ، كذلك خُلع على القاضى سعد الدين ابن غراب كاتب السر الشريف ، وعلى [فخر الدين ماجد] ابن المـــزوق ناظر الجيش ، وخلع أيضا على القضاة الأربعة وهم : جلال الدين البلقينى ، وكمال الدين بن العديم الحنفى ، وجمال الدين البساطى المـــالكى ، وفخر الدين سالم الحنبلى ، وعلى الوزير أيضا وهو القاضى فخر الدين بن غراب :

* * *

فى يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخرة خُلع على الفقيه أبينا التركمانى واستقر فى مشيخة خانقاه سرياقوس على عادته عوضا عن الشيخ شمس الدين بحكم عزلـــه :

وفى يوم السبت الحادى والعشرين من جمادى الأولى سافر شاهين الحسنى — لالا السلطان الملك المنصور عبد العزيز — على عشر سرج بطاب الأميرين جكم [من عوض نائب حلب] وشيخ نائب الشام ، وكان شيخ قد أرسل ألطنبغا الجاموس قبل خروج شاهين بعشرين يوما ، وكذلك الأمير جكم قبله بمدة عشرة أيام ، وذكرا فى كتبهما ما وقع بينهما وبين نوروز الحافظى وانكسار نوروز وهروبه إلى طرابلس ، ودخول هؤلاء [الأمراء] دمشق :

* * *

ذكر ظهور السلطان الملك ناصر فرج وعوده إلى سلطنته على عادته

لما كان يوم السبت السادس من جمادى الآخرة ظهر السلطان الملك الناصر وطلع إلى القلعة ضحوة النهار وكان يوما مشهودا ، فجميع مدة غيبته عن تخته سبعون يوما وهى أيام تولية أخيه المنصور، وكان السلطان الملك الناصر لما أراد أن يغيب فتح باب السر من ناحية باب القرافة وخرج منه متنكرا ومعه الأمير بيغوت لاغير ، فذهبا وعدّيا إلى الجيزية ، ثم بعد أيام جاءا ونزلا عند القاضى سعد الدين بن غراب ، ولم يزل السلطان عنده فى لهو وطرب وأكل وشرب وبسط وانشراح إلى يوم ظهوره .

وكانت الأقوال كثيرة فى مدة غيبته، فمنهم من كان يقول : مات وخُنق ، ومنهم من يقول : عند فلان، ومنهم من كان يقول : سافر إلى الشام، وكانت غالب الأقوال : إنه مات ، وجزم بقتله طائفة من المماليك والأمراء، وكان سبب ظهوره أن ابن غراب كان يصحب الأمير يشبك ومن يلوذ به ، فلما عُقدت السلطنة باسم عبد العزيز قويت شوكة بيبرس أتابك العساكر وفرّق الإقطاعات لحاشيته وجماعته صَعُبَ ذلك جدا على الأمير يشبك ومن تبعه ، وكانوا بطالين يترددون إلى بيبرس وسودون المارداني ، فأخذتهم الغيرة على ذلك ، واتفقوا مع القاضى سعد الدين بن غراب على إظهار الملك الناصر وأخذ المملكة من أيدى هؤلاء المذكورين (١) ، وكان عند يشبك علم من خبر

(١) يستفاد من رواية النجوم الزاهرة ٦/١٦٩ أنه لم يكن لدى يشبك الشعبانى علم فى بداية الأمر بمكان الناصر فرج ، ولكن الذى عرفه بذلك هو سعد الدين بن غراب لخوف الأخير من إدبار حال يشبك وهو الذى يرجع الفضل إليه فيما صار إليه من نفوذ .

الملك [الناصر] ، فاجتمعوا فى ليلة السبت السادس من جمادى الآخرة ، وأخذوا السلطان من بيت ابن غراب وجاءوا به فى جندس الليل المظلم إلى بيت الأمير سودون الحمزاوى وركبوا وخرج السلطان الملك الناصر بمن معه من بيت الأمير سودون الحمزاوى بالباطلية : فلما أصبحوا نهار السبت لبسوا وركبوا ؛ وخرج الملك الناصر بمن معه من بيت الأمير سودون الحمزاوى ودكسوا[1] دكسة واحدة وطلبوا باب القلعة ، وكان الأمير صوباى حافظ الباب ، ففتح لهم باب القلعة ، فطلع السلطان إلى تخته ، وانخذلت طائفة الأمير بيبرس وتفرقوا ، فهرب الأمير سودون الماردانى واختفى ، وأرسل السلطان الأمير سودون الطيار وراء الأمير بيبرس أتابك العساكر ، وكان قد برز إلى خارج المدينة فمسكوه بعد العصر بالقتال ، ثم سفر إلى إسكندرية للاعتقال بها .

وفى يوم الاثنين الثامن من جمادى الآخرة خلع على الأمير يشبك الشعبانى واستقر أميرا كبيرا وأتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير بيبرس بحكم مسكه واعتقاله ، وخلع على الأمير سودون الحمزاوى واستقر دوادارا كبيرا عوضا عن سودون الماردانى بحكم اختفائه ، وخلع على الأمير جركس المصارع واستقر أمير آخور كبيرا عوضا عن سودون المحمدى المجنون .

وفيه مسك السلطان جماعة من الأمراء وهم : الأمير قطلو رأس نوبة ، والأمير قنباى أمير آخور ، والأمير آقبغا رأس نوبة ، وكل هؤلاء عشرات ومسك الأمير برد بك طبلخاناه ورأس نوبة ؛

(١) جرى المؤلف على استعمال هذه الكلمة قاصدا بها « هجم » ، وهو غير المعنى الواردة به فى معاجم اللغة ، ذلك أن « دكس الشىء : حشاه » ؛ على أنه من المستبعد أن يكون ابن الصيرفى أراد هذا المعنى اللغوى كما يستفاد ذلك من سياق الخبر فى المتن .

وفى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى سُفر سودن الساقى الخاص ومعه خلعة الأمير جكم باستقراره فى نيابة حلب ؛

وفى يوم الثلاثاء الخامس عشر منه خُلع على الأمير سودون من زاده واستقر نائب غزة عوضا عن الأمير سلامش بحكم عزله ؛

وفيه خُلع على ابن المزوق ناظر الجيش واستقر كاتب السر الشريف عوضا عن القاضى سعد الدين بن غراب بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف ولبسه لبس الأتراك ؛

وفيه خُلع على القاضى بدر الدين حسن بن نصر الله واستقر ناظر الجيش عوضا عن ابن المزوق ؛

وفيه خلع على شرف الدين يعقوب بن التبانى واستقر ناظر الكسوة ووكيل بيت المال عوضا عن ولى الدين الدمياطى موقع الأمير بيبرس الكبير بحكم عزله ؛

وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين منه خُلع على الأمير يشبك واستقر ناظرا على المارستان المنصورى ، وخُلع أيضا على الأمير تمراز الناصرى واستقر نائب السلطان ، وخلع أيضا على الأمير أقباى واستقر رأس نوبة الأمراء ، وخُلع أيضا على الأمير سودون الطيار الذى كان أمير مجلس واستقر أمير سلاح عوضا عن أقباى ، وخُلع أيضا على الأمير يلبغا الناصرى واستقر أمير مجلس عوضا عن سودون الطيار بحكم انتقاله إلى أمير سلاح .

وفى يوم السبت السادس والعشرين من جمادى الآخرة خلع على ابن الجيزى السكرى واستقر فى حسبة مصر عوضا عن المنهاجى ؛ قال قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى رحمه الله فى تاريخه : « وهذه مصيبة لم تتكيف » ؛

---

(١) العينى : عقد الجمان ٢٥/٢٣٥ ، هذا وقد ورد فى السلوك ، ورقة ٢٧٨ ب أن اسمه محمد بن على الجيزى وأنه كان أحد باعة السكر ، ثم وصف هذا التعيين بقوله : « كان هذا من أشنع القبائح وأقبح الشناعات » .

وفى يوم الاثنين الثامن والعشرين منه خُلع على ابن المعلمة واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن الهوى ، وخلع على بهاء الدين بن البرجى واستقر فى نظر الكسوة ووكالة بيت المال عوضا عن شرف الدين ابن التبانى بحكم عزله .

وفى يوم الأحد رابع رجب خُلع على شرف الدين بن التبانى واستقر فى وظيفتى الكسوة والوكالة، عوضا عن بهاء الدين بن البرجى بشفاعة الأمير قطلوبغا الكركى .

* * *

ذكر تولية الخليفة المعتصم بالله

لما كان يوم الاثنين الرابع من شعبان من هذه السنة خلع على العباس ابن (٧٨ أ) المتوكل على الله أبى عبد الله محمد ، واستقر خليفة المسلمين عوضا عن والده المذكور بحكم وفاته :

وفى يوم الثلاثاء الثانى عشر من شعبان، مسك السلطان الأمير خاص خرجى وأزبك الرمضانى أخاه معه ، وسفّرهما فى ذلك الوقت إلى الإسكندرية :

وفى يوم الاثنين السادس عشر من رمضان خُلع على القاضى ولى الدين ابن خلدون ، واستقر فى قضاء القضاة المالكية بالديار المصرية عوضا عن القاضى جمال الدين البساطى بحكم عزله، وخُلع أيضا على ابن المعلمة واستقر فى حسبة القاهرة على عادته، وكان قد عُزل يوم السبت الرابع عشر من رمضان ، ولبس ابن شعبان عوضا عنه فى الحسبة يوما واحدا :

وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين منـه ، بل فى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين منـه والله أعلم، مُسك إينال الأشقر ، وسُفر إلى الإسكندرية إلى الاعتقال بها ؛

وفى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين منه خُلع على شمس الدين محمد الهوى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن ابن المعلمة بحكم عزله .

وفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه خُلع على جمال الدين بن التنسى واستقر فى قضاء القضاة المالكية بالديار المصرية عوضا عن القاضى ولى الدين بن خلدون بحكم وفاته ؛

وفى هذا اليوم مُسك الأمير سودون المساردانى من موضع كان مختفيا فيه وطلع إلى القلعة ، ثم رسم بتسفيره إلى الإسكندرية للاعتقال بها ؛

* * *

وفى يوم الثلاثاء السادس عشر من شوال خُلع على القاضى جمال الدين البساطى ، واستقر فى قضاة القضاة المالكية عوضا عن ابن التنسى بحكم عزله ، وخلع أيضا على القاضى كمال الدين عمر بن العديم الحلبى ، واستقر فى مشيخة خانقاه شيخون عوضا عن الشيخ زاده الخرزتانى[1] بحكم عزله ؛

وفى يوم السبت العشرين من شوال خُلع على ابن شعبان واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن شمس الدين الهوى بحكم عزله ؛

وفى يوم الخميس الثالث من ذى القعدة قدم مملوك الأمير جكم نائب حلب ، وأخبر أنه كسر ابن صاحب الباز التركمانى صاحب أنطاكية

(١) هو الشيخ زادة الخوز يانى العجمى الحنفى شيخ شيوخ خانقاه شيخون ، وقد مات فى السنة التالية ، راجع النجوم الزاهرة ٦/٢٨٣ ، وسيترجم له ابن الصيرفى فيما بعد ، ص ٢٣٤ ترجمة رقم ٤٤٤ .

وما والاها كسرة شديدة ، وغنم منهم أموالا جزيلة ، وكان ابن صاحب الباز قد تمكن من تلك البلاد تمكنا عظيما ، وحصل أموالا جزيلة ، واستخدم تراكمينا كثيرة ، وقد قيل إن عسكره كان يزيد على ثلاثة آلاف فارس غير الرجالة وقوى بذلك جكم أميرا عظيما ، وخرج له صيت عظيم فى البلاد الحلبية ، ووقع رعبه فى قلوب سائر التراكمين .

* * *

وفى يوم السبت الخامس من ذى القعدة خُلع على الهوى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن ابن شعبان بحكم عزله .

وفى يوم الاثنين السابع من ذى القعدة مَسك السلطان القاضى فخر الدين ابن غراب وأحاط على موجوده ، وفى يوم الخميس الثامن عشر منه رضى عليه السلطان ، وخلع عليه واستقر به مشيرا على عادته وناظر الخواص ، بعد أن بذل للسلطان مبلغ عشرين ألف دينار على ما قيل .

وفى يوم الاثنين الخامس من ذى الحجة منها خُلع على القاضى فتح الله واستقر كاتب السر الشريف بالديار المصرية على عادته عوضا عن القاضى فخر الدين بن المزوق بحكم عزله .

* * *

وفى هذا اليوم كانت وقعة عظيمة بين الأمير جكم وبين الأمير شيخ نائب الشام على أرض «رستن»(1) بين حماة وحمص ، فانكسر نائب الشام

(1) الرستن بفتح الراء عند مراصد الاطلاع ٢/٦١٥ أو بكسرها كما جاء فى كل ما ذكره ديسوفى مرجعه السابق ، بليدة قديمة بين حماة وحمص كانت على نهر الميماس وهو العاص ثم خربت ، وإن بقيت منها آثار تدل على جلالتها ، وهى تعرف فى اللغات الأوربية باسم Arethuse وهو الإسم اليونانى الذى أطلقه عليها سلوقس نكاتور ، وقد ذكر اليعقوبى أنها كانت على الطريق الواصل بين حلب وحمص ، راجع اليعقوبى : كتاب البلدان طبعة دى خويه ص ٣٢٣ : هذا وقد ذكر Dussaud: op. cit. p. 510 أن أحدث وأوفى دراسة ووصف للرستن هى Lidzbarski : Ephemeris, III. راجع أيضا : Le Strange ; Palestine Under the Moslems, pp. 519-520.

كسرة فظيعة ، وهرب وجاء إلى الرميلة ، وكان سبب هذه العداوة بينهما بعد الصحبة الأكيدة — حسد من شيخ له لما رآه كسر ابن الباز ، ثم كسر نعيرا وفرق شمله ، ومسك نعيرا وأخذ منه أموالا جزيلة ، وهذا لم يحصل لأحد قبله من الملوك ، فإن مثل الملك الظاهر عجز عن تحصيله ومسكه ، فظهر لجكم من ذلك شوكة عظيمة فحمل شيخا الحسد على معاداته ، وكاتب فيه بأنه عاص مخامر على السلطان ، وكل ذلك مع مساعدة الأمير يشبك لشيخ فإن الأمير يشبك كان أيضا ممن يعادى جكم ويحسده ويخاف أن ينتصر منه أمرا وحكاية ، وكان يحرض شيخ على قتاله وإزالة اسمه من البلاد ، ولكن الله تعالى أظهر خلاف مافى قلوبهم ، فكانت تلك الوقعة وقعة عظيمة قتل فيها جماعة كثيرة من جهة شيخ ، وقُتل فيها الأمير طولو نائب صفد والأمير علان نائب حماه ، وتفرق شمل شيخ غاية ما يكون ، حتى قيل إنه كان معه ما فوق العشرة آلاف نفس ، غير عرب ابن نعير مع جماعته ، وكان مع الأمير جكم مادون الألفين ، ولكن النصر بيد الله يؤتيه من يشاء :

* * *

ذكر من توفى من الأعيان

٤١٧ — خليفة الوقت المتوكل على الله أبوعبد الله محمد [بن المعتصم بالله أبي بكر] توفى يوم الثلاثاء[1] السابع والعشرين من رجب من هذه السنة ، وعُقد بالخلافة لابنه العباس على ماذكرنا :

٤١٨ — وفيه توفى القاضى بدر الدين بن المنهاك أحد نواب الشافعى والنائب الكبير للمحتسبين بالقاهرة .

(١) فى النجوم الزاهرة ٦/٣٧٥ « الثلاثاء ثامن رجب » .

٤١٩ - [ومات] القاضي ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المغربي المالكي . توفي ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من رمضان فجأة ، وكان قد تولى القضاء قبل موته بأيام قيل ثلاثة ، وقيل أكثر. وكان رجلا فاضلا صاحب أخبار ونوادر ، ومحاضرة حسنة جميلة وله تاريخ حسن ، ومع ذلك كله قال قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي (١) : «كان يتهم بأمور قبيحة فالله يسامحه» .

٤٢٠ - القاضي الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب ، توفي يوم الخميس التاسع عشر من رمضان ، وحضر السلطان جنازته ، وصلى عليه في مصلى المؤمني بالرميلة ، وكان يوما مشهودا .

٤٢١ - القاضي فخر الدين القاياتي أحد نواب الشافعية ، توفي يوم الأربعاء الحادي والعشرين من رجب ، وكان من الأقدمين المعمرين .

٤٢٢ - الشيخ زين الدين [عبد الرحمن بن علي بن خاف] الفارسكوري الشافعي ، توفي يوم الأحد الخامس والعشرين من رجب من هذه السنة .

٤٢٣ - الوزير تاج الدين [عبدالله] بن الوزير سعد الدين بن البقري ، توفي يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي القعدة منها محتاطا عليه في بيت الأمير جمال الدين الأستادار ، وقيل إن جمال الدين اشتراه من السلطان بمبلغ جليل جدا ، فلما تسلمه ضربه إلى أن قتله ، وكان السبب في ذلك أنه بلغه أنه التزم للسلطان بكذا وكذا ألف دينار ليتسلم جماعة من المباشرين منهم جمال الدين المذكور .

(١) العيني : ٢٥/٢٤٠ س ٢٠ .

٤٢٤ — القاضى زين الدين طاهر بن حبيب الحلبى ، ثم المصرى ، أحد موقعى الدست الكبار ونائب كاتم السر الشريف ، توفى فى يوم [السبت] السادس عشر من ذى القعدة منها ، وكان رجلا فاضلا فى صنعة الإنشاء ، وكان له نظم إلى الغاية ، خمس[1] « البردة » ، ونظم «السروجية» فى الفرائض على مذهب الحنفية وغيرها ، وكان قد تعين لكتابة السر الشريف مرارا عديدة ، لكن لم يقع له ذلك :

٤٢٥ — الأمير قنباى[2] العلائى أحد المقدمين الألوف بالديار المصرية ، توفى ليلة الأحد الحادى والعشرين من شوال منها ، ودفن يوم الأحد بعد صلاة الظهر ، وحضر جنازته القضاة الأربعة والأمراء الكبار والصغار ، وكان ضعيفا مدة أربعة شهور :

٤٢٦ — الأمير قينار[3] أحد الطبلخاناه وأمير آخور صغير بالديار المصرية توفى يوم (٧٨ ب) الأربعاء الخامس والعشرين من جمادى الأولى منها .

٤٢٧ — الأمير ناصر الدين بن الرماح ، توفى فى هذا التاريخ أيضا وخلف موجودا كثيرا إلى الغاية .

٤٢٨ — الأمير التى برص أحد الأمراء العشرات ، توفى يوم الخميس السادس والعشرين من جمادى الأولى منها .

---

(١) أضافت الشذرات ٧/ ٧٥ إلى ذلك أنه شرحها هو أيضا .

(٢) اتهمه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/ ٢٧٨ بمواطأة تيمور لأخذ دمشق وذلك بسبب رجوعه إلى مصر لتولية لاجين الجركسى ، انظر أيضا الضوء اللامع ٦/ ٦٦٤ .

(٣) تكاد هذه الترجمة تكون هى ذات الترجمة الواردة فى الضوء اللامع ٦/ ٧٦٢ ، نقلا عن العينى ، على أن السخاوى لم يكن متأكدا من اسمه فقال « يحرر اسمه » . أما ناشر الضوء ، فقد ذكره فى الفهرس « باسم قينار » .

٤٢٩ ـ وفيه أيضا توفى القاضى برهان الدين إبراهيم الدمياطى الذى كان ناظر المواريث .

٤٣٠ ـ الأمير بلاط السعدى ، توفى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى منها ، وكان أحد الأمراء الطبلخاناه فى أيام الملك الظاهر ، جرت عليه أمور كثيرة إلى أن توفى وهو بطال .

٤٣١ ـ الأمير يونس أحد الأمراء العشرات ، توفى يوم السبت التاسع عشر منهـا .

* * *

فصـــل

فيما وقع من الحوادث

فى الســـنة التاسعة بعـــد الثمـــانمـــائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر فرج ، وخليفة الوقت المعتصم بالله بن المتوكل على الله ، ونائب دمشق هو الأمـــير نوروز الحافظى من جهة الأمير جكم بطريق التغلب .

* * *

فنى يوم الأحد الثالث من المحرم من هذه السنة ، خُلع على تاج الدين الطويل الملقب ببلدنه واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن الهوى بحكم عزله .

* * *

وفى اليوم المبارك الذى هو الاثنين الثالث من صفر قدم الأمير شـــيخ المحمودى نائب الشام إلى القاهرة هاربا من الأمير جكم ، ومعه من الأمراء : الأمير دمرداش المحمودى نائب حلب ، والأمير خيربك نائب غزة والأمير ألطنبغا العثمانى حاجب الحجاب بالشام ، والأمير يونس الحافظى نائب حماه ، والأمير سودون الظريف ، والأمير دنكز بغا الحطى وغيرهم .

وفى يوم الخميس السادس منـــه خلع على الأمير شيخ واستقر فى نيابة الشام على عادته ، وخُلع على الأمير دمرداش واســـتقر فى نيابة حلب على عادتـــه .

وفى يوم الجمعة السابع من صفر خُلع على القاضى تاج الدين موقع الأمير سودون المــاردانى واســتقر ناظر الأحباس المبرورة عوضا عن ناصر الدين الطناحى بحكم وفاته :

وفى يوم الاثنين آخر النهار الحادى والعشرين من صفر سَفّر السلطان الملك الناصر أخاه السلطان عبد العزيز وأخاه سيدى إبراهيم إلى إسكندرية (١) ليقيما هناك فى غيبة السلطان ، وعين معهما الأمير قطلوبغا الكركى والأمير إينال العلائى الشهير بحطب :

* * *

ذكر خروج السلطان الملك النــاصر إلى البلاد الشامية لمحاربة الأمير جكم

لمـــا كان يوم الاثنين مستهل ربيع الأول منها خرج الأمير شيخ نائب دمشق ، والأمير دمرداش نائب حلب ومن معهما من العساكر الشاميــة والحلبية ، وخرج معهما من أمراء مصر الأمير سودون الطيار أمير سلاح ، والأمير سودون الحمزاوى الدوادار الكبير :

وفى هذا اليوم خلع على شمس الدين محمد الهوى واستقر فى حســبة القاهرة عوضا عن تاج الدين بدنه بحكم عزله بسفارة الأمير ســودون الحمــزاوى :

وفى يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول خرج السلطان الملك النــاصر بعساكره إلى الريدانية بعد صلاة الجمعة ، وخلّف فى المدينة نائب الغيبة الأمير تمراز الناصرى :

* * *

(١) رسم السلطان لهما أن يقيما بسجن الاسكندرية .

وفى يوم الثلاثاء الحادى عشر من ربيـــع الآخر جاءت الأخبار من الإسكندرية بوفاة الملك المنصور عبد العزيز بن السلطان الملك الظاهر برقوق وبوفاة أخيه سيدى إبراهيم ، كلاهما فى يوم واحد .

وفى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من ربيع الآخر قدم برسباى الدوادار الصغير على البريد، وأخبر بأن السلطان دخل دمشق يوم الاثنين سابع ربيع الآخر ، وكان قد دخل غزة فى الرابع والعشرين من ربيع الأول، وخرج منها يوم السابع والعشرين منه ؛ وخرج من دمشق إلى ناحية حلب يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الآخر.

وفى يوم الاثنين الثامن والعشرين من ربيع الآخر حضروا[1] بالسلطان الملك المنصور عبد العزيز وهو فى صندوق من الإسكندرية ومعه أخوه سيدى إبراهيم فى صندوق آخر أيضا ، وصلى عليهما فى مصلى المؤمنى بالرميلة ، ثم دُفنا عند والدهما بالتربة التى أنشأها بالصحراء قريب قبّـة النصر .

* * *

وفى يوم الأحد الرابع من جمادى الأول خُلع على ابن شعبان من عنـــد نائب الغيبة واســتقر فى حسبة القــاهرة عوضا عن تاج الدين بدنه بحكم عزله نفسه ورغبته عن الوظيفة .

وفى يوم الاثنين التاسع عشر من جمادى الأولى قدم شاهين الشعبـــانى الساقى الخاص، ومعه مراسيم شريفة يتضمن تاريخها أن السلطان دخل حلب المحروسة يوم السبت السادس والعشرين من ربيع الآخر ، وخرج هو من حلب مستهل جمادى الأولى من هذه السنة ، وأن الأمير جكم ومَن معه من

(١) فى الأصل « أحضروا » .

الأمراء — مثل نوروز الحافظى وتمربغـــا المشطوب وغير هما — قد تسحبوا من حلب وعدّوا الفرات .

وفى يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الآخرة قدم الأمير إينال الدوادار أمير عشرة ومعه جماعة من مماليك السلطان ، وأخبروا أن السلطان خرج من حلب يوم الأحد الثانى من جمادى الآخرة ، وأنهم فارقوه على عين بركة على مرحلة من حلب ، وأن السلطان قد ولى نيابة حلب الأمير جركس المصارع ، ونيابة طرابلس لسودون بقجة ، ونيابة الشام لشيخ المحمودى على عادته ، وأنه واصلٌ عقيب ذلك .

وفى يوم السبت التاسع والعشرين من جمادى الآخرة جاءت الأخبار بأن السلطان دخل دمشـــق ، وأن جركس المصارع هرب من حلب ووصل إلى السلطان ، وأن الأمير جكم دخل حلب بمن معه .

* * *

وفى يوم السبت الســـادس من رجب خُلع على تاج الدين بلدنه واستقر فى حسبة القاهرة ، عوضا عن شمس الدين محمد بن شعبان بحكم عزله .

وفيه قدم حريم السلطان من الشام ومعهن جماعة من المماليك والطواشية .

وفى يوم السبت [الثالث عشر] من رجب قدم السلطان الملك الناصر فرج بمن معه من العساكر ، وطلع قلعة الجبل .

(٧٩ أ) وفى يوم الخميس الثامن عشر منه قدم الأمير سودون من زاده نائب غزة هاربا من الأمير خير بك . وفى يوم السبت العشرين منه خُلع على شمس الدين بن النجار ، واســـتقر فى حسبة مصر عوضا عن ابن الجيزى السكرى .

وفى يوم الاثنـين الثانى والعشرين منـه خُلع على زين الدين حاجى إمام جلبان كان ، واستقر فى حسـبة القاهرة ، عوضا عن تاج الدين بدنه بحكم عزله :

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين منه خلع على ابن الجيزى واستقر فى حسبة مصر على عادته عوضا عن ابن النجار بحكم عزله :

وفى يوم السبت السابع والعشرين منـه خُلع على شمس الـدين بدنه واستقر فى حسبة القاهرة عوضاً عن حاجى بحكم عزله :

* * *

وفى يوم السبت الثانى عشر من شعبان مُسك[1] فخر الدين بن غراب ، وسُلم للأمير جمال الدين الأستادار ، ومسك معه عبده ، وأخذ منه مالا جزيلا

وفى يوم الأربعاء الثانى والعشرين من شـعبان حضر الأمير خير بك مقيدا إلى الأبواب الشريفة :

* * *

وفى يوم الاثنين السادس عشر من ذى القعدة خُلع على تاج الدين قريب ابن جماعة واستقر فى حسبة القـاهرة عوضا عن شمس الدين محمد الطويل — المعروف ببدنه — بحكم عزله :

وفى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى القعدة خُلع على شمس الدين ابن شعبان ، واستقر فى حسبة مصر عوضا عن قريب ابن جماعة :

* * *

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ٦ /١٨٣ أن الملك الناصر أمسك ابن غراب يوم الجمعة رابع شعبان .

ذكر سلطنة الأمير جكم وتوجهه إلى آمد لمحاربة قرايلوك صاحب مدينة آمد وقتله فيها

لمـا عاد الأمير جكم بمن معه إلى حلب بعد سفر السلطان الملك الناصر منها كما ذكرنا ، اجتهد الأمير جكم وجهز عساكر كثيرة ، وحصّـل عَددا وعُددا من السلاح ، واشترى مماليكا كثيرة قريبا من ألف مملوك ، واستخدم أيضا مماليك كثيرة بحيث قويت شوكته ونهضت عزيمته إلى أن استولى عليه جماعة من الفقهاء الراغبين للدنيا وبعض الجند المفسدين وحرّضوه على أن يلبس خلعة السلطنة فأجابهم إلى ذلك ، وجمع محفلا عظيما ، وحضر فيه قضاة حلب وأعيانها وأمراؤها وأجنادها ، وعقدوا له بالسلطنة في شهر جمادى الآخرة من هذه السنة ، ولقبوه بالملك العادل ، وضُربت البشائر ، ودقت الكوسات ، وأرسلوا الأخبار بذلك إلى سائر البلاد الحلبية ، وضربوا السكة باسمه ، وخطب الخطباء أيضا باسمه .

ثم أرسل إلى الأمير نوروز الحافظي نائب الشام فأطاعه على ذلك وقبّل الأرض ولبس خلعته ، وأمر بالمناداة في الشام بسلطنة الأمير جكم ، وأمر الخطباء أنْ يخطبوا باسمه ، وأرسل أيضا إلى الأمراء الذين اجتمعوا بغزّة وهم : الأمير إينال بي — وكان قد هرب من القاهرة — ، والأمير سودون الحمزاوي — وكان قد هرب من السلطان حين خرج من الشام متوجها إلى القاهرة — وكان قد حصّن قلعة صفد ، ولكن نائب الشام شيخ المحمودي عمل حيلة وأخذ قلعة صفد منه ، وهرب هو وجاء إلى غـزة ، واستولى نائب الشام على صفد وتحصن بهـا خوفا على نفسه من جكم والأمير يشبك بن أزدمر ، وكان هو أيضا قد هرب من القاهرة ، وغيرهم من الأمراء والأجناد ، فتوقفوا أولا في قضية جكم ،

ثم أرسل إليهم نوروز ثانيا ، فأظهروا – كلهم – الطاعة لجكم ولبسوا خلعه ، وخطبوا بغزة أيضا باسمه :

فخطب باسم جكم من غزة إلى آخر مملكة حلب غير صفد ، فإن شيخ كان فيها من جهة السلطان الملك الناصر :

ولما اتفق ذلك جهز جكم عساكر عظيمة وخرج نحو قرايلك عثمان التركمانى وهم نازلون فى الشرق عند مدينة آمد ، ولما قرب من مدينة « ماردين » نزل إليه صاحبها السلطان الملك الظاهر مجد الدين عيسى وحاجبها فياض ، وقوى عزم جكم على محاربة عثمان المعروف بقرايلوك ، بعد أن كان قصد الرجوع من هناك لأجل أن قرايلوك أرسل إليه والدته للدخالة عليه ، ووعده بأموال جزيلة وخيول وجمال ، ولكن المقدور لابد منه . فسافر جكم ومعه عساكره ، وصحبه صاحب ماردين إلى أن تلاقوا بقرايلوك عند مدينة آمد ، واشتبك القتال بينهم ، وكان جكم مستظهرا عليهم بنفسه ، حتى قتل ابن قرايلوك الذى كان هو عين قلادته ورأس عسكره ، فانكسروا حتى تحصنوا بآمد ، وأشاروا على جكم بالنزول وترك القتال فلم يرض بذلك ، وراوس لأجل فروغ أجله إلى أن ساق وحده وراءهم ودخل بين البنيان ، فأرموا عليه بالحجارة والسهام ، ولم يتمكن هو من الفرار لضيق المكان ، لأنهم كانوا قد أرسلوا المياه حتى صارت الأراضى كلها وحلة ، بحيث أن الفارس يغطس بفرسه فى الطين ، فعند ذلك جاء قضاء الله المحتوم ، وأرمى عليه شخص من التركمان حجرا بمقلاع فوصل إلى جبهة جكم فتخبط منه ونزل الدم على وجهه وعلى ثيابه ، إلى أن وصل إلى فرسه ، فزال عقله وسقط من فرسه ، فأدركوه وقطعوا رأسه ، فانكسرت عساكره وتفرقوا شذر مذر ، ولم ينج منهم إلا القليل . وهرب الأمير تمربغا المشطوب متنكرا

واختفى عند شخص أخرجه إلى بلاد حلب بعــد أن وعد له بجملة أموال على ذلك ، وقتل من العساكر جماعة كثيرون . وقتيل أيضا الملك الظاهر مجــد الدين عيسى صــاحب ماردين ، وكذلك حاجبه فياض ، وكانا شيخين معمرين ، وقُتل الأمير ناصر الدين بن شهرى المعروف بصرد سيدى وكان حاجب الحجاب بحلب ، والأمــير أقول نائب عينتاب وغيرهما من الأمراء والأجنــاد ، وغنمت التراكمين أموالا جزيلة وخيــولا كثيرة وبغالا وجمالا من غير عدد ، قال شيخنا قاضى القضاة (٧٩ ب) بدر الدين محمود العينى رحمه الله فى تاريخه : « ولقد أخبرنى من أثق به أن الوقعة كانت يوم السابع والعشرين من ذى القعدة من هذه السنة على مدينة آمد » :

وفى يوم الاثنين السابع والعشرين من ذى الحجة حضر قاصد الأمير شيخ المحمودى من صــفد ، وأخبر أن جكم قد عدى إلى الفرات وتلاقى مع ابن قرايلوك ، وأنه انكسر هو وعساكره ، وقُتل وغالب عسكره أيضا ، ففرح بذلك الأمير يشبك ومن يلوذ به ، ودُقت البشائر بالقاهرة ثلاثة أيام .

* * *

ذكر وقعة الأمير شيخ المحمودى مع الأمراء الذين كانوا بغزة

قدمنا أن الأمير ســودون الحمزاوى لمــا أخذ منه شــيخ المحمودى صفد بالحيلة حضر إلى غزة ، وأن الأمير إينال بى والأمير يشبك بن أزدمر هربا من القاهرة من طريق البرية وحضرا إلى غــزة واجتمعوا هنــاك بالأمراء ، ثم إن شــيخا كان يرســل فى كل وقت جواسيسه ويستكشف أخبارهم ، ثم إنه ركب من صفد بمن معه وساق إلى أن وصل غزة ، فتلاقى مع الأمراء الذين بهــا على أرض يقال لها « حديده » يوم الخميس الرابــع

من ذى الحجة من هذه السنة ، ووقع بينهم قتال عظيم ، إلى أن قتل إينال بى والأمير يونس الحافظى — نائب حماه كان — والأمير سودون قرناص ، ومسك الأمير سودون الحمزاوى ، وجماعة من مماليك السلطان الذين تسحبوا من القاهرة ، وهرب الأمير يشبك بن أزدمر ، وجاء الخبر بذلك إلى السلطان فنودى فى القاهرة بذلك ودقت البشائر :

وخرجت السنة والحالة هذه :

وحج بالناس فيها الأمير بيسق الشيخى :

* * *

ذكر من[(١)] توفى فيها من الأعيان

٤٣٢ — الملك سيف الدين جكم ، قتل فى التاريخ المذكور فى وقعته مع قرايلوك على مدينة آمد ، وقال غالب المؤرخين : «كان ملكا حازما صارما دينا ، إلا أنه فى آخر عمره سفك الدماء» ؛ ومن محاسنه أنه بنى قلعة حلب بناء عظيما متقنا بعد أن أخربها تمرلنك فى سنة ثلاث وثمانمائة ، وهذا يدل على علو همته ، رحمة الله عليه .

٤٣٣ — الملك مجد الدين عيسى — الملقب بالظاهر صاحب ماردين — قُتل فى وقعة جكم على آمد كما ذكرنا فى هذه السنة :

٤٣٤ — الأمير زين الدين فياض — حاجب صاحب ماردين — قتل فى وقعة جكم أيضا كما قدمنا .

٤٣٥ — الأمير محمد بن شهرى — المعروف بصرد سيدى حاجب الحجاب بحلب — قُتل فى وقعة جكم : قال شيخنا العينى فى تاريخه : «كان من بيت كبير» :

(١) اختلطت هنا وفيات سنتى ٨٠٨ ، ٨٠٩ بعضها ببعض .

٤٣٦ ـ الأمير قطلوبغا الكركى توفى ليلة السبت الخامس والعشرين من شعبان من هذه السنة ، وحضر السلطان جنازته ، وصلى عليه فى مصلى المؤمنى ؛

٤٣٧ ـ الأمير أقول[(١)] نائب عينتاب ، قتل فى وقعة جكم على آمد ، وكان رجلا شجاعا . قال شيخنا الحافظ العينى رحمه الله : « ولكنه كان قليل العقل » .

٤٣٨ ـ الأمير إينال العلائى ، الشهير بحطب ، توفى ليلة الجمعة السادس من ذى القعدة منها ودُفن صبيحة يوم الجمعة ، وحضر السلطان جنازته ، وصلى عليه فى مصلى المؤمنى ؛

٤٣٩ ـ الأمير ألتش الشعبانى نائب قلعة الجبل ، توفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ودُفن بتربته[(٢)] بالصحراء بجوار تربة الملك الظاهر عند قبة النصر .

٤٤٠ ـ الأمير ركن الدين عمر بن قيماز ، توفى يوم الاثنين مستهل رجب منها ، وكان قد باشر وظائف كثيرة جليلة ، منها أستادارية السلطان مرارا عديدة .

٤٤١ ـ الأمير نعير بن محمد بن حيار ، من عرب مهنا ، قُتل فى هذه السنة ، قتله جكم بعد أن مسكه وحبسه فى قلعة حلب .

٤٤٢ ـ الأمير فارس صاحب الباز صاحب أنطاكية وماوالاها ، قُتل فى هذه السنة ، قتله جكم بعد أن مسكه وسلب نعمته وأخرب بيته .

---

(١) فى هامش المخطوطة بخط ابن الصيرفى « اقول : اسم مملوك أبيض أوله همزة بعده قاف منقوطة مثناة بعده واو ، وآخره لام » .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع ٢ / ١٠٢٤ أنه يوم الخميس ٢٤ جمادى الآخرة ، وأنه دفن « بتربة » بالصحراء .

٤٤٣ — الشيخ الإمام الفاضل المحدث تقى الدين محمد بن محمد بن حيدرة الدجوى[(١)] الشافعى ، توفى يوم الأحد الثامن عشر من جمادى الأولى منهـــا ، وكان علامةً فى الحديث والأسانيد ، له سند عال رحلة [وكان] فاضـــلا فى العربية واللغات وغيرها . قال قاضى القضاة بدر الدين العينى فى تاريخه : « سمعنا عليه الكتب الستة ، ما خلا النسائى ، ومسند أحمد بن حنبل ، والدارمى ومسند عبد بن حميد » .

٤٤٤ — الشيخ الإمام شيخ زادة الخرزتانى[(٢)] ، توفى يوم الأحـــد سلخ ذى القعدة ، ودُفن فى تربة شيخو عنـــد الشيخ أكمل الدين بالخانقاه التى فى صليبة جامع طولون ، وكان رجلا عالمـــا فاضلا دينا ، طلبـــه السلطان الملك الظاهر من بغداد وولاه خانقاه شـــيخو ، ولم يزل بها إلى أن أخذها القاضى كمال الدين بن العديم الحلبى بالعسف[(٣)] فى التاريخ الذى ذكرناه ، وتوفى وهو خارج المدرسة .

٤٤٥ — القاضى ناصر الدين محمد الطناحى إمام السلطان وناظر الأحباس المبرورة ، توفى يوم الخميس السادس من صفر منها ، وكان رجلا حريصا على جمع الأموال لأجل زوجتـــه التى ابتلى بها ، وذكره القاضى بدر الدين العينى فى تاريخه فقال : « كان رجلا عاريا من العلوم » .

---

(١) نســبة إلى إحدى القـــرى المصرية القديمة المعـــروفة بدجوة بكسر الدال وسكون الجـــيم وفتح الواو ، وإن ضبطها شذرات الذهب ٧/٨٦ بضم الدال . ويستدل من تحديد الجغرافيين لهـــا كياقوت وابن مماتى وابن دقماق وما جاء به صاحب تاج العروس أنهم اختلفوا فى موضعها بجعلها بعضهم من كور الدقهلية والآخر من كور الشرقية والأخيرة أصح ، راجع فى ذلك القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ٤٥ .

(٢) فى النجوم الزاهرة ٦/٣٨٣ الخوزبانى وهو فى الضوء اللامع ٣/٨٨٢ الخرزبانى ، هذا وقد أدرجه السلوك والنجوم فيمن مات سنة ٨٠٩ ، ولكن الشذرات ٧/٧٤ وضعته فيمن توفى سنة ٨٠٨ ولم تستطع تحديد وفاته .

(٣) اتهمه ابن العديم بالحرف فى التاريخ كما جاء فى الشذرات ٧/٧٥ .

٤٤٦ ــ الشيخ الإمام بدر الدين محمد الطنبدى الشافعى، توفى يوم الأحد الثامن والعشرين من ربيع الأول (١)، كان رجلا فاضلا؛ قال الشيخ بدر الدين العينى: « ولكن كان يُرمى بأمرٍ قبيح، فالله يسامحه ».

٤٤٧ ــ القاضى سراج الدين عمر [بن منصور بن سليمان] القرمى مدرس مدرسة أيتمش، توفى يوم الاثنين خامس جمادى الأولى، وتولى حسبة مصر سنين كثيرة، وتولى حسبة القاهرة أيضا مدة فى دولة منطاش فتأخر بسبب ذلك عند الظاهر، وكان عنده بعض علوم، ولكن كان له دعوى عريضة.

٤٤٨ ــ الشيخ صفى الدين مصطفى القرمانى التركمانى، توفى ليلة الاثنين السابع عشر من جمــادى الآخرة، ودفن صبيحة يوم الاثنين وحضر جنازته نائب السلطان: الأمير تمراز الناصرى؛ وكان بيده تدريس مدرسة صرغتمش ومدرسة سودون من زاده، ومشيخة تربة قجا السلحدار، وتدريس مدرسة الأمير بلاط السيفى ألجاى، فتنازع فى تدريس صرغتمش شرفُ الدين يعقوب بن التبانى، وزينُ الدين عبد الرحمن التفهنى، فآخر الأمر استقر (٢) بيــد التفهنى بمساعدة الأمير بشباى رأس نوبة وكان ناظرا عليها، واستقر فى تدريس مدرسة سودون من زادة بدر الدين القدسى، واستقرت مشيخة تربة قجا وتدريس أقبلاط باسم ولده، وناب عنــه زين الدين التفهنى.

٤٤٩ ــ القاضى شرف الدين رسول القيسرانى قاضى غزة، توفى فى ربيع الآخرة منها بمدينة غزة.

(٢) « حادى عشرى » فى النجوم الزاهرة ٦/٢٨٢

(٢) أى تدريس الصرغتمشية.

٤٥٠ – الشيخ محمد المغربي ، توفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ، وكان رجلا جيدا دينا ، وكان يحج إلى بيت الله الحرام فى كل عام ، وكان معظما عند السلطان والأمراء .

٤٥١ – وفيه توفى أيضا القاضى تاج الدين محمد القمنى أحد الموقعين بالدست الشريف .

٤٥٢ – القاضى جمال الدين البهوتى أحد النواب الحنفية ، توفى يوم السبت التاسع والعشرين من جمادى الآخرة .

٤٥٣ – وفيه توفى أيضا القاضى شمس الدين بن أخى زين الدين خلف أحد النواب المالكية .

٤٥٤ – القاضى موفق الدين الرومى ، تُوفى يوم الأربعاء الثالث من رجب منها ، وكان من طلبة الشيخ أكمل الدين ، وتولى قضاء غزة بإشارته مدة كبيرة ، ثم تولى قضاء الحنفية بحلب مدة ، ثم عاد إلى القدس مدة طويلة ثم تولى قضاء العسكر بالديار المصرية ، ثم عاد إلى القدس الشريف ، ثم عاد إلى القاهرة وأقام أياما ضعيفا ومات بالتاريخ المذكور ، وكان رجلا جيدا دينا مشاركا فى العلوم سريعا فى الكلام ، مكثرا وهاجا سريع الغضب .

٤٥٥ – الشيخ قطب الدين عبد الكريم بن تقى الدين محمد بن الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن تقى الدين محمد بن الحافظ قطب الدين الحلبى الحنفى ، توفى يوم الاثنين الثامن من رجب منها ، كان يروى كُتُباً كثيرة فى الحديث ، قال قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى : « ولكنه كان عاريا عن العلوم » .

٤٥٦ — الشريف بدر الدين حسن النسابة الحسنى شيخ الخانقاه البيبرسية توفى ليلة السبت السادس عشر من شوال منها، كان رجلا معمرا، قديم الهجرة، كثير السعى فى الوظائف، وتولى عوضه فى مشيخة الخانقاه البيبرسية الشيخ شمس الدين أخو جمال الدين الأستادار :

٤٥٧ — القاضى شهاب الدين أحمد بن القاضى شمس الدين محمد القليجى أحد النواب الحنفية ومفتى دار العدل، توفى يوم الخميس من ذى القعدة، واستقر عوضه فى إفتاء دار العدل أمين الدين بن الطرابلسى :

٤٥٨ — الشيخ صارم الدين إبراهيم بن دقماق المتجند (٨٠ أ)، توفى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ذى الحجة منها، كان مشتغلا بجمع التاريخ وكلام الناس، ألف تاريخا كبيرا يزيد على عشرين مجلدا، وتاريخا آخر صغيرا، وألف « طبقات الحنفية » يزيد على أربعة مجلدات، قال أقضى القضاة بدر الدين محمود العينى : « ولكنه كان عاريا من العلوم، خصوصا علم العربية، فلهذا وقعت عبارته خارجة عن قواعد العربية » :

٤٥٩ — الست خوند أرطو أخت السلطان الملك الظاهر، توفيت ليلة الأحد الثامن والعشرين من رجب، ودُفنت صبيحة يوم الأحد المذكور :

* * *

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى الســنة العاشرة بعد الثمـانمـائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر [فرج]، وخليفة الوقت المعتصم بالله بن المتوكل على الله ، ونائب حلب الأمير تمربغا المشطوب بطريق التغلب ، وذلك أنه لمـا قُتِل جكم فى وقعة قرايلوك هرب المشطوب وجاء إلى حلب واستولى عليها ولكن بعد محاربة شديدة مع الأمير عليباك بن الأمير خليـل بن ذلغادر التركمانى ، لأنه لمـا سمع بقتل جكم جمع تراكمينا كثيرة ونزلوا على حلب ، وآخر الأمر قوى تمربغا المشطوب ، ورحل التركمان من حلب ، وأطاع من فى القلعة إياه واستولى على القلعة والمدينة وحواصيل جكم ومماليكه وخيوله المتأخرة بحلب .

* * *

وفى يوم الاثنين السابع من المحرم حضر حاجب نعير ومعه بعض التراكمين ومعهم رأسان ، وذكروا أن إحداهما رأس جكم والأخرى رأس ابن شهرى ، فخلع السلطان عليهم ، ودقت البشائر وزينت الأسواق ، وطافوا بالرأسين على الرماح أسواق القاهرة ، ثم علقوهما على باب القلعة ثم على باب زويلة أياما ثم دُفِنَتَا ، رحمة الله عليهما .

* * *

ذكر خروج السلطان إلى الشام لتمهيد البلاد

لما كان يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من محرم[1] خرج الأمير يشبك أتابك العساكر والأمير تغرى بردى والأمير بيغوت والأمير سودون بقجة ، ومن أضيف إليهم ونزلوا بالريدانية ؛

وفى يوم الاثنين الثامن والعشرين من المحرم خرج السلطان الملك الناصر ببقية عساكره ونزلوا بالريدانية ؛

* * *

وفى يوم الجمعة الثانى من صفر رحل السلطان بعساكره من الريدانيـــة وخلع على الأمير تمراز الناصرى خلعة نيابة الغيبة ، وأمره أن يقيم ببـــاب السلسلة ، وأمر الأمير أقباى أن يكون بالقلعة هو والأمير سودون الطيـــار وأن يكون فى بيت الأمير بيبرس بالرميلة ؛

وفى يوم الخميس الخامس عشر من صفر قدم برسبغا الدوادار ، وأخبر أن السلطان دخل غزة يوم الاثنين الثانى عشر من صفر ، وأن نوروز الحافظى هرب من الشام إلى ناحية الكرك ؛

وفى يوم السبت السابع عشر من صفر خُلع على شمس الدين بدنه ، واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن ابن شعبان بحكم عزله ؛

* * *

وفى يوم السبت التاسع من ربيع الأول حضر بريدى من الشام ومعـــه كتاب يتضمن أن السلطان دخل دمشق يوم الخميس الثانى والعشرين من صفر وأنه قبض على الأمير يشبك أتابك العساكر والأمير شـــيخ المحمودى نائب

(١) فى الأصل «رجب» .

الشام ، وكان اعتقلهما بقلعة دمشق ، وأن الأمير جركس المصارع قد تسحّب عن الطاعة ومعه مرسوم أيضا بمسك الأمير تمراز نائب الغيبة ، فلما سمع الأمير تمراز بذلك أطاع ، فمسكوه وحبسوه بالبرج بالقلعة ، وانتقل الأمير سودون الطيار إلى باب السلسلة ، وشرع الأمير أقباى يحكم بين الناس مدة ، فترك سودون الطيار الأمر له خوفا من الشر وعلى دينـه من الله تعالى ، ثم إن السلطان لمـا مسك الأمير شيخ والأمير يشبك أراد أن يقتلهما ، فأخره عن ذلك الأمير جمال الدين الأستادار ، حتى إنهما أصلحا نائب القلعة الأمير منطوق ، ووعدا له بالمـال الجزيل ، فاتفقوا ونزلوا من القلعة فى ظلمـة الليل وساقوا ناحية حلب ، فأخبر السلطان بذلك ، فأرسل خلفهم جماعة من الأمراء فيهم الأمير بيغوت ، فأدركوا منطوق وقتلوه وقطعوا رأسه وجاءوا به وعلقوه فى باب قلعة الشام ، ولم يدركوا شيخا المحمودى ولا يشبك ، ثم إن السلطان أرسل إلى نوروز وهو بحلب عند تمربغا المشطوب خلعـة باستقراره على نيابة الشام ، وطلب منه جماعة من الأمراء الذين خرجوا عن طاعته والتجأوا إليه وهم : الأمير إينال المنقار ، والأمير علان ، والأمـير جمق نائب الكرك كان ، والأمير سنباى (بالسين المهملة بعدها نون منقوطة من فوق موحدة بعدها باء موحدة بعدها ألف وياء مثناة تحتانية) التركمانى أحد المقدمين بالشام ، والأمير أسنباى أيضا أمير آخور صغير وغيرهم ، فأرسلهم نوروز الحافظى إلى السلطان ، فخرج السلطان من الشام وصحبته هؤلاء الأمراء محتاطين عليهم ، ومعه أيضا الأمير سودون الحمزاوى ، وكان فى حبس شيخ فى صفد ، والأمير أقبردى أمير طبلخاناه ورأس نوبة كان ، والأمير سودون الشمسى أمير عشرة ورأس نوبة كان ، والأمير سودون البجاسى أمير عشرة ، فوصل السلطان إلى القاهرة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ربيع الآخر ، وطلع القلعة والأمراء المذكورون على بغال محتاطين عليهم .

وفي يوم الخميس السادس والعشرين منه قتل السلطان جماعة من الأمراء المذكورين وهم الأمير سودون[١] الحمزاوى ، والأمير تمربغا الدوادار الحمزاوى وسّطه على باب السلسلة ، والأمير أقبردى ، والأمير جمق ، والأمير سنباى التركمانى ، وأسنباى أمير آخور صغير ، وحبس الأمير إينال المنقار ، والأمير علان ، وسودون الشمسى ، وسودون البجاسى فى حبس إسكندرية :

وفى يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الآخر أنعم السلطان بتقدمة الأمير يشبك على الأمير تغرى بردى ، وبتقدمة الأمير تمراز على الأمير قراجا واستقر شاد الشراب خاناه ، وأنعم على الأمير قردم بتقدمة ، والأمير أرغون بتقدمة ، والأمير شاهين قزقا[٢] بتقدمة ، والأمير طوغان بتقدمة :

وفى يوم السبت وسّط الأمير أسنباى أمير آخور فى الرميلة :

* * *

وفى يوم الخميس الثالث من شهر جمادى الأولى خُلع على الأمير تغرى بردى واستقر أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير يشبك الشعبانى ، وخُلع على الأمير كمشبغا المزوق واستقر أمير آخور عوضا عن الأمير جركس القاسمى :

وفى هذا اليوم حضر ثلاثة رءوس أرسلها الأمير نوروز الحافظى نائب الشام ، إحداها رأس الأمير يشبك ، والثانى رأس جركس ، والثالث رأس فارس التنمى الحاجب فى الشام ، وحكايتهم أن السلطان لما خرج من دمشق

(١) أشارت النجوم الزاهرة ٦/١٢٩ الى أن السلطان أستدعى القضاة وأثبت عندهم إراقة دم سودون الحمزاوى لقتله إنسانا ظلما .

(٢) هكذا فى الأصل بالزاى لكن راجع فيا بعد ص ٢٤٥ حاشية رقم ١ .

وتوجه إلى الديار المصرية جاء شيخ المحمودى ويشبك الشعبانى وجركس القاسمى ودخلوا دمشق وطردوا نائب الغيبة من جهة نوروز ، وهو الأمير بكتمر الناصرى الشهير بجلق ، فخرج بكتمر هاربا وخرج يشبك وجركس وراءه إلى أن وصلا قريب بعلبك وتلاقيا هناك، وأدركهم عسكر نوروز ، ووقع بينهم قتال عظيم ، فقُتل يشبك وجركس وفارس هناك .

ثم إن نوروز أرسل إلى السلطان وأعلمه بذلك ، فوصل قاصده إلى السلطان وكان نازلا على العريش ، وأرسل السلطان إلى نوروز الحافظى وأمره أن يبعث برءوسهم ، فأرسل نوروز إلى مقابرهم وقطعوا رءوسهم من جثثهم وأرسلها إلى السلطان فوصلت فى التاريخ المذكور صحبة (٨٠ ب) شاهين الساق الخاص

وأما شيخ المحمودى فإنه لما بلغه هذا الخبر أخذ حواصله وذخائره وطلب نحو بلاد شيراز ، وقد قيل إنه كان له خبية مدفونة فى الأرض — مقدار مائة وخمسين ألف دينار فى دار السعادة فى الموضع الذى يحكم عليه النائب بالشام — فأخذها معه .

وفى يوم الخميس العاشر من جمادى الأولى سُفر الأمراء الثلاثة إلى إسكندرية للاعتقال بها وهم : الأمير يلبغا الناصرى ، والأمير إينال الجلالى الشهير بالمنقار ، والأمير علان ؛

وفى يوم الخميس التاسع عشر منه خُلع على الأمير قردم واستقر خازندار[(١)] السلطان عوضا عن الأمير طوخ ، وخُلع على الأمير طوخ واستقر أمير مجلس عوضا عن الأمير يلبغا الناصرى بحكم مسكه ؛

* * *

(١) وتسميه العامة خطأ بطوق الخازندار، أنظر النجوم الزاهرة ٦/١٩٤ .

وفى يوم الجمعة السادس عشر من رجب خُلع على الحجازى واستقر نقيب الجيوش المنصورة عوضا عن حسام الدين الذى كان بيده ولاية القاهرة ونقابة الجيش والحجوبية الصغرى ، وعزله هــو أيضا عن الحجوبية، ولم يبق إلا على الولاية فقط .

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين منه خُلع عن ابن الطبلاوى واستقر فى ولاية القــاهرة عوضا عن حسام الدين حسين بحكم عزله ومسكه .

وفى يوم الأربعاء الحادى عشر من شعبان أفرج السلطان عن الأمير تمراز الناصرى نائب السلطان كان - وكان محبوسا بالبرج الذى فى قلعة الجبل من التاريخ الذى ذكرناه - فنزل إلى بيته، وكان السلطان قد حصل له ضعف شديد فى تلك الأيام ، فرزقه الله العافية .

وفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى الحجة خُلع على ابن الجيزى السكرى واستقر فى حسبة مصر .

وحج بالناس فى هذه السنة الأمير بيسق الشيخى .

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٤٦٠ - الشيخ الإمام العالم سيف الدين السيرامى شيخ المدرسة الظاهرية البرقوقية ، توفى ليلة السبت الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر[1]، ودفن صبيحة يومه فى حوش الخــواجا على الكيلانى ، ثم انتقــل إلى تربة السلطان الملك الظاهر برقوق بإشارة الســلطان الملك الناصر فرج ، واســتقر

(١) ربيع الأول فى الشذرات ٧/٨٨ ، وسمته أيضا بالسيرافى ، ولكنه «السيرامى» فى النجوم الزاهرة ٦/٢٨٥ .

عوضه فى المدرسة المذكورة ولده الصغير الشيخ يحيى[1] بتولية من عند الأمير أقباى فى غيبة السلطان ، ثم لما حضر السلطان من الشام قرره على تقريره .

٤٦١ — القاضى شمس الدين محمد الشاذلى الخردفوشى[2] ، توفى يوم الجمعة الثانى من صفر ، وتولى مدة طويلة حسبة مصر ثم تولى حسبة القاهرة ، قال شيخنا قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى تاريخه : «كان رجلا عاميا صرفا جاهلا ، تولى المنصب بالخدمة للأمير بيبرس بالمال وغيره من الأحوال المنكرة » .

٤٦٢ — الأمير سودون الطيار[3] الناصرى أمير سلاح الملك الناصر ، توفى ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من شوال من هذه السنة ، وحضر السلطان جنازته وصلى عليه فى مصلى المؤمنى ، ودفن فى التربة التى أنشأها آقبغا الدوادار ، وكان رجلا دينا محقا كثير الأدب يحب العلم والعلماء والحكماء ، ويبغض البدعة وأهلها ، مشهورا بالفروسية ولعب الرمح ورمى النشاب واستخراج الحيول ، وخلف موجودا كثيرا وزوجة وإبنا ، ولم ينتفع ورثته من تركته بشىء لاستيلاء جمال الدين الأستادار عليها .

---

(١) هو نظام الدين يحيى بن يوسف السيرامى — بالمهملة سينا أو صادا — الحنفى وربما قيل له يحيى بن سيف ، والأرجح كما يراه السخاوى فى الضوء ١٠/٥٦/١٠ أنه ولد فى تبريز وإنما جاء مع أبيه حين جاءها لأول مرة لمشيخة البرقوقية سنة ٧٩٠ ، وكان يحيى — حين ولى بعد وفاة أبيه — قد ناهز الثلاثين من عمره وكانت وفاته سنة ٨٣٢ مطعونا .

(٢) رجح بوبر فى Al-Nujum Al-Zahira, Vol. 6, p. 186 note K أن يكون رسمها الصحيح خردة فروش وفسرها بأنه الشخص الذى يتعامل فى الأشياء الصغيرة التافهة .

(٣) الطيار بالباء الموحدة فى النجوم الزاهرة ٦/٢٨٣ ثم عاد فكتبها بالياء وفسرها أنه سمى بذلك لأنه خرج من ديار مصر فى ليلة موكب ووصل إلى دمشق ثم عاد إلى مصر فى ليلة موكب آخر على خيل بريد .

٤٦٣ - الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جمال الدين محمود الأستادار، قتل فى بيت الأمير جمال الدين الأستادار البيرى ليلة الأحد الثالث من ذى القعدة منها ، وذلك بعد أن مسك فى بيت فى المقس ، وكان مختفيا من أيام وقعة إينال بى الذى قتل فى غزة ، وكان قد ذهب إلى الشام وأقام فيها مدة ، ثم أتى إلى القاهرة خفية ، ثم مسك وقتل فى التاريخ المذكور ، وكان الذى حرض السلطانَ على قتله الأمير جمال الدين الأستادار ، وفى الحقيقة كان هو القاتل :

٤٦٤ - الأمير شاهين قزقا(١) ، توفى ليلة الجمعة الثامن من ذى القعـــدة ، ودفن يوم الجمعة فى حوش السلطان ، ولم يخلف أحدا من الورثة .

٤٦٥ - الأمير مقبل زمام الأدر الشريفة ، توفى يوم السبت مستهل ذى الحجة منها ، ودفن صبيحة يوم الأحد ، وخلف موجودا كثيرا وأملاكا كثيرة وقفها فى حياته على مدرسته التى أنشأها فى البندقانيين ، وعلى غيرها .

* * *

(١) الصحيح فيه قصقا بالصاد وهكذا ورد فى كل من النجوم الزاهرة ١٩٣/٦ و ٢٨٦ والضوء اللامع ١١٤١/٣ ، ومعناه « القصير » .

فصـــل
فيما وقع من الحوادث
فى هذه السنة الحادية عشرة بعد الثمـانمـائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد الشامية والمصرية الملك الناصر، وخليفة الوقت المعتصم بالله العباسى بن المتوكل على الله ، ونائب دمشق الأمير نوروز الحافظى ، ونائب حلب الأمير تمربغا المشطوب :

وفى يوم الاثنين الثامن من صفر خلع على ابن النجار واســتقر فى حسبة مصر عوضا عن ابن الهوى بحكم عزله :

وفى يوم السبت العشرين من صفر حضر قاصد متولى قطيا ، وأخبر أن الأمير بكتمر جلق والأمير جانم - اللذين كانا عند دمرداش فى صفد - قد نزلا من القلعة وجاءا إلى غزة وملكاها ، وأن الأمير سودون المحمدى المجنون الذى كان يحرِّبه فيها قد تسحب فى نفر يسير ، وخلع السلطان عليـــه خلعة سنية ، وكان السلطان قبل هذا قد جهز أربعة أنفس من الأمراء إلى غزة ، وهم : الأمير يشباى رأس نوبة كبير ، والأمير طوغان رأس نوبة ثانى ، والأمير سودون بقجة ، والأمير ألطنبغا العثمانى الذى كان نائب غزة ونائب صفد وحاجب الحجاب بالشام ، وكان خروجهم من القاهرة فى أوائل

المحرم من هذه السـنة ، فوصلوا إلى قريب العريش وجاءهم الخبر بأن الأمير نوروز الحافظى نائب الشام قد وصل إلى غزة ، فارتدوا على أعقابهم وكروا راجعين إلى أن دخلوا القاهرة فى أواخر صفر منها :

وفى يوم السبت الرابع من ربيع الآخر خلع على زين الدين بن الهـوى واستقر فى حسبة مصر عوضا عن ابن النجار بحكم عزله :

وفى يوم السبت الثامن عشر منه كسر الخليج فنزل إليه السلطان الملك النـاصر :

وفى أوائل ربيع الآخر قدم الأمير علان ، والأمير إينال الجلالى المنقار من حبس إسكندرية ، وكان الذى أتى بهما فيروز الطواشى :

(٨١ أ) وفى يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر ربيع الأول خلع على ابن النجار واستقر فى حسبة مصر عوضا عن ابن الهوى بحكم عزله :

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين منه خُلع على الأمير شرباش الكاشف أمير عشرة ورأس نوبة ، واستقر فى نيابة إسكندرية عوضـا عن شرباش المذكور بحكم استعفائه منها :

وفى يوم الاثنين السابع عشر من جمادى الأولى من هـذه السنة مَسك السلطان الأمير بيغوت المقدم الخاص ، والأمير سودون بقجة المقدم ، والأمير أرنبغا طبلخاناه من إخوة بيغوت ، والأمير إينال الأجرود طبلخاناه ، والأمير يشبك الأسود أمير عشرة ، واعتقلوا فى القصر ، واحتيط على جميع حواصلهم وخيولهم وأموالهم ، وسـفر منهم الأمير بيغوت وسودون بقجة والأمـير يشبك الأسود إلى الإسكندرية للاعتقال بها ، وذبح أرنبغا وإينال الأجرود

وأعطى السلطان من إقطاعاتهم لإينال(١) الجلالى المنقار تقدمة، ولعلان تقدمة، وليشبك الموسوى تقدمة .

وفى يوم السبت الثانى والعشرين من جمادى الأخرى خُلع على ابن النجار واستقر فى حسبة مصر عوضا عن ابن الهوى بحكم عزله ، وكان استقراره فى هذه الوظيفة أياما .

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الآخرة استقر إقطاع الأمير بشباى رأس نوبة باسم الأمير إينال الساقى بحكم وفاته ، واستقر إقطاع إينال باسم الأمير أرغون أمير آخور كبير ، واستقر إقطاع مقبل باسم الأمير برديك .

وفى يوم السبت السابع والعشرين منه خُلع على إينال الساقى واستقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن الأمير بشباى بحكم وفاته .

وفى يوم الخميس الثالث من رجب كان إجلاس الشيخ همام الدين العجمى الشافعى فى المدرسة التى أنشأها الأمير جمال الدين الأستادار المجاورة لخانقاه الملك السعيد صلاح الدين المسماة « سعيد السعداء » بالقاهرة ، وكان يوما مشهودا ، وبعده يوم السبت كان إجلاس الشيخ زاده الحنفى العجمى ، وإجلاس الشيخ شمس الدين البساطى المالكى ، وبعده يوم الأحد كان إجلاس الشيخ فتح الدين الباهى الحنبلى ، وإجلاس سيدنا ومولانا وشيخنا الحافظ العلامة خادم السنة والأثر ، قاضى القضاة أحمد بن على بن حجر .

وفى يوم السبت الرابع والعشرين من رجب خُلع على أمين الدين ابن الطرابلسى ، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا

(١) انظر الضوء اللامع ٢/١٠٧٥ .

عن القاضى ناصر الدين محمد بن القاضى كمال الدين عمـــر بن العديم الحنفى الحلبى بحكم عزله ، وكان المذكور تولى عوضا عن والده بحكم وفاته يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة على ما نذكر فى ترجمة والده فى الوفيات إن شاء الله تعالى :

وحج بالناس فى هذه السنة الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير جمال الدين يوسف — أستادار العالية — إلبيرى .

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٤٦٦ — القاضى كمال الدين عمر بن قاضى القضاة جمال الدين إبراهيم ابن قاضى القضاة ناصر الدين محمد الشهير بابن العديم الحنفى الحلبى ، توفى ليلة السبت الثانى عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة بالقاهرة ، ودفن (١) صبيحة يوم السبت خارج باب البرقية فى الروضة ، بعد أن صلى عليه بجامع الأزهر .. مولده بحلب فى سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وتولى القـــاضى ناصر الدين محمد القضاء عوضه فى يوم الاثنين الثالث عشر من جمادى الأولى المذكور ، فمجموع ولايته بعد أبيه شهرين وعشرة أيام .

٤٦٧ — القاضى جلال الدين محمد بن القاضى بدر الدين أبى البقاء الشافعى توفى يوم الاثنين السابع من رجب . قال شيخنا قاضى القضاة بدر الدين محمود العينتابى الحنفى فى تاريخه : « كان رجلا جميل الصورة ، ولكن غــير جميل السيرة » ، تولى وظائف كثيرة من التدريس والأنظار ، منها تدريس

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ٦/٢٨٨ أنه دفن فى الحوش المجاور لتربة طشتمر حمص أخضر .

قبة الإمام الجليـــل محمد بن إدريس الشافعى واستقر[١] بعده باسم القـــاضى شمس الدين أخى جمال الدين الأستادار ؛

٤٦٨ – الأمير أرسطاى نائب إسكندرية ، توفى فى العشر الأوســط من ربيع الآخرة من هذه السنة ، وكان من الأمراء المتعينين فى دولة السلطان الملك الظاهر ، باشر فى الدولة الظاهرية رأس نوبة كبير ، وكانت له حرمة وافرة على المماليك، ثم تولى الحجوبية الكبرى فى القاهرة فى الدولة الناصرية ثم تولى نيابة الإسكندرية ، ولم يزل بها إلى أن توفى فى التاريخ المذكور ، وتولى عوضه الأمير سنقر ، كما ذكرنا .

٤٦٩ – الأمير بشباى رأس نوبة كبير ، توفى ليلة الأربعاء الرابـــع والعشرين من جمادى الآخرة، ودُفن فى غده فى القرافة ، وصُلى عليه بالجامع الأزهـــر، ثم صَلى عليه السلطان فى مصلى المؤمنى فى الرميلة تحت قلعـــة الجبـــل .

٤٧٠ – الأمير إينال[٢] الأجرود ، ذبح بسيف السلطان كما ذكرنا ؛

٤٧١ – الأمير أرنبغا[٣] ، قتل فى هذه السنة ؛

* * *

(١) أى أن تدريس قبة الشافعى استقر بعده فى يد أخى جمال الدين الأستادار .

(٢) هناك اثنان باسم إينال الأجرود أحدهما المشار إليه فى المتن وهو الذى ذكره الضوء اللامع ٢/١٠٧٠ بمثل ما هو مذكور هنا ، أما الآخر فهو إينال الأجرود العلائى الأشرفى الواردة ترجمته فى نفس المرجع ٢/١٠٨٠ وهو الذى رأس الحملة التى اتجهت إلى قبرص زمن برسباى ثم تسلطن فيما بعد وكانت وفاته سنة ٨٦٥ هـ .

فصـــل

فيما وقع من الحوادث

فى السـنة الثانية عشرة بعـد الثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر فرج بن السلطان الملك الظاهر برقوق ، والخليفـة العباسى المتوكل على الله ، والمستولى على الشام بطريق التغلب شيخ المحمودى ، ونائب حلب الأمـير دمرداش الخاصكى المحمدى .

وفى يوم الخميس السابع من محرم هذه السنة خلع على القاضى ناصر الدين محمد بن كمال الدين عمر بن العديم واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن القاضى أمين الدين بن الطرابلسى بحكم عزله .

* * *

ذكر خروج السلطان الملك الناصر إلى الشام لمحاربة الأمير شيخ المتغلب على الشام

بتاريخ السابع من محرم خرج الأمير الكبير تغرى بردى أتابك العساكر متوجها إلى الشام ومعه جماعة من الأمراء وهم : الأمير أقباى رأس نوبة الأمراء ، والأمير طوخ أمير مجلس ، والأمير طوغان رأس نوبة ، والأمير علان ، والأمير إينال المنقار الجلالى ، والأمير كمشبغا المزوق ، والأمير نشبك الموسوى ، وكل هؤلاء المذكورون مقدمون .

وفى هذا التاريخ المذكور خُلع على القاضى أمين الدين بن الطرابلسى واستقر فى مشيخة خانقاه شيخو عوضا عن ابن العديم بحكم عزله وانتقاله إلى قضاء القضاة الحنفية بالقاهرة، وذلك بإشارة جمال الدين الأستادار.

وفيه أيضا خلع على ابن شعبان واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن ابن الجيزى السكرى بحكم عزله.

وفى يوم الاثنين الحادى عشر من محرم خرج السلطان الملك الناصر وبين يديه الأجلاب وعدد كثير لابسين آلات الحرب ونزلوا فى الريدانية.

وفى هذا اليوم رحل الأمير تغرى بردى بمن معه من الريدانية إلى جهة الشام.

وفى يوم الأربعاء الثالث عشر منه خُلع (٨١ ب) على ابن الجيزى واستقر فى حسبة القاهرة على عادته عوضا عن ابن شعبان بحكم عزله، كان لبسه فى تربة الظاهر بقبة النصر، وكان السلطان قد أتى إليها لزيارة قبر والده.

وفى يوم الخميس الرابع عشر من المحرم خلع السلطان على الأمراء المقيمين بالقاهرة وهم: الأمير أرغون أمير آخور كبير، استقر على حاله فى الإصطبل، والأمير مقبل الرومى واستقر فى القلعة، والأمير يلبغا الناصرى أحد المقدمين واستقر نائب الغيبة الشريفة، والأمير كزل الحاجب، والأمير شهاب الدين أحمد بن أخت الأمير جمال الدين الأستادار.

وفيه رحل السلطان من الريدانية إلى جهة الشام.

وفى يوم السبت الخامس والعشرين من المحرم دخل السلطان غزة وصحبته العساكر المنصورة.

* * *

وفى يوم الخميس السادس من صفر دخل السلطان مدينة دمشق فى أبهة عظيمة ، وهرب من السلطان قبل دخوله إلى الشام عدة من الأمراء هم : الأمير تمراز الناصرى ، والأمير إينال المنقار الجلالى ، والأمير سودون بقجة والأمير قرا يشبك ، والأمير سودون الحمصى ومعهم جماعة من المماليك الظاهرية ، وكانوا اتفقوا على أن يوقعوا بالسلطان شيئا فلم يتمكنوا من ذلك ، ففطن بهم فهربوا خوفا على أنفسهم ، وحضر خشكلدى على البريد إلى القاهرة وأخبر بذلك وكان وصوله إليها يوم الخميس العشرين من صفر وأخبر أن شيخ المحمودى نائب الشام هرب منها بمن معه وانحازوا بناحية « صلخد »(١) فإنه كان قد حصنها وجعل فيها ذخائره وسلاحه .

ثم إن السلطان — بعد أيام قلائل — تبع شيخ إلى صلخد ونزل عليها فتحصن بها شيخ المذكور وكانت قلعة صعبة حصينة ، وأقام السلطان عليها مدة يحارب من فيها وشيخ لا يظهر ولا ينزل ، ولما طالت الإقامة عليها قلقت العساكر من النصب وقلة الزاد ، وأفسدوا فى بلاد صلخد وأخربوها ، وآخر الأمر دخل الأمير جمال الدين فى الكلام بينه وبين السلطان ، وتكلم فى الصلح وذلك لأنه كان يميل إلى شيخ ، فلأجل ذلك نسب إلى ما نسب إليه ، وقيل عنه إنه كانت أخباره عنده بالحرف ، فجرى عليه الذى جرى ، على ما سنذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

* * *

(١) وردت فى مراصد الاطلاع ٨٣٨/٢ وعرفها بأنها قلعة حصينة ملاصقة لبلد حوران ، ودأب أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة على رسمها بالصاد ، أما Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, pp. 324, 348 فقد أوردها برسمين هما سلخد وصلخد وقد فسر Dussaud : op. cit. p. 366, note 5 الأصول النبطية واليونانية فى رسم هذا الاسم .

ثم إن السلطان الملك الناصر رحل من صلخد ودخل دمشق على أن يتوجه شيخ إلى طرابلس نائبا ، فلما دخل السلطان إلى دمشق خلع على الأمير بكتمر جلق واستقر فى نيابة الشام عوضا عن شيخ المحمودى ، وأما دمرداش المحمدى نائب حلب فإنه كان سافر إلى حلب قبل دخول السلطان دمشق خوفا من السلطان ، ولما استقر الأمر على هذا خرج السلطان من دمشق فى اليوم السابع عشر من ربيع الآخر وقصد القدس للزيارة ثم عاد إلى الديار المصرية .

* * *

ذكر مسك الأمير جمال الدين يوسف ألبيرى أستادار العالية مختصرا

وقد كان سبب مسكه أمور[(١)] منها : مساعدته لشيخ المحمودى ؛ ومنها ما يُنسب إليه من أنه وُجد معه فى الخزانة خلعة السلطنة ، فتكلم أعداؤه عند السلطان وخيّلوه منه ؛ ومنها أنه كان قد دانت له الرقاب وانقادت لطاعته وحصّل الأموال ، وقويت شوكته وعظمت سطوته ، وقتل من المسلمين خلقا كثيرا ، وصار صاحب الحل والعقد فى الدولة والمشار إليه ، ولا يُعمل إلا ما يراه ويرسم به ، وكان فى خدمته القاضى تاج الدين بن الهيصم والقاضى تقى الدين بن أبى شاكر ، فتكلموا عند السلطان بذلك ، بل وبأضعافه ، فلما نزل السلطان يوم الخميس التاسع من جمادى الأولى على مدينة بلبيس، مَسك الأمير جمال الدين الأستادار ، ومُسك معه ولده أحمد وابن أخيه أحمد وأخوه ناصر الدين محمد والأمير سعيد الكاشف وحاشيته ومن يلوذ به ، وكانوا قد توجهوا إليه للملاقاة بعد أن زين بيته بأنواع القماش والذهب والحرير

(١) يضيف النجوم الزاهرة ٦/٢١٩ و٢٢٢ إلى هذا أسبابا أخرى فراجعها هناك .

فرسم السلطان للأمير يلبغا الناصرى نائب الغيبة الشريفة أن يتوجه هو والأمير كزل الحاجب إلى بيت الأمير جمال الدين فيحتاطوا عليه وعلى حواصله ويختموا ذلك ، ويستمر الأمير كافور زمام الأدر الشريفة على ذلك ، ويحتاط أيضا على جواريه وحريمه وأثاث بيته ؛

وفى آخر هذا اليوم قدم الأمير تغرى (١) بردى أتابك العساكر ومعه الأمير جمال الدين وحواشيه فى قيود من حديد ، وطلعوا بهم قلعة الجبل فعوقوا بها ؛

وفى يوم الجمعة بكرة النهار العاشر من جمادى الأولى قدم السلطان ومَن معه من الأمراء والعساكر وطلع القلعة ، وكان يوما مشهودا ؛

وفى يوم الثلاثاء الرابع عشر من تاريخه المذكور خُلع على القاضى تاج الدين ابن الهيصم واستقر أستادار العالية عوضا عن جمال الدين يوسف البيرى بحكم مسكه ولبس زى الأتراك : كلفتة وفوقانى ، وكان [ناظر] ديوان المماليك وخلع على أخيه مجد الدين ، واستقر ناظر الخواص الشريفة ، وخلع على سعد الدين بن البشيرى واستقر وزيرا بالديار المصرية ، وخلع على القاضى تاج الدين بن أبى شاكر واستقر ناظر الديوان المفرد ، وخلع على الشريف واستقر أستادار الذخيرة والأملاك ، وخلع على ناصر الدين بن الطبلاوى ، واستقر واليا على القاهرة على عادته وشاد الدواوين ، وخلع على حسام الدين واستقر أمير جندار عوضا عن الولاية ، ونزلوا إلى بيوتهم ، وكان لهم يوم مشهود ؛

* * *

---

(١) يستفاد صراحة من رواية النجوم الزاهرة ٦/٢١٦ ، ٢١٧ أن تغرى بردى الكمشبغاوى والد المؤرخ أبى المحاسن هو الذى جاء للقبض على جمال الدين البيرى الأستادار لكراهيته إياه وقد تم القبض عليه فى القاهرة دون علم السلطان ، ويلاحظ أن تغرى بردى هذا هو الذى ظل باعتراف أبى المحاسن شرحه ٦/٢١٨ ، س ١٢ — ١٥ يوغر صدر السلطان ضد الأستادار .

وفى يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الأولى قدم الأمير بكتمر جلق نائب الشام ومعه الأمير بردبك نائب حماة ، والأمير نكباى حاجب الحجاب بالشام ، والأمير ألطنبغا نائب صفد ، والأمير يشبك الموسوى نائب غزة ، وذلك لأنهم تواقعوا مع شيخ على « خان ذى النون » عند كسرة الشام فانكسروا انكسارا شديدا وهربوا ، وأخبروا أن شيخا دخل دمشق بطريق التغلب ، ولم يسمع من مرسوم السلطان .

وفى ذلك اليوم خرج السلطان إلى المطعم ولاقى الأمراء المذكورين وعاد من وسط القاهرة ، ودخل للأمير طوخ أمير مجلس وزاره لكونه ضعيفا منقطعا .

وفى هذا اليوم خلع على ابن أوحد الدين فى مصطبة السلطان واستقر فى مشيخة خانقاه سرياقوس عوضا عن الشيخ شمس الدين القليوبى بحكم وفاته .

* * *

وفى يوم السبت الثانى من جمادى الأخيرة جهز قاصد شيخ المحمودى نائب الشام بطريق التغلب عليها وصحبته إمام الصخرة التركستانى يطلب الصلح وأن يستقر نائب الشام على عادته ، فغضب السلطان ووسط(١) القاصد وضرب الإمام بالمقارع ، وحبسه فى الخزانة(٢) .

وفيه خلع على الأمير الزمام ، واستقر ناظرا على سعيد السعداء .

وفى يوم الاثنين الرابع من جمادى الآخرة تسلم الأمير تاج الدين ابن الهيصم جمال الدين الأستادار ، والتزم للسلطان بمال كثير من الذهب ،

(١) فى هامش المخطوطة « توسيط قاصد شيخ » .

(٢) أى خزانة شمائل .

وأنزلوا جمال الدين وولده (١) على قفص جمال إلى بيت الأمير تاج الدين ابن الهيصم ؛

وفى يوم الخميس السابع من جمادى الأخرى مسك السلطان الأمير بلاط أحد المقدمين ، ومسك معه أخاه الأمير كزل حاجب الحجاب بالديار المصرية وقُيدوا فى يومهم ذلك ، وأُرسلوا إلى إسكندرية للاعتقال بها ؛

وفى يوم السبت التاسع منه خلع على شمس الدين الطويل — المشهور ببدنه — واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن ابن شعبان بحكم عزله ؛

وفى يوم الاثنين الحادى عشر منه خلع على القاضى علاء الدين — قاضى غزة — واستقر فى مشيخة خانقاه بيبرس ، عوضا عن القاضى [ناصر الدين (٢) محمد] أخى جمال الدين الأستادار ، وخلع على البلوانى ، واستقر فى تدريس قبة الشافعى عوضا عن المذكور ؛

وفى يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الآخرة خلع على الأمير يلبغا الناصرى ، واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية ، عوضا عن الأمير كزل بحكم مسكه ؛

* * *

وفى يوم الجمعة السابع من رجب خُلع على ابن شعبان واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن شمس الدين بدنة بحكم عزله ؛

وفى يوم السبت الثامن من رجب خلع على القاضى زين الدين حاجى الفقيه إمام السلطان ، واستقر قاضى العساكر المنصورة عوضا عن القاضى

(١) واسمه « أحمد » .
(٢) فراغ فى الأصل .

شمس الدين البرقى[١] بحكم مسكه وعجزه عن القيام من موضعه (٨٢ أ) ، وخلع على ابن الجيزى السكرى ، واستقر فى حسبة مصر على عادته عوضا عن ابن النجار بحكم عزله ؛

وفى يوم الثلاثاء الثامن عشر من رجب خلع على يعقوب الشامى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن ابن شعبان بحكم عزله ؛

وفى يوم الثلاثاء الثانى من شعبان خُلع على الهوى ، واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن الشامى بحكم عزله ؛

* * *

وفى يوم السبت العاشر من شوال توجه السلطان إلى أوسيم فى برّ الجيزة، وأقام به إلى يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر شوال المذكور، وخلع على ابن شعبان هناك يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن الهوى ، وكان ذلك بسبب أنه أعلم السلطان بذخيرة لناصر الدين الرماح خاله عند مملوك يدعى شاهين ، فأخذت تلك الذخيرة منه ، وهى جملة مستكثرة من الذهب والفضة والفلوس ، وكان الرماح ادخرها لورثته ؛ ثم أعيد الهوى فى وظيفته فى يوم الجمعة الرابع والعشرين من شوال ، فكانت مدة ولاية ابن شعبان ثمانية أيام ، اشترى هذه الولاية القصيرة بعذاب طويل من الله تعالى ؛

* * *

ذكر مسك السلطان الأميرين قردم وإينال

لما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من شوال عدّى السلطان من برّ الجيزية إلى القاهرة ، ولما وصل إلى الميدان رسم بمسك الأميرين

---

(١) هو شمس الدين محمد بن على بن محمد بن حسين ، والنسبة لبرقة .

المذكورين وهم كلهم فى وسط الطريق ، فمسكوا الأمير « قردم » الخازندار الكبير ، وأما الأمير إينال الساقى فإنه هرب وهو سالٌّ سـيفه ولم يلحقه ، غير أن الأمير قجق أدركه وضربه على يديه ضربة فجرحهما جرحا ثخينا ولكنه تخلص منه ، ووقع فى المدينة خباط كثير بسبب ذلك ؛

* * *

وفى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شوال خلع على القاضى شمس الدين المـدنى ، واستقر فى قضاء القضاة المـالكية بالديار المصرية عوضا عن القاضى جمال الدين البساطى بحكم عزله ؛

وفى هذا اليوم أُنعم على الأمير سودون الأشقر – رأس نوبة صغير – بتقدمة ألف ؛

وفى يوم الاثنين العاشر من ذى الحجة مُسك الأمير إينال الساقى أمـير سلاح من بيت شخص من مماليك السلطان فى المنجبية ، وسُفر آخر النهار إلى إسكندرية ؛

وفيه خُلع على أقطتمر واستقر فى ولاية القاهرة عوضا عن ناصر الدين ابن الطبلاوى بحكم هروبه ، وخُلع على حسام الدين واستقر شاد الدواوين عوضا عن آدم البريدى بحكم مسكه ، وخُلع على ابن صلغاى دوادار آقباى واستقر نقيب الجيوش المنصورة ، وبعد أيام قلائل عزل أقطتمر عن الولاية واستقر فيها الأمير حسام الدين على عادته ؛

وفيها حج بالناس الأمير بيسق الشيخى ؛

* * *

ووقع فى هذه السنة بمكة خباط كثير بسبب تولية ابن المبارك الشريف بمكة عوضا عن حسن بن عجلان ، ولكن لما أرسل السلطان فيروز مشى هو وغيره بالصلح بين حسن بن عجلان وبيسق أمير الحاج :

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٤٧٢ ــ الأمير جمال الدين يوسف البجاسى الأستادار ، توفى يوم الثلاثاء الثانى عشر من جمادى الآخرة فى بيت الأمير حسام الدين متولى القاهرة وذلك بعد ضرب شديد وعصر عظيم ، وأخذ منه من الأموال ما يزيد على ألف ألف وخمسمائة ألف دينار ، ولما بلغ السلطان موته رسم بقطع رأسه وإحضارها بين يديه ، فقُطعت يوم الأربعاء وطُلع بها إلى السلطان ، ثم رُدّت إلى جثته وخيطت ، ودُفن فى تربة الأمير بجاس بالصحراء ، وكان ظالما غشوما سفاكا للدماء ، قصير القامة ، أحول العينين[1] ، لكن كان له نفس شهمة ، كثير الإحسان لغلمانه وحواشيه :

٤٧٣ ــ الأمير أقباى رأس نوبة الأمراء بالديار المصرية ، توفى ليلة الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة ودُفن صبيحة يوم الأربعاء بتربته التى أنشأها بالصحراء خارج باب البرقية بالروضة ، ونزل السلطان إلى بيته ، ثم تقدم إلى مصلى المؤمنى ثم ذهب إلى تربته . وخلف موجودا كثيرا فاحتاط السلطان على جميعه ، حتى قيل إنه أخذ من موجوده من الذهب المصرى أربعين ألف دينار ــ وكان سعر الدينار فى ذلك اليوم مبلغ مائتى درهم ــ ومن الأفلوريات إثنى عشر ألف أفلورى ــ وكان سعر الأفلورى

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ٢٩١/٦ أنه كان أعور وليس بأحول ، وراجع أيضا ترجمته فى نفس المرجع والجزء ص ٢٢٠ ــ ٢٢٢ .

مبلغ مائة وخمسة وثمانين درهما من الفلوس معاملة مصر — وهذا كله خارج عن الحواصل والغلال والخيول والجمال والأثاث ، وغير ذلك :

٤٧٤ — الأمير طوخ أحد المقدمين ، توفى فى هذه السنة ، كذا ذكره قاضى القضاة البدرى العينى فى تاريخه :

٤٧٥ — الأمير بلاط[1] أحد المقدمين ، قُتل فى هذه السنة ، وكان محبوسا باسكندرية كما ذكرنا ، وأخرج منها ليتوجه إلى دمياط ، فقُتل فى الطريق ؟

* * *

(١) ترجم له النجوم الزاهرة ٦/٢٩٢ فقال « لم أقف على ترجمة له ولم أعرف من حاله شيئا غير ماذكرت » ، وكل ماذكره عنه أنه كان أحد مقدمى الألوف فى مصر ، وأنه مات مقتولا بالاسكندرية ؛ على أن الضوء اللامع ٣/٨٤ ترجم له فقال « كان من الفجار المفسدين الجاهلين بأمور الدين فغضب عليه السلطان وحبسه بالإسكندرية ، ثم خرج منها إلى دمياط فقتل فى الطريق سنة اثنتى عشرة » .

فصـــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الثالثة عشرة بعد الثمــانمــائة

استهلت هذه السنة والخليفة العباسى المعتصم بالله بن المتوكل على الله ، وسلطان البلاد المصرية والشامية السلطان الملك الناصر فرج ، وأتابك العساكر بالديار المصرية الأمير تغرى بردى اليشبغاوى .

وقاضى القضاة الشافعيــة جلال الدين بن البلقينى ، وقاضى القضاة الحنفية ناصر الدين محمد بن كمال الدين عمر بن العديم ، والقاضى المــالكى شمس الدين المدنى ، والقاضى الحنبلى مجد الدين سالم ، وكاتب السر الشريف القاضى فتح الله ، وناظر الجيش بدر الدين حسن بن نصر الله ، والوزير سعد الدين بن البشيرى .

ونائب الشام هو شــيخ المحمودى بطريق التغلب ، ونائب حلب دمرداش الخاصكى المحمودى ؟

* * *

وفى يوم الخميس العاشر من محرم هذه السنة خُلع على الأمير قُرَاجا شاد الشراب خاناه واستقر دوادارًا كبيرا عوضــا عن الأمير قجاجق بحكم وفاته ، وخُلع أيضا على الأمير سودون الأشــقر أحد المقدمين واستقر شاد الشراب خاناه عوضا عن قراجا المذكور ؟

وفى هذا اليوم كانت وليمة بنت السلطان الملك الناصر لأجل الأمير بكتمر الناصرى ، وكان يوما مشهودا ، ودخل بكتمر بيته ليلة الجمعة الحادى عشر من المحرم ، وكان جهازها ستمائة قفص بجمال وأربعين حمل بغال من الذهب واللؤلؤ والحرير والقماش والنحاس وغير ذلك .

* * *

ذكر خروج السلطان الملك الناصر إلى الشام لأجل محاربة شيخ المحمودى

لما كان يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر خرج جاليش العساكر المنصورة إلى ناحية الشام وهم : الأمير بكتمر الناصري صهر السلطان، والأمير يلبغا الناصرى حاجب الحجاب ، والأمير طوغان الحسنى رأس نوبة كبير ، والأمير خير بك الذى كان نائب غزة ، والأمير ألطنبغا العثمانى الذى كان نائب صفد، والأمير شاهين الأفرم رأس نوبة ، والأمير سنقر الرومى الذى كان نائب إسكندرية ، وغيرهم ممن أضيف :

* * *

وفى يوم الاثنين الرابع من ربيع الأول خرج السلطان الملك الناصر ومعه بقية الأمراء وهم : الأمير تغرى بردى أتابك العساكر ، والأمير قنباى المحمدى أمير مجلس ، والأمير قجق العيساوى ، والأمير سودون الأسندمرى ، والأمير سودون من عبد الرحمن ، والأمير سودون الأشقر ، والأمير كمشبغا المزوق ، والأمير بردبك الخازندار ، وكل هؤلاء مقدمون .

ونزل السلطان بحريمه فى تربة والده بالصحراء ، وخرج القضاة الأربعة وهم : جلال الدين بن البلقينى الشافعى ، وناصر الدين محمد بن العديم الحنفى (٨٢ ب) الحلبى وشمس الدين المدنى المالكى ، ومجد الدين سالم الحنبلى ،

والخليفة العباسى المستعصم بالله ، وكاتب السر القاضى فتح الله ، وناظر الجيش القاضى بدر الدين حسن بن نصر الله ، والوزير سعد الدين ابن البشيرى ، وناظر الخاص الشريف مجد الدين بن الهيصم ، والأستادار تاج الدين بن الهيصم :

وفى يوم السبت التاسع من ربيع الأول سافر السلطان بالعساكر المنصورة من الريدانية وقت صلاة الصبح ، وكان قد خلّف نائب الغيبة الأمير أرغون أمير آخور كبير على عادته فى باب السلسلة ، وفى القلعة الأمير شرباش الكباشى المقدم ، ونائب القلعة الأمير كمشبغا الجمالى ، وفى المدينة إينال الصصلانى الحاجب الثانى ، ووالى القاهرة الأمير حسام الدين حسين ، والأمير تاج الدين بن الهيصم أستادار العالية :

وكان السلطان الملك الناصر قد أنفق على المماليك نفقة هائلة لم ينفق أحد قبله مثلها ، فأعطى لكل واحد عشرين ألف درهم ، وأعطى الأمير نغرى بردى — أتابك العساكر — ثلاثة آلاف دينار ، والأمير بكتمر الناصرى كذلك ، وبقية الأمراء ألفى دينار ، والأمراء الطبلخانات خمسمائة دينار ، ولمن دونهم من ثلاثمائة إلى مائتين ، وكان سعر الذهب يومئذ : الدينار بمبلغ مائتين من الفلوس الجدد معاملة مصر ، والأفلورى بمبلغ مائة وثمانين بالفلوس ، والفلوس كل رطل منها بستة دراهم ، وكان السلطان قد رسم بالمناداة على الفلوس بإثنى عشر درهما كل رطل ، فلم يمش ذلك ، وتعطلت أحوال الناس وقفلوا حوانيتهم ، ثم بعد ذلك أمر أن كل شيء على حاله :

وأما الفضة فإنها عدمت بالكلية ، فبيع الحجر منها كل درهم بإثنى عشر درهما من الفلوس ، والمسكوك كل درهم بستة من الفلوس ، وكان

الإردب من القمح بمائتين ومائتين وعشرين والنهاية إلى ثلاثين وخمسين ، والشعير بمائة وعشرين ، والفول بمائة وثلاثين وخمسين وستين ، والرطل من اللحم السليخ بستة ، ومن الزيت بتسعة ، ومن الصابون بعشرة وإثنى عشر ، ولكن بعد سفر السلطان تنازلت الأسعار فبيع الإردب القمح فى شهر شعبان منها بمائة وعشرين ، والطيب جدًا بمائة وأربعين وخمسين ، والشعير بأربعين إلى خمسين إلى ستين ، والفول بسبعين إلى ثمانين إلى تسعين .

* * *

وفى يوم الخميس الخامس من ربيع الآخر قدم عامل الخازندار الصغير على فرس نفيسة ، وأخبر أنّ السلطان دخل دمشق يوم الخميس التاسع والعشرين من ربيع الأول ، وكان شيخ المحمودى على حماة وهو يحارب (١) مع الأمير نوروز الحافظى من مدة عشرة أشهر حربا عظيما ليلا ونهارا ، وكان شيخ أشرف على أخذ نوروز ، فلما قرب السلطان الملك الناصر من غزة فى هذه السنة وقع بينهما الصلح ، فاصطلحوا والتف شيخ بمن معه على نوروز ومن معه من الأمراء وهم : الأمير تمراز الناصرى ، والأمير سودون بقجة ، والأمير تمر بغا المشطوب الذى كان نائب حلب بعد جكم ، والأمير إينال المنقار ، والأمير جانم نائب حماه كان ، والأمير يشبك بن أزدمر وغيرهم من أمراء الشام وحلب والمماليك الظاهرية ، وكان الأمير مقبل الرومى عند نوروز فى حماة ، وكان السلطان قد أرسله فى السنة الخالية من البحر المالح إليه ، ونوروز ومن معه والعساكر الحلبية قاصدين شيخ نائب دمشق ليأخذوا دمشق منه ، فتجهز شيخ وخرج بمن معه حتى نزل على حماه

(١) أي يحارب ضده ؟

وهُمْ بها ، فوقعت بينهم حروب كثيرة وماجريات عظيمة ، وآخر الأمر وقع الصلح بينهم كما قدمناه ، وهرب الأمير مقبل وجاء إلى السلطان وهو فى غــزة .

وأما شــيخ ونوروز الحافظى ومن معهما فتوجهوا إلى حلب ودخلوا ، وفيها الأمير دمرداش ، ويجوز فى اسمه أيضا — تمرداش الناعوض الداك : لغة تركية — نائب حلب هرب منهم وحضر إلى السلطان ، وأقام السلطان فى دمشق أياما يسيرة وخرج نحوهم . ولمــا وصل السلطان إلى حلب هرب هؤلاء إلى مدينة عينتاب ، وخلفوا فى قلعة حلب جماعة من جهتهم تحصنوا فيها ، فلم يلتفت السلطان إلى ذلك وساق وراءهم إلى أن وصل مدينة عينتاب ، فهربوا إلى مدينة مرعش عند أولاد أمير خليــل ابن ذلغادر كبير التركمان ، وهم : الأمير عليباك والأمير ناصر الدين محمد :

ثم رحل السلطان من عينتاب بعد أن أقام عليها ثلاثة أيام ، إلى أن وصل إلى مدينة أبلستين آخر مملكة الشام ، وهى مستقر أولاد ابن ذلغادر من قديم الزمان ، وأقام السلطان الملك الناصر على أبلستين مقدار خمسين يوما ، وهذا شيء لم يفعــله سلطان قبله غير الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، فإنه فى قضــية التتر وصل إلى أبلستين ، ثم وصل إلى قيسارية الروم وهى فوق أبلستين بعشرين يوما ، ودخلها وأقام بها فوق عشرين يوما ، وخطب فيها باسمه ، وهرب صاحبها « برواناه » الحاجب منــه على ما ذكرناه مفصلا فى موضعه :

ثم عاد السلطان الملك الناصر من أبلستين إلى جهــة حلب وجاء على قلعة الروم ، وأطاعه أصحاب تلك القــلاع وقدموا إليه تقادم وهدايا ، وقتل نائب قلعة الروم وولى غيره ، وأتى حلب وأطاعه من كانوا فى قلعتها ونزلوا إليه فعفى عنهم ولم يصل إليهم منه شر :

ثم قدم على السلطان وهو بحلب الأمير قرقماس بن أخى تمرتاش نائب حلب وكان عند شيخ ونوروز ، فتلقاه السلطان وأحسن إليه غاية الإحسان ثم خلع عليه واستقر نائب حلب عوضا عن تمـرتاش المحمدى ، وكان السلطان لمـا خرج من الشام استخلف فيها الأمير شاهين الزردكاش نائب صفد ، وخلف فيها جماعة من المماليك الظاهرية وبعض الأمراء منهـم : الأمير قنباى المحمدى أمير مجلس، وكان ضعيفا ، وخلف فيها القضـاة الأربعة ، والوزير وناظر الجيش ، ولم يتوجه فى ركاب السلطان إلا كاتب السر وناظر الجيش والأمير تاج الدين بن الهيصم الأستادار والخليفة ؛

ثم إن السلطان لمـا وصل إلى حلب كان قد أرسل بردبك والأمير قنباى فركبوا فى الشام ، والتفت إليهما مماليك كثيرة ، وهرب الوزير وناظر الخاص وغيرهما ، وطلعوا إلى قلعة الشام ،وهرب نائب الغيبة وهو الأمير شاهين الزردكاش وأقاموا فيها يوما ، ثم خرجوا من الشام قاصدين نحو الغور ، فارتد عنهم غالب الناس ولم يبق إلا الأمير قنباى ، والأمير بردبك ومعهما جماعة يسيرة من المماليك ،وتوجهوا نحو مدينة الكرك وصاحبه هو الأمير سودون الجلب ، وكان السلطان قد قطع أخبار هذين الأميرين ، وكانا هما السبب لهذه الحركة ؛

* * *

ثم إن السلطان لمـا قدم إلى حلب بعساكره توجه الأمير شيخ ونوروز الحافظى ومن معهما ،ونزلوا على موضع (١) بين الفرات وحلب وقصدوا دمشق فبلغ ذلك السلطان الملك الناصر ، وركب بمن معه وقصدوا الشام ، ووصلوا إلى دمشق فى أقل من خمسة أيام ، وسبق السلطان الأمير شيخ ونوروز ومن

(١) حددت النجوم الزاهرة ٦/ ٢٣٢ هذا الموضع بعينتاب .

معهما ، فلما رآى هؤلاء أن السلطان وصـــل إلى دمشق أخذوا ناحيـــة قلعة صلخد ، ثم صوبوا حتى أتوا غزة والرملة ، واستولوا (٨٣ أ) على بلادهما ، ثم توجهوا إلى ناحية مصر ، فجاءت الأخبار بذلك إلى الأمـــير أرغون نائب الغيبة الشريفة ، فصار بين مصدق ومكذب ، حتى أتى الخبر الصحيح ببطاقة من جهة متولى قطيا يوم الخميس الخامس من رمضان من هذه السنة ، ثم تواترت الأخبار من التجار وأبناء السبيل وغيرهم بأنهم وصلوا إلى صالحية بلبيس :

وفى يوم الأحد ثامن رمضان وصلوا إلى القاهرة واحتاطوا عليها من جملة نواحيها ، حتى دخل بعضهم من ناحية الميدان ، حتى وصلوا إلى صليبة جامع طولون ، ثم وصلوا إلى سويقة منعم رأس الصليبة والرميلة ، وتقاتلوا مع طائفة من أهل القلعة ، وجرح ناس وقتل آخرون ، وأتى نوروز إلى بيته الذى فى الرميلة ، وكان والى القاهرة الأمير حسام الدين [الأحول](1) قد سد الدروب التى هناك فأخربوها ، وكذلك سدّ أبواب المدينة كلها وجميع الخوخ حتى لم يبق موضع يخرج منه ، وكان سده لذلك يوم الأحد ثامن رمضان يوم دخولهم ، وتوقفت أحوال الناس ، ونادى نائب الغيبة فى اليوم المذكور بأن السلطان وصل إلى الصالحية لأجل تطمين قلوب الناس :

وفى يوم الاثنين تاسع رمضان جاء الأمير يشبك بن أزدمر إلى خوخة(2) أيدغمش ومعه عوام كثيرة ، وهدّ الخوخة ودخلوا منها إلى المدينة وفتحوا

(١) الإضافة من النجوم الزاهرة ٦ / ٢٣٦ .

(٢) عرف المقريزى فى الخطط ٢/٣٦٧ هذه الخوخة بأنها فى حكم أبواب القاهرة ، وأنه يخرج إلى ظاهر القاهرة منها عند غلق الأبواب فى الليل كما تغلق أيام الفتن والاضطرابات ، مثلما حدث سنة ٧٩١ حين أمر منطاش بسدها وقت أن استحكم النزاع بينه وبين برقوق ، انظر إنباء الغمر ، ج ١ ص ٣٦٧ ، وتنسب هذه الخوخة إلى الأمير أيدغمش الناصرى محمد بن قلاون .

باب زويلة ، فهرب الأمير حسام الدين والى القاهرة وأعوانه ، وانتشرت الشيخونية والنوروزية فى المدينة ، وهجموا الإصطبلات التى للناس وأخذوا منها خيولا وبغالا كثيرة ، وقيل إنهم أخذوا أكثر من ألف فرس ، وجاء نوروز فى هذا اليوم أيضا إلى باب زويلة ، ووقف بين يديه عوام كثيرة ، وأمر شيخ بكسر أبواب الحبوس وإطلاق من فيها من المحابيس ، ففتحوا أبواب خزائن شمائل وأخرجوا من فيه ، وكذلك سجن الديلم بعد علاج شديد ، وكذلك حبس رحبة العيد ، وكذلك حجر النسا حتى حبس مصر والجيزة، ونزل الأمير نوروز وشيخ ومن معهما فى بيت نوروز — الذى فى الرميلة تحت قلعة الجبل — وتحاربوا مع أهل القلعة فى ذلك اليوم، أعنى يوم الاثنين تاسع رمضان ، ثم نهضوا إلى مدرسة الملك الأشرف شعبان وأخذوها ليلة الثلاثاء عاشر رمضان ، فلما رآى الأمير أرغون ذلك ضعف قلبه وطار لبه ، وقصرت همم القاطنين بالقلعة وقصدوا الهروب .

* * *

وأما الأمير أرغون فإنه هرب وطلع إلى القلعة عند الأمير شرباش ، والأمير كمشبغا الجمالى نائب القلعة ، وطلع شيخ ونوروز الحافظى ومن معهما إلى باب السلسلة، وكان الأمير إينال الصصلانى الحاجب فيها فعوقوه عندهم ، ثم تراسلوا مع من فى القلعة، وهم الأمير شرباش والأمير كمشبغا الأمير الزمام ، وكان الذى يمشى فى الرسائل قنباى المحمدى ويشبك ابن أزدمر ، فمال هؤلاء إلى الصلح وتسليم القلعة لما رأوا أنهم ملكوا المدينة وملكوا المدرستين ، وملكوا باب السلسلة وقالوا : « اطلبوا القضاة، حتى تحلفوا أنكم لاتأذوننا ونحن نسلم لكم القلعة » ، فبينما هم كذلك إذ أتى الخبر إلى من فى القلعة أن السلطان الملك الناصر قد وصل بعساكره، فنظروا

من فوق البرج فرأوا غبرة عظيمة ، فتأخروا عن الصلح والتسليم وشرعوا في رمى السهام ودفع المكاحل .

ولم تمض على ذلك نصف ساعة رملية حتى وصلت أوائل العصائب السلطانية إلى المدينة ، فلما تحققوا ذلك وثبت هذا أيضا عند شيخ ونوروز الحافظي اجتمعوا ونزلوا من باب السلسلة إلى الرميلة واجتمعوا هناك ؛ فبينما هم كذلك إذ وصلت العساكر السلطانية ، فولى شيخ ونوروز ومن معهم وقصدوا باب القرافة فخرجوا منها ، ووصلت العساكر إلى الرميلة فملأوها ، وحصّلوا جماعة من الشيخية والنوروزية مقدار سبعين نفسا ، وفيهم أربعة أمراء[1] صغار وهم : الأمير سودون الحمصي والأمير يشبك برسبغا ، والأمير برديك قريب نوروز ، وحبسوهم في البرج ؛

وأما شيخ ونوروز ومن معهما فذهبوا إلى ناحية حلوان ثم اختلفوا ، فقيل إنهم أقاموا هناك أياما ، وقيل إنهم أخذوا طريق الطور والسويس ، ولم يذهب أحد من العساكر وراءهم ، ثم قيل إن شيخ اعتقد أن السلطان في المعسكر ، ولو تحقق أن السلطان ليس معهم لم يخرج من مكانه ، والظاهر أن الأمر كذلك ، لأن كبير العسكر الذين حضروا هو الأمير بكتمر جلق ، وهو لا يناطي الأمير شيخ ولأجل ذلك لم يتبعه رمية سهم ، فانظر إلى آثار رحمة الله تعالى الذى يغير هذا الحال إلى حال في ساعة لطيفة ، ولو تأخر هذا العسكر في هذا اليوم مقدار ساعة رملية لملك شيخ ونوروز القلعة ، ولما كان العسكر يقدرون على الدخول في القاهرة ، ولكن تقدير الله تعالى نقض هذا التدبير ؛

---

(١) لعل رابعهم هو برسباى الطقطاق ، انظر النجوم الزاهرة ٦/٢٣٨ .

وذكروا أن قصد شيخ كان إذا أخذ القلعة يسلطن ابن السلطان، وهو فرج بن فرج، وعمره مقدار ست سنين أو أقل، ويكون هو الأمير الكبير، ويكون الأمير نوروز أمير آخور كبير، والدليل على ذلك أنه أخذ إخوة الخليفة عنده وأركبهم خيولا، وعين منهم واحدا أن يجعله عوض الخليفة الذى مع السلطان الملك الناصر فى الشام :

وجملة حكمهم فى القاهرة يوم كامل ونصف يوم، وفى باب السلسلة ثلث يوم، وذلك أنه دخل القاهرة يوم الأحد ثامن رمضان، ولم يكن له حاكم فى ذلك، وتسلم المدينة وفتح أبوابها يوم الاثنين تاسعه، وملك باب السلسلة يوم الثلاثاء عاشره إلى الضحوى الكبرى، ثم نزل وهرب على ما ذكرناه :

وأما العسكر الذى وصل من الشام من عند السلطان الملك الناصر، فقد ذكروا أنهم مقدار ألف نفر مماليك : قريب أربعمائة مملوك من الظاهرية، والبقية أمراء ومماليكهم، والأمراء هم : الأمير بكتمر جلق، والأمير طوغان الدوادار الكبير، والأمير يشبك الموسوى، والأمير قنباك، والأمير أسنبغا الزردكاش، والأمير ألطنبغا العثمانى كلهم مقدمون؛ ومن أمراء الشام الأمير سودون الظريف، والأمير جركس أبو تنم وغيرهم من الأمراء الصغار:

وكان السلطان عين هؤلاء وهو فى دمشق لما سمع خبر الأمير شيخ ونوروز بأنهم فى ناحية صلخد أن يتوجهوا وراءهم، فخرجوا من الشام فى الثامن والعشرين من شعبان (٨٣ ب)، وذهبوا إلى قريب صلخد، فسمعوا أنهم توجهوا إلى غزة، فتبعوهم فوجدوهم قد ذهبوا إلى مصر واختلفوا هناك، فقال بعضهم : « نروح وراهم »، وقال الأمير بكتمر : « ما معنا مرسوم السلطان بالرواح إلى مصر »، فقوى بعضهم عليه إلى أن خرجوا من غزة

وجاءوا إلى مصر وراءهم ، وأخبر الثقات أن وصولهم من غزة للقاهـــرة فى أربعة أيام ، وذلك صحيح لأنهم ما جاءوا إلا وهم تعبى وخيولهم هلكى .

ثم لمـــا فرغ هذا الأمر شرع متولى القاهرة وهو الأمير حسام الدين الأحول فى مسك بعض الأعيان وبعض العوام ، بسبب أنهم كانوا مع شيخ وراحوا عنده وعمل لهم ذنبا ، حتى أخذ منهم مالا وشوش عليهم كثيرا ، حتى إن الأمير طوغان غضب عليه ومنعه من ذلك .

وفى يوم الخميس الثانى عشر من رمضان خُلع على القاضى تاج الدين نصر الله ناظر الأحباس واستقر ناظر الكسوة ووكيل بيت المـــال عوضا عن شمس الدين محمد — ويعرف بدنه — بحكم وفاته ، وكان اللبس من عند الأمير أرغون نائب الغيبة الشريفة ، ولكن جاء المرسوم الشريف بسبب ذلك صحبة العسكر الذين قدموا :

وفى يوم الأحدمنتصف شهر رمضان استعفى القاضى زين الدين الدميرى عن الحسبة ، وذلك أنه طُلب منه مبلغ كبير ، فخاف على نفسه من ذلك ، وقد قيل إن الأمير بكتمر رسم عليه وطلب منه ألفى دينار ، ويبيع قمحه من شونته ويستوفى ذلك ، وشوش الأمير بكتمر على ناس كثير من التجار خصوصا تجار الشام ، وطلب منهم مالا ليقيم بركه ، وأخذ من منكلى الأستادار ألف دينار من مال السلطان :

وفى يوم الاثنين سادس عشر رمضان خرج الأمير بكتمر من القاهرة وصحبته أمير الشام قاصدَين دمشق ، وتأخر الأمير طوغان الدوادار الكبير والأمير يشبك الموسوى والأمير أسنبغا الزردكاش :

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين من شوال خلع على ابن شعبان عند نائب الغيبة الأمير أرغون واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن زين الدين الدميرى بحكم عزله، وكان المذكور فى الشام، ولما سمع بموت الهوى سعى واستقر وجاء بمرسوم السلطان إلى نائب الغيبة، وكان قدومه يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شوال.

* * *

وفى العشر الأول من ذى القعدة جاء المرسوم السلطانى من دمشق بتولية زين الدين بن الدميرى على عادته فى حسبة القاهرة عوضا عن ابن شعبان بحكم عزله.

وفى الرابع والعشرين من ذى القعدة خرج السلطان من دمشق إلى ناحية الكرك، وذلك لأن شيخ ونوروز ومن معهما لما هربوا من الديار المصرية قصدوا الكرك فدخلوها وتحصنوا فيها بالقلعة، وكان بها الأمير سودون الجلب، وهو من جهة نوروز ومن إخوته، وجاء السلطان إلى الكرك، ونزل عليها بعساكره، ووقع حرب كثير بينهم عند قدومهم، فقلقت العساكر المصرية من ذلك، ومن جهة الغلاء وقلة الزاد وعلف الدواب، حتى أبيعت البقسماطة بدرهم فضة، وقيمة الدرهم فى المصرية ستة فلوس عدد جدد.

* * *

ومن جملة ما وقع من الحوادث فى هذه الأيام أن الأمير شيخ نزل من قلعة الكرك ودخل الحمام فى المدينة، ومعه الأمير سودون بقجة وبعض المماليك، وكان حاجب(1) الكرك وبعض أهلها اتفقوا وهجموا الحمام فدخلوها

(1) كان حاجب الكرك إذذاك هو الأمير شهاب الدين أحمد.

وجرحوا شيخ جرحا[(١)] سليما ، وقتلوا سودون بقجة ، وبلغ الخبر إلى نوروز الحافظى وهو فى القلعة ، فنزل على الفور وهرب الحاجب ومن معه ، وخرجوا من المدينة قاصدين السلطان ومن معه ، ثم إن الأمير نوروز قتل خلقا كثيرا من أهل الكرك ، والذين سلموا هربوا من المدينة ، ولم يبق فى المدينة إلا النساء والأطفال، وآخر الأمر استقر الشيخية والنوروزية فى المدينة والقلعة ، واشتغل السلطان بنقب سور المدينة ووضع المناجيق وآلات الحرب ، وآخر الأمر أوقع الله بينهم الصلح ، فنزلوا إلى السلطان مع الأمان ، وخلع عليهم السلطان خلعا سنية ،وعين للأمير شيخ نيابة حلب مع بلادها ، مضافا له ، وكان النائب بها الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش، وعين الأمير قرقماس لنيابة صفد عوضا عن الأمير سودون من عبد الرحمن ، وعين الأمير نوروز الحافظى لنيابة طرابلس عوضا عن الأمير جانم ، وكان نائبا فيها من حين هرب من شيخ ، وجاء إلى السلطان ، ورسم له أن يحضر إلى القاهرة ، ورسم للأمير تغرى بردى أتابك العساكر بالديار المصرية أن يستقر[(٢)] نائب الشام عوضا عن الأمير بكتمر جلق ، وعين الأمير يشبك بن أزدمر أن يكون أتابك العساكر بدمشق المحروسة ، وعين الأمير بردبك والأمير قنباى وغيرهما أن يكونوا أمراء فى البلاد الشامية مقدمين والبلاد الحلبية على حسب ما يختارون ، وخلع السلطان

(١) الواقع أن جراحات شيخ كانت شديدة حتى لقد أشرف منها على الموت ، مما دعى لإقامته بقلعة الكرك ثلاثة أيام لا يعقل، وذلك من جراء كثرة ما نزف من دمه ، ويقول أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/ ٢٤٠ — ٢٤١ إنه لما أفاق من هذه الغشية وبرئت جراحه حصل له مرض المفاصل الذى تكسح منه بعد سلطنته .

(٢) السبب فى سوق نيابة الشام لتغرى بردى والد أبى المحاسن هو أن كلا من شيخ ونوروز رفض أن يكون بكتمر جلق نائبا على الشام وبذلك يكون أعلى رتبة منهما رغم أنهما أقدم منه ، ومن ثم اقترحا بدله تغرى بردى .

على كل واحد منهم خلعة سنية ، فقبلوا الأرض وحضروا السماط وتعاتبوا على الأمور التى جرت بينهم ، وسلم شيخ(١) قلعة الكرك وقلعة صلخد إلى السلطان

ثم رحل السلطان بعساكره إلى ناحيــة القدس الشريف ورحل الأمير تغرى بردى إلى محــل ولايته بدمشق ، وتجهز كل واحد من الأمراء إلى ولايته ، ودخل السلطان القدس الشريف وأقام فيه خمسة أيام ، ثم رحل ودخل القاهرة يوم الأربعاء الثانى عشر من محرم سنة أربع عشرة وثمانمائة ؛ وكان دخــوله القاهرة يوما مشهودا ، وخلع عى ســائر الأمراء وأرباب الوظائف والمباشرين ، وخلع على الأمير دمرداش ، واستقر أتابك العساكر المنصورة بالديار المصرية عوضا عن الأمير تغرى بردى اليشبغاوى بحكم انتقاله إلى نيابة الشام (٨٤ أ) ، وخلع على شمس الدين محمــد الشامى واستقر فى حســبة القاهرة عوضا عن ابن الدميرى ، وخلع أيضا على ابن النجار واستقر فى حســبة مصر عوضا عن ابن الهــوى الذى توفى فى غيبة السلطان ، وخلع أيضا على الأمير طوغان خلعة الاستمرار على دواداريته الكبرى .

* * *

وفى ليلة الجمعة — رابع عشر محرم فى هذه الأيام بعد دخول السلطان إلى القاهرة بيومين — توفى ابن زين الدين قاسم بن أحمد بن أحمد بن موسى الحنفى العينتابى إلى رحمة الله تعالى ، ودفن فى المدرسة التى بناها عمه فى حارة النعامة ، المجاورة لدرب ابن الغنام ، عند جامع الأزهر .

وفى يوم الجمعة الحادى والعشرين من المحرم سنة أربع عشرة وثمانمائة خلع السلطان على القــاضى زين الدين حاجى قاضى العساكر المنصورة ،

(١) سلم شيخ ونوروز للسلطان قلعة الكرك ، كما سلمه شيخ قلعتى صهيون وصرخد .

وأحد الأئمة للمقام الشريف ، واستقر فى مشيخة التربة التى بناها فى الصحراء خارج باب النصر عوضا عن القاضى صدر الدين بن العجمى بحكم عزله ، وذلك لأنه بلغه أنه فرّط فى مال السلطان ، وذلك أن السلطان أودع عنـــده مبلغ عشرة آلاف دينار ، فتصرف فيه تصرُّف الملاك ، وفرط فيه تفريطا شنيعا ، وأخرج من ذلك جملة لتجهيز سفرة الحجاز ، حتى قيل إنه أكرى بمائة ألف درهم ، واشـــترى كل هجين بعشرة آلاف درهم وغير ذلك من الإسرافات ؛ ثم لمـــا عاد من سفره مسكه السلطان وطلب منـــه المـــال ، فأقام بالبعض وبقى عليه البعض ، وأخرج عنه وظائفه .

* * *

وفى هذه السنة وقع بعض رخص فى الحبوب ، فأبيع الإردب من القمح الطيب بمائة وثلاثين درهما فلوسا جددا ، والشعير بسبعين وثمانين ، والفول بتسعين ومائة وأقل من ذلك ، وبيع القنطار من العسل النحل المصرى بمبلغ سبعمائة وثمانمائة .

ولكن تحسن ســـعر الذهب جدا ، فبلغ الأفلورى الذى عليه الصلبان إلى مبلغ مائتى درهم بالفلوس الجدد ، وربما أصرفوه عند بعض النـــاس بمائتين وعشرة دراهم ، ووصل الدينار الهرجة إلى مبلغ مائتين وعشرين درهما ، والذهب الناصرى وصل إلى مائتى درهم إلا خمسة دراهم ، ثم لمـــا جاء السلطان نادى على الهرجة بمائتين ، والإفرنتى بمائة وثمانين وكذلك الناصرى الذى أخرجه الأمير جمال الدين يوسف البيرى أستادار العالية ، وهو على زنة الأفرنتى غير أن الذهب الأفرنتى أحيف منه . وكان أول ضرب الناصرية فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، ومشى ذلك كمشى الأفرنتى ، ولكن كان النـــاس يرجعون إلى الأفلورية أكثر من الناصرية

لما قدمنا من طيبة ذهبهم ، وأما الذهب الذى أخرجه السالمى فى أيام ولايته فبطل بالكلية وقل بين الناس جدا ، وكان قد صنع منه مثقالا ومثقالين ومثقالين ونصف مثقال وربع مثقال ، وكان به غاية السهولة فى الأخذ والعطاء وعدم الموازين ، لكن دخل الدخيل فى الذهب كثيرا ، سيما الهرجة فإنها وقع فيها الخباط ، وكذلك الأفلورية الخوارج ، والناصرية وضرب إسكندرية .

وأما الفلوس فإنها استمرت على ما قدره السالمى ، وهو كل رطل مصرى بستة دراهم ، وكل قنطار بستمائة درهم ، وهذا أرخص من النحاس والحديد ، وذلك أن الحديد المعدنى أبيع كل قنطار منه بمبلغ إثنى عشر ألف درهم إلى خمسة عشر ألف درهم الذى يعمل منه الآلات ، وكذلك النحاس المعمول بمبلغ عشرين ألف درهم ، وأما الفضة الحجر فالدرهم منها بإثنى عشر درهما وثلاثة عشر فلوسا ، وثلاثة عشرة بالفلوس .

* * *

وحج بالناس فى هذه السنة من الديار المصرية شاهين الحسنى الطواشى ؛ وكانت سنة صعبة .

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٤٧٦ — الشيخ الإمام نور الدين على الزاهد الأدمى ، توفى فى أوائل شعبان منها رحمه الله تعالى .

٤٧٧ — الشيخ شمس الدين (١) الرشيدى الشافعى ، توفى فى أوائل شعبان منها ، رحمه الله .

(١) ربما كان الصحيح فى نعته هو نور الدين كما جاء ذلك فى الضوء اللامع ٥/٨٠٦ ، وشذرات الذهب ٧/١٠٣ ، ويؤيد هذا أن اسمه هو : « على بن عبد الرحمن الربعى » وأجمعت المصادر التى ترجمت له على أنه مات فى رجب وليس فى شعبان كما جاء فى المتن .

٤٧٨ — الشيخ نور الدين العالم الجندى ، وقيل بدر الدين بن حصبك [السبكى](١) من ذرية الملك الظاهر بيبرس ، توفى فى أواخر رجب منهـا ، كان فاضلا فى مذهب الحنفية ، وكان متجندا صاحب إقطاع ، ولم يباشر شيئا من وظائف الفقهاء ، رحمه الله .

٤٧٩ — قاضى القضاة تقى الدين [عبد الرحمن] الزبيرى(٢) الشافعى ، توفى فى مستهل رمضان منها ، وكانت له مدة بطالا . باشر قضاء القضاة الشافعية بالديار المصرية فى الدولة الظاهرية ، وكان مشكور السيرة ، محمود السريرة ، رحمه الله .

٤٨٠ — القاضى شمس الدين بن الصاحب ، توفى فى رجب ، وخلف موجودا كثيرا ، وأحيط عليه من جهة السلطان مع وجود الورثة الشرعية .

٤٨١ — القاضى شمس الدين(٣) محمد الطويل ، الملقب ببدنة ، صهر القاضى كاتب السر فتح الله ناظر الأوقاف وناظر الكسوة الشريفة ، ووكيل بيت المـال ، توفى فى رجب منها . قال شيخنا قاضى القضاة بدر الدين العينى ، رحمه الله فى تاريخه : « كان رجلا عاريا من العلوم ، فظا غليظا لا يتكيف » .

---

(١) الإضافة من شذرات الذهب ٧/ ١٠٤

(٢) ذكرت النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٥ أن ذلك نسبة الى بلدة الزبيريات من قرى الغربية وقد خلا القاموس الجغرافى من قرية بهذا الاسم ولكن ورد فيه ق٢ ج٢ ص١٣٢ « الزبيرية » ولم يوردها مستقلة إنما ذكرها تحت اسم « كفر الهواشم » وأشار الى أصل هذا الكفر من أنه من توابع قرية قديمة « تسمى الزبيرية » طغى عليها ماء النيل فأكل مساكنها ، ثم أشار المؤلف فى نفس المرجع ق ٢ ج٢ ص ١٢٨ الى كفر حشاد بمركز كفر الزيات وقال إن البحث دله على أنه كان فى إقليم الغربية بلدة قديمة تسمى « الزبيرية » نسبة إلى أنصار عبد الله بن الزبير بن العـوام الذين كانوا مقيمين فى الفسطاط ثم أخرجهم منها مروان بن الحكم سنة ٦٥ وأنزلهم بالغربية فأنشأ بها هذه القرية .

(٣) هو محمـد بن عبد الخالق المناوى كما سماه النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٦ ، ولكن ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ٩/ ٣٤٢ تحت اسم « محمد بن محمد بن عبد الوهاب » وجعـل وفاته فى شعبان وليس فى رجب .

٤٨٢ — القاضى كريم الدين محمد بن الهوى الشافعى محتسب القاهرة ، توفى يوم الثلاثاء الثانى عشر من شعبان ، ودفن فى تربة الصوفية ، وتولى عوضه فى الحسبة زين الدين بن شمس الدين الدميرى من عند الأمير أرغون نائب الغيبة .

٤٨٣ — القاضى مجد الدين بن الهيصم ناظر الخاص الشريف ، توفى ليلة الأربعاء العشرين من شعبان ، ودفن فى خندق المطرية ، وكفن فى حرير سابورى على طريقة القبط ، وكان قد قدم من الشام من عند السلطان لتجهيز الخلع والطرز وجمع الأموال من الناس ، فأقام بعد قدومه أربعة أيام أو خمسة أيام ثم دفن ، وذكر لى من أثق به أنه كان فى نيته مع المسلمين شر كبير (٨٤ ب) ، وأنه مسك التجار ومن له شهرة بالمال ، وصار كل من يدخل إليه منهم يخاطبه على قدر ماله ومقامه : « أهلا بألف دينار » مثلا « أهلا بخمسة آلاف دينار » ، « أهلا بعشرة آلاف دينار » ، إلى أن اجتمع عنده الجم الغفير من ذلك وأودعهم فى الترسيم ، فحصل له فى أثناء ليلته التى مات فيها قولنج ، فدخل الحمام فزاد عليه فمات ، فأصبح الناس كل واحد منهم إلى حال سبيله ، وحصل لهم الفرج بعد الشدة فى أدنى مدة .

٤٨٤ — القاضى (١) شمس الدين بن الدميرى ناظر المارستان المنصورى توفى فى أوائل رمضان منها .

٤٨٥ — الشيخ شمس الدين بن العطار المصرى الشافعى ، توفى فى العشر الأول من شهر شوال من هذه السنة ، وكان رجلا ذكيا فاضلا ، من أهل

(١) ربما كان فى هذه الترجمة شىء من الاضطراب ، وربما كان المؤلف يقصد القاضى تقى الدين عبد الرحمن بن تاج الرئاسة محمد بن عبد الناصر المحلى الدميرى الزبيرى المتوفى فى رمضان ، انظر ما سبق ترجمة رقم ٤٧٨ .

العلم ، متقنا لفنون من العلوم . باشر عدة وظائف من جملتها مشيخة القرآن بخانقاه شيخو ، وتولى عوضه فيها الشيخ حبيب الحلبي .

٤٨٦ - الأمير قرا جا الدوادار الكبير ، توفى بالصالحية يوم الأربعاء الثالث عشر من ربيع الأول ، ودفن فى جامعها ، وكان صحبة السلطان الملك الناصر حين توجهه إلى الشام ، وخلف موجودا عظيما واحتاط عليه السلطان ، وكان رجلا فاسقا ، قليل الخير بل عديمه ، كذا ذكره البدر العينى فى تاريخه ، ثم بعد ذلك نقلوا جثته إلى القاهرة ودفن فيها ، رحمه الله .

٤٨٧ - الأمير تمربغا المشطوب نائب حلب كان ، توفى فى شهر رجب منها فى أرض البلقاء (١) من الشام ، وهو مع شيخ ونوروز الحافظى (٢) ، رحمه الله .

٤٨٨ - الأمير إينال الجلالى ، الملقب بالمنقار ، توفى فى غزة فى شهر شعبان ، وكان أميرا جيدا محبا للعلم والعلماء ، وكان من جهة شيخ ونوروز .

٤٨٩ - الأمير شاهين دوادار شيخ ، توفى فى أوائل رمضان بالصالحية (٣) على رأس الرمل ، وكان مع الأمير شيخ حين توجهوا إلى الديار المصرية ، وهو مشهور بالفروسية والشجاعة والثبات ، وكان له منزلة عظيمة عند شيخ .

---

(١) البلقاء - كما جاء فى مراصد الاطلاع ٢١٩/١ - كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى وقصبتها عمان ، هذا وقد ذكر ابن حجر فى ترجمته فى إنباء الغمر أنه مات بحسبان .

(٢) وذلك أثناء توجههما إلى مصر كما جاء فى الضوء اللامع ١٦٩/٣ .

(٣) الوارد فى الضوء اللامع ١١٢٦/٣ أنه مات وهو فى الطريق إلى مصر بين الغرابى والصالحية وحمل فدفن بالصالحية التى سبق التعريف بها . وهذا وقد جاء ذكر « الغرابى » فى القاموس الجغرافى : البلاد المندرسة ، ق ١ ص ٨٩ بأنها بين مصر وغزة جنوب الفرما وكانت من محطات البريد بين مصر والشام ، وأن مكانها اليوم حوض أبو غرب فى رمال دبة الغرابيات على بعد ١١ كيلومترا بأراضى قسم سيناء الشمالى .

٤٩٠ ـ الأمير شهاب الدين الدوادار كاشف الجيزية ، توفى يوم الخميس الحادى والعشرين من شعبان، وخلف موجودا كثيرا من الأغنام والأبقار والخيول والجمال والغلال وغير ذلك، ولم يكن به بأس، رحمه الله .

٤٩١ ـ الأمير قرا تنبك أحد الطبلخانات وأحد الحجاب بالديار المصرية توفى فى العشر (١) الأول من شهر شوال من هذه السنة ، وكان قد تجهز أمير الحاج ، فجاءه الموت المحتوم ومنعه عن ذلك ، وكان قد خلع عليه بذلك بمرسوم السلطان إلى الأمير أرغون نائب الغيبة ، وتعين عوضه أمير الحج شاهين الحسنى الطواشى ، وكان قد قدم من عند السلطان من الشام ليتوجه أمير الركب الأول ، وكان قدومه إلى القاهرة يوم السابع والعشرين رمضان المعظم من هذه السنة ، أعنى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

٤٩٢ ـ السلطان الملك المغيث أحمد (٢) بن السلطان أويس صاحب بغداد وتبريز ، قتل فى هذه السنة ، قتله الأمير الكبير زين الدين قرا يوسف ابن الأمير قرا محمد التركمانى المتغلب على بلاد العراق وأذربيجان، وبعد أن قتله صلبه الأمير قرا محمد التركمانى على جسر بغداد، وكان المذكور من الفساق الظلمة، وكان غاية فى علم الموسيقى والآلات، وله النظم الرائق والمعنى اللائق الشائق الفائق، وهو الذى يشار إليه بضرب المثل فى هذا الفن ، ولولا خوف سآمة الخواطر من الإطناب لأوردت شيئا من نظمه فى هذا الموضوع .

* * *

(١) نصت النجوم الزاهرة ٢٩٧/٦ على أنه مات فى أول شوال ، وذكر الضوء اللامع ٧١٣/٦ الشهر وأغفل ذكر اليوم .

(٢) انظر العزاوى : العراق بين احتلالين ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ — ٣٠٨ .

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الرابعة عشرة بعد الثمــانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر فرج ، وخليفة الوقت المعتصم بالله العباسى بن المتوكل على الله ، وأتابك العساكر بالديار المصرية الأمير دمرداش المحمدى نائب حلب كان ، وقاضى القضاة الشافعية جلال الدين بن عبد الرحيم بن البلقينى ، وقاضى القضاة الحنفيــة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى ، وقاضى القضاة المــالكية شمس الدين محمد المدنى ، وقاضى القضاة الحنابلة مجد الدين سالم ، وكاتب السر الشريف القاضى فتح الله العجمى ، وناظر الجيوش المنصورة بدر الــدين حسن ابن نصر الله ، والوزير سعد الدين البشيرى ، وأستادار العالية تاج الدين ابن الهيصم ، والدوادار الكبير طوغان الحسنى ، ورأس نوبة كبير قانبك ، وحاجب الحجاب يلبغا الناصرى :

ونائب الشام الأمير تغرى بردى اليشبغاوى ، ونائب حلب الأمير شيخ المحمودى ، ونائب عينتاب يشبك الأيتمشى ، ونائب ملطية سولى بن كبك التركمانى ، ونائب طرابلس الأمير نوروز الحافظى ، ونائب حماة تغــرى بردى الشهير بسيدى الصغير ، ونائب صفد الأمــير قرقاس الشهير

بسيدى الكبير ابن أخى دمرداش ، ونائب غزة الأمير إينـال الرجبى ولكنه عزل واستقر عوضه الأمير سودون من عبد الرحمن فى أوائل صفر من هذه السنة .

وصاحب بغداد وتبريز الأمير زين الدين قرا محمد التركمانى ، وصاحب مكة — شرفها الله تعالى — والمدينة — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — الشريف حسن بن عجلان ، وصاحب اليمن الملك الناصر أحمد بن الملك الأشرف ، وصاحب بلاد قرمان الأمير محمد باك بن الأمير علاء الدين ابن قرمان ، وصاحب اللاجات الأمير موسى الجلبى ، وكان قد قتل أخاه الأمير سُلمان — بضم السين المهملة — بن الأمير أبى يزيد بن مراد خان ابن أرخان بن عثمان ، واستولى على تخته ، وصاحب قرم وصراى و سائر بلاد الدشت الأمير الكبير العادل أدكى ، وصاحب سمرقند وبلادها أحد أولاد تمرلنك .

* * *

وفى يوم الأربعاء الثانى عشر من محرم هذه السنة قدم السلطان الملك الناصر فرج من الكرك ودخل القاهرة بعساكره كما ذكرنا مفصلا فى السنة الماضية .

وفى يوم الخميس الثانى عشر من صفر عين السلطان الملك الناصر اثنين وعشرين أميرا من البطالين وغيرهم أن يتوجهوا إلى الشام على الأخباز والإقطاعات ، منهم الأمير صراى ، والأمير تمان تمر الناصرى ، والأمير سويج بغا ، والأمير أرطوبغا (١) ، والأمير قنباى الذى كان نائب إسكندرية والكرك ، ومائتى مملوك ليكونوا جندا عند نائب (٢) الشام .

(١) فى النجوم الزاهرة ٦/٢٤٥ «ألطنبغا» .

(٢) كان نائب الشام إذ ذاك هو الأمير تغرى بردى اليشبغاوى والد أبى المحاسن المؤرخ .

وفى ذلك اليوم خلع على الأمير حسام الدين والى القاهرة واستقر شاد العمائر السلطانية ، ورسم له أن ينادى فى القاهرة : « إن أحدا من خلق الله تعالى لا يعمر شيئا إلى أن تتم عمارة السلطان » ، وكان السلطان قد عزم على عمارة قاعات ودور فى الحوش السلطانى بقلعة الجبل ، وكتب على سائر أصحاب الأصناف أن لا يحملوا لأحد شيئا ولا يبيعوا ، فحصل من ذلك ضرر كثير للناس .

وفى اليوم الحادى عشر من صفر خُلع على القاضى تقى الدين بن أبى شاكر واستقر ناظر الخواص الشريفة عوضا عن القاضى مجد الدين بن الهيصم بحكم وفاته فى السنة الخالية .

وفى السابع من ربيع الأول مسك (٨٥ أ) الأمير خير بك - الذى كان نائب غزة - ومسك معه جماعة من المماليك ، وفى يوم الثلاثاء ثامنه سُفروا إلى إسكندرية للاعتقال بها .

وفيه جاءت الأخبار بقتل الأمراء المحبوسين باسكندرية من قبل السلطان وهم : الأمير يشبك قرا ، والأمير آقبغا جركس ، والأمير أسندمر الناصرى ، والأمير سودون الحمصى ، وكل هؤلاء عشرات .

وفى هذا اليوم أبيع الإردب القمح الطيب بمائة وأربعين درهما ، والشعير بتسعين درهما ، وتحسن الفول فأبيع الإردب منه بمائة وخمسين درهما ، وعومل الدينار[1] الهرجة بمائتين وعشرين المثقال ، والأفلورى بمائتين فى المعاملة وبالفلوس بمائة وخمسة وتسعين درهما ، وبالناصرى بمائة وتسعين ، وبالمعاملة بمائة وخمسة وتسعين ، وأبيع الرطل من اللحم الضأن السليخ بستة دراهم

(١) فى الأصل « الدنانير »

ونصف ، والبقرى بخمسة ، والجبن المقلى بعشرة دراهم الرطل ، والزيت بتسعة ، والسيرج بإثنى عشر ، والزيت الحار بخمسة .

وفى يوم الجمعة ثانى ربيع الآخر أخلع على الأمير أسنبغا الزردكاش أحد المقدمين وصهر السلطان الملك الناصر فرج زوج أخته [1] ، واستقر شاد الشراب خاناه عوضا عن الأمير سودون الأشقر بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الآخرة خلع على الأمير فخرالدين ابن أبى الفرج كاشف الشرقية واستقر أستادار العالية عوضا عن الأمير تاج الدين بن [عبد الرزاق] الهيصم بحكم عزله ومسكه وتسليمه للمذكور ونزوله إلى بيت ابن أبى الفرج والإحاطة على بيتـه وحواصله ومصادره وموارده ومن يلوذ به من أرباب الوظائف والأشغال .

* * *

وفى يوم الأحد ثامن عشر ربيع الآخر أوفى الله تعالى النيل المبارك ، ونزل السلطان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق إلى مصر العتيقة وعدا إلى بر الروضة وزار المقياس وكسر سد الخليج ، وخلع على من له عادة .

وفى يوم الاثنين سلخ جمادى الآخرة مسك السلطان الأمير فخرالدين ابن أبى الفرج أستادار العالية وسلمه إلى الوزير ابن البشيرى ، فضربه بالمقارع وضرب برد داره عبد الرحمن أيضا بالمقارع وعصرهما ، وشوش على من يلوذ بهما لأجل وزن المـال .

* * *

(١) هى خوند بيرم بنت برقوق

وفى يوم السبت العشرين من رجب وقع هرج عظيم فى القاهرة وذلك أنه وردت الأخبار أن الأمير جانم [من حسن شاه] اتفق مع بعض الأمراء والمماليك على أنهم يركبون على السلطان، وكان المذكور قد توجه إلى بلده منية ابن سلسيل[1]، فأرسل السلطان وراءه الأمير طوغان الدوادار الحسنى والأمير بكتمر الناصرى، ومسك بعض المماليك وبعض الأمراء الصغار، منهم: الأمير عاقل أمير عشرة، والأمير سودون الأبايزيدى أمير عشرة.

وفى يوم الاثنين ثانى عشرى رجب مسك السلطان الأمير إينال المحمودى الصصلائى الحاجب الثانى، بعد أن أخلع عليه خلعة بالشاد على استخراج الأموال من الأمراء والمقطعين لأجل الحراريف والحفائر.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرين رجب مسك الأمير سودون الأسندمرى المقدم أمير آخور ثانى والأمير شرباش العمرى مقدم رأس نوبة.

وفى يوم الأربعاء رابع[2] عشرين رجب حضر الأمير طوغان الحسنى الدوادار ومعه رأس جانم، وذلك أنهم لم يقعوا فى المركب، ووقع بينهم قتال عظيم وجراحات عظيمة، وأرمى الأمير جانم بنفسه فى البحر وقتلوه بالرماح والسهام.

وفى يوم الخميس خامس عشرين رجب مسك السلطان جماعة كثيرة من المماليك الكبار الظاهرية، ووسط خمسة أنفس قدام الخزنة، وهم الذين

---

(١) فى الأصل «سرسين»، ولكن سلسيل هو الاسم المعروف به هذا المكان عند أبى مماتى فى كتابه قوانين الدواوين، ويلاحظ أن منية بن سلسيل هذه تتبع اليوم مركز المنزلة بالدقهلية وتعرف حاليا باسم ميت سلسيل، راجع فى ذلك القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ٢٠٤.

(٢) فى الأصل ثامن عشرين لكن راجع أعلاه س ١، ٧، ١٠ وكذلك س ١٦.

أرسلهم الأمير شيخ المحمودى نائب حلب إرسالا لما طلبه السلطان، وكان حضر بهم الأمير منكلى بغا الحاجب يوم الجمعة التاسع عشر من رجب .

وفى يوم الخميس خامس عشرين رجب خلع السلطان على منكلى أستادار جركس الخليلى - كان - واستقر أستادار العالية عوضا عن ابن أبى الفرج بحكم عزله ومسكه .

* * *

وفى هذا الشهر وقع بعض الرخص فى أسعار الغلال ، فأبيع القمح الطيب النهاية الإردب بمائة وأربعين درهما ، والشعير بمائة درهم، ولكن تحسن سعر اللحم فأبيع الرطل من الضأن السليخ بتسعة ، والسميط بسبعة ، والبقرى بسبعة ، والرطل الزيت بتسعة ، والزيت الحار بسبعة ، وتعامل الناس بالدينار الهرجة بمائتين وخمسة وعشرين ، والأفلورى بمائتين وخمسة ، والناصرى بمائتين إلا خمسة .

* * *

وفى يوم الأربعاء مستهل شعبان منها وسط السلطان الملك الناصر فى الرميلة ثلاثة عشر نفسا منهم (١) : الأمير حزمان الذى ولى نيابة القدس الشريف ، وسافر إليها ، وعدّا إلى قطية ، ووصل إلى السوادة ، ولحقه البريدى فرده إلى القاهرة وجرى ما جرى ، وكان أمير عشرة ورأس نوبة عند السلطان ، فخرج مع جملة المخامرين فى أيام يشبك ، ثم عاد إلى السلطان على ما ذكرنا ؛ والأمير آقبغا عاقل أمير عشرة ، والأمير أرغن كان أحد المقدمين بالشام ، والأمير سودون الظريف أحد المقدمين بالشام ، وابن قجماس سيدى محمد ، والأمير مغلباى أمير عشرة .

(١) فى الأصل «وهم» على أن المؤلف لم يورد سوى أسماء ستة ممن وسطهم السلطان ، ومن ثم وضعنا كلمة « منهم » بدلا من « وهم » .

وفى هذا اليوم ضرب السلطان ثلاثة من النسوة ومعهن شخص عجمى من الفقراء بالمقارع وجرسهم فى القاهرة ، وذلك أنهم آووا عندهم المماليك الهاربين المختفين ، وقيل إنه قتل مائة وثمانين نفسا من المماليك المحبوسين فى القلعة ليلة الخميس ثامن شعبان ، وكان أكثر قتله ذبحا ، أخبرنى شخص من مماليكه فى آخر دولة الملك الظاهر جقمق يسمى أزبك الإبراهيمى أنه كان ممسوكا مع جماعة رسم السلطان الملك الناصر بذبحهم ، فذبح رفقته إلى أن وصلوا إليه سأله السلطان عن اسمه قال : « غنم ، إدبح ! » ، فضحك منه السلطان وأمر بإطلاقه .

وفى يوم الخميس طلع السلطان إلى الرماية .

وفى يوم الجمعة خامس عشر رمضان خلع على شمس الدين محمد ابن شعبان واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن شمس الدين محمد الشامى بحكم عزله .

وفى شهر رمضان فى الأيام المتفرقة مسك السلطان جماعة من مماليك شيخ المحمودى نائب حلب ونوروز الحافظى نائب طرابلس الذين هربوا منها وحضروا إليه ، ومسك أيضا من مماليكه الجلبان مقدار خمسين نفسا ، وهم الذين كانوا هربوا من السلطان فى سفره سنة ثلاث عشرة فى طلوعه البلستين وتوجهوا إلى شيخ ثم هربوا من عنده أيضا ، وجاءوا إلى أستاذهم الملك النــاصر .

وفى ليلة الاثنين من شوال قتل السلطان الملك الناصر مائة نفس من مماليك الظاهرية الذين مسكهم فى شهر رمضان ، وأنزل جماعة من مماليك شــيخ ونوروز مقيدين فى الحديد إلى خزانة شمائل .

(٨٥ ب) وفى يوم الاثنين العاشر من شوال خرج السلطان من القاهرة وعدا إلى ذاك البر وأقام فيه ليلة ، ثم سافر إلى مدينة إسكندرية ، ونادى فى القاهرة أن : « لا يتخلف أحد ممن المماليك السلطانية بالقاهرة ، وأنهم يعدوا إلى بر الجيزية » ليعين من يسافر معه ومن يقيم فى الربيع ففعل ذلك ، وكان قبل أن يتوجه إلى إسكندرية عين جماعة من الأمراء المقدمين منهم : الأمير طوغان والأمير جانى بك الصوفى والأمير سودون الأشقر والأمير يلبغا الناصرى حاجب الحجاب أن يذهبوا إلى جهات البلاد المصرية لجمع الخيول والجمال والأغنام والذهب والفضة ، وأضاف إلى كل واحد منهم جماعة من المماليك الظاهرية .

وفى هذا الشهر وصل سعر الزيت الحار إلى تسعة دراهم كل رطل ، بسعر الزيت الطيب ، وتعاملت النـــاس بالدينار الهرجة بمائتين وثلاثين بالفلوس الجدد ، والإفرنتى بمائتين وعشرة ، والناصرى بمائتين .

* * *

ذكر قدوم السلطان الملك الناصر فرج من إسكندرية

وفى يوم السبت التاسع والعشرين من شوال المبارك قدم السلطان من إسكندرية ، ونزل أوسيم بالجـــيزية وأقام هناك يوم الأحد : وفى يوم الاثنين ثانى ذى القعدة الحرام قدم إلى القاهرة المحروسة وطلع القلعة .

وفى يوم الاثنين السادس عشر من ذى القعدة نادى السلطان فى القاهرة على الفلوس بإثنى عشر درهما كل رطل ، وكان كل رطل بستة دراهم من أيام يلبغا السالمى ، فحصل بذلك تشويش عظيم وقفلت أسواق المدينـــة ، وقل الخبز جدا حتى إن الناس يقتتلون على الأفران لأجل الخبز ، فبلغ

ذلك السلطان فغضب غضبا شديدا وقال : « إن لم يسمعوا هذه المناداة لآمرن مماليكى فيلبسوا ويضربوهم بالسيوف وأحرق دكاكينهم ! » ، فحصل بذلك تشويش عظيم .

وفى يوم الثلاثاء ضرب ناس كثيرة بالمقارع بسبب ذلك ، وشنق شخص من المحابيس على باب زويلة وأوهموا الناس أنهم من التجار ، وأنه رد المنـــاداة :

وفى يوم الثلاثاء آخر النهار السابع عشر من ذى القعدة مسك السلطان الأمير شهاب الدين بن الطبلاوى الذى تولى الكشف بالشرقية ، ومعه الأمير الحجازى نقيب الجيوش المنصورة والأمير تاج الدين بن الهيصم الذى كان مسك أولا كما ذكرنا ثم أطلق ، وذلك أنهم اتفقوا وكتبوا خطوط أيديهم بمبلغ — على ما قيل من الذهب — مائة ألف وعشرين ألف دينار ، على أن يكون ابن الطبلاوى أستادار العالية ، وابن الهيصم ناظر الخواص الشريفة والوزير ، ويتسلمان سعد الدين البشيرى الوزير وتقى الدين بن أبى شاكر ناظـــر الخواص الشريفة ، فأظهر السلطان الملك الناصر [تقدمة] لهما ، وأقاما له بالمبلغ المذكور وتسلما المذكورين ، وكان ناصر الدين بن الطبلاوى مسافرا فطلبوه ومسكوه و [أما] أخوه شهاب الدين أحمد متولى القاهرة [فقـــد] هرب واختفى :

* * *

وفى هذه السنة كملت مدرسة قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى التى هى بالقرب من جامع الأزهر ، وكان الفراغ منها فى مستهل شـــهر رمضان وهى المجاورة لداره ولبيت ابن الغنام :

وفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى القعدة أنفق السلطان الملك الناصر على المماليك بسبب التجريدة إلى بلاد الشام ، فأعطى كل مملوك من الذهب الناصرى سبعين شخصا[1] ، ومن الفلوس الجدد مبلغ ستة آلاف درهم تكملة العشرين ألف درهم ، عبارة عن كل قنطار ألفين ، وللأمير الكبير دمرداش أتابك العساكر المنصورة ثلاثة آلاف دينار ، وكذلك الأمير بكتمر جاق ثلاثة آلاف دينار ، وللمقدمين ألفى دينار ، والطبلخاناه خمسمائة دينار وستمائة وسبعمائة ، والعشرات مائتين ومائة دينار ، على حسب منازلهم عنده :

وفى[2] ليلة الخميس السابع والعشرين من ذى القعدة قطع السلطان بيده رأس زوجته المطلقة بنت صرق لما اتصل بمسامعه عنها أنها اتصلت بابن الطبلاوى ، وطلب المذكور ورسم بإحضار الرأس المقطوعة فى طبق مغطى فأحضرت بين يديه وقال له : « اكشف عن هذه الهدية التى خبأتها لك ! » ، فلما كشف وجد رأسها مقطوعة ، وفى أذانها الحلق البلخشى وغير ذلك فقال : « تعرف هذه ؟ » ، فأنكر فقطع رأسه أيضا بيده ، ولقصته مع بنت صرق فى قطع[3] رأسها حكاية طويلة ، وضربها بالسيف مرارا :

* * *

(١) هكذا فى الأصل وربما كانت « مشخصا » أو لعلها سهو قلم من الكاتب وأريد بها دينار .

(٢) فى هامش الأصل « قطع رأس زوجة السلطان » .

(٣) أفاض أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٤ فى وصف مقتلها سماعا له مما روته له أخته خوند فاطمة زوجة السلطان فرج وشاهدة عيان مصرعها وننقلها هنا كما ذكرها « قالت أختى خوند فاطمة : كان السلطان جالسا عندى بالقاعة فلما قيل له جاءت خوند بنت صرق نهض من وقته وخرج إلى الدهليز وجلس على مصطبة ، قالت : فخرجت خلفه ولا علم لى بقصده ، فجاءت بنت صرق وقبلت يده فقال لها : يا قحبة مرا كيب الملوك تركبها البلاصية ؟ وقبل أن تتكلم ضربها بالنمجاة قطع أصابعها وكانت مقمعة بالحناء فصاحت وهربت فقام خلفها وضربها ضربة ثانيـة قطع من كتفها قطعـة وصارت تجرى وهو خلفها وقـد اجتمع جميع الخوندات عنـدى بالقاعة للسلام على بنت صرق المذكورة ولا زال يضربها بالنمجاة وهى تجـرى الى أن دخلت المستراح فتمم قتلها فى صحن المستراح : ثم قطع رأسها وأخذها بدبوقتها أى ضفيرتها وفى أذانها الحلق البلخشى الهائلة وخرج بها الى قاعة الدهيشة ووضعها بين يديه وغطاها بفوطة ثم طلب ابن الطبلاوى » .

وفى يوم الخميس صبيحة تلك الليلة نادى السلطان بالقاهرة على أن تكون الفلوس على حالها : كل رطل بستة دراهم ، فحصل بذلك سرور عظيم للناس ، وفى تلك الساعة فتحت الحوانيت والأسواق وكثرت الأشياء ، وكان السبب فى ذلك أن السلطان أنفق على غلمانه على حكم الرطل بستة ، فطمع لذلك غلمان مماليكه ، فنادى للغلمان أن ينفق عليهم على حكم ستة الرطل ، ثم إن السلطان أعطى التجار الذين لهم ثمن المماليك من الفلوس التى جمعها عنده سعر ستة دراهم للرطل ، وحصل بذلك خلل كبير لاختلاف الإنفاق مع وقوف أحوال الناس ، وشكى المداينون أحوالهم ، فدخل أهل الحل والعقد على السلطان حتى أمر بالمناداة على ما كان عليه .

وفى يوم الثلاثاء ثانى الحجة الحرام برز الأمير بكتمر جاق والأمير طوغان الحسنى الدوادار الكبير والأمير شاهين الأفرم والأمير شاهين الزردكاش ومن أضيف إليهم ، فخرجوا وهم يلبسون بالعدة الكاملة بعد أن عرضوا على السلطان بالرميلة ، ثم ذهبوا ونزلوا فى الريدانية .

وفى يوم الجمعة خامس ذى الحجة رحل الأمراء المذكورون إلى الريدانية قاصدين الشام ، وخرج السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن الملك الظاهر برقوق يوم الاثنين الثامن من ذى الحجة قاصدا الشام ، وبرز طلبه بأبهة عظيمة لم يتفق له — فى سفره المتقدم — مثلها ، وجميع المماليك السلطانية لابسون بآلات الحرب الكاملة مع الجنائب المنقادة بالسروج الذهب والكنابيش الزركش ، والخزانة العظيمة ، والهجن المكفتة بالألوان الذهب والمحفات بالأغشية المزركشة ، والخيول المسومة ، والبغال المحملة ، والخام العظيم الزاد ، والدشار الكثير من الخيول (٨٦ أ) ، وكان يوما مشهودا ،

حتى ذكر الشيوخ القدماء أنهم ما شاهدوا مثل هذا إلا أيام الملك الناصر محمد ابن قلاون ، ولا فى أيام الناصر حسن ، ولا فى أيام شعبان ، ولا فى أيام والده الملك الظاهر برقوق ، كل ذلك والسلطان وراءهم بأبهة عظيمة حتى نزل بالريدانية ، وأقام هناك — مع تردده لتربة والده التى بالصحراء — يوم الاثنين المذكور ويوم الثلاثاء والأربعاء — وكان يوم العيد — ويوم الخميس ويوم الجمعة ، وصلى الجمعة فى التربة ودخل آخر النهار ، وكان قد ضحى عند التربة ببقر كثير وأغنام كثيرة ، وأعطى لأهل التربة من ذلك شيئا كثيرا ، وفرق على المماليك المسافرين من غنم النهب شيئا كثيرا ، وخلف فى المدينة الأمير يلبغا الناصرى نائب الغيبة ، وانتقل إلى بيت الأمير الكبير دمرداش وهو بيت الأمير منجك ، وخلّف فى باب السلسلة الأمير ألطنبغا العثمانى أحد المقدمين الذى كان نائب غزة ونائب صفد وحاجب الحجاب بالشام ، وخلف فى القلعة الأمير أسنبغا شاد الشراب خاناه وزوج أخته ، وولى نيابة القلعة شاهين الرومى عوضا عن الأمير كمشبغا الجمالى ، وعين الأمير كمشبغا الجمالى أن يسافر صحبة الحريم السلطانى .

وصحب السلطان الخليفة المعتصم بالله بن المتوكل على الله وقاضى القضاة الشافعى جلال الدين عبد الرحيم بن البلقينى ، وقاضى القضاة الحنفية ناصر الدين محمد بن العديم الحلبى ، وقاضى القضاة المالكية شمس الدين محمد المدنى. وقاضى القضاة الحنبلى مجد الدين سالم ، والوزير سعد الدين البشيرى ، وكاتب السر القاضى فتح الله العجمى ، وناظر الجيوش المنصورة بدر الدين حسن ابن نصر الله ، وتقى الدين بن أبى شاكر ناظر الخاص الشريف ، وفعل السلطان من العجائب مالا فعله سلطان قبله ، وذلك أنه عمل مائتى مملوك من

التركمان بكلفاتهم وسلاحاتهم يدقون الطبول والطبلخاناة والنفير والبوقات والمزامير وغير ذلك ، وهذا شيء عجيب :

وفى يوم الخميس ثانى العيد خلع فى الريدانية على زين الدين بن الدميرى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن ابن الهوى بحكم عزله ، وخلع على ابن الجباس واستقر فى حسبة مصر عوضا عن ابن الجيزى السكرى ، ونهض ابن الهوى وسعى سعيا عظيما على أن يعود إلى وظيفته فلم يعد وسافر مع السلطان إلى قطيا وتولى فى الطريق حسبة مصر المحروسة عوضا عن ابن الجباس بحكم عزله ، وقدم يوم الاثنين الثانى والعشرين من ذى الحجة : وتعامل الناس فى غيبة السلطان بالدينار الهرجة بمبلغ مائتين وأربعين درهما ، والناصرى بمائتين وعشرة :

وفى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ذى الحجة نادى نائب الغيبة الأمير يلبغا الناصرى أن لا يتعامل بالناصرى والأفرنتى بأكثر من مائتى درهم ، وكتب قسائم على الصيارف .

وفى هذه السنة رابع (١) عشرى ذى الحجة وقع مطر عظيم ورعد كثير بالقاهرة المحروسة ، واستمر إلى آخر النهار ، فصارت الأزقة مزلقة عظيمة بحيث ما يقدر أحد يمشى ، وذلك بعد سفر السلطان بإثنى عشر يوما :

وحج بالناس فى هذه السنة الأمير مقبل الطواشى مقدم المماليك السلطانية وكانت الحجاج ركبا واحدا للاجتماع بغير أمير أول .

* * *

(١) الرابع والعشرون من ذى الحجة سنة ٨١٤ يطابق السابع من أبريل سنة ١٤١٢ م .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان

٤٩٣ — السلطان الملك المنصور أمير حاج بن السلطان الملك الأشرف ابن السلطان الملك الأمجد حسين بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان منصور قلاون الألفى النجمى الصالحى ، توفى ليلة الخميس العشرين من شوال فى هذه السنة ، أعنى سنة أربع عشرة وثمانمائة ، ودفن صبيحة نهاره فى تربة جدته أم شعبان بالمدرسة التى بالتبانة خارج باب زويلة من ناحية القلعـــة :

تولى السلطنة عوضا عن أخيه المنصور بحكم وفاته يوم الأحد الثالث والعشرين من صفر ولقب بالملك الصالح ، واستقر فى السلطنة إلى أن خلعه السلطان الملك الظاهر برقوق ، وذلك يوم الأربعاء التاسع عشر من رمضان المعظم من سنة أربع(١) وثمانين وسبعمائة ، ثم خُلع السلطان الملك الظاهر برقوق على يد يلبغا الناصرى نائب حلب كان ، وأعيدت السلطنة إلى أمير حاج المذكور ، وغيروا لقبه ولقبوه « بالملك المنصور » ، وذلك يوم الثلاثاء السادس من جمادى الآخرة من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، فاحتاط عليه السلطان الملك الظاهر برقوق إلى أن دخل القاهرة وهو فى صحبته . ولمـــا طلع القلعة جدد له البيعة يوم الثلاثاء الرابع عشر من صفر ، وكان المنصور قد عزل نفسه وهو بشقحب ، ونزل للملك الظاهر برقوق عن السلطة بحضرة الخليفة والقضاة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى ، وكان آخر العهد بسلطنته ، ولم يزل مقيما بالقلعة فى داره التى بالحوش محجورا عليه إلى أن توفى بالتاريخ المذكور ، وكان عمره قد جاوز الأربعين سنة ، وكان قد تكسح واشتغل بالملاهى

(١) فى الأصل « أربعة » .

والسكر والانهماك على ذلك ، وكان شديد البأس على حاشيته خصوصا جواريه، وكان يقتلهن قتلا فظيعا لشدة خلقة وغلبة السوداء عليه من الحبس والقهر . رحمه الله .

٤٩٤ ــ الأمير تمراز الناصرى ، كان فى أيام الملك الظاهر برقوق أمير طبلخاناه ، وكان حاجبا عنده ، وتقدم فى آخر دولة برقوق ، ثم مسك يوم الخميس الحادى والعشرين من شوال من سنة إحدى وثمانمائة ــ وهى السنة التى مات فيها الملك الظاهر برقوق ــ بإشارة أيتمش أتابك العساكر بالقاهرة ومعه جماعة من الأمراء فحبسوا فى إسكندرية ، ثم أطلق فى ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانمائة ، وحضر إلى القاهرة وأعطى تقدمة ، ثم استقر أمير مجلس إلى أن استقر نائب الغيبة الشريفة بالقاهرة المحروسة عند خروج السلطان إلى قتال تمرلنك فى سنة ثلاث وثمانمائة ، ثم لما ركب[1] الأمير يشبك الشعبانى فى سنة سبع وثمانمائة ركب معه وراح إلى الشام، ثم عادوا صحبة الأمير جكم والأمير شيخ إلى القاهرة على ما ذكرنا وانكسروا ، وهرب شيخ وجكم ، واختفى الأمير يشبك فى المدينة ــ وكذا الأمير تمراز ــ على ما ذكرناه مفصلا ، ثم ظهر فى هذه السنة (٨٦ ب) مع الأمراء المختفين على ما ذكرنا إلى أن تولى نيابة الغيبة بالقاهرة فى سنة تسع وثمانمائة عند خروج السلطان الملك الناصر فرج إلى الشام لمحاربة جكم .

ثم لما خرج السلطان إلى الشام أيضا فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة خرج معه الأمير تمراز وصحبه إلى الغور ، ثم هرب منه الأمير تمراز والأمير إينال الجلالى الشهير بالمنقار وغيرهما على ما ذكرنا ، واجتمعوا بالأمير شيخ ونوروز الحافظى إلى أن راحوا إلى قيسارية الروم ، والسلطان الملك

(١) فى « الأصل ركبوا » .

الناصر وراءهم حتى وصل إلى مدينة « البلستين » ، ثم لما عاد السلطان إلى الشام هرب الأمير تمراز من عندهم وحضر إلى عند السلطان الملك الناصر ، فأقبل عليه غاية الإقبال ، فتوجه معه إلى الكرك ثم حضر صحبته إلى القاهرة ، ولما استقر في القاهرة أياما قلائل رسم له بالتوجه إلى دمياط بطالا ، ثم بعد مدة أمر بتوجهه إلى إسكندرية فحبس فيها إلى رابع عيد الأضحى من هذه السنة قضى الله تعالى أمره فيه ، وكان رجلا جيدا ، يلزم العلماء ويحب الفقراء ويعتقدهم ويحسن إليهم ، وكان من الأتراك الساذجين[1] مليح الصورة حسن الهيئة ، وافر الهمة ، سامحه الله تعالى :

٤٩٥ — الأمير خير بك أحد المقدمين ، قتل بثغر إسكندرية في هذه السنة[2] ، وكان تولى غزة مدة من الزمان ، وتولى التقدمة بالديار المصرية ، وكان رجلا تركيا لم يشتهر عنه معروف :

٤٩٦ — الأمير جانم [من حسن الظاهرى] ، قتل على يد الأمير طوغان الحسنى الدوادار كما ذكرناه مفصلا ، قال شيخنا قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى تاريخه : « كان من المناجيس المشهورين ، والظلمة المفسدين ، تولى نيابة حماة وطرابلس ، وظلم أهلها بلا حساب ، ولم يشتهر عنه إلا كل شر » :

٤٩٧ — الأمير يشبك الموسوى ، قال الشيخ محمود العينى : « كان من الظلمة المفسدين ، تولى طرابلس مدة يسيرة ، وظلم أهلها ظلما كثيرا ،

---

(١) كلمة غير مقروءة فى الأصل وهى أقرب فى الرسم إلى ما ذكرناه بالمتن ، على أنه لم يرد وصف له فى ترجمته التى ذكرها له أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/٩٨ ، حيث اكتفى بقوله إنه كان « تركى الجنس » .

(٢) وكان ذلك فى تاسع شوال حسبما جاء فى النجوم الزاهرة ٦/٢٩٩ .

وتولى مدينة غزة مدة طويلة ، وظلم أهلها ظلما فاحشا ، وكان أفقم[1] سيء الاعتقاد فى الأئمة ، ردئ المذهب ، ذا سيرة خبيثة ، قتل فى هذه السنة فى حبس إسكندرية :

٤٩٨ — الأمير قردم الحسنى الجركسى ، قتل أيضا فى حبس إسكندرية فى هذه السنة ، وكان من المقدمين بالقاهرة ، وتولى خازندارا كبيرا للملك الناصر ، ولم يكن به بأس ، وكان يحب العلم وأهله ، وكان يتورع عن الحرام ، وبنى تربة مليحة داخل باب القرافة ، رحمه الله :

٤٩٩ — الأمير قنباى رأس نوبة ، قتل فى حبس إسكندرية ، وكان من المماليك الأجلاب ، وتقدم عند الملك الناصر حتى أعطاه تقدمة ألف وولاه رأس نوبة كبيرا ، ثم أمسكه وحبسه فى إسكندرية ، ولم يكن مشهور السيرة .

٥٠٠ — الأمير آقبغا القديدى دوادار يشبك كان ، توفى يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال من هذه السنة ، ودفن صبيحة يوم الخميس فى تربته التى أنشأها بالصحراء قريبا من تربة السلطان الملك الظاهر ، وخلف موجودا كثيرا واستولى السلطان على غالبه ، وكان رجلا يدعى راضيا بعقله معتقدا لنفسه ، صاحب خبث ومكر ، ولم يشتهر عنه خير ، وكان حريصا على جمع الأموال ، وحصل شيئا كثيرا فى أيام يشبك ، ثم أعطى إمرة عشرة ، وتولى الدوادارية الصغرى عند الملك الناصر إلى أن توفى فى التاريخ المذكور .

٥٠١ — الأمير شهاب الدين بن الطبلاوى ، قتل بسيف السلطان الملك الناصر ليلة الخميس السابع والعشرين من ذى القعدة كما قدمنا ، وكان سبب

(١) فى النجوم الزاهرة ٦/٣٠٠ « يشبك بن عبد الله الأفقم » .

قتله على يد القاضى تقى الدين بن أبى شاكر والصاحب تاج الدين بن الهيصم فإنه كان بينه وبينهما عداوة زائدة ، فعرّفوا السلطان عنه أنه اجتمع بخوند بنت صرق ، وأن حوائجه غالبها عندها ، فجهز السلطان طواشيا من الخدام يسمى « مقبل العجوز » فهجم على بنت صرق وأخذ حوائجها ، فوجد فيها طير ووحش كان السلطان أنعم عليه بهما ، فطلبهما السلطان وقتلهما ، ثم أمر السلطان بإحضارها ، فقطع رأسها ثم أخذها فى طبق ، وكان من ذكرها ما كان كما قدمنا ، ثم أمر بإحضاره هو أيضا وقطع رأسه كما قدمنا ، فأراح الله المسلمين منه ، وكان نجسا كبيرا ، قليل الدين ، ساعيا على وجه الأرض بالفساد ، ولا يتكلم بخير فى حق أحد عند السلطان ، فقابله الله تعالى بما فعل من الفساد .

٥٠٢ ــ الأمير الشريف علاء الدين ، توفى فى هذه السنة ، وكان قد تولى الوزارة فى القاهرة وشد الدواوين مرارا كثيرة ، ثم تولى الحجوبية الصغيرة ، ومات وهو حاجب .

٥٠٣ ــ فيروز الطواشى الخاص ، كان عند أستاذه الملك الناصر ، توفى يوم الأربعاء تاسع رجب من هذه السنة ، ودفن فى يومه فى « حوش الطواشى » بالصحراء ، وخلف موجودا كبيرا وأملاكا كثيرة جعلها أوقافا ، وكان قد اشترى الدكاكين التى داخل باب زويلة عند الأنماطيين وأخرها من عند النحاسين إلى عند الأنماطيين وإلى عند « الأخفافيين » ، واستبدل أوقافا كثيرة ، وقصد أن يبنى هناك مدرسة وسبيلا وصهريجا ، وحصل آلات كثيرة من الأحجار وغيرها ، ومن الرخام الكثير والجبس والجير ، وشرع فيها باجتهاد عظيم وعزم شديد ، حتى بنوا له الصهريج ، فداركه[1] الأجل

(١) هكذا فى الأصل ويقصد بها « فأدركه » .

المحتوم ، واستولى عليها وعلى حواصله الملك الناصر فرج ، ثم إن السلطان أنعم بالمكان المذكور على الأمير الكبير تمرتاش أتابك العساكر المنصورة بالديار المصرية بعد أن حول غالب الحواصل التى فيها إلى القلعة ، وشرع الأمير تمرتاش وبنى فيها بعض حوانيت ، ورتب هيئة القيسارية ، ثم سافر صحبة السلطان إلى الشام :

٥٠٤ — أبو الفضل عبد الرحمن بن سيدى أحمد بن أبى الوفا ، الصوفى المالكى المتنسك العالم الربانى ، صاحب الشعر البديع ، والمعنى الرفيع ، توفى يوم التاسع من محرم فى هذه السنة غريقا فى بحر النيل ، وذلك أنه اجتمع مع قوم من ندمائه فى منظرة على البحر ، ثم اجتمع رأيهم على أن يركبوا البحر ويتوجهوا إلى آثار النبى — صلى الله عليه وسلم — بمصر ، فركبوا مع امتناع شديد من أبى الفضل المذكور ، فلما ركبوا وساروا شيئا يسيرا قلب الله المركب الذى هم فيه ، فجعل أعلاه أسفله ، فنجى من نجى ، وغرق سيدى أبو الفضل المذكور ، ولم يدروا ما كان حاله ولا هيئة موته ، ولا ظفروا بجثته ، مع شدة الكشف والتفحص عنه أياما عديدة ، فكأن الأرض بلعته ، وغرق معه ابن قاضى القضاة التنسى (١) وهو شاب يقاربه فى العمر وأخرجوه منتفخا ، وتولى أهله دفنه ، وكان المذكور تولى قضاء القضاة المالكية ، كل مرة يقعد أياما يسيرة مادون العشرين يوما بالقاهرة ، وغرم على ذلك جملة أموال ، وأما أبو الفضل المذكور فإنه كان رجلا ظريفا حسن الصورة والشكل ، رحمه الله :

---

(١) واسمه عبد الله بن التنسى .

٥٠٥ ــ خوند بنت صرق زوج السلطان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق ، كان طلقها وهجرها ، ثم وشى إليه الواشون عنها أنهـا اتصلت بشهاب الدين بن الطبلاوى ، وأن أثاثه وحوائجه عندها ، وأنه صنع سردابا يتوصل منه إلى بيتها ، ففحص السلطان عن ذلك وتحقق عنده فعلها ، فطلبها ففرحت بذلك ولبست أحسن ما عندها من الثياب ، ظنا منها أن السلطان رضى عنها وطلعت القلعة ، فلما وقفت بين يديه وجدته فى السكر فعاتبها وهددها ، ثم أراد ضربها بالسيف فهربت منه ، فأدركها فى بعض الدهاليز فسقطت ، وأمر بعض الخدام بقطع رأسها ، فقطع ووضع فى طبق ، وطلب شهاب الدين بن الطبلاوى فأحضر وهو مضروب ، فسأله السلطان عن أشياء ، ثم قال : « هاتوا ما عندكم من الوداعة للأمير شهاب الدين » ، فأحضر الطبق وفيه رأس خوند وكشف عنه (٨٧ أ) وقال : « تعرف هذه ؟ » فقال « العفو » ، فأمر السلطان بضرب عنقه فى الحال كما قدمنا ، وماتت المذكورة فى هذه السنة فى اليوم الذى قتل فيه ابن الطبلاوى .

* * *

فصـــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الخامسة عشرة بعد الثمــانمــائة

استهلت هذه السنة يوم الأربعاء[1] وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر فرج بن برقوق وهو مسافر إلى الشام كما ذكرنا ، والخليفة المعتصم بالله بن المتوكل على الله وليس له نائب فى الديار المصرية ، وأتابك العساكر بها الأمير تمرتاش المحمدى ، وأمير آخور كبير الأمير أرغون اليشبغاوى ، والدوادار الكبير الأمـــير طوغان الحسنى ، ورأس نوبة كبير الأمير بكتمر الناصرى الشهير بجلق ، ورأس نوبة كبير للمماليك ســـنقر الرومى ، وأمير ســـلاح كبير شاهين الأفرم ، والوزير سعد الدين البشيرى ، وناظر الخاص تقى الدين بن أبى شاكر ، وأستادار العالية الأمير منكلى . وقاضى القضاة الشافعية جلال الدين عبد الرحيم بن البـــلقينى ، وقاضى القضاة الحنفية ناصر الدين محمد بن عمر بن العديم ، وقاضى القضاة المـــالكية شمس الدين المدنى ، وقاضى القضاة الحنبلى مجد الدين سالم المقدسى ، وكاتب السر الشريف فتح الله العجمى ، وناظر الجيوش المنصورة بدر الدين بن نصر الله ، وأخوه تاج الدين ناظر الأحباس وناظر الكسوة ووكيل بيت المـــال ، وصاحب الشرطـــة

---

(١) يتفق هـــذا والتاريخ الوارد فى جداول السنين فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٠٨ وهو يعادل الثامن من برمودة ١١٢٩ ق ، والثالث من إبريل ١٤١٣ م .

بهاء الدين رسلان الحاجب ، والمحتسب بالقاهرة زين الدين بن الدميرى ، والمحتسب بمصر العتيقة زين الدين بن الهوى ، ونائب غزة الأمير سودون من عبد الرحمن ، ونائب صفد الأمير قرقماس المعروف بسيدى الكبير ، ونائب دمشق الأمير تغرى بردى اليشبغاوى ، ونائب حلب الأمير شيخ المحمودى ، ونائب طرابلس الأمير نوروز الحافظى ولكنه خارج عن الطاعة ، ونائب حماة الأمير تمراز من جهة تمرتاش ، وصاحب بلاد قرمان الأمير محمد بن الأمير علاء الدين بن قرمان ، وصاحب الروم واللاجات الأمير موسى جلبى بن الملك أبى يزيد بن الملك مراد بك بن أرخان بن عثمان ، وصاحب بغداد وتبريز قرا يوسف التركمانى ، وصاحب اليمن الملك الناصر أحمد بن الملك الأشرف ، وصاحب مكة الأمير حسن بن عجلان ، وصاحب المدينة الأمير ثابت بن نعير الحسنى :

* * *

وفى يوم السبت الرابع من محرم هذه السنة وصل فيروز الطواشى العرّامى و[هو] حينئذ أمير آخور صغير ، وأخبر أن السلطان بخير وعافية ، وأنه خرج من غزة وتوجه إلى طرابلس لما بلغه أن الأمير نوروز جمع جموعا هنالك ، وذكر أن السلطان قتل (١) جماعة من المماليك بغزة .

---

(١) كان الذى دعاه لقتل هذه الجماعة من غلمانه هو أنه حذر عسكره من الرحيل قبل النفير ، إلا أن طائفة منهم لم تستجب لأمره فأغضبه ذلك المسلك منهم غضبا حمله على قتلهم ، كما أنه قتل جماعة أخرى وهو لا يعقل شيئا من شدة السكر ، وقد نفرت منه هذه الفعلة كثيرا من القلوب ولذلك ضاق بها تغرى بردى ولم يكتمها عنه حين سأله النصيحة ، وكانت هذه النصيحة وتغرى بردى على فراش الموت واستقدم إليه أولاده — ومنهم مؤرخنا أبو المحاسن وكان طفلا صغيرا — وأوصاه بهم من بعده .

وفى يوم الاثنين التاسع عشر منه قدم رأس نوبة الأمير يلبغا الناصرى نائب الغيبة بالديار المصرية ومعه بريدى ، وكان يلبغا الناصرى نائب الغيبة قد أرسلهما لكشف أخبار الملك الناصر ، فلما وصلا إلى غزة سمعا الأخبار الردية ، ثم خرجا منها ووصلا إلى الرملة ثم رجعا إلى غزة ، ووصل معهما مطالعة حاجب غزة الذى هو نائب الغيبة بها أن السلطان لمـــا وصل إلى غزة وجد الجاليش قد أخذوا صوب الشام ، وهم : الأمير بكتمر الناصرى جاق ، وطوغان الحسنى الدوادار الكبير ، وشاهين الأفرم أمير سلاح كبير ، وأنهم عصوا على السلطان وتوجهوا إلى نوروز وشيخ ، وأنهم أخذوا معهم الأمير شاهين الخازندار الكبير ، وأن السلطان لمـــا سمع بذلك ساق مع العسكر ودخلوا دمشق فى ثانى المحرم ،

ثم بلغ السلطان أن الأمير شيخ والأمير نوروز على حمص ، فخرج من دمشق مسرعا مخفا إلى أن وصل إلى « قارا »[1] فبلغه أن الأمير شيخ ونوروز ومن معهما توجهوا إلى ناحية بعلبك ، وعاد السلطان بمن معه من قارا إلى ناحية بعلبك ،

---

(١) وردت فى مراصد الاطلاع ٣/١٠٥٦ باسم « قارة » وعرفها بأنها قرية كبيرة على الطريق الواصل بين حمص ودمشق ، وكان هذا الطريق مألوفا منذ القدم واستعمله الرحالة العرب ووصفه جغرافيوهم كما ورد ذلك فى كتاب المسالك والممالك طبعة (دى خويه) ص ٢١٨ وكتاب الخراج لقدامة (نفس الطبعة) ص ٢١٨ ، ويضاف إلى هذا أنه كان بقارا محطة حربية للجيوش ، وقد وصفها ياقوت فى معجم البلدان فذكر أن أهلها نصارى ، أنظر فى ذلك أيضا :

Gaudefroy - Demombynes : La Syrie à l'epoque des Mamlouks, p. 245; Le Strange: Palestine Under Moslems, p. 478; Dussaud: Topographie Historique de la Syrie, p. 282.

ولما وصل إليهم وجدهم قد توجهوا إلى « بقع » فأدركهم فيه فتوجهوا إلى « خان اللجون »(١) فساق خلفهم إلى أن أدركهم آخر النهار ، وهو ومن معه فى تعب عظيم ونصب جسيم ، وكذلك الخيول أيضا قد عيت من السوق والطرد .

* * *

ذكر انكسار السلطان على أرض اللجون وما جرى عليه بعد ذلك

لما كان الرابع من محرم هذه السنة كانت وقعة الناصر فرج بن الظاهر برقوق مع عساكر الشام ، وكبير هم الأمير شيخ والأمير نوروز ، ولما أدرك الناصر هؤلاء على أرض اللجون ـ كما ذكرنا ـ نهض الشاميون وحملوا عليه ، ونهض الناصر أيضا بمن معه وحمل عليهم ، واشتبك القتال بينهم من قبل العصر إلى بعد عشاء الآخرة ، وآخر الأمر انكسر الناصر وولى هاربا فى شرذمة يسيرة ولم يُعلم حاله ، وقتل ناس كثيرون وجُرح آخرون ، وقتل فى جملة من قتل الأمير مقبل الرومى والأمير ألطنبغا [شقل] ، وانضمت جلبان المماليك الناصر وأكثر المماليك الظاهرية إلى الأمير شيخ ونوروز .

ولما جاء الخبر بذلك حصل اضطراب كبير فى القاهرة ، خصوصا فى أهل قلعة الجبل ، وكان الأمير أسنبغا الزردكاش فى القلعة من جهة الناصر فلما سمع بذلك شرع فى تحصين القلعة وخزن القمح والشعير والبقسماط

---

(١) عرف مراصد الاطلاع ٣/ ١٢٠٠ اللجون بأنه بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا وفيه صخرة مدورة فى وسط المدينة وعليها قبة زعموا أنها مسجد سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وكان بالبلد خان عرف به ، وذكر النعيمى فى الدارس فى تاريخ المدارس ٢/ ٢٣٣ أن أحد أثرياء تجار دمشق واسمه أمين الدين بن البصرى المتوفى سنة ٧٣١ قد عمره .

والمـاء الحلو من البحر فى المجراة وعلى ظهور الجمال ، وقُتل الأمير قنباى قريب الأمير بيبرس أتابك العساكر وكان محبوسا فى برج القلعـة ، وكان قتله إياه فى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من المحرم ، وسبب قتله لقنباى قيل إن الملك الناصر كان أوصاه أنه إذا جاءه خبر ردئ من جهته يقتله ، وقيل جاءه مرسوم بقتله ، والله أعلم :

* * *

ثم إن الملك الناصر لمـا هرب فى تلك الليلة جاء إلى زوق من أزواق التركمان ومعه ثلاثة أنفس ونزل عندهم فعرفوه ـ وكان فرسه قد تعب ـ فأركبوه حجيرة ، وأرسلوا معه مقدار مائتى نفس إلى الشام [حتى][1] أوصلوه إليها ، وكان قد وعد التركمان بمال وإقطاع ، فلما دخل إلى دمشق أحسن إليهم وتحصن بالقلعة ، وجاء إليه دمرداش بعد يوم ، وكذلك حضر إليه الأمير أرغون أمير آخور كبير ، والأمير سنقر رأس نوبة كبير ، وكذلك كمشبغا الجمالى والوزير سعد الدين البشيرى ، واجتمع عنده خلق كثير من المماليك والتراكمين والعوام ، وذكر أن الناصر أراد أن يتوجه إلى حلب ويتحصن بهـا ويجمع هناك جموعا فلم يمكنه من ذلك الأمير دمرداش أتابك العساكر لأمر قدّره الله تعالى :

وفى يوم الخميس سلخ محرم ـ وقيـل مستهل صفر ـ حضر الأمـير قجاس القرمى إلى القاهرة فى عشرين سرجا من عند الأمير شيخ ونوروز ، وصحبته عدة مطالعات وكتب من الخليفة ومن الأميرين الكبيرين بصورة ما جرى على الناصر ، وأنهم اتفقوا على كلمة واحدة وخلعوا الناصر من السلطنة لعدم صـلاحيته وكثرة فساده وظلمه وقتـله للمسلمين ، وكان الأمير أسنبغا الزردكاش أراد أن يبعث إليهم من يمسكهم ويقيدهم إلى أن

(١) فى الأصل « فلما » وقد أثبتنا بدلها ما بالمتن ليستقيم المعنى .

بمجيء الخبر الشافي من الشام ، فما طاوعه الأمير يلبغا الناصري نائب الغيبة على ذلك ، بل أرسل أناسا من جهته فاستقبلوهم ودخلوا بهم القاهرة من وسط المدينة (٨٧ ب) وأنزلوهم في بيت الأمير تمراز .

* * *

ذكر ما جرى في دمشق بعد دخولها الملك الناصر

لمـــا دخل الناصر دمشق — على ما ذكرنا — وجمع خلقا من الفرسان والمشاة وحصّن القلعة وجهز المكاحل والمدافع كان الذي تولى ذلك حسام الدين الأحول الذي كان والي القاهرة ، وتحصّن الزردكاش ، وفي أثناء ذلك وصل الأمير شيخ ونوروز بمن معهما إلى دمشق وأحاطوا جوانب دمشق محاصرين ثم شرعوا في القتال ، وكان الناصر كل يوم يرسل شرذمة من عسكره يقاتلون مع(١) عسكر الأمير شيخ والأمير نوروز ، فأقام القتال أياما عـــديدة .

ولمـــا رأى دمرداش [المحمدي] أن أمور الناصر قد أخذت في التلاشي والضعف اخترع(٢) حيلة لنجاة نفسه وقال للناصر : « روح واجمع تراكمين وعساكر ، وأيضا أخي واصل إلى مولانا السلطان » ، واستمال خاطر السلطان فمـــال إلى ذلك وأعطى له جمـــلة مقدار مائتي نفر ، فلما رأت المشاة — الذين كان الناصر استخدمهم — أن دمرداش قد راح تفرقوا كلهم أيدي سبا ، وقالوا : « إذا كان دمرداش هرب ونحن نقـــاتل لمن ؟ » ، والناصر في ضعف وتلاشي حاله ، فلما تحقق الناصر ذلك وأن سعده قد خمل وناصره

(١) يقصد بذلك أنهم يقاتلون ضد عسكر شيخ .

(٢) الواقع أنه كان قد نصح السلطان بعد هزيمة شيخ ونوروز حين نهاه عن متابعة المنهزمين يوم ١٣ محرم .

قل وضعف ، ودولته زالت قال لمماليكه الذين حوله : « اذهبوا لعمل مصلحة أنفسكم ! » ، فعند ذلك تفرق من كان حوله ، وبقى الناصر فى القلعة ومعه نفر يسير ؛

وفى يوم الخميس الثامن من صفر من هذه السنة وقعت بطاقة تتضمن قدوم الأمير كزل العجمى الأجرود ؛

وفى يوم الجمعة التاسع منه قدم الأمير كزل المذكور وشق البلد من باب النصر ومعه كتب تتضمن أن العساكر المصرية والشامية اتفقوا على كلمة واحدة ، وأنهم خلعوا السلطان الناصر من السلطنة وأثبتوا محاضر بفسقه ، وبكلمات كفر صدرت منه ، وحكم بذلك القضاة ، وأنهم قلدوا الخليفة المعتصم بالله العباسى بن المتوكل على الله محمد أمور السلطنة وبايعوه على ذلك ، ونادوا فى البلاد الشامية بذلك ، وأنه ليس للمسلمين سلطان إلا الخليفة ، وأنه أبطل المكوس والمظالم والرشا والرمايات ، وأن الخطباء يخطبون على المنابر بالدعاء له وباسمه ؛

* * *

ذكر نزول السلطان الملك الناصر
من قلعة الشام وقتله وما جرى عليه

تقدم أن دمرداش لما قرر مع الناصر أنه يتوجه إلى حلب لجمع العساكر حتى يجئ بنفسه وهرب وتفرق عسكر السلطان من حوله أرسل السلطان الأمير سنقر والأمير أرغون إلى الأمير شيخ وطلب منه الأمان فأجابه إلى ذلك ، وأرسل إليه الأمير طوغان ومعه قيد وقال للناصر : « ضع هذا

فى رجليك ، برز مرسوم الخليفة بتقييدك » ، فعنـــد ذلك حصل للناصر قهر شديد وغضب مزيد ، وغبن عظيم ، وخطب جسيم وقال : « لا سمع ولا طاعة ، ولا أنزل » ، وأمر لبقية المماليك الذين معه أن يرموا ، فلم يزالوا يرمون ذلك اليوم رميا لا تحصل منه نتيجة ، فلما رأى الناصر أن الأمر قد خرج منه وانحل إلى الغاية أرسل إلى الأمير شيخ ثانيا وسأله أن ينزل عنده — وكان يأمن إليه دون نوروز — فأجابه إلى ذلك .

ولمــا كانت ليلة الثالث عشر من صفر نزل من قلعة دمشق بعد عشاء الآخرة — وهو حامل ولده — إلى دار السعادة ، فاستقبله الأمير شيخ وتعانقا وتباكيا ، ومن العجيب أن الناصر رحل من الريدانية يوم الثالث عشر من ذى الحجة ، وانكسر عند اللجون يوم الثالث عشر من المحرم ، ومُسك ليلة الثالث عشر من صفر ، فأقام عنــدهم الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر .

ولمــا كانت ليلة السابع عشر — ليلة السبت — قضى الله أمره فيه ، وبقى مقتولا مرميا على حصير ، وعليه لبد عتيق ملون ، والناس ينظرون إليه .

* * *

وكيفية قتله :

اختلف فيها على أقوال ، فمن قائل إنهم جهزوا إليه فداوية وأرادوا قتله ، فضربهم مرارا ، فاجتمعوا عليه وخنقوه فمــات ، فأخرجوه وألقوه فى الطريق .

ومن قائل إن الفداوى لما دخل إليه غيب عقله ثم مسك محاشمه فقضى نحبه[١]، وأخبروا أن أهل الشام دفنوه في حوش في مرج الدحداح[٢] بالعقيبة .

* * *

وفى يوم السبت الثانى والعشرين من صفر قدم خسرو الخاصكى ومعه جماعة كثيرة من المماليك ، ومعه كتب تتضمن أنهم مسكوا الناصر وأنزلوه من قلعة دمشق ، فقرئت الكتب عند يلبغا الناصرى نائب الغيبة وعند الأمير ألطنبغا العثمانى النازل فى باب السلسلة ، ثم نادوا بالقاهرة : « لا ظلم اليوم ولا رماية ، وللناس الأمان على أنفسهم وأموالهم » ، وكانت معه نسخ الكتاب من الخليفة فقرئت على المنابر فى الجوامع كجامع الأزهر وجامع الحاكم وجامع عمرو بن العاص .

وأما أسنبغا[٣] الزردكاش فإنه عصى ولم يمتثل المراسيم المحضرة من عند الخليفة ، وأراد أن يظهر الفتنة ، فأرسل إليه يلبغا الناصرى فخمده ، حتى خمدت الفتنة .

وفى يوم الاثنين التاسع من ربيع الأول حضر إياس الظاهرى الخاصكى ومعه بعض جماعة ، وأخبر بقتل الناصر وأن الأمير شيخ ونوروز قد أرسلا إلى سائر القلاع يخبران بموته .

---

(١) أشارت النجوم الزاهرة ٦ / ٢٦٨ — ٢٦٩ إلى قصة قتله فذكرت أنه كان محبوسا ببرج القاعة بدمشق فدخل عليه ثلاثة أحدهم ناصر الدين محمد بن مبارك شاه الطازى أخو الخليفة المستعين بالله لأمه — وكانوا قد نصبوا الخليفة سلطانا رغم إرادته — والإثنان الآخران أحدهما من ناحية شيخ المحمودى والثانى من جهة نوروز ، وهجم الثلاثة على الناصر فرج ثم « مشوا عليه وبأيديهم السكاكين ولا زالوا يضربونه وهو يعاركهم بيديه » ثم تمكنوا من جرحه فى خمسة مواضع من بدنه ، ثم تقدم إليه بعض المشاعلية فخنقه ومزق أوداجه بخنجر كان معه وسلبه ما عليه من الثياب ، ثم سحبه من رجليه وألقى به على مزبلة مرتفعة من الأرض » .

(٢) فراغ فى الأصل ، وقد أثبت اسم المكان بعد مراجعة النجوم الزاهرة ٦ / ٢٦٩ .

(٣) انظر الضوء اللامع ٢ / ٩٨٥ .

وفى يوم الخميس التاسع عشر منه وصل الخبر من دمشق بأن وقع الاتفاق بين الأمير شيخ والأمير نوروز على أن يكون نوروز نائب الشام من غزة إلى أبواب الروم، وأن يكون الأمير شيخ أميرا كبيرا بالديار المصرية ، وأن يكون الأمير يشبك بن أزدمر نائب حلب ، والأمير سودون الجلب نائب طرابلس . والله أعلم .

* * *

ذكر دخول الأمير شيخ القاهرة صحبة الخليفة وما جرى بعد ذلك من الأمور

لما كان يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول حضر بريدى ، وأخبر أنه فارق العسكر القادمين إلى مصر من غزة، وأنهم – أول ربيع الآخر – يدخلون القاهرة ، وأن الخليفة ولى الأمير شرباش – المعروف باللكاش – نيابة غزة .

وفى يوم الثلاثاء الثانى من ربيع الآخر قدم الأمير الكبير شيخ وصحبته الخليفة المعتصم بالله الذى تسلطن عوضا عن الناصر (٨٨ أ) وصحبتهما عساكر مصرية وشامية ، ودخلوا القاهرة فى أبهة عظيمة ، وكان لهم يوم[١] مشهود ، وكان دخولهم من باب النصر ، وفرشت لهم الشقق الحرير تحت سنابك خيول الخليفة والأمير شيخ من التبانة إلى باب السلسلة ، وطلع الخليفة إلى القصر ، ونزل الأمير شيخ إلى باب السلسلة .

وفى يوم الخميس الرابع منه مُسك الأمير أسنبغا الزردكاش صهر الناصر، وعُقد له مجلس بالقضاة بسبب قتله الأمير قنباى [بن قانقز[٢]] قريب الأمير

(١) فى الأصل « يوما مشهودا » .

(٢) الإضافة من ترجمته فى الضوء اللامع ٦/٦٦٥ .

بيبرس الأتابكى ، ومُسك معه أيضا الأمير حطّط[(١)] البكلمشى أمير عشرة ، وتغرى بردى مملوك بكلمش[(٢)] ، وكانا من الخواص عند الناصر :

وفيه خلع على زين الدين حاجى[(٣)] شيخ تربة الناصر واستقر على عادته :

وفى يوم السبت السادس منه مُسك الأمير أرغون أمير آخور كبير كان للناصر والأمير سنقر رأس نوبة كبير ، والأمير سودون[(٤)] الأسندمرى ، والأمير كمشبغا المزوق ، وسُفّروا إلى دمياط ، وكان سودون هذا وكمشبغا محبوسين فى إسكندرية ، وكانا قدما منها يوم الاثنين الثانى من ربيع الأول ، وكان قد قدم[(٥)] معهما أيضا الأمير إينال[(٦)] الصصلائى ، والأمير جانبك الصوفى[(٧)]

(١) الضبط من الضوء اللامع ٣/٦١٩ .

(٢) ولذلك يعرف بتغرى بردى الرومى البكلمشى كما كان يعرف – لأذاه – بالمؤذى ، وقد تقلب فى كثير من وظائف الدولة حتى صار دوادارا كبيرا « ونالته السعادة » على حد قول أحد المؤرخين ، وأنشأ مدرسة فى طرف سوق الأساكفة أوقف عليها أوقافا كثيرة اغتصب معظمها ظلما وذلك سنة ٨٤٤ هـ ، وقد مات ٨٤٦ ، أنظر الضوء اللامع ٣/١٣٣ ، والمنهل الصافى Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No.755.

(٣) هو حاجى بن عبد الله الزين الرومى و يعرف بحاجى فقيه شيخ التربة الظاهرية التى هى خارج القاهرة ، وقد وصفه الضوء اللامع ٣/٣٤١ وابن حجر : الإنبا فى وفيات سنة ٨١٨ بقلة العلم ، إلا أن صلته بالترك رفعت منزلته ، ولم يشر النجوم الزاهرة ٦/٤٥٠ إلى شىء من هذا فى ترجمته إياه .

(٤) كان قتله فى شعبان ٨٢١ فى وقعة التركمان فى صافيتا ، أنظر الضوء اللامع ٣/١٠٥١ ، والمنهل الصافى ، و Wiet: op. cit. No. 1132 والضبط منه .

(٥) فى الأصل « قدما » .

(٦) كان إينال الصصلائى قد ولى حلب عن المؤيد ثم عصى عليه فقتله فى شعبان ٨١٨ بقلعتها ، ولم يكن يميل الى الشر ، أنظر عنه الضوء اللامع ٢/١٠٧٩ ، والنجوم الزاهرة ٦/٤٤٩ .

(٧) ستحفل صفحات هذا الجزء والتالى له بالإشارات المتعددة إلى جانبك الصوفى الذى كان موته سنة ٨٤١ هـ .

المقدم ، والأمير تاج الدين بن الهيصم أستادار العالية ، وكان الناصر حبسهم قبل سفره على ما ذكرنا ، ولما جاء خسرو إلى القاهرة فى التاريخ الذى ذكرناه كان معه مرسوم بإطلاقهم من الحبس ، فتوجه إليهم إلى إسكندرية وقدم بهم فى اليوم المذكور .

وفى يوم السبت السادس منه خُلع على غرس الدين خليل الدشارى واستقر فى نيابة إسكندرية عوضا عن الأمير قطلوبغا الخليلى (١) بحكم وفاته .

وفى يوم الاثنين الثامن من ربيع الآخر طلع الأمراء القصر عند الخليفة بالله المعتصم ، فخلع على الأمير شيخ المحمودى خلعة عظيمة بطراز عظيم ، قيل إن طرازها خمسمائة دينار ، واستقر أميرا كبيرا بالديار المصرية حاكما فى جميع الأمور بإشهاد الخليفة على نفسه ، وأنه يتولى جميع الأحكام من غير مشاور ، ولا يعمل أمر إلا بعد مراجعته فيه ، وخلع على الأمير طوغان ، واستقر على عادته داودارا كبيرا ، وخلع على الأمير شاهين الأفرم (٢) واستقر

---

(١) كان من مماليك جركس الخليلى ومن ثم فقد نسب إليه ، وتختلف رواية كل من النجوم الزاهرة ٦/٣٧٤ والضوء اللامع ٦/٧٤٥ عن الأخرى فى سنة موته وفيمن خلفه فى نيابة الإسكندرية ، فبينما الأولى — كما هو وارد فى المتن أعلاه — تجعل وفاته سنة ٨١٥ ، إذا بالثانية تدرجه فيمن مات سنة ٨٢١ ، يضاف إلى هذا أن الأولى تجعل الدشارى خليفته فى نيابة سكندرية على حين أن الضوء يجعل ناصر الدين محمد بن العطار الدمشقى هو الذى يخلفه نقلا من دوادارية نائب الشام ، وقد سماه السخاوى حين ترجم له فى الضوء اللامع ٣/٧٧٥ بخليل الوزيرى المعروف « بالشجارى » وذكر أنه انفصل عن نيابة إسكندرية فى سنة ٨١٦ « أو بعدها » وذلك بالبدر حسن بن محب الدين الطرابلسى ، مما يخالف ما هو وارد بالمتن من حيث الوفاة والتولية وهو يخالف ما ذكره السخاوى نفسه قبل أسطر قلائل من تولية ناصر الدين ، هذا ويؤكد السخاوى هذا التاريخ فى ترجمة الحسن الطرابلسى فى الضوء اللامع ٣/٤١٠ حيث يشير إلى أنه عزل بالفخر عبد الغنى بن الفرج فى سنة ٨١٦ « وتولى نيابة إسكندرية عوضا عن خليل التوريزى » .

(٢) ويعرف بشاهين كتك بفتح الكاف الأولى وضم التاء .

أمير سلاح على عادته ، وخلع على الأمير يلبغا الناصرى حاجب الحجاب ونائب الغيبة كان، واستقر أمير مجلس، وخلع على الأمير إينال الصصلانى واستقر حاجب الحجاب عوضا عن يلبغا الناصرى(١)، وخلع على الأمير سودون(٢) الأشقر واستقر رأس نوبة النواب عوضا عن الأمير سنقر الرومى ، وكان الناصر ــ لما هرب منه الأمير طوغان من غزة كما ذكرنا ــ ولى الأمير سنقر داودارا كبيرا عوضا عنه ، وولى سودون الأشقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن سنقر .

وفيه خُلع أيضا على الأمير ألطنبغا العثمانى(٣) واستقر فى نيابة غزة عوضا عن الأمير شرباش اللكاش بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء الثانى(٤) من ربيع الآخر عرض الأمير شيخ المماليك السلطانية وغيرهم ، وفرق الإقطاعات بحسب الحال ، وأمّر جماعة كثيرة منهم طبلخانات وعشرات ، وخلع على الأمير جقمق داودار الأمير شيخ واستقر أيضا داودارا للخليفة ، ورسم بمنع طلوع الناس إلى الخليفة من الخواص والعوام ، ورتبوا له ما يكفيه ولحاشيته .

وفى يوم الخميس الحادى عشر من ربيع الآخر خلع على الأمير سودون الأشقر ــ رأس نوبة الكبير ــ واستقر ناظرا على مدرسة شيخو وصرغتمش ،

---

(١) أنظر عنه الضوء اللامع ١١٣٩/١٠ .

(٢) انظر الضوء اللامع ١٠٦٩/٣ .

(٣) انظر الضوء اللامع ١٠٣٣/٢ .

(٤) فى الأصل «الثالث» ، ويلاحظ أن المؤلف يخطىء فى موافقة الأيام لأرقامها فى هذا الشهر، لكن الوارد فى التوفيقات الإلهامية أن أول ربيع الثانى سنة ٨١٥ كان يوم الاثنين ، وعلى هذا فلا حجة لما يورده ، ص ٣١٥ س ١١ من أن السبت هو ١٩ منه ولذلك صححناها هناك إلى «العشرين» .

وخلع على الأمير قنباى[(١)] المحمدى والأمير سودون من عبد الرحمن من غير وظيفة تطييبا لقلوبهما ، وخلع على صدر الدين بن قاضى القضاة جمال الدين محمود العجمى ، وخلع على صدر الدين أحمد بن العجمى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن زين الدين [محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك] ابن الدميرى[(٢)] بحكم عزله ، وخلع على القاضى تقى الدين بن أبى شاكر على عادته ، وكذلك على سعد الدين [القبطى] البشيرى[(٣)] الوزير ، وعلى القاضى بدر الدين حسن بن نصر الله[(٤)] ناظر الجيش ، وفتح الله العجمى كاتب السر الشريف .

وفى يوم السبت الثالث عشر من ربيع الآخر مسك بهاء الدين الوالى ، وخلع على الأمير تاج الدين واستقر والى القاهرة عوضا عنه .

وفى يوم السبت العشرين[(٥)] من ربيع الآخرة خلع على القضاة الأربعة المتقدم ذكرهم خلعة الاستمرار ، وخلع على بدر الدين بن المحب أستادار الأمير شيخ واستقر أستادار العالية .

وفى يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الآخرة خلع على الشيخ شرف الدين بن التبانى[(٦)] واستقر ناظر الكسوة الشريفة ووكيل بيت المال على عادته القديمة عوضا عن تاج[(٧)] الدين بن نصر الله ، وخلع على شهاب الدين الصعيدى واستقر ناظر الأحباس المبرورة عوضا عن تاج الدين المذكور .

(١) الضوء اللامع ٦/٦٦٦ حيث سماه بقانباى الصغير .

(٢) الضوء اللامع ٩|٦٨ .

(٣) الضوء اللامع ج ١ ص ٣٣ وذكر أنه كان جيد الإسلام وقد جدد الجامع بالقرب من سكنه ببركة الرطلى .

(٤) الضوء اللامع ٣/٥٠٥ .

(٥) راجع ماسبق ، ص ٣١٤ حاشية رقم ٤ .

(٦) الضوء اللامع ١٠/١١٠٩ .

(٧) الضوء اللامع ٥/٤٠٩ .

وفى يوم الأربعاء مستهل جمادى الأولى كسر الخليج بعد وفاء النيل، ونزل إليه الأمير يلبغا الناصرى والأمير شاهين الأفرم والأمير طوغان الحسنى، وكان ذلك اليوم موافقا السابع عشر من مسرى [1].

وفى يوم الجمعة الرابع [2] والعشرين من جمادى الأولى آخر النهار خلع على القاضى صدر الدين بن الأدمى الشامى [3]، واستقر قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن القاضى ناصر الدين بن العديم، واستقر فى مشيخة شيخو عوضا عن القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن الطرابلسى [4] بحكم عزله.

وفى ذلك اليوم سافر الأمير جقمق داودار الأمير شيخ ـ الذى استقر داودار الخليفة ـ إلى دمشق لمصالح أستاذه.

* * *

(١) إذا أخذنا بما جاء فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٠٨ فإن أول جمادى الأول كان يوم الثلاثاء (وهو يعادل ١٦ مسرى ١١٢٨ و ٩ أغسطس ١٤١٢) والاختلاف بين النزهة والتوفيقات هين، كذلك نصت التوفيقات شرحه وتقويم النيل ١ / ٣٠٥ على أن الوفاء حصل يوم ١٧ مسرى، هذا ويلاحظ أن نهاية فيضان النيل بمقياس الروضة فى هذه السنة كانت ١٨ ذراعا و١٨ قيراطا.

(٢) فى الأصل الثالث والعشرين، لكن إذا اعتبرنا أوله الأربعاء كما أشار المؤلف هنا، س ١ كان لا بد من تعديل التاريخ إلى ما أثبتناه بالمتن، أما إذا أخذنا بما جاء فى التوفيقات الإلهامية (انظر الحاشية السابقة) كان الجمعة ٢٥ منه.

(٣) الضوء اللامع ٥/٢٥.

(٤) انظر الضوء اللامع ٥/٣٩٣.

ذكر
سلطنة الأمير شيخ
أيده الله

لما كان يوم الاثنين مستهل شعبان من هذه السنة — أعنى السنة الخامسة عشر بعد الثمانمائة — عُقد (٨٨ ب) للأمير الكبير شيخ بالسلطنة بحضور القضاة الأربعة وأعيان الدولة وعسكرها فى باب السلسلة ، ولقبوه « بالملك المؤيد » ، وكنوه « بأبى النصر » ، وأركبوه فرسا بقماش خليفتى على العادة ، وطلع إلى القصر (١) ، وأخرجوا الخليفة المعتصم بالله من دور السلطنة محتفظا به فى ستة نفر فى دار خارج باب الستارة ؛

* * *

وفى يوم السادس من شعبان خلع على الأمير طرباى (٢) أمير طبلخاناه وسُفر على البريد إلى الشام بالخلعة للأمير نوروز النائب بها ؛

وفى يوم الاثنين الثامن من شعبان عملت خدمة الإيوان ، فخلع على الأمير يلبغا الناصرى واستقر أتابك العساكر المنصورة بالديار المصرية ، وكذلك على الأمير طوغان واستقر على داوداريته على عادته ، وعلى الأمير شاهين الأفرم واستقر أمير سلاح على عادته ، وعلى الأمير قنباى المحمدى

(١) أوردت النجوم الزاهرة ٦/٣٢٣ وصف عقد السلطنة لشيخ المحمودى فقالت : تقدم قاضى القضاة جلال الدين البلقينى وبايعه بالسلطنة ، ثم قام الأمير شيخ من مجلسه ودخل مبيت الحراقة بباب السلسلة وخرج وعليه خلعة السلطنة السوداء الخليفتية على العادة وركب فرس النوبة بشعار السلطنة والأمراء وأرباب الدولة مشاة بين يديه ، والقبة والطير على رأسه حتى طلع إلى القلعة ونزل ودخل إلى القصر السلطانى وجلس على تخت الملك ، وقبلت الأمراء الأرض بين يديه ودقت البشائر ، ونودى بالقاهرة ومصر باسمه وسلطنته .

(٢) انظر الضوء اللامع ٤/١٩ .

واستقر أميرآخور كبيرا ، وعلى الأمير سودون الأشقر واستقر رأس نوبة كبيرا على عادته ، وعلى سائر أرباب الوظائف نحو كاتب السر الشريف فتح الله العجمى وناظر الجيش بدر الدين حسن بن نصر الله ، والوزير سعد الدين بن البشيرى ، وناظر الخاص تقى الدين بن أبى شاكر ، وخلع أيضا على القضاة الأربعة يوم الخميس الحادى عشر من شعبان وهم : القاضى جلال الدين عبدالرحيم بن البلقينى الشافعى ، والقاضى صدر الدين بن الأدمى الحنفى ، والقاضى شمس الدين المـــالكى الأموى ، والقاضى مجد الدين الحنبلى ، وخلع على شمس الدين محمد بن التبانى واســـتقر قاضى العسكر عوضا عن جمال الدين عبد الله العطائى .

* * *

وفى أوائل رمضان من هذه السنة قدم الأمير طرباى (١) من الشام ، وأخبر أن الأمير نوروز النائب بها أظهر العصيان والفجور ولم يقبل الخلعة وكاد أن يمسك المملوك (٢) ، ومسك الأمير جقمق الداودار ، وأخذ جميع ما معه وحبسه بقلعة دمشق .

وفى يوم السابع عشر من رمضان سُفر (٣) الشيخ شرف الدين بن التبانى [الحنفى] إلى الشام لأجل المصالحة بين مولانا المقام الشريف المؤيد وبين الأمير نوروز الحافظى نائب الشام وإزالة مافى خواطرهما من الوحشة ، فإنه خبير بالكلام فى ذلك ، ومثله فى هذه الرسالة قليل .

وفى يوم الخميس التاسع من شوال مُسك القاضى فتح الله العجمى كاتب السر الشريف وعُوق فى القلعة ، ووقعت (٤) الحوطة على موجوده ودوره ،

(١) راجع ماسبق ص ٣١٧ وحاشية رقم ١ . (٢) يعنى طرباى بذلك نفسه .

(٣) ترددت نسخ النجوم الزاهرة التى اعتمد عليها وليم بوبر فى نشر النجوم الزاهرة بين يومى ١٧ ، ٢٧ ، انظر فى ذلك Ibn Taghri Birdi : An - Nujum az - Zahira, Vol VI, p. 325, l. 5 note "e".

(٤) فى الأصل « ووقعه » .

ومسكوا حواشيه وألزامه ، وقيل إنه ضُرب في ليلة اليوم الذى مسك فيه ، وطلب منه مبلغ أربعين[(١)] ألف دينار ، ثم سُلم إلى الأمير الأستادار ، ثم سلم إلى القاضى تقى الدين بن أبى شاكر وأنزل عنده ، ورسم له أن يبيع موجوده لأجل المـــال الذى طلب منه ؛

وفى يوم الاثنين الثالث عشر منه خُلع على القاضى ناصر الدين محمد ابن البارزى[(٢)] الشافعى الحموى الجهينى الأصل ، واستقر كاتب السر الشريف عوضا عن القاضى فتح الله العجمى بحكم عزله ومسكه ؛

وفى يوم الاثنين الرابع[(٣)] من ذى الحجة خُلع على الأمير قرقماس المعروف بسيدى[(٤)] الكبير واســـتقر فى نيابة الشام عوضا عن الأمير نوروز الحافظى بحكم عصيانه ، وخُلع أيضا على الشيخ شرف الدين التبانى واستقر فى مشيخة خانقاه شيخو عوضا عن ناصر الدين بن العـــديم بحكم عزله ، وكان الشيخ شرف الدين قد قدم من دمشق قبل ذلك بعشرة أيام ، وكان[(٥)] قد سافر لأجل إصلاح الأمير نوروز ، فلم يحصل من سفره فائدة ؛

وفى يوم الخميس الثامن والعشرين من ذى الحجة مُنع صـــدر الدين ابن العجمى عن التحدث فى الحسبة وعُوق فى بيت الأمير جانبك الداودار الثانى لأجل تناوله أشياء من الناس على ما قيل ؛

وفى يوم الجمعة التاسع والعشرين منه خُلع على محمد بن شعبان[(٦)] واستقر فى حسبة القاهرة ، عوضا عن صدر الدين بحكم عزله .

* * *

وأما مايتعلق بالأسعار فى هذه السنة ، ففى[(٧)] محرم هذه السنة تحسن ســـعر الذهب جدا ، فعومل المشخص الأفلورى بمائتين وأربعين درهما ، وعومل

(١) فى النجوم الزاهرة « خمسون ألف دينار » .
(٢) انظر الضوء اللامع ٩/٣٥٠ .
(٣) فى الأصل الثالث .
(٤) الضوء اللامع ٦/٧٢٨ .
(٥) راجع ص ٣١٨ س ١٤–١٧ .
(٦) انظر عنه الضوء اللامع ٧/٦٧٥ .
(٧) فى الأصل « فان » .

الناصرى بمائتين وعشرين درهما ؛ والهرجة بمائتين وخمسين درهما ؛ وتحسن سعر القماش جدا . فأبيع الرطل من الكتان بمبلغ عشرين درهما ، والرطل من العسل المصرى بمبلغ ستة عشر درهما ، والرطل من الشمع الأبيض بمبلغ أربعين درهما ؛ والرطل من الدبس بمبلغ تسعة دراهم ، ووصلت تطبيقة البغال الجدد إلى ستين درهما ؛ فهذه أسعار لم تُعهد قبل ذلك :

وفى شهر ربيع الأول نزل سعر الذهب الدينار الهرجة إلى مائتين وثلاثين ، والمشخص الأفرنتى إلى مائتين ؛ والناصرى إلى مائة وثمانين :

وفى هذه السنة حج بالناس الأمير يلبغا المظفرى أحد المقدمين الألوف بالديار المصرية :

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٥٠٦ — الأمير تغرى[1] بردى اليشبغاوى ، توفى فى أوائل[2] المحرم من هذه السنة . وأقام ضعيفا مدة ، وكان نائبا بدمشق ، مشكور السيرة والسريرة ، فحكم بين أهل الشام فى مدة ولايته بالعدل والإنصاف على منهاج الحق والصواب ؛ وقد شكرته العامة والخاصة على ذلك ، وكان رجلا عارفا حازما محبا للعلم والعلماء ؛ وكانت له مشاركة فى بعض المسائل الفقهية وغيرها ، وكان عنده تواضع لأهل العلم والصلاح ، ولم يدرس اسمه فإنه خلف ولدا[3] صالحا فاضلا عالما أستاذا[4] فى التاريخ وعلوم شتى غيره مثل علم

(١) راجع ترجمة ابنه له فى كل من المنهل الصافى والنجوم الزاهرة ٦/٤٣٢ — ٤٣٥ ، ومورد اللطافة ، ص ١٠٤ ، وانظر الضوء اللامع ٣/٢١٣٢ ، Wiet : op. cit. No. 751

(٢) أشار ابنه أبو المحاسن إلى وفاته فى أكثر من موضع وجعلها يوم الخميس السادس عشر من المحرم سنة ٨١٥ .

(٣) يقصد بذلك أبا المحاسن صاحب النجوم الزاهرة والمنهل الصافى ومورد اللطافة وغير ذلك من كتب التاريخ .

(٤) راجع مناقشتنا لآراء الصيرفى فى مقدمة تحقيقنا لكتابه « إنباء الهصر بأنباء العصر » .

الرمح والنشاب والموسيقى ، وله المصنفات الفائقة ، والإرادات الرائقة ، المشار إليه الآن فى التاريخ والعمدة فيـــه ، أخذ ذلك عن الشيخ تقى الدين المقريزى وغيره من المشايخ كالبـــدرى العينتابى والحافظ ابن حجر ، وهو (١) أعز مخاديمى وأجل مشايخى فى هذا الفن المخصوص ، وكان والده رحمه الله من الأمراء الأكابر من أيام الملك الظاهر ، تولى فى أيامه رأس نوبة كبيرا ، ثم تولى نيابة حلب ، ثم حضر إلى القاهرة وتولى أمير مجلس وأمير سلاح ، إلى أن تولى أتابك العساكر بالديار المصرية ، ثم تولى نيابة الشام ثلاث مرات فى التاريخ الذى ذكرناه ، ولم يزل معززا مكرما إلى أن جاءه الأجل فقضى نحبه ولحق بربه ، رحمة الله تعالى عليه :

٥٠٧ — الأمير مقبل الرومى ، أحد المقدمين الألوف بالديار المصرية ، قُتل [فى] (٢) وقعة الملك الناصر على ما قدمنا ذكره مفصلا .

٥٠٨ — الأمير أق بلاط أحد المقدمين ، قُتل بسيف الشريعة المطهرة ، قال شيخنا ومولانا قاضى القضاة بدر الدين العينى رحمه الله : « كان من المفسدين الكبار فى أيام الناصر (٣) ، وهو الذى قدمه ، وكان قبل ذلك لا يُلْتَفَت إليـــه » :

---

(١) كلمة « هو » هنا عائدة على أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى نفسه ، هذا ويلاحظ أن وصف الصيرفى لأبى المحاسن « بأجل مشايخه » يخالف ما وصفه به فى كتابه « إنباء الهصر فى أنباء العصر » إذ يقول عنه ص ١٧٩ « إنه يكتب كتابة ما تصدر عن صغار الكتاب المتعلمين ، ولعمرى هذا الصنيع الصادر منـــه فى تاريخه وغيره من اللحن والتصحيف والزيادة فى الحروف المكتوبة والنقص ما استيقظ أنه كلما فرغ من تصنيف يتوجه به إلى من يعرف العربية فيصلحه له ... وكتبه بحيث إذا نظر فيها من له أدنى معرفة يرميها من يده لما يمجه الطبع المستقيم مما يراه واقعا فيها من الغـــلط والخباط » ثم يتهمه بعدم معرفتـــه فن التاريخ ، راجع أيضا مقدمتنا لكتاب إنباء الهصر .

(٢) راجع أيضا النجوم الزاهرة ٦/٤٣٥ .

(٣) أى الناصر فرج .

٥٠٩ — الأمير منكو الظاهرى ، قتل فى وقعة الشام ، وكان منهمكا على الشراب ومدمنـا لذلك، وكانت له صولة فى أيام الناصر ، واستقر داودارا ثانيا .

٥١٠ — الأمير يشبك العثمانى ، جُرح فى وقعة الشام مع الناصر ، ثم مات بعده بأيام .

٥١١ — الملك الناصر أبوالسعادات فرج بن السلطان الملك الظاهر برقوق ابن الأمير أنس العثمانى ، قُتل فى التـاريخ الذى ذكرناه وقد ناهز خمسـا وعشرين سنة . تولى السلطنة يوم الجمعة منتصف شوال من سنة إحـدى وثمانمائة عوضا عن والده بوصيته إليـه بالسلطنة ، وكان ملكا كريمـا شجاعا ، لكنه كان سفاكا للدماء ، جريئا على إزهاق النفوس ، منهمكا فى الخمر والملاهى ، وإذا سكر فلا يطاق ، ويأمر — هو فى تلك الحالة — بذبح عدة من المماليك ، فلا يخالَف أمره ، ولم يزل على ذلك والدهر يبلغه مأموله ومقصوده ، وكان عنده جماعة من الأمراء والمماليك مقربين إليه ، سيما فى المعاشرة والمحاضرة والمطاوعة فيما لا يليق ، وربما كانوا يعلمونه[1] أنواع الفسق والفجور وأبواب الظـلم ويبيحون له أخذ أموال المسلمين ، قال شيخنا قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى تاريخه رحمه الله : « لم يدع بابا من أبواب الظلم والفسق حتى باشره ، وجمع من الأمـوال والذهب والأحجار المثمنة ما لم يجمعه أبوه من قبله ، ولكن ما نفعه ذلك عند انتهاء سعده وسعادته وتولى دولته » ، ومات رحمة الله عليه والمسلمين .

(١) فى الأصل « يعلموه » .

فصـــل

فيما وقع من الحوادث

فى هذه السنة السادسة عشرة بعد الثمـــانمـــائة

(٨٩ أ) استهلت هذه السنة وسلطان مصر وبلادها الملك المؤيد أبو النصر شيخ ، والخليفة هو المعتصم بالله ـ ولكنه معوق فى القلعة ـ وليس له نائب فى مصر ، وأتابك العساكر بها الأمير يلبغا الناصرى .

وقاضى القضاة الشافعية جلال الدين بن عبد الرحيم البلقينى ، وقاضى القضاة الحنفية صـــدر الدين ابن الأدمى ، وقاضى القضاة المـــالكية شمس الدين المدنى ، وقاضى القضاة الحنابلة مجد الدين سالم .

والوزير سعد الدين البشيرى ، وناظر الخاص الشريف تقى الدين ابن أبى شاكر ، وناظر الجيش بدر الدين حسن بن نصر الله ، وكاتب السر الشريف القاضى ناصر الدين بن البـــارزى الحموى ، وأستادار العاليـــة بدر الدين بن المحب الطـــرابلسى ، وحاجب الحجاب بالـــديار المصرية الأمير إينال الصصلانى ، ومتولى القاهرة الأمير تاج الدين الشامى ، ونائب إسكندرية خليل الدشارى .

ونائب غزة الأمير ألطنبغا(١) العثمانى ، والمتولى على دمشق الأمير نوروز الحافظى بطريق التغلب ، ونائب صـــفد الأمير ألطنبغا القـــرمشى من جهـــة مولانا السلطان الملك المؤيد ، ونائب طرابلس الأمير طـــوخ ، ونائب حلب الأمـــير يشبك بن أزدمر [الظـــاهرى(٢)] من جهة نوروز ،

(١) انظر عنه الضوء اللامع ٢/١٠٢٥ (٢) الإضافة من الضوء اللامع ١٠/١٠٧٤ .

لكنه ظلم أهل حلب ظلما فاحشا(١) وأخذ أموالهم بالباطل ، فاتفق أهل حلب وغلقوا عليه أبواب المدينة لمـــا خرج منها للتفرج والتسيير ولم يمكنوه من الدخول إليها ، فتحارب معهم على بانقوسا(٢) ، وقتل منهم جماعة ثم انكسر وهرب إلى الشام عند نوروز ، وكان الأمير تمرتاش المحمدى(٣) فى قلعـــة الروم من حين هرب من الناصر من دمشق ، فأرسل إليـــه أهل حلب ، فجاءهم وملكوها له .

وفى يوم الخميس العشرين من محرم هذه السنة سافر الأمير قرقماس إلى الشام لمحاربة نوروز — وكان قد تولى نيابة دمشق كما ذكرنا — ومعـــه مقدار ثلاثمائة نفس .

* * *

وفى هذه السنة فى شهر رجب كان(٤) بمكة رجل يسمى حسن الفاروثى [وهو] جمال يحمل الناس والزوار من مكة إلى المدينة ، وكان له جمل يحمل عليـــه الناس منذ اثنتى عشرة سنة ، فى تلك السنة رأى أن الجمل كبر سنه ووهن عظمه ، فخشى عليه أن يسافر به إلى المدينة النبوية — عليها وعلى من تنسب إليه أفضل الصلاة والسلام — مما ظهر له من عجزه فقال فى نفسه : « أبيـــع هذا الجمل وأزيد على ثمنه ، وأشترى جملا خيرا منه » ، فباعه لرجل كان شيخ الجزارين يسمى حسن العتبى فى ذلك الزمان ، فأخذه وأدخله المجزرة وعقله عقالا جيدا وتوجه إلى حال سبيله ليعقره فى الصباح ، فلما كانت

(١) سار الصيرفى على مذهب العينى فى نعته بهذه النعوت .

(٢) عرفها مراصد الاطلاع بأنها جبل فى ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال ، وأضاف إلى ذلك أنها فى يومه — أعنى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى — أصبحت مملكة كبيرة ، أنظر أيضا Le Strange: Palestine Under the Moslems, p. 417

(٣) ذكره الضوء اللامع ٣/٨٢٣ باسم « دمرداش » وكلا الرسمين صحيح .

(٤) أمام هذا الخبر فى هامش المخطوطة «حديث الجمل الذى طاف بالبيت» .

تلك الليلة بعد العشاء الأخيرة، والناس بعضهم قد أحرم فى الصلاة والبعض لم يعقد النية فى الدخول فى الصلاة، إذا بالجمل قد قطع عقاله وخرج من المجزرة ودخل الحرم، فصلى الناس العشاء وجاءوا ليخرجوه من الحرم فلم يقدروا على ذلك، وكان القاضى بمكة إذ ذاك جمال الدين محمد ابن ظهيرة فشاوروه فى ذلك، فأمر الزمازمة الذين يجتذبون الماء على زمزم أن يخرجوه بجهدهم، فجهدوا فى ذلك فأعجزهم، فاستشاروا القاضى ثانيا فى ذلك فأمرهم بتركه وحفظ الطواف منه، فبات ليلته تلك فى الحرم والناس يدافعونه عن الطواف مرة بعد أخرى، حتى إذا كان وقت الثلث الأخير من الليل غفل عنه الناس، فدخل وطاف بالبيت ثلاثة أشواط ثم طلع من الجانب الذى يلى الزيارة بالقرب من مقام الحنفى، فألقى نفسه هناك مستقبلا البيت برأسه، وجعل رجليه(١) نحو الزيارة وعجزه نحو باب العمرة، ثم مات على تلك الحالة، فأصبح الناس والقاضى المذكور فوجدوه على تلك الحالة، فأمر القاضى أن يحفر له حفرة بخارج الحرم بين الصفا والمروة مقابل باب على رضى الله عنه ويدفن فيها، ففعلوا ذلك وحفروا له حفرة فى المكان المذكور ودفن فيها.

قلت لعل فعل هذا الجمل فيه نوع إشارة إلى المكلفين المخاطبين ليعتبروا بفعله، فسبحان الملهم الباقى.

* * *

وفى يوم السبت سلخ المحرم خلع على صدر الدين(٢) العجمى واستقر ناظرا على المواريث الحشرية، وأفردت عن ديوان الوزارة وديوان الخاص.

* * *

(١) فى الأصل رجلاه.

(٢) فراغ فى الأصل بقدر كلمتين.

وقوى الفناء فى القاهرة فى أواخر شهر (١) المحرم ، وبلغ عدد الموتى إلى مائة وعشرين نفسا وأكثر ، وتحسنت الأسعار جدا ، فأصرف الدينـــار من الذهب المصرى بمبلغ ثلاثين درهما ، وفى المعاملة بمائتين وخمسين ، والمشخص الأفرنتى بمائتين وثلاثين ، والناصرى بمائتين وعشرين ، والرطل من العسل المصرى بأربعـــة عشر درهما ، وكذا الرطل من السمن ، ومن الزيت بثمانية ، ومن الصابون بعشرة ، ومن الزيت الحار بثمانية ، واللحم الضأن السليخ بثمانية ، والبقرى بستة ، والجبن المقلى بتسعة ، والرطل الفلفل بأكثر من مائة ، والزعفران كل درهم بخمسة ، والرطل من المـــاورد الشامى بخمسة وعشرين ، والرطل من الشمع المقصور بستين ، والفضة الحجر كل درهم بأربعة عشر وخمسة عشر ، والإردب من القمح الطيب بمائة و ثمانين ، ومن الشعير بمائة وثلاثين ، ومن الفول بمائة وخمسين ، والبطة من الدقيق — وهى خمسون رطلا بالمصرى — بمبلغ ستين درهما ، والويبة من الأرز إلى مائة وعشرين .

وأما القماش فلا يمكن وصفه لغلوه ، فبيع الذراع من الكتان الذى يساوى درهمين بخمسة وعشرين ، وبيع الثوب الحرير الذى كان يساوى ثلاثمائة بمبلغ ثلاثة آلاف وأربعة آلاف ، وبيع القبع الصوف الذى كان يساوى عشرة بمبلغ مائتـــين وأزيد ، وبيعت المشاية التى تساوى عشرة بثمانين وتسعين ، وكان الثوب الصوف من السنجاب الذى كان يساوى مائتـــين وخمسين بيع بألفين وأكثر ، والسمور الذى كان يساوى خمسمائة وستمائة بيع بخمسة عشر ألفا ، والثوب البعلبكى الذى كان يساوى ستين وسبعين بيع بألف وأكثر ، وقس على هذا بقية الأشياء .

وفى أواخر صفر ارتفع الفناء بإذن الله عز وجل .

(١) فراغ فى الأصل بقدر كلمة واحدة .

وفى يوم الأربعاء السابع[1] من ربيع الأول سُمر فارس المحمودى ، ثم وُسط فى الرميلة ، وكان أمير طبلخاناه فى أيام الناصر ، وكان السلطان الملك المؤيد استخدمه ورتب له كل شهر مبلغ عشرين ألف درهم ، وسبب توسيطه أن أعداءه نقلوا عنه أنه قال للأمير طوغان : « السلطان يريد يمسكك ويمسك الأمير شاهين الأفرم » ، فبلغ ذلك السلطان وطلب فارس المذكور وحاقق بينه وبين من نقل معه (٨٩ ب) بحضور الأمراء ، ثم أمر بتسميره .

وفى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول خُلع على القاضى شمس شمس الدين الأموى المالكى واستقر قاضى القضاة المالكية عوضا عن القاضى شمس الدين المدنى بحكم عزله .

وفى يوم الأربعاء الخامس من جمادى الأولى أوفى[2] النيل ، وكان ذلك اليوم موافقا لتاسع مسرى ، وركب السلطان لكسر الخليج ، وكان يوما مشهودا على العادة .

وفى يوم الخميس السادس من جمادى الأولى خُلع على تاج الدين ابن الهيصم ، واستقر وزيرا بالديار المصرية عوضا عن سعد الدين ابن البشيرى بحكم عزله ومسكه .

(١) فى الأصل « الثلاثاء » ، ويلاحظ أن فى تحديد أيام شهر ربيع الأول فى المتن اضطرابا فالمؤلف يعد الثلاثاء سابعه وبذلك يكون الأربعاء أوله ثم يعود فى س ٧ فيجعل يوم الاثنين ثانى عشره وبذلك يكون الخميس أوله ، وهو اليوم الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٠٨ بأنه أول شهر ربيع الأول .

(٢) أشارت النجوم الزاهرة ١٦/٣٢٧ إلى أن مقدار الوفاء كان ستة عشر ذراعا ، أما الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٠٨ ، فهو أن غاية الفيضان بلغت تسعة عشر ذراعا وعشرين قيراطا ، كما نصت على أن الوفاء حصل يوم الأربعاء التاسع من مسرى سنة ١١٢٩ وإن كان أول الشهر فى التوفيقات هو الأحد ولكنه السبت فى المتن أعلاه ، على أن ابن الصيرفى لا يلبث أن يضطرب فى مطابقة أيام الاسبوع لأيام الشهر ويلاحظ ذلك فى ص ٣٢٨ س ٧ ، ١٠ .

وفيه عُوق تقى الدين بن أبي شاكر ناظر الخاص فى القلعة ، ورسم عليه وعلى ابن البشيرى .

وفى يوم السبت الثامن من جمادى الأولى خُلع على علم الدين بن الكويز واستقر ناظر الجيش بالديار المصرية عوضا عن القاضى بدر الدين حسن ابن نصر الله بحكم عزله ، وخُلع على بدر الدين بن نصر الله واستقر ناظر الخاص عوضا عن تقى الدين بن أبي شاكر بحكم عزله ومسكه .

وفى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى ضرب السلطانُ محمدَ بن شعبان (١) المحتسب بالقاهرة أكثر من أربعمائة عصى بسبب أخذه أموال الناس بالباطل ، هكذا قال شيخنا قاضى القضاة البدر العينى رحمه الله فى تاريخه .

وفى يوم الخميس الثانى عشر منه خُلع على القاضى صدر الدين ابن العجمى قاضى القضاة الحنفية واستقر فى حسبة القاهرة — مضافا إلى ما بيده من القضاء — عوضا عن ابن شعبان .

وفى يوم الخميس أيضا خلع على الأمير جانبك الصوفى المقدم واستقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن الأمير سودون الأشقر بحكم عزله ، وخُلع على الأمير سودون الأشقر واستقر أمير مجلس ، وكان الأمير جانبك الصوفى قد قدم من غزة قبل ذلك بأيام يسيرة ومعه الأمير تغرى بردى الملقب بسيدى الصغير بن أخت تمرتاش ، ومعهما الأمير قرقماس ونائب غزة الأمير ألطنبغا العثمانى نازلين على الرملة ، فلما سمعوا بمجىء نوروز من الشام هربوا إلى أن وصلوا إلى قطيا ، وحضر الأميران المذكوران ، وتخلف قرقماس وألطنبغا هناك .

* * *

(١) راجع ص ٣٢٧ ، حاشية رقم ١ .

ذكر ركوب طوغان الحسنى الداودار

لما كانت صبيحة يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأول استشاع في القاهرة ركوب الأمير طوغان الداوادار ولم يصح ذلك ، ولكن وقع خباط كثير في القاهرة حتى غلقت الأسواق وأبواب المدينة ، وكان المذكور قد لبس ليلة الثلاثاء وألبس مماليكه في بيته ، وكان قد اتفق مع جماعة من الظاهرية والناصرية أن يلبسوا ويركبوا معه ، فانتظرهم تلك الليلة فلم يحضر إليه أحد منهم ، ولم يزل تلك الليلة في الانتظار إلى وقت الصبح ، فلما أيس منهم تفرقت منه جموعه وأعوانه ، وخرج بنفسه من باب سر بيته ولم يعلم أين ذهب ، فلما أصبح الناس يوم الثلاثاء كثر القال والقيل ، إلى أن رسم السلطان أن ينادى في البلد بالأمان والاطمئنان ، ومن أحضر طوغان فله عربة[1] وخبز حلقة ، ولم يتعرض إلى أحد من مماليكه ؛

وفي يوم الجمعة العشرين من جمادى الأول ظهر طوغان في بيت[2] تاج الدين بن بنت الملكي ، فمسك وطلع به إلى باب السلسلة ، وسفر آخر النهار إلى الإسكندرية للاعتقال بها صحبة الأمير طوغان أمير آخور ؛

وفي يوم السبت الحادي والعشرين منه مسك السلطان الأمير سودون الأشقر أمير مجلس والأمير كمشبغا العيساوي أمير شكار المقدم ، وسفر آخر النهار إلى الإسكندرية للاعتقال بها صحبة الأمير برسباي[3] ؛

---

(١) هكذا في الأصل ولكنها في النجوم الزاهرة « فله ما عليه مع خبز في الحلقة » .

(٢) لم يرد في النجوم الزاهرة ٦ / ٣٢٨ تحديد البيت الذي وجد فيه طوغان وإنما اكتفت بقولها « إنه وجد بمدينة مصر » .

(٣) هو الأمير برسباي الأشرفي الدقاقي الذي سيصبح في سنة ٨٢٥ سلطان مصر والشام .

وفى يوم الأحد الثانى والعشرين منه وُسط أربعة أنفس فى باب السلسلة وهم: مغلباى نائب القدس، وكان الأمير قرقماس مسكه وأرسله إلى السلطان، ويلبغا - نائب القدس كان - أيضا، وأبو يزيد مملوك السلطان، وكان قد هرب منه ومسكوه، وقجقار، وكان مع طوغان فى الاتفاق.

* * *

وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين من تاريخه فرق السلطان الإقطاعات المحلولة عن الأمراء، فأعطى إقطاع الأمير طوغان من غير زيادة للأمير إينال الصصلائى، وأعطى إقطاع الأمير سودون الأشقر للأمير تنبك البجاسى، وإقطاع تنبك للأمير طوغان أمير آخور، وإقطاع طوغان أمير آخور للأمير طرباى.

وفيه خُلع على الأمير إينال الصصلائى، وخُلع أيضا على الأمير شاهين الأفرم خلعة الرضا، لما كثر فيهما القيل والقال (١).

وفى يوم السبت الثامن والعشرين فيه خلع على الأمير جانبك - الدوادار الثانى أمير طبلخاناه - واستقر دوادارا كبيرا عوضا عن الأمير طوغان الحسنى بحكم مسكه، وخلع على الأمير شرباش الكباش (٢) أحد الأمراء الستينات واستقر أمير خازندار.

وفى يوم الاثنين سلخ جمادى الأول خلع على الأمير فخر الدين [عبد الغنى] ابن [عبد الرزاق] بن أبى الفرج كاشف الشرقية والغربية - واستقر أستادار العالية عوضا عن الأمير بدر الدين حسن بن المحب بحكم عزله، وخلع على بدر الدين بن المحب واستقر مشير الدولة.

(١) وذلك أن الشائعة عمت بأنهما مالئان لطوغان فى حركته.

(٢) « كباشة » فى النجوم الزاهرة ٦/٣٢٩.

وفى يوم الثلاثاء السادس من رجب قدم الأمير جارقطلو أتابك العساكر بدمشق هاربا من الأمير نوروز الحافظى ، فخلع عليه السلطان خلعة سنية وقابله بالإكرام والتحية .

وفى يوم الخميس الثامن من رجب عمل مهم عظيم لولد المقام الشريف المسمى بسيدى إبراهيم بسبب تزوجه بنت السلطان الملك الناصر التى كانت زوجة الأمير بكتمر جلق ، وكانت صغيرة عند بكتمر ، ولم يأخذ لهـا وجهها ، وكان يوما مشهودا .

* * *

وفى يوم الاثنين الثانى عشر من رجب قدم الأمير ألطنبغا القرمشى نائب صفد بسبب طلب السلطان له ، وولى عوضه على صفد الأمير قرقماس الذى كان قد تولى نيابة دمشق فى التاريخ الذى ذكرناه ، ولم يتوجه إليها خوفا من نوروز ، وكان يتردد فى الإقامة على غزة والرملة .

وفى يوم الاثنين التاسع عشر من رجب قدم الأمير بيسق الشيخى من بلاد الروم ، وكان قد سافر أيام الناصر قبل أن يخرج إلى الشام فى سفره الذى قُتل فيه ، وكان قد أقام عند الأمير إسكندر صاحب رستوم ، وحصل له منه خير كثير وأشياء من العطايا الجزيلة .

وفى يوم الثلاثاء العشرين من رجب خُلع على الأمير منكلى بغا العجمى ، واستقر فى حسـبة القاهرة عوضا عن القاضى صدر الدين بن الأدمى بحكم عزله ، وأضيفت إليه الحجوبية الصغرى أيضا .

* * *

وفى أوائل شعبان منها جاء الخبر منها بأن الأمير تمرتاش — المتغلب على حلب — اصطلح مع نوروز ، وكذلك الأمير قرقماس وأخوه تغرى بردى ،

واستشاع هذا الخبر فيهم ، وهرب الأمير ألطنبغا منهما وقدم القاهرة يوم السبت الثانى من شعبان ، ثم وردت الأخبار بأن تمرتاش وصل إلى ساحل دمياط من جهة البحر المالح ، وأن الأمير قرقماس وأخاه (١) تغرى بردى وصلا إلى قطيا هاربين من نوروز منتظرين قدوم الأمير دمرداش :

وفى يوم الثلاثاء السابع عشر من شعبان عُزل صدر الدين بن العجمى عن نظر المواريث ، وفُوض الكلام إلى مرجان الطواشى :

وفى يوم السبت الثامن والعشرين من شعبان قدم الأمير قرقماس القاهرة وطلع إلى السلطان فخلع عليه ونزل فى بيت يلبغا العمرى ، وتخلف أخوه تغرى بردى عند الصالحية :

وفى يوم السبت مستهل رمضان قدم الأمير دمرداش المحمدى من البحر المالح ومعه جماعة من أمراء حلب وبعض مماليك كانوا قد هربوا من حلب لما أرسل إليهم الأمير نوروز جماعة منهم الأمير طوخ نائبا على حلب من جهته ، فخلع عليه السلطان خلعة عظيمة ، وأركبه مركوبه الخاص بسرج ذهب وكنبوش مزركش ، ونزل إلى بيته :

وفى يوم الخميس السادس من رمضان خُلع على صدر الدين بن العجمى وتولى مشيخة تربة الناصر المستجدة (٩٠ أ) بقبة النصر عوضا عن شيخنا زين الدين حاجى التركمانى بحكم عزله :

وفيه برز المرسوم الشريف للأمير آقبغا البزق (٢) مشد القصر بأن ينقل الأميرين سودون الأشقر وكمشبغا العيساوى من حبس إسكندرية إلى مدينة دمياط ، مع ما رتب لهما هناك على قدر الكفاية .

(١) فى الأصل « وأخوه » .

(٢) هكذا فى المخطوطة ، ولم نجد فيمن ترجم لهم السخاوى فى الضوء اللامع ، رقم ١٠٠٩–١٠١٨ من اسمه هكذا ، لكن لعله أقبغا شيطان علاء الدين الظاهرى ، فقد ولى شد الدواوين وكان موته قتلا سنة ٨٢١ .

وفى يوم الجمعة السابع منه رَسم السلطان بخروج فريق (١) مع العسكر منهم الأمير سودون القاضى ، وقجقار القردمى ، وأقبردى رأس نوبة ، ويشبك شاد الشراب خاناه إلى جهة الصالحية بسبب مسك الأمير تغرى بردى، ولكن ما أشيع فى الظاهر إلا بسبب العربان .

وفى ليلة السبت الثامن منه استدعى السلطان الأمراء للإفطار عنده، فلما أفطروا أمسك الأمير تمرتاش وابن أخيه الأمير قرقماس ، وفى صبيحة يوم السبت سفرا إلى إسكندرية للاعتقال بها صحبة الأمير آقباى الخازندار .

وفى يوم الاثنين العاشر منـــه خُلع على القاضى ناصر الدين بن العديم واستقر قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن القاضى صدرالدين ابن الآدمى بحكم عزله بالوفاة إلى رحمة الله تعالى .

* * *

وفيه قدم العسكر الذين توجهوا لطلب الأمير تغرى بردى وهو صحبتهم .

وفى يوم الخميس الثالث عشر منه خلع على الأمير قنباى المحمدى أمير آخور كبير واســـتقر نائب الشام عوضا عن الأمير نوروز الحافظى ، ونزل فى يومه ذلك فى باب السلسلة إلى بيت الأمير منجك عنـــد سويقة العزى ، وخلع أيضا على الأمير إينال الصصلائى أمير مجلس واســـتقر نائب حلب عوضا عن الأمير طوخ المتولى من جهة نوروز ، وخلع أيضا على الأمير سودون قرا صقل واستقر فى نيابة غزة عوضا عن الأمير إينال الرجبى المتولى من جهة نوروز، وخلع أيضا على الأمير ألطنبغا القرمشى واستقر أمير آخور كبيراً عوضا عن الأمير قنباى بحكم استقراره فى نيابة الشام .

وفى يوم السبت السادس من شوال خُلع على الأمير خليل الدشارى بحكم عزله .

(١) فى الأصل « من » .

وفى هذا اليوم عدا السلطان إلى الجيزية ؛

وفيه خرج الأمير يلبغا الناصرى أتابك العساكر ومعه جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية إلى عرب البحيرة ؛

وفى يوم السبت الحادى والعشرين من شهر شوال خُلع على صدر الدين ابن العجمى واستقر ناظر المواريث على عادته .

وفى يوم الاثنين التاسع عشر من ذى القعدة قدم السلطان من الربيع ، وعلق الجاليش ؛

وفى يوم السبت الخامس والعشرين منه عُرضت الأجناد والمماليك الظاهرية والناصرية والمؤيدية ؛

وفيه خرج الأمير إينال الصصلائى الذى تولى حلب ، والأمير سودون قرا صقل — الذى تولى غزة — إلى جهة الشام ، وسافرا بمن معهما .

وفى يوم الخميس السادس عشر من ذى الحجة خرج الأمير قنباى الذى تولى الشام ؛

وفيه خلع السلطان على داود أخى الخليفة المعوق واستقر خليفة المسلمين ، وتلقب بالمعتضد بالله ، وكنى بأبى الفتح عوضا عن أخيه بحكم عزله ومسكه ؛

وفيه أنفق السلطان على المماليك السلطانية كل نفر مائة ناصرى .

وفى يوم الاثنين العشرين من ذى الحجة خرج طلب الأمير سودون من عبد الرحمن والأمير سودون القاضى ؛

وفيه خُلع على الشيخ شمس الدين محمد التبانى قاضى العسكر واستقر قاضى القضاة الحنفية بدمشق ؛

وفى يوم الاثنين السابع والعشرين منــه خرج خام السلطان وضرب فى الريدانية :

وفى يوم الثلاثاء الثامن والعشرين منه ضَرب السلطان الوزير تاج الدين ابن الهيصم ضربا شديدا ، وقيل إنه علقه على جمل مقلوب الرأس لأســفل، والرجلين إلى فوق ، وساقوا بالجمل ، ثم بعد ذلك رضى عنه وخلع عليه خلعة الاستمرار :

وحج بالناس فى هذه السنة الأمير كزل العجمى :

* * *

ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان

٥١٢ — سيدى عمر بن السلطان الملك المؤيد، توفى يوم السبت الخامس والعشرين من شهر صفر ، ودفن فى تربة الناصر بالصحراء، وعمره ثمانى ســنين :

٥١٣ — فتح الله العجمى كاتب السر الشريف ، توفى ليلة الأحد الخامس من ربيع الأول منها بعد عقاب أليم وضرب شديد ، وقد ترجمه شيخنا قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى تاريخه فقال : « كان أصله يهوديا من يهود بغداد ، أسلم وهو صغير ، وكان فى فقر ومسكنة أول حاله ، ولقد بلغنى من بعض الثقاة أنه كان يخدم عطارا بالصليبة ويشد الأوراق، وكان عمه بديع رئيس الأطباء ، وتعلم صنعة الطب عنه ، ثم ترقى به الحال إلى أن اتصل بالأمير شيخ المحمودى الخاصكى فى دولة الظاهر وعظم أمره عنده الى أن أسلم له جميع أموره، وكان هو الذى يتحدث فى إقطاعه ،وحصّل فى أيامه أموالا كثيرة ، وتزوج بأمه ، فترقى بها عنده إلى منزلة كبيرة ، ثم لمــا توفى

علاء الدين بن صغير رئيس الأطباء بالديار المصرية سعى الأمير شيخ الخاصكى له عند الظاهر برقوق فقرره رئيسا ، فاتصل بسبب ذلك إلى الظاهر ، ثم آل أمره إلى أن تولى كتابة السر الشريف عوضا عن القاضى بدر الدين بحكم وفاته ، ولم يزل حاله فى الترقى فى أيام الناصر ، وحصل أموالا جزيلة وعمر أملاكا كثيرة ، ولم يزل يعمر إلى أن أصيب بالقتل والمصادرة ، وخلف موجودا كثيرا ، فأخذ السلطان جميع موجوده . وكان رجلا بخيلا ، قليـل الخير ، صاحب خبث ومكر ، ولم يشتهر عنه كبير معروف ، غير أنه بنى تربة بالصحراء وأوقف عليها أوقافا ، فعندما مُسك أخذت كلها ، والله سبحانه هو القهار » ، هذا آخر كلام البدر العينى ، وقال غيره : «كان عالمـا بصناعة الطب ، بل ليس فى زمانه مثله ، وترقى فى الدولة الناصرية ، وصار صاحب الحل والعقد بها » :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

٥١٤ ــ الشيخ شمس الدين محمد العراقى ، توفى يوم الأربعاء الخامس من شعبان منها ، وكان رجلا فقيها ، فرضيا ، نحويا ، لغويا ، ديّنا ، صالحا ، خيرا ، يعتقده الناس ، رحمه الله .

٥١٥ ــ الشيخ فخر الدين عثمان البرماوى ، توفى ليلة الاثنين السابع عشر (1) من شعبان منها ، وكان رجلا فاضلا عالمـا بعلوم شتى كعلوم القراءات ،

(١) اتفقت النجوم الزاهرة ٦/٣٧ ٤ وشذرات الذهب على أن وفاته كانت يوم الاثنين تاسع عشره ، أما الضوء اللامع ٥ / ٣٦ ٤ فجعلها « سابع عشره » ، هذا وقد جاء فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٠٨ أن أول شعبان كان يوم الجمعة ، أما الشيخ البرماوى فمنسوب إلى برما فى محافظة الغربية ، هذا وقد ورد فى القاموس الجغرافى ق ١ ص ١٥٥ ــ ١٥٦ أنها تسمى Perma التى ذكرها المسيو جوتييه فى قاموسه والتى قال عنها إنها ناحية يحتمل وجودها فى صا لحجر ، ثم عاد القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص ٩٦ ــ ٩٧ فأشار إلى أن اسمها القبطى القـديم هو Baramai ثم اقتبس المؤلف المرحوم محمد رمزى ما وصفها به ابن جبير فى رحلته سنة ٥٨٧ إذ قال « برمة : قرية كبيرة فيها السوق وجميع المرافق » .

وعلم النحو وغيرهما من العلوم قرأ على الشيخ فخر الدين الضرير إمام الجامع الأزهر ، وتصدى للقراءة فى موضعه فى مدرسة السلطان الملك الظاهر برقـوق :

٥١٦ — قاضى القضاة صدر الدين بن الأدمى الحنفى ، توفى ليلة السبت الثانى من رمضان ، ودفن يوم السبت فى تربة الصوفية ، وذكره شيخنا العـلامة قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى تاريخه فقال : « كان رجلا قليل العلم ، عديم الخير ، غير مشكور السيرة فى منصـبه ، متهما بارتكاب المنكرات »[1] :

٥١٧ — قاضى القضاة شمس الدين محمد الأخنائى الشافعى الحاكم بمدينة دمشق ، توفى فى شهر رجب فى دمشق ، وكان لا بأس به فى عصره[2] وخلف أموالا كثيرة وأملاكا حسنة .

٥١٨ — القاضى نور الدين القرافى[3] ، نائب الحكم العزيز الحنفى ، توفى فى العشرين من رمضان ، وكان مشكور السيرة ، وله مشاركة فى بعض العـلوم :

(١) هذا وقد اختلف الناس فيه ما بين مادح وقادح ، فمن مدحه الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم المزين الدمشقى لما ولى كتابة السر بدمشق بقوله :

ولاية صـدر الدين للسر كاتبا لها فى النفوس المطمئنة موقع

وهناك من هجاه فى هذه التولية ذاتها كقول أحدهم :

كتابة السر عندى وجـودها كالعـدم
وأصبحت بين الورى مصـفوعة بالأدم

انظر فى ذلك النجوم الزاهرة ٦ / ٣٨ ، هـذا وقد جاء فى قضاة دمشق ، ص ٢٠٧ « أنه كان لا يتعفف » .

(٢) انظر ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .

(٣) اكتفى الضوء اللامع ٦ / ٢٠٥ فى ترجمته بقوله : « على القرافى الحنفى نائب الحكم بمركز دار التفاح — مات سنة ست عشرة » .

٥١٩ — الأمير مبارك شاه الظاهرى ، توفى فى أوائل رمضان منها ، وكان من الظلمة القدماء ، ولى الوظائف الكبيرة : الحجوبية والوزارة وكشف الجيزية والأستادارية وغيرها :

٥٢٠ — الأمير تغرى بردى الملقب (٩٠ ب) بسيدى الصغير ، توفى ليلة الاثنين السابع من شوال مقتولا بقلعة الجبل ، وكان محبوسا فى البرج من حين مسكه على الصالحية على ما ذكرناه .

٥٢١ — الأمير ألطنبغا المهمندار ، توفى يوم السبت السابع عشر من شعبان وكان أمير عشرة ، أصله تركمانى من مماليك الظاهر :

٥٢٢ — الأمير جقمق الأحمدى ، توفى فى آخر جمادى الأولى منها ، وكان أمير عشرة ورأس نوبة من مماليك الظاهر ، وكان أستاذا فى لعب الرمح ، غير أنه كان خفيف العقل ، خبيث الفكر ، شحيح النفس ، منهمكا على المعاصى والمنكرات ، مدمنا للخمر ، حتى قال الحافظ البدر العينى رحمة الله عليه : « ولم يمت إلا وهو غريق فى السكر والفسق » :

* * *

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة السابعة عشرة بعد الثمـانمـائة

استهلت هذه السنة المباركة وسلطان البلاد الملك المؤيد ، وخليفة الوقت المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله ، وأتابك العساكر بالديار المصرية الأمير يلبغا الناصرى ، وقاضى القضاة الشافعية جلال الدين عبد الرحيم ابن البلقينى ، وقاضى القضاة الحنفية ناصر الدين بن العديم ، و قاضى قضاة المـالكية شمس الدين الأموى ، وقاضى القضاة الحنابلة مجد الدين سالم ، والوزير الصاحب تاج الدين بن الهيصم ، وناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله ، وناظر الجيش القاضى علم الدين بن الكويز ، وأستادار العالية فخر الدين بن أبى الفرج ؛ ونائب الثغر السكندرى الأمير بدر الدين حسن بن المحب ، ونائب غزة الأمير سودون قرا صقل ، والمتغلب على الشام بأسرها الأمير نوروز الحافظى ، ونائب طرابلس الأمير قمش من جهة نوروز ، وصاحب بلاد قرمان الأمير محمد باك بن علاء الدين بن قرمان ، وصاحب بقية الروم بأسرها واللاجات الأمير كرشجى ، وكان قد قتل أخاه أمير موسى جلبى الذى كان تحت صاحب اللاجات من البر الغربى من البحر المـالح واستولى على البلاد ، وصاحب بغداد وتبريز الأمير قرا يوسف التركمانى ، وصاحب اليمن الملك الناصر بن الملك الأشرف :

ذكر توجه السلطان الملك المؤيد إلى الشام لأجل محاربة نوروز

لما كان يوم الاثنين الرابع من محرم هذه السنة برز السلطان الملك المؤيد متوجها إلى الشام ، ونزل فى الريدانية :

وفى يوم السبت التاسع منه رحل من الريدانية بمن معه من العساكر ، وخلع قبل أن يسافر على الشيخ زين الدين حاجى واستقر فى مشيخة تربة الناصر بالصحراء على عادته عوضا عن صدر الدين بن العجمى بحكم عزله ، ولكن خلع عليه واستقر ناظر الجيش بدمشق المحروسة ، وخلع على ابن البقرى واستقر ناظر المواريث عوضا عن ابن العجمى بحكم انتقاله إلى الشام . وكان السلطان المؤيد قد استناب فى القاهرة الأمير ألطنبغا العثمانى (١) وأقام فى باب السلسلة :

وجعل فى القلعة الأمير برد بك قمقتا (٢) ، وفى باب الستارة الأمير صماى الحسنى ، وفى المدينة الأمير قجق حاجب الحجاب وسكن فى بيت منجك اليوسفى :

وسافر صحبة السلطان الخليفة المعتضد بالله أبو الفتح داود ، والقضاة الأربعة المذكورون ، والوزير تاج الدين بن الهيصم ، وناظر الجيش علم الدين ابن الكويز وأخوه صلاح الدين والقاضى ناصر الدين بن البارزى كاتب السر ، وسافر بعده بشهر القاضى بدر الدين ناظر الخاص صحبة الأمير فخر الدين ابن أبى الفرج الأستادار :

* * *

وفى يوم الثلاثاء السادس والعشرين من المحرم قدم بريدى يدعى شويخ وأخبر أن السلطان الملك المؤيد دخل غزة وهو فى غاية البهاء والعزة ، وكان دخوله لها يوم الثالث والعشرين من المحرم ، وقصد التوجه إلى الشام يوم الجمعة التاسع والعشرين :

(١) يقصد بذلك ألطنبغا العثمانى .

(٢) هكذا فى النجوم الزاهرة ٦/٣٣٥ .

ذكر ما وقع بعد دخول السلطان الملك المؤيد الشام ومسك نوروز وقتله وتجهيز رأسه إلى القاهرة

لمـا رحل السلطان المؤيد من غزة سافر في أيام عديدة حتى وصل إلى قبة يلبغا يوم الثامن من صفر، وكان ذلك حيلة منه لأنه لو أراد لوصل إليها في أربعة أيام، وتلاقت كشافة السلطان مع كشافة نوروز، ووقع بينهم حرب عظيم، وقتل من الفريقين جماعة، وجرح آخرون، وكانت كشافة نوروز ترجح حالهم على كشافة السلطان، فبلغ ذلك السلطان – وكان نازلا على شقحب – فركب على الفور بنفسه والعساكر صحبته إلى أن وصل إليهم، فطرد كشافة نوروز حتى دخلوا الشام، وعاد السلطان ونزل على قبيبـات الشام وحضر إليه مماليك كثيرة من جهة نوروز.

وهرب من عند السلطان الأمير منجك أمير عشرة، وسودون المرداني أمير عشرة، وتنبك أمير عشرة، وجاء الخبر بأن عندهم غلاء عظيما، حتى بيعت العليقة بستين درهما. ثم استمر القتال بين عسكر السلطان وعسكر نوروز أياما، وآخر الأمر ضعف حال نوروز وتحصن بالقلعة بمن معه من الأمراء، ونزل الملك المؤيد بالشام، وتفرق عسكره حول القلعة، ولم يزالوا في الحرب والرمي إلى أن طلب الأمير نوروز الصلح، وأرسل إلى السلطان الأمير قمش نائب طرابلس وأخاه، ثم آل الأمر إلى أن نزل نوروز من القلعة بمن معه من الأمراء، ووقع الكل في قبضة السلطان.

وفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين جاء قاصد من نائب غزة إلى القاهرة، وأخبر بأن السلطان أخذ قلعة الشام ومسك نوروز ومن معه من الأمراء، وقطع رأس نوروز وأرسله إلى القاهرة، « وها هو واصل إليكم » فعنـد ذلك وقعت المناداة في أسواق القاهرة ببشارة انتصار السلطان وهـلاك أعدائه ووقوعهم في قبضته.

وفى يوم الخميس مستهل جمادى الأولى حضر الأمير شرباش قاشق أمير عشرة ورأس نوبة ، وصحبته علبة فيهـا رأس نوروز ، وعلقوه فى باب الدرج (١) ، وزينوا المدينة ، وكان ذلك يوما مشهودا . وهذه القصة كانت فى السابع من ربيع الآخر .

* * *

ذكر سفر السلطان المؤيد
إلى جهة حلب وما وقع بعد ذلك

لمـا كان يوم الثلاثاء السادس من جمادى الأولى خرج السلطان من دمشق ونزل ببرزة ، وأقام إلى يوم الخميس الثامن من الشهر المذكور ، ثم رحل حتى وصل البلستين ، ثم إلى درندة ، ثم رجع إلى ملطية وأناب فيها الأمير كزل ورتب حاله ، وهرب ابن كبك المتغلب على ملطية ، ثم رجع (٢) منها إلى حلب ثم إلى دمشق واستقر (٩١ أ) بالنواب فى ولايتهم ، فولى على حلب الأمير إينال الصصلائى ، وعلى دمشق الأمير قنباى المحمدى ، وعلى حماة الأمير تنبك البجاسى ، وعلى طرابلس الأمير سودون من عبد الرحمن ، وعلى غزة الأمير طرباى ، وولى على قلعة الروم جانبك الحمزاوى بعـد أن مسك نائبها طوغان ووسطه :

ولمـا خرج من دمشق جاء على القدس الشريف وزاره ، وتصدق هناك بمال جزيل ، حتى أخبرنى والدى رحمه الله أنه كان صيرفى السلطان ، وكان رفيق المرحوم الزينى عبد الباسط بن خليل ناظر الخزانة الشريفة ، وأنه تأخر معه من مال الصدقة كيس فيه قريب الخمسمائة دينار فضة ، فشاور عليه فقال : « خلّه لك » ومثل هذا كثير ، فرحم الله أرواحهم الطاهرة ، ومحاسنهم وشيمهم الفاخرة .

(١) « باب زويلة » فى النجوم الزاهرة ٦/٣٣٥ .
(٢) المقصود بذلك الملك المؤيد شيخ .

ثم حضر إلى الديار المصرية ونزل على الخانقاه[1] يوم الخميس الرابع والعشرين من شعبان من هذه السنة، وأقام فيها إلى غرة رمضان، ثم دخل القاهرة :

* * *

ذكر دخول السلطان القاهرة
وما اتفق بعد ذلك

لما كان يوم الخميس مستهل شهر رمضان من هذه السنة، دخل السلطان القاهرة وبين يديه عساكره وجنوده وأرباب وظائف ودولته، وكان يوما مشهودا .

وفي يوم الاثنين الثاني عشر منه مسك السلطان ثلاثة أمراء من المقدمين الألوف، أحدهم حاجب الحجاب قجق، والثاني الأمير يلبغا الناصري[2]، والثالث الأمير تمراز[3]، وسفروا إلى الإسكندرية للاعتقال بها صحبة الأمير صماى الحسني :

وفيه خلع على الأمير ألطنبغا العثماني واستقر ناظرا على البيمارستان المنصوري، وكان يوم فيه سرور لقوم، وترح لآخرين، وكل ذلك بمقدور الله جل سبحانه .

وفيه خلع على القاضي جمال الدين الأقفهسي المالكي واستقر قاضي القضاة المالكية عوضا عن القاضي شمس الدين الأموي بحكم عزله، وكان السلطان عزله وهو في دمشق قبل توجهه إلى الديار المصرية لما قيل عنه من أمور اقتضت عزله .

(١) يعني بذلك خانقاه سرياقوس، وقد سبق التعريف بها .

(٢) في النجوم الزاهرة ٦/٣٤١ «المظفرى» ويصح فيه الاثنان وذلك نسبة لخاليه «الظاهرى برقوق الأتابكى» كما نص على ذلك السخاوى في الضوء اللامع ١٠/١١٣٩ .

(٣) في النجوم الزاهرة ٦/٣٤١ «تمان تمر أرق» .

وفى يوم الخميس الخامس عشر من رمضان خلع على الأمير سودون القاضى واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية عوضا عن الأمير قجق بحكم مسكه وعزله ، وكذلك خلع على الأمير قجقار القردمى واستقر أمير مجلس ، وكذا خلع على الأمير جانى بك الصوفى رأس نوبة كبير واستقر أمير سلاح عوضا عن الأمير شاهين الأفرم بحكم وفاته .

وفيه مسك السلطان ثلاثة من الأمراء العشرات وهم : الأمير طقز ، نفاه إلى الشام ، والأمير منطاش نفاه إلى صفد ، والأمير تنبك القاضى نفاه إلى طرابلس ، ونفى أيضا سودون الأعرج إلى قوص .

وفى يوم الاثنين التاسع عشر رمضان خلع على الأمير تنبك ميق واستقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن الأمير جانبك الصوفى بحكم انتقاله إلى وظيفة أمير سلاح ، وخلع أيضا على الأمير أقباى الخازندار واستقر دوادار كبيرا عوضا عن الأمير جانبك بحكم وفاته .

وفى يوم الاثنين السادس والعشرين من رمضان خلع على الأمير بدرالدين ابن المحب ــ الذى كان نائب إسكندرية ــ وتولى الأستادارية على عادته عوضا عن الأمير فخر الدين بن أبى الفرج بحكم تسحبه عن السلطان وهو فى الشام ، واستقر فى نيابة الإسكندرية الأمير صماى ، وكان قد سفر الأمراء المذكورين إلى الإسكندرية .

وفى يوم السبت التاسع والعشرين من شوال مسك السلطان الأمير منكلى بغا الحاجب والمحتسب وسلمه إلى الأمير التاج ، وخلع على الأمير التاج والى القاهرة واستقر محتسبا بالديار المصرية ومصر العتيقة ، مضافا لما بيده من الوظائف وكشف القليوبية وشد العمائر المهمندارية وغير ذلك .

وفى يوم الاثنين الثالث من ذى القعدة عدا السلطان ذاك البر - أعنى بر الجيزية - وأقام فيه أياما ، ثم سافر إلى البحيرة لأجل عربها ، ثم عاد بعد أيام ونزل على أوسيم فى الخامس والعشرين من ذى الحجة .

وحج بالناس فى هذه السنة الأمير جقمق الدوادار الثانى :

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٥٢٣ - الأمير نوروز الحافظى ، قتل فى التاريخ الذى ذكرناه ، وكان من الأمراء العظام إلى الغاية فى أيام الملك الظاهر ، وتولى رأس نوبة كبيرا ثم اعتقله الظاهر ومات وهو فى السجن وأخـرجه الأمير أيتمش ، ثم جرى عليه ما جرى إلى أن قتل ، وكان رجلا جبارا ، ظالمـا غشوما بخيلا ، ذا جرأة وشهامة ، مع شح وتكبر ، ولم يشتهر عنه شىء من الخير .

٥٢٤ - الأمير يشبك بن أزدمر ، قتل فى هذه السنة مع نوروز ، كان رجلا شجاعا مهابا مشهورا بالفروسية والشجاعة الزائدة ، ولكنه كان ظالمـا ، لم يشتهر عنه خير .

٥٢٥ - الأمير قمش [بن عبد الله الظاهرى] ، كان من مماليك الظاهر ، قتل مع هؤلاء المذكورين وكانت أفعاله كأفعالهم فى قلة الخير ، وشبيه الشىء منجذب إليه :

٥٢٦ - الأمير طوخ (١) المتغلب على حلب فى هذه السنة مع المذكورين ، وقسه على من تقدم منهم .

٥٢٧ - الأمير مصبغا ، أحد المقدمين بالديار الشامية ، قتل فى هذه السنة ، وكان رجلا دينا خيرا ، حافظا لكتاب الله ، ماشيا على سنن رسوله - صلى الله عليه وسلم - وكان يتلو كتاب الله حفظا وتجويدا .

(١) ويعرف أيضا بيطيخ ، أنظر : الضوء اللامع ، والطباخ : إعلام النبلاء ٥/١٦٨ .

٥٢٨ — الأمير يلبغا الناصرى أتابك العساكر بالديار المصرية، توفى ليلة الجمعة الثانى من رمضان ودفن قبل صلاة يوم الجمعة ، وكان رجلا لا بأس به ، ولكنه كان فى البخل على جانب عظيم ، ولم يشتهر عنه معروف .

٥٢٩ — الأمير جانبك الدوادار توفى فى حماة والسلطان ذاهب إلى حلب ، وكان شابا حسن الشكل جميل الصورة .

٥٣٠ — الأمير شاهين الأفرم ، توفى فى الرملة وهو مسافر مع السلطان ، وكان قليل الدين منهمكا على المعاصى ، ومدمنا على الخمر ليله ونهاره يتعاطى اللواط ، ولم يشتهر عنه خير ولا معروف ، وخلف جملة أموال وغلال وحواصل وأخذها السلطان ، ولم تنفعه دنيا ولا أخرى .

(٩١ ب) فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى هذه السنة الثامنة عشرة بعد الثمــانمــائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية أبو النصر شيخ ، وخليفـــة الوقت المعتضد بالله أبو الفتـــح داود بن المتـــوكل على الله ، وصاحب اليمن هو الملك النـــاصر بن الملك الأشرف ، وصاحب الروم واللاجات كرشجى بن الملك أبى يزيد مراد خان بن أرخان بن عثمان جق ، وكان قبل خروج السنة المـــاضية مشى على ابن قرمان بعد أن عدا من بر القسطنطينية ، وتفرق عسكر ابن قرمان ، وهرب هو وتحصن فى بعض القلاع وخرجت السنة وهم على هذا .

وصاحب بغداد وتبريز والموصل وماردين هو قرا يوسف بن قرا محمد ؛ وصاحب دست وصراى الأمير أدكا .

ونائب دمشق الأمير قنباى المحمودى ، ونائب حلب الأمير إينال الصصلانى ، ونائب طرابلس الأمير سودون من عبد الرحمن ، ونائب حماه الأمير تنبك البجاسى ، ونائب غـــزة الأمير طرباى ، ونائب إسكندرية أمير صماى .

والأمير الكبير بالديار المصرية ألطنبغا العثمانى ، وأمير آخور كبير ألطنبغا القرمشى ، والداوادار الكبير الأمير آقباى ، ورأس نوبة كبير الأمير تنبك ميق ، وأمير مجلس الأمير جانبك الصوفى ، وأستادار العالية بدر الدين

المحب ، والوزير تاج الدين بن الهيصم ، وناظر الخاص بدر الدين حسن ابن نصر الله ، وناظر الجيش علم الدين بن الكويز ، وكاتب السر القاضي ناصر الدين البارزى الحموى ، وقاضى القضاة الشافعي جلال الدين عبد الرحيم بن البلقينى ، وقاضى القضاة الحنفى ناصر الدين بن العديم ، وقاضى القضاة المالكى جمال الدين الأقفهسى ، وقاضى القضاة الحنبلى مجد الدين سالم العسقلانى .

* * *

وفى يوم الخميس مستهل محرم هذه السنة دخل السلطان المؤيد المدينة ، وعدا من بر أنبوبة من سفر البحيرة وتروجة الذى كان توجه إليه لأجل العربان العاصين ، وكان يوما مشهودا .

وفى يوم الاثنين الثانى عشر من صفر خلع على القاضى علاء الدين أبى المعالى الحموى الحنبلى الشهير بابن مغلى ، واستقر قاضى القضاة الحنابلة بالديار المصرية عوضا عن مجد الدين سالم بحكم عزله ، وكان لها أهلا وزيادة ، فإنه كان من العلماء الصلحاء الحفظة الممكنين الذين يهتدى بهم ، وكان رحمه الله من أعز أصحاب الوالد ، ونشأت فى بيته أنا وولده محيي الدين ، وكان مع علمه الغزير كثير التواضع للفقير ، وسأذكر ترجمته إن شاء الله تعالى مستوفاة فى وفاته ، وكان قد قدم القاهرة من مدة ثلاثة شهور .

وخلع أيضا على القاضى تقى الدين بن الحبيشى الحموى واستقر قاضى العساكر المنصورة بالديار المصرية .

* * *

وفى شهر صفر منها توقف سعر الذهب الناصرى جدا ، حتى إن الإنسان يكون معه الناصرى فيدور البلد به ما يجد من يصرفه ، حتى نودى بأن الناصرية على حالها فمشي الحال وصار يصرف بمائتين وأكثر وأقل .

وفى شهر ربيع الأول ضرب السلطان دراهم جددا ، زنة كل درهم ثمانية عشر فلوس، ويصرف بثمانية عشر الدرهم المؤيدى ، ويصرف درهم بتسعة وربع درهم بأربعة ونصف :

وفيه برز المرسوم الشريف السلطانى بأن يحفر من عند المقياس إلى أن ينتهى[1] إلى جامع الخطيرى ببولاق ، وجعل هناك أمراء وأجنادا ومشدين وفعلة كثيرة وأبقارا بالجراريف ، واستمر العمل إلى أن سخروا الناس ، ثم فى أول ربيع الأول نودى أن جميع أهل الحرف والصنائع والأسواق يخرجون نوبةً نوبةً ويعملون هناك :

وفى يوم الاثنين الثالث من ربيع الأخيرة توجه السلطان إلى العمل وأخذ الفأس بيده وحفر بعض شىء ، فعند ذلك لم يبق أحد من أعيان الدولة وأرباب الوظائف والمباشرين حتى أخذوا قففا بأيديهم وحولوا التراب من موضع الحفر ، وأقام السلطان هناك إلى العصر ومد الأسمطة والأطعمة :

* * *

وفى هذا الشهر أخذ السلطان الأملاك المجاورة لخزانة شمايل وهدها وهد الخزانة المذكورة، وكشف هناك أرضا واسعة ، وشرع فى عمارة جامع خانقاه وعين شادا بسبب ذلك ، وأحضروا من الرجال والفعلة والدواب والجمال والبقر والعجل ، وتم تحويل شىء كثير من الأحجار حتى كان العليق الذى يصرف لهم فى كل يوم خمسمائة عليقة :

(١) يشير المؤلف هنا إلى «السد» الذى أمر السلطان بعمله عند الجامع الناصرى الجديد وبين جزيرة الروضة ، وقد أفاضت النجوم الزاهرة ٦/٣٤٤ — ٣٤٦ فى التكلم عنه ، ويلاحظ أن ابتداء العمل فيه كان يوم ١٠ صفر .

وفى شهر ربيع الآخر عزل السلطان الأمير طوغان من نيـابة صفد وولاه حاجب الحجاب بدمشق عوضا عن الأمير غرس الدين الدشارى ، وولى الدشارى نيابة صفد ، وكان المسفر لهما الأمير إينال رأس نوبة صغير الملقب بالأزعر الأعور .

* * *

ذكر عزل نائب الشام وما جرى بعد ذلك

لمـا كان يوم الاثنين (١) السابع عشر من جمادى الأولى منها عزل السلطان الأمير قنباى المحمدى عن نيابة دمشق ، وخلع على الأمير ألطنبغا العثمانى أتابك العساكر بالديار المصرية واستقر نائب الشام .

وفيها خلع أيضا على الأمير أقبردى المنقار — أحد المقدمين الألوف بالديار المصرية ورأس نوبة ثانى — واستقر فى نيابة إسكندرية عوضا عن الأمير صماى الحسنى بحكم عزله .

وفى يوم السبت التاسع والعشرين من جمادى الأولى أوفى النيل وركب السلطان وتوجه إلى المقياس وعدى فى البحر وكسر الخليج ، وكان يوما مشـهودا .

وفى يوم الأحد سلخ جمادى الأولى زاد النيل بإذن الله تعالى خمسة عشر إصبعا ، وهذا شىء غريب جدا لم يعهد مثله إلا فى النادر .

(١) أشار المؤلف إلى أيام شهر جمادى الأولى بجمل فى س ٦ الاثنين ١٧ منه والسبت ٢٩ منه (س ١٢) والأحد ٣٠ منه (س ١٥) ومعنى هذا أن أوله كان السبت وقد ترتب على هذا اعتباره الخميس ٤ جمادى الآخرة (ص ٣٥١ س ٤) أى أن الاثنين أوله ولكنه عاد بجمل الاثنين ٢٠ جمادى الآخرة ، على حين أنه ورد بالتوفيقات ص ٤٠٩ أن أول جمادى الأولى سـنة ٨١٨ هو الثلاثاء ، وأول جمادى الثانية هو الخميس . والملاحظة العامة هى أن ابن الصيرفى غير دقيق فى تحديده أيام الشهر بأيام الأسبوع ويجب أن تؤخذ تواريخه بحذر شديد .

وفى يوم الخميس الرابع من جمادى الآخرة حفروا أساس الجامع - الذى أشار السلطان بعمارته - المجاور لباب زويلة :

وفى يوم السبت السادس من جمادى الآخرة خرج الأمير ألطنبغا العثمانى متوجها إلى محل ولايته بدمشق ، ثم جاءت الأخبار بأن الأمير قنباى نائب دمشق عصى وأظهر النفاق ، وركبوا فى الشام وجرت فتنة كبيرة .
ثم جاء الخبر بأن الأمير طرباى نائب غزة عصى أيضا ورحل من غزة وتوجه إلى نائب الشام ، ثم إن السلطان عين الأمير يشبك شاد الشراب خاناه أحد المقدمين وأضاف إليه مائة مملوك وأرسلهم إلى النائب الجديد ، تقوية له على المخامرين بالشام .

وفى يوم الاثنين العشرين من جمادى الآخرة خلع على الأمير مشترك أحد المقدمين بالديار المصرية واستقر فى نيابة العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير ألطنبغا العثمانى بحكم انتقاله إلى نيابة الشام .

وفى يوم الاثنين السابع والعشرين منه خلع على الأمير ألطنبغا القرمشى أمير آخور كبير واستقر فى نيابة العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير ألطنبغا العثمانى بحكم انتقاله إلى نيابة الشام :

وفى يوم الخميس سلخ جمادى الآخرة خلع على القرمشى المذكور واستقر ناظرا على المارستان المنصورى ، وخلع على الأمير تنبك ميق رأس نوبة كبير واستقر أمير آخور كبيرا عوضا عن الأمير ألطنبغا القرمشى بحكم انتقاله إلى الأتابكية .

وفى يوم الاثنين الرابع من رجب منها خلع على الأمير سودون قراصقل أحد المقدمين بالديار المصرية واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية عوضا عن الأمير

سودون القاضى بحكم انتقاله إلى وظيفة رأس نوبة كبير، وخلع على سودون القاضى أيضا بذلك عوضا عن الأمير تنبك ميق (٩٢أ) بحكم انتقاله إلى إمرة آخورية الكبرى :

وفى يوم الاثنين الحادى عشر من رجب داروا بالمحمل الشريف :

وفيه خرج الأمير أقباى [المؤيدى] الدوادار الكبير وصحبته مائتان وخمسون مملوكا لمحاربة نائب الشام الذى أظهر العصيان (١) فإنه جمع جماعة من أهل الفساد والطغيان :

وفى يوم الخميس الرابع عشر منه مسك السلطان الأمير جانبك الصوفى أمير سلاح وحبسه فى قلعة الجبل :

وفيه رسم بتجهيز العساكر إلى الشام لأجل محاربة الخارجين عن الطاعة :

وفى يوم الاثنين الثامن عشر من رجب فرق السلطان النفقة (٢) على المماليك السلطانية، كل نصــر (٣) تسعة وثلاثين أفرنتى ، حسابا عن عشرة آلاف درهم وجملا :

---

(١) تختلف رواية أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/ ٣٥١ عما أورده الصيرفى بالمتن اختلافا كليا فبينا نرى ابن الصيرفى يشــير أعلاه الى أن خروج أقباى المؤيدى كان لمحاربة نائب الشام ألطنبغا العثمانى لإظهاره العصيان على السلطان المؤيد شيخ إذا بنا نرى أبا المحاسن يقول إن خروجه كان نجدة «لنائب الشام» دون مايشير من قريب أو بعيــد إلى تمرده وعصيانه . على أن أبا المحاسن يعود بعد قليل فيقول إنه فى ١٢ رجب قــدم الأمير ناصر الدين محمــد بن إبراهيم بن منجك من دمشــق فارا من قانى باى «نائب الشام» فارتجت القاهرة لسفر السلطان إلى البلاد والشامية .

(٢) كانت هى نفقة السفر إلى البلاد الشامية .

(٣) خص كل مملوك بثــلاثين دينارا أفرنتيــة وتسعين نصف فضــة مؤيدية ، راجع النجوم الزاهرة ٦/ ٤٥١ .

وفى يوم الثلاثاء التاسع عشر منه آخر النهار مسك السلطان الوزير تاج الدين بن الهيصم وحاشيته، وكان متولى ذلك أستادار العالية . وفى يوم الأربعاء التاسع عشر منه طلعوا به إلى السلطان فضربه ضربا شنيعا وقرر عليه مالا جزيلا .

وفى يوم الجمعة الحادى والعشرين منه خلع على علم الدين أبو كم الذى كان وزيرا واستقر ناظر الدولة الشريفة (١) .

* * *

ذكر سفر السلطان الملك المؤيد إلى البلاد الشامية لأجل محاربة العاصين

لما كان يوم الجمعة الثانى والعشرين من رجب خرج السلطان من القاهرة بعد صلاة الجمعة من قلعة الجبل إلى أن وصل المصطبة ، وخلع على الأمير ططر واستقر به نائب الغيبة ورسم له بالإقامة فى باب السلسلة ، وخلع على الأمير قرا صقل حاجب الحجاب ورسم له بالإقامة فى المدينة ، وخلع على الأمير قطلوبغا التنمى وأمره أن يقيم بالقلعة ، ولم يسافر مع السلطان من القضاة إلا القاضى ناصر الدين بن العديم الحنفى ، ولم ينزل السلطان بعد خروجه إلا فى منزلة العكرشة (٢) ، وبات هناك ليلة السبت وأصبح على جناح الطريق مسرعا .

---

(١) وذلك كى يسدّ مهمات الدولة مدّة غياب السلطان فى سفره الى الشام .

(٢) العكرشة أو العكريشة إسم يطلق على مكانين فى مصر أحدهما بلدة قديمة مندرسة فى شبين القناطر والأخرى حديثة بمركز كفر الدوار، وترجع الحديثة إلى الثلث الأول من القرن العاشر الهجرى ومن ثم فهى أجد تاريخا من الأخرى موضوع هذا الكتاب، راجع القاموس الجغرافى ، القسم الخاص بالبلاد المندرسة ق ١ ص ٨٦ حيث قال إنها من نواحى القليوبية وأنها تقع شرق العشى بناء على ماجاء فى الانتصار لابن دقاق وقد سبق للرحوم محمد رمزى أن علق على النجوم الزاهرة (ط. مصر) ١١/١٨٢ حاشية رقم ١ فقال إنه تبين له أن العكريشة اسم يطلق على بركة واقعة فى الطريق الصحراوى بين القاهرة وبلبيس وأن هذه البركة لا تزال باقية الى اليوم بأراضى بلدة أبو زعبل .

وفى يوم الاثنين الثانى من شعبان وصل بريدى وأخبر أن السلطان دخل مدينة غـزة يوم الجمعة التاسع والعشرين من رجب وصلى فيهـا الجمعة وتوجه إلى ناحية الشام .

وفى يوم الثلاثاء العاشر من شعبان حضر بريدى وأخبر أن السلطان على اللجون ، وأن نائب الشام قنباى خرج من الشام ومعه الأمير طرباى نائب غـزة وسودون من عبد الرحمن نائب طرابلس وتنبك البجاسى نائب حماه فى يوم الخميس السابع والعشرين من رجب ، وأن السطان توجه إلى الشام .

وفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من شعبان وصل بريدى وأخبر بدخول السلطان الشام يوم الجمعة (١) وأقام بها يومين ثم خرج منهـا متوجها إلى البلاد الحلبية .

وفى يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان حضر مملوك نائب غزة الأمير مشترك ومعه كتاب من أستاذه يتضمن أن الأخبار تواترت بأن الأمير آقباى الدوادار ــ لمـا سافر خلف نائب الشام ومن معه وقرب من تل السلطان (٢) عند حلب ــ جاء الأمير إينال الصصلانى نائب حلب ومن أضيف إليه ووقع بينهم قتال عظيم ، وترجح حال العصاة على عسكر السلطان وجرحوا منهم جماعة كثيرة ، وأسروا أيضا جماعة منهم : الأمير آقباى الدوادار والأمير جرقطلو وآخرين ، فبينما هم فى هذه الحالة الفظيعة إذ أقبل السلطان الملك المؤيد بجنوده وعلائقه وعدده ، فضرب عليهم حلقة وفرق شملهم وقطع دابرهم

(١) نصت النجوم الزاهرة ٦/٣٥٢ س ١٩-٧ على أن دخوله دمشق كان يوم خامس شعبان .

(٢) عرفت مراصد الاطلاع ٢٧١/١ تل السلطان بأنه موضع بينـه وبين مدينة حلب مرحلة . انظر فى ذلك أيضا Dussaud: Topographie Historique de la Syrie, p. 313.

ومسك منهم الأمير إينال الصصلانى نائب حلب ، والأمير شرباش الكباشى حاجب الحجاب بها ، والأمير آقبغا النظامى ، والأمير تمان تمر أرق ، وهرب الأمير قنباى وتفرق جمعه شذر مذر :

وفى يوم الثلاثاء الثالث(١) من رمضان حضر الأمير أزدمر أمير عشرة على البريد من عند السلطان الملك المؤيد ومعه كتاب يتضمن أن الوقعة كانت على قريب من حلب بين المخامرين والأمير آقباى الدوادار، وكان السلطان نازلا على بلدة سرمين من أعمال حلب، فحضر إليه حسن البدوى وأخبره بما جرى، فنهض السلطان وأدركهم ، فلما علموا بقدومه انكسروا بإذن الله تعالى ، وكان ذلك اليوم يوم الخميس الرابع عشر من شهر شعبان وأرسل السلطان بهذا الخبر إلى القاهرة ، وكان لدخول القاصد يوم مشهود ، فعند ذلك دقت البشائر وزينت الأسواق :

وفى يوم الأحد الخامس عشر من رمضان حضر الأمير تنبك شاد الشراب خاناه من حلب من عند السلطان وصحبته أربعة رءوس: رأس الأمير قنباى نائب الشام ورأس الأمير إينال الصصلانى نائب حلب ،ورأس الأمير شرباش الكباشى حاجب الحجاب بحلب ،ورأس الأمير تمان تمر أرق الأمير الكبير بحلب وشق القاهرة ، وهذه الرءوس على الرماح ، وكان يوما عظيما . وأخبر أن الأمير قنباى لما هرب من المعركة راح فوصل إلى قريب مدينة « إعزاز » ، فصادفه جماعة من الراكبين ، فمسكوه وأحضروه إلى السلطان وهو فى حلب .

---

(١) أخطأ الصيرفى مرة أخرى فى مطابقة أيام الأسبوع بأيام الشهر فهو هنا يجعل الأحد أول رمضان على حين أنه فى التوفيقات الإلهامية يوم الإثنين ، ولكن مثل هذا الخطأ كان قد وقع فيه أيضا أبو المحاسن ، راجع تعليق وليم بوبر فى An-Nujum az-Zahira, Vol. VI, p. 353 note K.

وفى أواخر رمضان قدم الأمير طوغان نائب صفد ، كان أرسله السلطان إلى القاهرة على تقدمة ألف ، وعين له دورة البلاد الشرقيـــة والغربية لينتفع بما يتحصل منها ، لأنه كان انكسر فى قضية قنباى فى وقعة الشام ، ونهب جميـــع موجوده من القماش والخيول والجمال ، وأخبر أن السلطان مقيم فى حلب ، وأنه ولّى نيابة حلب الأمير آقباى الدوادار الكبير ، ونيابة طرابلس الأمير يشبك المقدم الذى كان شاد الشراب خاناه ، وخلع على الأمـــير بردى باك قصقا أحد المقدمين بالديار المصرية واستقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن الأمير سودون القاضى بحكم مسكه :

وفى شهر شوال وقع غلاء عظيم بالديار المصرية ، وقل الخبز من الأسواق جدا ، وكثر الغوغاء على المحتسب الذى هو الأمير التاج ومتولى القاهرة ، وقل الواصل من البحر ، فحصل للناس بذلك تشويش عظيم وخطب جسيم :

وفى التاسع عشر من شوال عزل الأمير التاج نفسه عن الحسبة ، وطلع الأمير بدر الدين بن محب الدين الأستادار إلى نائب الغيبة الأمر ططر يوم الأحد العشرين من شوال ومعه شمس الدين الحلاوى ، فخلع عليه بوظيفة الحســبة :

وفى يوم الخميس[1] الرابع والعشرين من شوال قدم الأمير فخر الدين ابن أبى الفرج إلى القاهرة ، وكان قد تسحب من السلطان من دمشق فى وقعة نوروز على ما ذكرنا وتشتت فى البـــلاد ودخل أرض العراق ووصل

(١) يخطئ الصيرفى فيجعل الخميس ٢٤ شوال ، على أن أول هذا الشهر كان الأربعاء .

إلى بغـــداد ، وآخر الأمر جاء إلى السلطان (٩٢ ب) مستأمنا فأمنه وخلع عليه وولاه كشف الشرقية والغربية ، وقدم فى التاريخ المذكور :

وفى يوم الاثنين الحادى عشر من ذى القعدة خُلع على الأمير التاج من عند نائب الغيبة واستقر فى حسبة القــاهرة على عادته عوضا عن الحلاوى بحكم عــزله وعجزه عن القيام بمصالح الوظيفة وذلك لأن البلد وقف حالها أكثر مما كان فى أيام التاج ، وصار الناس يتزاحمون على الأفران والطواحين ، حتى كان الخبز جمعة لا يراه إنسان على دكان من الدكاكين ، ونهبت الناس الأفران وشون القمح :

وبلغ الإردب القمــح إلى أربعمائة درهم ، والبطــة الدقيق إلى ما فوق المــائة ، والقــدح من الأرز إلى ثــلاثة عشر ، والإردب من الشــعير إلى مائتين وخمسين ، والفــول إلى ثلاثمائة ، ووصل الحمــل التبن إلى مائتين ، وهذا شيء لم يعهــده أحد، ثم قــوى الحال واشــتد حتى إن نائب الغيبــة رسم أن يكون على كل فرن جماعة من المماليك السلطانية .

وكان حاجب الحجاب جالسا على الفرن الذى فى التبانة ، ومعه عدة مماليك يدفعون الناس عن الزحام والنهب :

وفى يوم السبت الرابع والعشرين من تاريخــه حضر بريدى وأخــبر أن السلطان وصــل دمشق وقصــد الديار المصرية ، ورسم لســيدى إبراهيم ولده أن يتوجه لملاقاته ومعــه جماعة من المماليك ، فتوجه إليه وصحبته الأمير سودون [قرا ســقل] الحاجب ، والأمــير كزل العجمى الأجرود [أمير جندار] ، وجماعة من المماليك السلطانية .

* * *

ذكر قدوم السلطان للقاهرة وما اتفق بعد ذلك

لمـــا كان يوم الخميس[(١)] الخامس عشر من ذى الحجة وصل السلطان ومن معـــه من العساكر إلى خانقاه سرياقوس ونزل فى السماسم[(٢)]، فتكون غيبة السلطان عن القاهرة هذه أربعة أشهر وثلاثة أيام ؟

وفى ليلة الجمعة السادس عشر منها جاء إلى الخانقاه الناصرية[(٣)] وعمـــل فيها وقتا عظيما، واجتمع عند السلطان فى تلك الليلة عشرون جوقة من القراء فلما فرغوا من القراءة قامت الوعاظ وأنشدوا قصائد فى مدح مولانا السلطان ودعوا له، ثم مدت الأسمطة العظيمة، ثم بعد ذلك أقيم السماع بجماعة من المغانى، وكانت ليلة مشهودة، ورسم السلطان للقراء بمبلغ خمسة عشر ألف درهم، وللمغانى بعشرة آلاف، وللصوفية بخمسين ألف، ولشيخ الخانقاه محب الدين بن أسد بعشرة آلاف وحجرة خاصة، فلما أصبح السلطان يوم الجمعة السادس عشر من ذى الحجة وكان يوما مشهودا، وبطل الأمير التاج من الحسبة ؟

ونودى فى المدينـــة يوم الأحد السابع عشر منـــه أن السلطان بنفسه هو المحتسب، وأن أحدا لا يزدحم على الأفران، ولا يتعرض إلى القمح، وأى من أراد يشترى بالسعر ؟

---

(١) لا يمكن أن يكون ١٥ ذى الحجة هو الخميس لأن أوله كان السبت كما جاء فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٠٩ وربما كان الصحيح أو الأقرب إلى الصحة هو ما جاء فى النجوم الزاهرة ٦/٣٥٥ س ٥ — ٦ من أن الخميس ١٤ ذى الحجة وبذلك يكون الجمعـــة هو أوله، واحتمال الخطأ هنا بسيط على أن الصيرفى يضطرب بعد قليل فيجعل الأحد ١٧ منه، أنظر س ١٤ .

(٢) فى النجوم الزاهرة أنها شمال سرياقوس .

(٣) يعنى بذلك خانقاه سرياقوس .

وتحسنت الأسعار جدا ، فبلغ الإردب(١) من القمح إلى ستمائة وأكثر ، والشعير إلى أربعمائة ، وكان أهل الطواحين يطحنون الثلث من القمح والثلث من الحمص والثلث من الشعير ، وربما طحنوا الفول وعجنوا منه ، وضاقت الأحوال جدا :

وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى الحجة خلع على الأمير جقمق واستقر دوادارا كبيرا عوضا عن الأمير آقباى بحكم ولايته نيابة حلب ، وكان الأمير جقمق أمير طبلخاناه ودوادارا ثانيا ، وكان السلطان قد أنعم عليه بتقدمة ألف وهو في الشام ، وخلع أيضا على الأمير بدر الدين ابن محب الدين واستقر أستادار العالية على عادته :

وفي يوم السبت سلخ ذى الحجة الحرام خُلع على الأمير سيف الدين خرز نقيب الجيوش المنصورة واستقر في ولاية القاهرة عوضا عن الأمير التاج بحكم عزله ، وخُلع على الأمير التاج واستقر أستادار الصحبة الشريفة :

وحج بالناس في هذه السنة الأمير تنبك شاد الشراب خاناه ، وكان أمير الركب الأول الأمير يشبك الدوادار الصغير :

* * *

ذكر من توفى من الأعيان

٥٣١ — طوغان الحسنى الدوادار الكبير ، قضى الله أمره فيه في محرم من هذه السنة وهو في سجن إسكندرية ، وكان شابا عنده جهل وميل إلى الأمور غير المرضية ، وأصله من أجلاب الملك الظاهر برقوق ، وترقى إلى

(١) يقصد أن هذا هو السعر قبل ذى الحجة .

هذه المنزلة فى أيام النـــاصر ، وحصـــل أموالا كثيرة ، وكان له صيت فى القاهرة ، وخافه القريب وهابه البعيد ، وآخر الأمر لعبت به المماليك حتى ظفر به السلطان وراح فى سبيل الخسران ؛ وله من المعروف مسجد وسبيل فى حارة برجوان ، وفسقية مليحة فى جامع آق سنقر الناصرى :

٥٣٢ ــ الأمير تمرتاش المحمدى أتابك العساكر بالديار المصرية وكان قضى الله أمره فيه فى المحرم منها . وكان من مماليك الظاهر ، وتولى نيابة حماه فى أيامه(١) ، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن تولى نيابة حلب ــ مدة متطاولة ــ ثم طرابلس ، ثم تولى أتابك العساكر بالديار المصرية أيام الناصر ، ثم جرى عليه ما جرى إلى أن حُبس وقتل فى آخره ، وكان له ذوق فى بعض العلوم ومعاشرة مع العلماء ، ومنادمة مع أهل الأدب ، ولم يشتهر عنه كثير معروف :

٥٣٣ ــ الأمير أسنبغا الزردكاش ، قضى الله أمره فيه فى المحرم منها ، كان أصله من حلب من أولاد الأحرار ، ثم انتقل من الحرية إلى الرقيـــة وتسمى بأسنبغا ، ووصل إلى ما وصل إليه فى أيام الناصر ، فكان عنـــده من أكبر الخواص حتى زوّجه بأخته بنت السلطان الظاهر ، ولمـــا سافر الناصر خلّفه فى القلعـــة ، وجرى عليـــه ما ذكرنا ، فآخر الأمر حُبس فى إسكندرية وقُتل بها :

٥٣٤ ــ الأمير سودون المحمدى المجنون ، توفى فى حبس إسكندرية ، وكان رجلا ظالمـــا غشيما جاهلا ، لم يشتهر عنه إلا كل شر ــ كذا قال قاضى القضاة الحنفى البدر العينتابى ــ ، وهو أيضا من مماليك الظاهر ، ولم يصلح حاله إلا فى أيام الناصر :

(١) أى فى أيام الظاهر برقوق .

٥٣٥ - الوزير سعد الدين بن البشيري ، توفى يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر منها وكان بطالا ، ولم يكن من الوزراء المشهورين بالنهضة والصلاح والخير ، بل أفعاله كلها أفعى ، وكان من الظلمة المشهورين بالظلم ، وبنى جامعا بجوار الشيخ خليلى عند بركة الرطلى مقابل بيته الذى على البركة ووقف عليـــه أوقافا فأكلهـــا ولده ولم يلتفت إلى مصالح الجامع . ولولا خوفه من الناس لأغلقه ، مع أن غالب من يسكن بجوار الجامع من المباشرين كالوزير وناظر الخاص والأستادار ، فيحصل للجامع منهم خير كثير من حصر وتعمير القناديل وإصلاح ميضأة .

٥٣٦ - الشيخ زين الدين حاجى الرومى شيخ التربة الناصرية بالصحراء ، توفى ليلة الخميس[1] الرابع والعشرين من شوال منها ودفن صبيحة يوم الخميس فى قبة التربة ، وتولى المشيخة بها عوضه الشيخ شمس الدين البساطى المـــالكى :

٥٣٧ - قاضى القضاة بدمشق شمس الدين محمد التبانى[2] [بن جلال ابن أحمد] الحنفى ، توفى فى شهر رمضان وهو قاضى القضاة الحنفية بها ، كان من أهل العلم والفضل والذكاء والضبط والحزم ، وتوفى وهو شاب وتولى عوضه القاضى ابن الكشك .

---

(١) جعلت النجوم الزاهرة ٦/ ٤٠٥ وفاته يوم « رابع شوال » ، ولعل ما بالمتن هو الأصح إذ أنه أقرب ما يكون إلى ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٠٩ من أن أول شوال كان الأربعاء .

(٢) ذكر الضوء اللامع ٧ / ٢٤٥ أن ذلك نسبة لنزوله التبانة بظاهر القاهرة ، ولكن شذرات الذهب ٧/ ١٣٣ أشارت إلى أنه منسوب لبيع التبن كذلك اختلفت المراجع التى ترجمت له فى تحديد يوم وفاته والشهر الذى مات فيـــه ، فذكر ابن حجر والسلوك أنه الأحد ٢٨ شعبان ، وجعلته النجوم الزاهرة ٦/ ٤٠٥ « ثامن عشرى من رمضان » ، والضوء اللامع « ٢٤ رمضان » ، وشذرات الذهب « ٢٩ رمضان » .

فصل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة التاسعة عشرة بعد الثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك المؤيد أبو النصر شيخ ، وأرباب الوظائف هم المذكورون فى السنة الماضية :

* * *

وفى يوم الخميس الخامس من محرمها خُلع على القاضى بدر الدين محمود العينى واستقر فى حسبة البلد ، وكانت شاغرة من يوم قدوم السلطان ، وأخلع عليه السلطان فى منزلة أوسيم فى بر الجيزية ، فإن السلطان كان توجه إلى هناك لأجل الربيع :

وفى يوم الخميس التاسع عشر من المحرم كانت خدمة الإيوان بالقلعة لأجل حضور قاصد السلطان الملك الناصر صاحب اليمن وهو القاضى أمين الدين مفلح ، وكان يوما مشهودا :

وفى هذا اليوم قدمت هدايا صاحب اليمن وهى هدية نفيسة ثمينة وتحف غريبة على مائتى حمال ، منها سروج عقيق ، وقطط الزباد وتفاصيل وصينى ومسك وعود وعنبر وأنطاع وأرز وأغنام وغير ذلك .

وفى هذا اليوم خلع أيضا على القاضى تقى الدين بن أبى شاكر صاحب ديوان سيدى إبراهيم ولد السلطان واستقر فى الوزارة بالديار المصرية ، وكانت شاغرة من التاريخ الذى ذكرناه :

(٩٣ أ) وفى يوم الاثنين الثامن والعشرين من صفر خلع على الأمير قطلوبغا واستقر فى نيابة إسكندرية عوضا عن الأمير آقبردى المنقار بحكم عزله ، وكان الأمير قطلوبغا من أمراء منطاش والحاجب الثانى فى أيامه بالقاهرة[1] ، وكان بطالا من ذلك اليوم :

* * *

وفى شهر ربيع الأول تزايد الفناء بالقاهرة ، حتى وصل عدة الموتى فى كل يوم أكثر من أربعمائة ، والغالب الأطفال والأرقاء ، ووصلت الأخبار من طرابلس الشام أنه كان فيها فناء عظيم ، حتى لم يبق منهم إلا القليل ، وكذلك كان فى بغداد حتى خلت الديار من سكانها ، وكذلك أيضا حصل بالشام فناء كبير ، والغالب من الأطفال :

* * *

وفى يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الأول خلع على محمد بن شعبان واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن القاضى بدر الدين محمود العينى بحكم عزله :

وفى يوم الاثنين السابع والعشرين من ربيع الأول خُلع على شيخنا الشيخ بدر الدين محمود العينى واستقر ناظرا على الأحباس بالديار المصرية عوضا عن القاضى شهاب الدين أحمد الصفدى بحكم وفاته .

---

(١) راجع فى النجوم الزاهرة ٦/٣٥٨ قصة توليته نيابة اسكندرية وكيف جاءته على غير توقع منه او من أى أحد غيره ، ثم إنكاره على نفسه شغل أى منصب وقد بلغ من السن عتيا .

وفى يوم الاثنين الحادى عشر من ربيع الآخر مسك السلطان الأمير بدر الدين بن محب الدين الأستادار وسجنه عنده بالقلعة، ثم أمر به فنزل إلى بيت الأمير جقمق الدوادار (١)، ووقعت الحوطة على جميع موجوده :

وفى يوم الاثنين الثامن عشر منه برز المرسوم السلطانى بطلب الشيخ شمس الدين الديرى من القدس الشريف :

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الآخر خلع على الأمير فخر الدين بن أبى الفرج كاشف الشرقية والغربية واستقر أستادار العالية عوضا عن الأمير بدر الدين بن المحب بحكم عزله ومسكه :

وفى يوم الأربعاء الثانى عشر من جمادى الأولى قدم الشيخ شمس الدين ابن الديرى الحنفى من القدس :

وفى يوم الاثنين الثامن عشر منه خلع عليه واستقر قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن القاضى ناصر الدين محمد بن العديم بحكم وفاته :

وفى يوم الاثنين الخامس (٢) والعشرين من جمادى الأولى مسك السلطان الأمير كزل الأجرود العجمى أمير خازندار ونفاه إلى صفد بطالا :

وفى يوم الخميس الرابع من جمادى الآخرة خُلع على الأمير فخر الدين ابن أبى الفرج الأستادار واستقر مشيراً بالديار المصرية .

وفى يوم الاثنين الثامن من جمادى الآخرة كسر الخليج، ونزل إليه السلطان المؤيد (٣)، وكان موافقا لعشرة أيام من مسرى :

---

(١) يستفاد من رواية النجوم الزاهرة ٦/٣٥٩ أن مسك الأستادار حدث فى ١٢ ربيع الأول وهو خطأ، وقد اكتفى السلطان بسبه وتعويقه نهار ذلك اليوم بقلعة الجبل ثم شفع فيه الأمير جقمق على أن يحمل ٣٠٠,٠٠٠ دينار ثم اكتفى منه بنصف هذا القدر .

(٢) فى الأصل «الثالث» مما لا يتفق وضبطه أيام هذا الشهر ولا مع الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٠ من أن أول جمادى الأول كان السبت .

(٣) هذه التواريخ مضبوطة وموافقة لما جاء فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٠، يضاف إلى هذا أن غاية فيضان النيل بمقياس الروضة يوم ١٠ مسرى من هذه السنة كانت عشرين ذراعا ونهاية التحاريق ذراعا، راجع فى ذلك أيضا أمين سامى : تقويم النيل ١/١٠٦ .

وفى شهر جمادى الآخرة خرجت جماعة من الأفرنج من البحر المـــالح وهجموا على إسكندرية ، ووصلوا إلى موضع يؤخذ فيه الخمس وهربت الناس ووقع جفل عظيم ، وأسروا من المسلمين مقدار سبعين نفسا وعادوا إلى البحر ، ولمـــا بلغ الخبر إلى السلطان أرسل على الفور جماعة من العساكر المصرية فوصـــلوا إلى إسكندرية ولم يتلاقوا مع أحد منهم ، فإنهم كانوا أقلعوا وتوجهوا :

وفى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من شهر رجب خُلع على الأمير منكلى بغا العجمى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن محمد بن شعبان بحكم عزله (١) :

وفى يوم الخميس السابع من شهر رمضان خُلع على الأمير آقبغا شيطان مشد الدواوين واستقر فى ولاية القاهرة عوضا عن الأمير خرس (٢) الشامى بحكم عزله مضافا إلى ما بيده من شد الدواوين والحجوبية :

* * *

وفى شهر ربيع الآخرة من سنة ثمانى عشرة وثمانمائة شُرع للبناء لمدرسة السلطان الملك المؤيد ، والابتداء فيه من سنة تسع عشرة ، أعنى من هـــذه السنة ، وأمر السلطان نصره الله بأخذ الأملاك المجاورة لخزانة شمايل ، وهدها وهد الخزانة أيضا لأجل بناء جامع ومدرسة هناك كما قدمناه ، وتولى ذلك الأمير بدر الدين بن المحب أستادار العالية ، وعين لنقل التراب خمسمائة رأس من الجمال والحمير ، مع عجلات لتحويل الحجارة من الجبل المطبق وغيره ، وكان كل حجر عجالى بمقدار ذراعين ونصف — بذراع العمل — فى عرض ذراعين :

(١) الظاهر أنه استمر فى ولاية القاهرة فى ربيع الأول ٨٢١ حين أمر السلطان بالقبض عليه ومصادرته وماجرى بعد ذلك من قتله فى شعبان من هذه السنة .

(٢) وقد يقال له « خرز » أيضا واسمه إبراهيم بن عبد الله .

وفى يوم الخميس الرابع من جمادى الآخرة حفروا أساس الجامع فجاء جامعا عظيم البنيان عالى الأركان، مشتملا على أعمدة من الرخام الملون الخاص واللازورد المعدنى والذهبى المصرى، بحيث يحار الناظر فيه من عظم ما اشتمل عليه من الترتيب والتنظيم والمنبر المطعم وسدة المؤذنين من الرخام الأبيض كلون البللور، بل أنقى، منقوشة بالذهب واللازورد، وجميع الجـامع مفروش بالرخام الساقى والفستقى والأحمر والأسود، وماصنع لها من الحصر العبدانى والبسط الحريرى الملونة، وفى وسط الجامع فسقية على أعمـدة من رخام عليها قبة عظيمة مزخرفة، ولها بوابة فى غاية الارتفاع والعلو والصناعة، وأبواب من النحاس الأصفر، ملمعة بالذهب والفضة، وبنى للجامع ثلاث منارات، إحداها على الجهة البحرية فى غاية التنميق والترصيع ليس لها نظير، والثانيتان على برجى باب زويلة، على كل برج مئذنة من الحجر الأبيض المنقوش بالذهب واللازورد.

ولمـا كملت هذه العمارة السعيدة المشكورة — تقبلها الله تعالى — نزل السلطان إليها ومد سماطا عظيما إلى الغاية، وملأ فسقية الجامع سكرا، وكان يوما مشهودا إلى الغاية.

واستقر القاضى شمس الدين محمد بن الديرى شيخ الشيوخ بها، ونزل المدرسون من المذاهب الأربعة، ورتب درس الحديث، ودرس الطب والميعاد، وقراءة البخارى فى أشهر رجب وشعبان ورمضان، ورتب قراءة السـبعة درسا وقراءة، ودرس الطحاوى وغير ذلك، ونزل بالجامع من كل طائفة جماعة من الطلبة المستحقين، فجملة الحنفية خمسون نفرا، والشافعية أربعون نفرا، والمـالكية عشرون نفرا، والحنابلة خمسة عشر نفرا، والمحدثون عشرون نفرا، والقراء بالسبع خمسة عشر نفرا، ورتب لكل واحد من الطلبة فى كل يوم من الخبز النقى العلامة أربعـة أرطال بالمصرى، ومن

الدراهم المؤيدية فى كل شهر أربعين درهما ، وهذه عبارة عن أربعمائة ، وهذه الجوامك لم يرتب مثلها أحد من الملوك إلا النادر ، والنادر لا حكم له فجزاه الله خيرا ، وبرّد مضجعه ، وتقبل عمله ورحمه والمسلمين :

وفى هذه السنة خلع على قاسم البشتكى واستقر فى وظيفة النظر على الحوالى بالديار المصرية على عادته عوضا عن مرجان المقتدى :

وفى يوم الاثنين .... والعشرين من ذى القعدة خُلع على الأمير فخر الدين بن أبى الفرج أستادار العالية واستقر وزيرا بالديار المصرية مضافا إلى ما بيده من الوظائف عوضا عن القاضى تقى الدين بن أبى شاكر بحكم وفاته :

وفى عاشر شهر ذى الحجة — يوم عيد النحر — سُفر الخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباسى إلى الثغر السكندرى — وكان معوقا بقلعة الجبل من يوم تولية السلطان الملك المؤيد وإلى يوم تاريخه — وسُفر معه أيضا أولاد الملك الناصر فرج بن برقوق ، وهم : فرج وخليل ومحمد ، وكان المسفر عليهم الأمير كزل الأرغون شاوى وكان أحد الأمراء بحماه وزوج بنت ابن البارزى كاتب السر :

وفيه قدمت المصونة خديجة زوجة ناصر الدين بن الأمير خليل فى طلب ولدها ، وكان السلطان الملك المؤيد استصحبه معه (٩٣ ب) فى السفرة التى سافر فيها لقتال نوروز ، فأكرمها السلطان وأجرى عليها ما يكفيها ويكفى خدمها :

وفى يوم السبت الثانى عشر من ذى الحجة عدّا السلطان إلى بر الجيزية وكان تصدق فى يوم العشرين بصدقات كثيرة على أهل الجوامع والمدارس والخوانق ، تقبل الله تعالى منه :

* * *

ذكر الأسعار فى هذه السنة

ففى شهر الله المحرم من هذه السنة تزايد السعر جدا فى الحبوب وغيره، حتى بلغت البطة من الدقيق إلى مائتين وأكثر، ولقد أخبرنى جماعة ثقات أنهم اشتروا البطة من الدقيق بمائتين وخمسين درهما بالفلوس معاملة مصر المحروسة.

وفى ربيع الأول تنازلت أسعار الحبوب، فبيع الإردب من القمح الطيب بمائتين وخمسين، وما دونه إلى مائتين، ومن الفول بمائة وخمسة وخمسين، ومن العدس بمائة وأربعين، وكان القدح منه وصل إلى عشرة دراهم، ومن الحمص إلى مائتين وأربعة، وكان القدح منه وصل إلى عشرة دراهم وأقل، والإردب من البسلة إلى مائة وخمسين، وكان القدح منها وصل إلى أربعة عشر.

وفيه قصد السلطان أن يغير الفلوس، وجمع شيئا كثيراً من الفلوس، حتى إنه اشترى من الفلوس بثمانين ألف دينار.

وأراد أن يضرب فلوسا جددا ليرد سعر الذهب والفضة إلى ما كان عليه فى أيام الملك الظاهر برقوق، ولم يزل يأمر بترخيص الذهب والفضة إلى أن انحطت الهرجة من مائتين وثمانين إلى مائتين وثلاثين، والإفرنتى إلى مائتين وعشرة بعد أن بلغ إلى مائتين وخمسين، وأمر أن يباع الناصرى بسعر الهرجة ولا يتعامل به عددا، واستمر ذلك إلى آخر دولته، ثم كان ما سنذكره فى سنة خمس وعشرين، ولم تزل تلك الفلوس عند السلطان إلى أن مات ففرقها الأمير ططر على المماليك، وكان الملك قد أرسل بعضها إلى اليمن، فأخذها صاحب اليمن.

وفيه اشتد الفناء بالرملة ونابلس وتلك البلاد.

* * *

ذكر ما وقع من الحوادث فى بلاد الشام وغيرها

فى هـــذه السنة وقع الفناء فى بلاد الشام وغيرها من البلاد ، حتى قيل إن أهل أصبهان لم يبق منهم إلا القليل ، وأن أهل فاس أحصوا من مات منهم فى شهر واحد ، فكان ستة وثلاثين ألفا ، حتى كادت البلاد تخلو من أهلها

وفى المحرم قبض على الأمير إينال أحد الأمراء بدمشق ، وسجن بالقلعة ؛

وفى ربيع الأول هجم الفرنج نستورة[1] ، فنهبوا وأحرقوا ، ثم قدموا فى ربيع الآخر إلى يافا ، فأسروا نساء وأطفالا ، فحاربهم المسلمون وفكوا منهم الأسرى بمال ؛

وفيه كانت وقعة نائب حلب والأمير كزل ، فانهزم كزل ، وجرح جماعة من أصحابه ، واستولى الأمير حسين بن كبك على ملطية ، فأساء السيرة فيها ، ثم هزم نائب حلب حميد بن نعير وغلب عليه ، وغنم منـــه مالا وجمالا ؛

وفيه توجه حذيفة بن سيف أمير آل فضل على الرحبة ، صحبة نائبها عمر بن شهرى وطائفة من عسكر الشام ، وهرب عذرا ، وسبى ولدا على ابن نعير ، فرجع العسكر الشامى ، وأقام حذيفة على الرحبة ونزل قريبا من تدمر ، فأتاه عذرا فى ثلاثة أنفس فوقعت بينهم مقاتلة عظيمة ، وكان النصر لحذيفة ؛

(١) وردت فى المعاجم وفى الألفاظ المصرية نســتراوه — بفتح النون وسكون السين وكسر التاء وفى البعض الآخر نسترو بفتح النون والتاء وضم الراء ، وقـــد تسمى مسطورة ، ويســتدل من تحقيقات محمـــد رمزى فى القاموس الجغرافى ق ١ ص ٤٦٠ أنها قد اندثرت وأنها كانت واقعة غربى البرلس على الساحل الرملى الفاصل بين بحيرة البرلس والبحر الأبيض المتوسط وكانت بحيرة البرلس تعرف قديما ببحيرة نسترو .

وفى الثانى والعشرين من ربيع الآخرة دخل ميناء الإسكندرية مركب من الفرنج ببضاعة ، فوقع بينهم وبين العتالين شر أفضى ذلك إلى القتال ، فأخذ الفرنج مركبا فيها عدة من المسلمين ، فبعث إليهم النائب غريمهم العتال فردوا ما أخذوا للمسلمين وانتقموا من العتال ، ثم وثبوا على مركب للمغاربة فأخذوها بما فيها ، فما نجا منها غير خمسة عشر نفرا سبحوا فى الماء.

* * *

ثم فى السادس عشر من جمادى الآخرة قدم صلاح الدين بن ناظر الخاص إلى إسكندرية لتحصيل ما بها من مال ، فبينما هو فى الخمس(١) وبين يديه أعيان البلد، إذ أسر إليه شخص أن بعض الفرنج الذين وصلوا فى ثمانية مراكب قد عزموا على أن يهجموا عليه ويأسروه، فلم يكذب الخبر وقام مسرعا ، فتسارع الناس أيضا فسقط ، فانكسرت رجله وحمل إلى داره ، ثم ركب البحر إلى أن وصل إلى القاهرة منزعجا ، وهجم الفرنج على المدينة فكاثرهم أهل المدينة حتى أغلقوا باب البحر ، فوجدوا من المسلمين ممن هم خارج البلد جماعة ، فقتلوا منهم عشرين رجلا ، وأسروا جماعة يزيدون على السبعين ، وأخذوا ما ظفروا ، ثم صففوا مراكبهم وحاصروا البلد، فتراموا بالسهام جميع الليل ، فأخذ كثير من المسلمين فى الفرار من الإسكندرية وقام الصياح واشتد البلاء ، واتفق قدوم مركب من المغاربة ببضاعة ، فمال الفرنج عليهم فقاتلوهم ، وآخر الأمر أخذوهم وضربوا أعناقهم ، وأهل الإسكندرية يرونهم من فوق الأسوار ، وما لهم منعة إلى خلاصهم منهم :

(١) هكذا فى الأصل .

ولمـــا بلغ الخبر إلى السلطان أرسل جماعة من الأمراء فوصلوا إلى الإسكندرية ولم يتلاقوا مع الفرنج فإنهم كانوا أقلعوا وتوجهوا ، وكان الشيخ زين الدين أبو هريرة النقاش قد سار إليها فى جماعة من المطوعة على نية الجهاد ، فقدموا إلى إسكندرية ولم يروا شيئا فرجعوا ؛

* * *

وفى شوال كانت الفتن بين أهل البحيرة ، فقتل موسى ورحاب وحسين ابن شرف وغيرهم من شيوخهم ، وتوجه الأستادار لمحاربتهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وقدم فى ذي القعدة ومعه من البقر والغنم شىء كثير ؛

وفى ذى القعدة حاصر نائب حلب قلعة الخوابى ، إحدى قلاع الإسماعيلية ، وأخذها عنوة وأخربها حتى صارت أرضا ؛

وفيه أفرج عن سودون الأشقر من الإسكندرية ، فجهز إلى القدس بطالا ؛

* * *

وفيها حج بالناس من القـــاهرة الأمير أزدمرجيا أمير طبلخاناه ، وكان أمير الركب الأول الأمير قارى أمير عشرة ، فتوفى وهو ذاهب فى وادى القباب واســتقر عوضه الأمير صـــلاح الدين بن بدر الدين ناظر الخاص ؛

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٥٣٨ — الشيخ الإمام زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن على بن عبد الواحد ابن يوسف بن عبد الرحيم الزركانى[1] الأصل ثم المصرى، أبو هريرة بن النقاش ولد فى الرابع عشر من ذى الحجة سنة سبع وأربعين وسبعمائة بالقاهرة، واشتغل بالعلم، ودرس بعد وفاة أبيه وله بضع عشرة سنة، واشتهر بصدق اللهجة، وجودة الرأى، والأمر بالمعروف، مع الصرامة والصدع بالوعظ فى خطبه، وصارت له وجاهة عند الخاصة والعامة، وانتزع خطابة جامع ابن طولون من ابن بهاء الدين السبكى فاستمرت بيده، وكان مقتصدا فى ملبسه، عارفا بأمر دينه ودنياه، متكسبا من الزراعة وغيرها، وله ماجريات مع الظلمة، وامتحن مرات ولكنه كان ينجو سريعا بعون الله تعالى وصفاء نيته، وحج مرات وجاور، وتوفى فى ليلة العاشر من ذى الحجة ودفن عند باب القرافة، وكانت له جنازة عظيمة، رحمه الله.

٥٣٩ — الشيخ الإمام العالم العلامة الفاضل عز الدين محمد بن شرف الدين ابن أبى بكر بن عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة، ولد سنة تسع وأربعين وسبعمائة بمدينة الينبوع، وسمع على القلانسى والعرضى وجده، وأحضر على الميدومى، وأجاز له جماعة من الشاميين

---

(١) هكذا فى الأصل وذلك نسبة إلى «زركان» أو داركان وهى عاصمة كورة دارابجرد من بلاد فارس، أنظر فى ذلك لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٢٦ — ٣٢٧، هذا وقد ورد فى مراصد الاطلاع ٦٥٣/٢ «زركران» وقال إنها من قرى سمرقند، على أنه يلاحظ أن نزهة النفوس انفردت دون بقية المراجع التى ترجمت له بنسبته إلى «زركان» وهو يلقب أيضا «بالدكالى» فى كل من النجوم الزاهرة ٤٥/٦، والضوء اللامع ٢٧٠/٤ وشذرات الذهب ١٣٦/٧، وذلك نسبة إلى دكاله — بفتح أوله وتشديد ثانيه — وهى بلد بالمغرب تسكنه البربر، كما ذكر مراصد الاطلاع ٥٣١/١.

والمصريين بعناية الشيخ زين الدين العراقى ، واشتغل بكل الفنون ، حتى فى الفنون الصناعية ، وله تصانيف كثيرة ، وكان متجنبا الاختلاط بالناس وليس [له] رغبة فى الوظائف والمناصب أصلا ، وجل مقصده مواضع التنزهات والمفترجات ، يتوجه إليها ويمشى بين العوام ، ويقف على حلق المنافقين ونحوهم ، ولم يتزوج قط ، ولا حج مع عرض ذلك عليه من جماعة من الرؤساء ، ويحب الأكل الشهى كالفاكهة والحلوى ، ويداعب ويلاعب أصحابه بالمزاح والنوادر من الكلام ، ولما ورد الشيخ علاء الدين السيرامى (٩٤ أ) القاهرة وتولى تدريس البرقوقية لازمه ، واستمر يتردد إليه إلى حين وفاة الشيخ علاء الدين المذكور ، وتوفى الشيخ عز الدين بن جماعة فى يوم الأربعاء العشرين من ربيع الآخر(١) ، رحمة الله عليه وعلى المسلمين .

٥٤٠ — الشيخ الإمام الفاضل علم الدين محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى ، قدم الديار المصرية فأحسن إليه بعض الأمراء ، ثم تولى تدريس مدرسة الأمير جمال الدين الأستادار ، وأحسن إليه جمال الدين إحسانا عظيما ورتب له الرواتب ، وكان رجلا فاضلا ، واشتغل قديما فى بلاده ، وكانت له يد طولى فى حل « الكشاف » ، توفى يوم الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول وقد جاوز السبعين ، وتولى عوضه فى المدرسة الجمالية ولى الدين ابن العراقى يوم الأربعاء التاسع والعشرين من ربيع الأول رحمه الله .

٥٤١ — قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن قاضى القضاة جمال الدين إبراهيم بن أبى جرادة العقيلى الحلبى نزيل مصر ، ولد سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة بحلب ، وقدم القاهرة مع أبيه ، وأشغله أبوه على بعض المشايخ مع ميله إلى اللعب والمزاح ، إلى أن مات

(١) فى النجوم الزاهرة ٦/٥٥ « ربيع الأول » .

أبوه، وأوصاه ألا يترك منصب القضاء ولو أذهب فيه جميع ما يملكه، فقبل الوصية، ثم تولى القضاء بالرشا، وتسلط على الأوقاف.

ولقد حصلت الذلة والإهانة لمذهب الحنفية بمثل تولية هذا الصبي اللعاب الذميم، سيء المعاملة، قليل المبالاة بأمور الدين، ولم يكف الحنفية ما حل بهم من ولاية مثل هذا المذكور قاضيهم حتى تولى مشيخة خانقاه شيخو، موضع العلامة الشيخ أكمل الدين، الذى ما كان يرى هذا المذكور أهلا للقراءة عليه، ولقد امتحن فى الدولة الناصرية على يد الوزير سعدالدين ابن البشيرى، وصودر وهو مع ذلك قاضى القضاة:

توفى ليلة السبت العاشر من ربيع الآخر بعد ذهاب الفناء، مع أنه كان فى أيام الفناء يخاف من الموت خوفا شديدا، وصار دأبه أن يستوصف من الناس ما يدفع به الطاعون، وانقطع عن الناس لئلا يشهد جنائزهم، ولا يرى الأموات لشدة خوفه من الموت، فقدر الله أنه سلم من الطاعون، وابتلى بالقولنج الصفراوى فمات.

وخلف موجودا كثيرا وكتبا نفيسة كثيرة ليس لها نظير، فتسلط على جملة ما خلفه من الكتب والمـــال جماعة من جهة القاضى ناصر الدين ابن البارزى كاتب السر الشريف بواسطة اللبودى نقيب الحنفية، وكان هذا المـــال قد جمع من حلال وحرام، وذهب شذر مذر:

٥٤٢ ــ الشيخ الفاضل أبوالفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبدالدايم، الباهلى[(١)] الحنبلى، كان رجلا فاضلا ذكيا، درس وتولى تدريس الجمالية للحنابلة، ومات يوم الجمعة العاشر من ربيع الأول رحمه الله.

(١) هكذا فى الأصل، لكنها «الباهى» فى الضوء اللامع ٩/٧٣١ وشذرات الذهب ٧/١٤٢، هذا وقد جعل الضوء وفاته يوم ٢٤ ربيع الأول.

٥٤٣ ــ قاضى القضاة شمس الدين محمد بن على بن معبد(١) المالكى ، المعروف بالمدنى ، ولد سنة تسع وخمسين ، واشتغل قليلا ، وتولى تدريس الحديث بالشيخونية فباشره مع قلة مادته مدة ، ثم ولى القضاء بالديار المصرية بواسطة فتح الله كاتب السر فى الأيام الناصرية ، ثم عزل ثم أعيد ، ثم عزل فى أيام المؤيد ثم أعيد ، وكان مشكورا فى أحكامه ، مات فى العاشر من ربيع الأول منها ، رحمه الله .

٥٤٤ ــ قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى الحنفى ، ولد فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة ، واشتغل فى حياة أبيه ، وتولى القضاء بعد موت قاضى القضاة مدة طويلة ، ثم عزل عنه فى الدولة المؤيدية ، وانتزع من أخيه إفتاء دار العلم فتقرر فيه شهاب الدين أحمد بن السفرى الحلبى ، ثم تقرر ابن الجيتى(٢) الحلبى الحموى ، واستمر أمين الدين خاملا حتى مات بالطاعون يوم الخامس والعشرين من ربيع الأول :

ومن العجائب أن القاضى ناصر الدين بن العديم أوصى فى مرض موته بمبلغ كبير يعطى لتقى الدين بن الجيتى ليسعى به فى قضاء الحنفية لئلا يتولاه ابن الطرابلسى ، فقدر الله موت ابن الطرابلسى قبل موت ابن العديم ، وكذلك ابن الجيتى مات قبله .

---

(١) الضبط من النجوم الزاهرة ٦/٤٥٦ ، والظاهر أن هذه الترجمة ستتكرر تحت رقم ٥٥٥ .

(٢) النجوم الزاهرة ٦/٤٥٤ « الحبتى » وهو تقى الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد الجيتى ــ بكسر الجيم والتاء بينهما ياء ساكنة ــ انظر الترجمة رقم ٥٤٥ والضوء اللامع ج ١١ ص ٥٠ ترجمة رقم ٢٠ .

٥٤٥ — أبو بكر بن عثمان بن محمد بن الجيتى (بكسر الجيم وسكون الياء آخر الحروف بعدها تاء مثناة من فوقها) ، الحموى الحنفى ، قدم الديار الديار المصرية صحبة علاء الدين بن مغلى الحنبلى الحموى ، فنزل عند ابن البارزى فأحضره مجلس السلطان وولاه قضاء العسكر وغيره ، مات بالطاعون فى آخر ربيع الأول منها .

٥٤٦ — شهاب الدين أحمد بن الصفدى الشامى نزيل القاهرة ، كان قد خدم السلطان فى التوقيع لما كان نائبا بالشام ، ثم قدم معه إلى القاهرة ، وكان فى أمله أن يتولى كتابة السر ولكنه تأخر عن ذلك لأجل طرش فى سمعه ، وقيل غير ذلك ، فولاه السلطان نظر المارستان المنصورى ونظر الأحباس ولم يكن محمودا فى مباشرته . قال قاضى القضاة بدر الدين العينى رحمه الله فى تاريخه عند ذكره لوفاته : « وكيف يكون محمودا ، وقد كان جاهلا عاميا ، غير مبال فى أمور دينه ، ولا محترز عن الحرام ، مع رقاعة فى نفسه وشمم فى ذاته » :

مات يوم السبت الحادى عشر من ربيع الأول ، وتولى عوضه فى نظر المارستان المنصورى تقى الدين يحيى (١) بن الكرمانى ، وفى نظر الأحباس القاضى بدر الدين محمود العينى ، رحمهما الله :

٥٤٧ — الشيخ شهاب الدين أحمد المصرى المعروف بالزاهد ، كان يعظ وكان غالب وعظه للنساء ، وبنى الجامع بالمقسى المشهور به : مات فى الرابع والعشرين من ربيع الأول :

---

(١) هو يحيى بن محمد بن يوسف بن على الكرمانى ثم القاهرى الشافعى ، البغدادى مولدا ، قدم القاهرة مع المؤيد شيخ أكثر من مرة ، وقد أجمع مترجموه على الثناء عليه لفضله وعلمه .

٥٤٨ — أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسى الوانوغى ، (بتشديد النون المضمومة وسكون الواو بعدها غين معجمة) ، ولد قبل الستين ، واشتغل فى بلده فبرع فى عدة فنون ، ثم قدم إلى القاهرة للحج فحج وجاور بالمدينة مدة طويلة وبمكة أيضا ، وهو مكب على الاشتغال والتدريس والصنعة والإفتاء والإفادة ، إلا أنه كان يعاب عليه ازدراؤه لعلماء العصر بل وعلى شيوخهم فلهجوا بذمه ، مات فى ربيع الآخر بمكة رحمه الله تعالى :

٥٤٩ — أبو أحمد ظهيرة بن حسين بن على بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومى المكى ، مات فى صفر بمكة ، وقد جاوز السبعين :

٥٥٠ — شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن الفاسى ثم المكى ، والد قاضى القضاة المالكية بمكة تقى الدين ، ولد سنة أربع وخمسين ، وعنى بالعلم ، فمهر فى عدة فنون خصوصا الأدب ، وله شعر لائق ، ونظم رائق ، ومعنى فائق ، ويد طولى فى الوثائق ، ودرس وأفتى ، وحدث قليلا . سمع من عز الدين بن جماعة وأبى البقاء السبكى وغيرهما ، وباشر شهادة الحرم نحوا من خمسين سنة ، ومات فى حادى عشرى شوال ، رحمه الله :

٥٥١ — أبو البركات محمد بن أبى السعود محمد بن حسين بن على بن أحمد ابن عطية بن ظهيرة المخزومى المكى ، كمال الدين ، ولد سنة أربع وستين ، وكان مشتغلا بالتجارة ، مشهورا بسوء المعاملة ، ولى حسبة مكة ونيابة الحكم عن قريبه الشيخ جمال الدين ، فعيب على جمال الدين توليته ، وأنكر عليه أهل الدولة فعزله ، فسعى هو فى عزل جمال الدين ، فبذل مالا فى أوائل

الدولة المؤيدية ، فلم يتم له ذلك حتى مات جمال الدين ، فتعصب له بعض أهل الدولة المؤيدية .

تولى دون السنة ، ثم وليه مرة أخرى فى هذه السنة دون الشهرين ، ومات معزولا فى الثالث والعشرين من ذى الحجة بعلة ذات الجنب .

٥٥٢ — ....بن اسماعيل بن علوان الزبيدى (بفتح الزاى) ثم المهجمى ولى قضاء مكة مدة ، وكان فقيها مشكور السيرة ، ومات ببلده فيها .

٥٥٣ — الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الكردى الدمشقى ، اشتغل بالعلم كثيرا وكان يعظ ، فاشتهر عليه فاعتذر فرجع إلى دمشق ومات بها وقد جاوز الستين ، ويقال إنه كان يرى حلّ المتعة .

٥٥٤ — الأمير شهاب الدين بن عمر بن قطينة — بضم القاف — باشر شد الخاص ، ثم تقلبت به الأحوال إلى أن ولى الوزارة فى سنة اثنتين وثمانمائة فلم يرسخ بها قدمه بل أقام جمعة واحدة وعزل ، ومات فى أواخر المحرم منهـا .

٥٥٥ — قاضى[(١)] القضاة شمس الدين محمد المدنى المالكى ، توفى يوم الجمعة العاشر من ربيع الأول ، وكان معزولا من مدة ، مشهورا بالجودة والديانة ، مشكور السيرة فى ولايته ، ودفن بالقاهرة ، رحمه الله .

٥٥٦ — الشيخ[(٢)] شهاب الدين أحمد بن النشوان الشافعى الحورانى ، توفى فى هذه السنة فى المارستان الذى بناه نور الدين الشهيد — رحمه الله — بدمشق

---

(١) راجع ص ٣٧٥ ، حاشية رقم ٢ .

(٢) الصحيح فى اسمه : أحمد بن محمد بن نشوان بن محمد بن نشوان الحورانى ، وقد ترجم له الشذرات ١٣٢/٧ وقال فيه : « وهم من أرخه سنة تسع » ومع ذلك فقد ترجم له فى تلك السنة كما جاء فى ٨٥/٧ منها ، انظر أيضا الضوء اللامع ٥٦٧/٢ ، وأدرجه ابن حجر فى إنباء الغمر فيمن مات سنة ٨١٩ .

المحروسة فى يوم الخميس السادس من شهر جماى الأولى من هـــذه السنة ، وكان رجـــلا فاضلا دينا عالمـــا ، وصلى عليه قاضى القضاة ابن حجر الشافعى فى الجامع الأموى ، ودفن فى مقبرة صوفلار ، رحمه الله .

٥٥٧ — الشيخ سعد بن عبد الله ، الساكن فى قرية عقرباء(١) حذاء دمشق ، وهو قاعد فى القرية المذكورة ، وظل مشتغلا بالصلاة والعبادة والذكر مقدار خمس وثلاثين سنة ، ما دخل إلى دمشق إلا إلى السوق ، ولا رأى مشمشا على الشجر ، وكان رجلا صالحا زاهدا (٩٤ ب) ورعا ، وقيل كان أصله من مصر ، جاء إلى دمشق وسكن فى عقرباء المذكورة .

وكان شافعى المذهب ، وكانت وفاته فى هذه السنة فى منتصف جمادى الأولى فى يوم السبت ، وصلى عليه قاضى دمشق ، وحضر جنازته خلق كثير لا يحصى عددهم ، ودفن يوم الأحد فى قرية عقرباء ، رحمه الله .

٥٥٨ — الأمير شاهين الخضرى ، كان رجلا متكبرا ، مدمنا على الخمر على باب اصطبله فى الزقاق جهرا لا يستحى من الله ولا من المخلوقين ، قال شيخنا البدر العينى : « كان غالب سكره ليلة الجمعة ، وكان لا يفارق السلاح من يده لا ليلا ولا نهارا ، ولم يقابله أحد لخوفه منه ولجوره » وكانت وفاته بالطاعون فى نهار السبت ثالث عشرين من شهر ربيع الآخرة

(١) عرفها مراصد الاطلاع ٢ / ٩٤٩ بأنها اسم مدينة الجولان من كور دمشق وذكر Dussaud Topographie Hist. de le Syrie, pp. 294; 302 أنها جنوب شرق مدينة دمشق وهى فى منطقة الغوطة .

بدمشق المحروسة فى حارة الورداسية، وصلى عليه قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك فى باب جامع يلبغا اليحياوى تحت القلعة ودفنوه فى مقبرة صوفلار .

٥٥٩ — الأمير تنبك شاد الشراب خاناه، انتقل فى الخدمة وولى إمرة الحج فى سنة ثمانى عشرة ، وقدم فى أول هذه السنة وهو ضعيف وقد شكر الناس سيرته ، مات فى صفر منها بالقاهرة ؛ رحمه الله .

٥٦٠ — زين الدين مقبل بن عبد الله الطواشى الأشقتمري ، كان جمدارا عند الظاهر والناصر ، وكان ملازما للديانة ، محبا للفقهاء والفقراء، واشتغل كثيرا، وحفظ « الحاوى الصغير » على مذهب الإمام الشافعى رحمه الله ، وكان صوته حسنا، ويقرئ القرآن حسبة، وعمر مدرسته فى التبانة بالقاهرة، وجاور عامين متواليين قبل موته، مات بالطاعون يوم الثلاثاء الثالث من ربيع الآخر ، ودفن يوم الأربعاء ، رحمه الله .

٥٦١ — الأدر المحمية المصونة خوند بنت السلطان الناصر فرج زوجة المقام الصارمى سيدى إبراهيم بن الملك المؤيد، توفيت يوم الأحد التاسع عشر من ربيع الأول، ودفنت فى تربة والدها بحذاء قبة النصر .

٥٦٢ — القاضى شهاب الدين أحمد بن الشيخ الزاهد شمس الدين محمد الحلبى الشهير بابن السفرى [مات] بالقدس الشريف فى هذه السنة ، وكان رجلا عالما ، وكان فى أيام أبيه مشتغلا بالعلم الشريف، وبعد وفاة أبيه ترك الاشتغال بالعلم الشريف ، وواظب صحبة الأمراء والأكابر خصوصا

عند نوروز الحافظى وهو نائب حلب فأكرمه وعظمه وولاه نظارة الجيوش المنصورة بحلب، ثم بعد هذا مسكه السلطان الملك الناصر فرج واعتقله بحلب وأرسله فى الترسيم إلى القاهرة بسبب موافقته لنوروز الحافظى فى أموره، وبعد هذا عفى عنه وسكن القاهرة، وجلس فى الفكاهيين عند باب زويلة قريب سنة، وبعد هذا نفاه السلطان الملك المؤيد إلى القدس الشريف وسكن به قريب سنتين، وتوفى فيه رحمه الله تعالى ووالدينا ومشايخنا :

* * *

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة العشرين بعد الثمــانى مائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية الملك المؤيد أبو النصر شيخ ، وخليفة الوقت المعتمد بالله أبو الفتح داود العباسى ، وأتابك العساكر بالديار المصرية الأمير ألطنبغا القرمشى ، ورأس نوبة كبير الأمير برديك قزقا أمير سلاح ، وقجقار القردمى أمير سلاح ، وتنبك ميق أمير آخور كبير ، وجقمق الأرغنشاوى دوادار كبير ، وسودون قرا صقل حاجب الحجاب ، وأستادار العاليــة فخر الدين بن أبى الفرج وهو المشــير وهو الوزير أيضا والكاشف فى الشرقية والغربية .

وقاضى القضاة الشافعى جلال الدين عبد الرحيم بن البلقينى ، وقاضى القضاة الحنفى شمس الدين الديرى القدسى ، والقاضى المــالكى جمال الدين الأقفهسى ، والقاضى الحنبلى علاء الدين بن المغلى الحموى :

وكاتب السر الشريف ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى ، وناظر الجيش علم الدين بن الكويز ، وناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله .

ونائب الإسكندرية قطلوبغا ، ونائب غزة الأمير مشترك ، ونائب صفد الأمير خليل الدشارى ، ونائب الشام الأمير ألطنبغا العثمانى ، ونائب حماه

الأمير جارقطلو ، ونائب حلب الأمير آقباى ، ونائب طرابلس الأمير يشبك المشد .

* * *

واستهلت هذه السنة والسلطان على قصد السفر لتهميد أمور البلاد الشامية ، وعلق الجاليش فى خامس المحرم ، ونودى على الفلوس كل رطل بستة دراهم فاستقامت الأحوال ، وكان قد نودى فى العام الماضى أن يكون كل رطل بخمسة ونصف ، فحصل بذلك تشويش كبير ، وأمر السلطان الأمير ابن سقلسيز بالسفر لجمع التراكمين فتوجه .

وفى يوم التاسع عشر من المحرم فرق[1] السلطان النفقة على الأمراء والمماليك ، فأعطى الأمير الكبير خمسة آلاف دينار ، وأمير سلاح أربعة آلاف دينار ، وبقية المقدمين ألفى دينار كل نفر منهم ، وأما الطبلخانات فخمسمائة دينار ، والعشرات مائة دينار ، ولكل نفر من المماليك السلطانية عشرة آلاف درهم ، حسابا عن أربعين دينار من الذهب ، وأخرج السلطان فى هذه النفقة هرجة ، كل دينار منها وزنه عشرة مثاقيل ، ولم ينتفع به إلا من كان غنيا ، لأن الفقير يصرفه عند الصيارف بخسارة كبيرة .

* * *

ذكر نزول السلطان مدرسته

لما كان يوم الخميس الثانى والعشرين من المحرم نزل السلطان إلى الجامع الذى عمره عند باب زويلة وفى خدمته وبين يديه خلق كثير من الأمراء وغيرهم ، ومد بالجامع سماطا عظيما ، وأنزل الكتب وأوقفها على الجامع ، وعين الخطابة للقاضى ناصر الدين البارزى كاتب السر ، والإمامة

(١) كانت هذه التفرقة كما ذكرت فى النجوم الزاهرة ٦ / ٣٦٠ يوم الخامس عشر من المحرم .

لشهاب الدين أحمد الأذرعى(١) إمام السلطان ، وأمره أن يصلى على مذهب الإمام أبى حنيفة ، وكان شافعيا ، فصار لا يجهر بالبسملة ولا بالقنوت فى صلاة الصبح ، بل ولا يقرأه سرا ، فإنهما بدعة عند المحدثين ، ذكره الزيلعى فى كتابه « تخريج أحاديث الهداية » رحمه الله ، وعين مؤذنين ومقرئين ليس إلا ، ثم ركب .

* * *

ذكر قدوم أقباى نائب حلب

لما كان يوم السبت الرابع والعشرين من المحرم قدم الأمير أقباى [المؤيدى] نائب حلب على عشرة سرج على حين غفلة بغير مرسوم السلطان ، وكان بين خروجه من حلب ووصوله إلى القاهرة ثمانية أيام ، ودخل القاهرة فى اليوم التاسع ، وكان السبب فى ذلك أن ابن صقلسيز صاحب شيزر قد كان بينه وبين نائب حلب تبغيض ، فأراد نائب حلب أن يوقع به القتل ، فهرب وحضر إلى القاهرة ، وتكلم فى حق صاحب حلب ، حتى أشاع عنه بين الناس أنه عصى وخرج عن الطاعة ، فلما بلغ ذلك النائب خرج على وجهه حتى قدم القاهرة ، فحين طلع عند السلطان عتبه على مجيئه بغير إذن ، ثم بعد ذلك خلع عليه خلعة سنية ، وكان عند وصوله إلى قطيا أرسلوا البطاقة بحضوره فأمر بتلقيه ، فتلقوه بسرياقوس وجهز إليه مركوبا وكاملية(٢) ، ولما خلع عليه قال له : «أنت نائب دمشق» وأمره بالتوجه بسرعة فخرج على جرائد الخيل ، وعزل(٣) الأمير ألطنبغا العثمانى وأمر بمسكه وحبسه بقلعة دمشق ، وأرسل لذلك آقبغا [تمرازى]

(١) هو الشهاب أحمد بن حسن بن على بن محمد الأذرعى الدمشقى ثم المصرى الشافعى ، سمع المؤيد قراءته فى جامع بنى أمية فأعجبته واستدعاه فقرره إمامه ، ثم استقر به وبذريته فى جامعه المؤيد ، وكانت فاته سنة ٨٥١ ، أنظر الضوء اللامع ج ١ ص ٢٧٦ .

(٢) كانت كاملية مخمل بفرو سمور وبمقلب سمور .

(٣) ضمير الغائب هنا عائد على السلطان .

أمير آخــور ، وأمر أن يحتاط على موجــوده وخلع أيضا فى ذلك اليوم على الأمير قجقار القردمى واستقر فى نيابة حلب عوضا عن الأمير أقباى بحكم انتقاله إلى الشام :

* * *

ذكر خروج السلطان إلى الشام

لمــا كان تاريخ يوم وصول أقباى إلى القاهرة خرج خام السلطان إلى الريدانية ، ونادى فى القاهرة أن الأجناد البطالين يخدمون عند الأمراء ، ومن وجد منهم بعد سفر السلطان فلا يلومن إلا نفسه ، ثم مسك منهــم جماعة فسجنوا :

وفى يوم الاثنين السادس والعشرين من المحرم خرج السلطان بأطــلابه العظيمة ونزل بالريدانية ، وكان يوما مشهودا ، وقرر نائب الغيبة الأمير طوغان الذى كان نائب صــفد وأمره أن يقيم بباب السلســلة (٩٥ أ) ، وقرر فى القلعة الأمير أزدمر جيا ، وفى المدينة الأمير فخر الدين بن أبى الفرج والأستادار لتحصيل الأموال والنظر فى الولايات :

وفى هذا اليوم خلع على شمس الدين محمد بن يعقوب [التبانى](١) ، واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن الأمير منكلى العجمى الحاجب :

وفى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من المحرم رحــل الأمير أقباى [المؤيدى] الذى تولى الشام ، وكان السلطان قــد أنعم عليه بألفى دينــار وخيل وجمال ، وكذلك الأمراء أرسلوا إليه :

(١) فى الأصل « الشامى » وهو خطأ .

وفى يوم الخميس التاسع والعشرين من المحرم دخل الأمير قجقار القردمى الذى تولى حلب (١) ومعه سيدى إبراهيم بن السلطان المؤيد وجماعة من الأمراء .

وفى يوم الثلاثاء الرابع من صفر (٢) رحل السلطان الملك المؤيد من الريدانية ونزل فى العكرشة ، ثم جاء إلى الخانقاه الناصرية ودخل الحمام ثم دخل الخانقاه ، ومد بين يديه سماط ، وقعد هنيهة ثم توجه إلى الشام :

وفى يوم الثانى عشر من صفر وصل ناصر الدين بن خطاب — الحاجب بدمشق — إلى السلطان وأخبر أن أقبغا أمير آخور لما وصل بسبب ألطنبغا العثمانى نائب دمشق ، وكان ألطنبغا حينئذ فى أثناء الطريق ، فأذعن لأمر السلطان وسل سيفه بيده ، وتوجه صحبة العساكر إلى دمشق فسجن بالقلعة وكان السلطان عدد له ذنوبا ، منها أنه كبس على طائفة من العرب وهم مطيعون للسلطان ، فكسره العرب فقال له السلطان : « عصيت المطيعين وكسرت حرمة السلطنة » ومنها أن مماليكه وحاشيته شكوه إلى السلطان ، أن لهم ستة أشهر لم يصرف لهم جامكية .

* * *

ذكر دخول السلطان غزة ثم دخوله الشام

لما رحل السلطان من العكرشة يوم الخميس السادس من صفر وصل إلى غزة فى نصف صفر ، ونزل بالمصطبة التى كان السلطان أمر بتجديدها

---

(١) الظاهر أنه سقط من هنا كلام ، إذا أن جاليش السلطان تقدم السلطان وفيه جماعة من الأمراء ومقدم الجميع إبراهيم بن السلطان .

(٢) استصحب المؤيد فى سفرته هذه القصاد الذين كانوا قد وفدوا عليه منذ السنة الماضية وهم قصاد قرا يوسف صاحب بغداد والعراق وسلمان بن عثمان صاحب الروم وبير عمر صاحب أرزنكان وابن رمضان .

بظاهر غزة من ناحية الشام ، وهى مصطبة تحتها إصطبل واسع ، وتحتها منظرة عالية ، وبها مرافق كثيرة ، ومصروف هذه المصطبة ثلاثة آلاف دينار ، فقدم إلى السلطان هناك الأمير خليل الدشارى نائب صفد ، وحسن ابن بشارة مقدم البلاد الصفدية ، ثم توجه إلى جهة دمشق وأمراء العربان ومشايخ البلاد يردون عليه إلى أن وصل برج الكنيسة فى السابع والعشرين من صفر ، فقدم عليه قصاد أمراء التركمان يسألون الصفح عنهم ويعدون بحضورهم إلى الطاعة ، فأجيبوا بأنهم إن صدقوا فى ذلك ووصلوا أولا فليتخذ كل منهم نقبا فى الأرض أو سلما فى السماء ، ثم دخل السلطان دمشق يوم الاثنين مستهل ربيع الأول ولم ينزل القلعة ، بل استمر سائرا إلى أن نزل بالمصطبة التى استجدها لنفسه بغزة ، وابنه سيدى إبراهيم حامل القبة على رأسه ، وكان يوما مشهودا .

وفى ليلة الجمعة عمل المولد هناك على العادة ، وأرسل فى ثامن الشهر زين الدين الخواجا إلى محمد باك بن قرمان صاحب قونية وما والاها برسالة .

وفى تاسع الشهر قدم الأمير يشبك المشد نائب طرابلس .

وفى يوم الاثنين الخامس عشر من ربيع الأول حضر بريدى من الشام إلى القاهرة وأخبر بما قدمنا ذكره جميعا ، وأخبر أن السلطان أفرج عن الأمير سودون القاضى من الحبس بالشام ، وكان محبوسا من أيام وقعة قنباى نائب الشام كان على ما ذكرنا .

* * *

ذكر توجه السلطان إلى حلب

بتاريخ العاشر من ربيع الأول رحل السلطان من برزة (١) متوجها إلى حلب فلما وصل إلى حمص قدم إليه نائب حماه جار قطلو ثم عمل المهمات السلطانية ثم دخل إلى حماه وقدم إليه حذيفة بن يوسف أمير آل فضل، وغنام بن زامل أمير آل موسى ، ثم سار متوجها إلى حلب ، فوصل ليلة الثلاثاء السابع عشر من ربيع الأول إلى تل السلطان ، فأصبح هناك وعرض العساكر ، ثم رحل إلى قنسرين فقدم إليه الأمير قجقار القردمى نائب حلب بعسكرها ، ثم قدم طغرل بن صقلسيز بعساكره وهم ألف وخمس مائة فارس .

وفى يوم السبت الحادى والعشرين من ربيع الأول ركب السلطان عند الفجر وشرع فى ترتيب الأطلاب وتعبئة العساكر بنفسه ، ودخل حلب وشقها إلى أن نزل المصطبة الظاهرية خارجها .

وفى يوم الأحد الثالث من ربيع الآخر حضر نجاب الى القاهرة ومعه مراسيم تتضمن دخول السلطان حلب فى التاريخ الذى ذكرناه، فقرئت المراسيم عند نائب الغيبة الأمير طوغان .

ولما استقر ركاب السلطان فى حلب ورد فى الثالث والعشرين منه الأمير خليل بن علان نائب إياس ومعه مفاتيح قلعتها، وورد أيضا فى الثالث والعشرين منه جمع كثير من التركمان والعربان، ثم جهز السلطان الأمير أقباى نائب الشام ونائب حماه جارقطلو وعساكريهما، وضم إليهما جمعا

(١) برزه قرية فى غوطة دمشق ، أنظر مراصد الاطلاع ١/١٨٣ .

كبيرا من التركمان والعرب ، وأرسلهما إلى ملطية ، وقرر داود بن أزد وجماعته بالعمق ، ثم رحل جاليش السلطان ومقدمهم الأمير ألطنبغا القرمشى ومعه جماعة من الأمراء :

* * *

ذكر توجه السلطان إلى نواحى مرعش والبلستين

لما سار جاليش السلطان من حلب إلى ناحية العمق سار السلطان وراءهم فى الثانى من ربيع الآخرة ، ولما قدم إلى العمق حضر إليه رسول من عند محمد بن قرمان وصحبته هدية وكتاب اعتذار عن تقصيره وفضة مسكوكة باسم السلطان ، فعنف السلطان الرسول ، وعدد له خطأ مرسله ابن قرمان فى امتناعه عن تجهيز مفاتيح طرسوس وفى عدم قبضه على كزل نائب ملطية وغيره من المتسحبين ، فاعتذر مصلح الدين فصفح عنه وأمره بالجلوس وفرق الدراهم على الحاضرين ، وقدم فى ذلك اليوم رسول ابن عثمان ، ثم قدم الأمير إبراهيم بن رمضان وابن عمه ، وأكثر التركمان والأوجواقية ، وقدمت معهم أم إبراهيم وأولاده الصغار ، فأكرمهم السلطان وخلع عليهم ثم أنفق فيهم ، وأرسل مصلح الدين لإرسال مفاتيح طرسوس وقال له : « إن مضى جمادى الأول ولم يحضر أمشى على بلاد ابن قرمان » ، ثم وجه السلطان الأمير ققجقار نائب حلب إلى جهة طرسوس فقدم بين يديه شاهين الأيدكارى فدخل طرسوس وتحصن نائبها بالقلعة ، فنزل ققجقار وحاصرها إلى أن أخذها بالأمان ، وأخذ مقبل فسجنه ومن معه ، وأما السلطان فإنه سار إلى جهة مرعش بعد أن قرر فى نيابة قلعة سيس الشيخ أحمد أحد الأمراء العشرات بحلب ، وذلك أن ققجقار لما نزل بغراس حضر إليه خليفة الأرمن ومعه مفاتيح قلعتى سيس ، وأما الأمير أقباى نائب الشام فإنه

لما وصل إلى ملطية وجد الأمير حسين بن كبك قد أحرقها فلم يبق منها إلا اليسير، ولم يتأخر من أهلها إلا الضعيف العاجز ، وهرب فلاحوها ، فتوجه فى آثارهم وأرسل إلى السلطان فأعلمه بذلك، فأرسل السلطان إليه ولده سيدى إبراهيم ومعه جقمق الدوادار (٩٥ ب)وجماعة من الأمراء، فساروا مجدين ودخلوا أبلستين للقبض على الأمير ناصر الدين [محمد] بن الأمير خليل بن ذلغادر ، فلما أحس ناصر الدين بذلك هرب من أبلستين وأخلى البلاد ، فتوجهوا منها وأوقعوا(١) فى جماعة من التركمان ، ثم لحقوا ناصر الدين ابن الأمير خليل بن ذلغادر فى سادس عشر ربيع الآخر وهو سائر بحريمه وأثقاله ، فاحتووا على جميع ماله وهرب هو بنفسه جريدة ، وقبضوا على جميع أصحابه ، ومن جملة ما نهب له مائة بختى كل واحد مثل الفيل .

وأما الأمير أقباى نائب الشام فإنه قرر أمر ملطية ، وهرب الأمير حسين بن كبك إلى بلاد الروم ، ثم رجع أقباى منها .

وأما نائب حماه جارقطلو فإنه توجه إلى جهة « كختا وكركر» فنازل القلعتين ، وقد أحرق نائب كختا أسواقها ، ثم إن السلطان أمد نائب الشام بعسكر آخر ، وقدم للسلطان كتاب من الأمير ناصر الدين بن الأمير خليل يسأل العفو على أن يسلم قلعة « درندة » فأجيب إلى ذلك ، ثم قدم من عند عليباك الأمير خليل بن ذلغادر أخو ناصر الدين ومعه هدية وكتاب فأضاف له السلطان نيابة أبلستين ، مضافا إلى ما بيده من نيابة مرعش .

ثم توجه السلطان فى الثامن والعشرين إلى «درندة » وبات عليها ، واستدعى بآلات الحصار ، وهناك وصلت إليه مفاتيح قلعة طرسوس وجاء

(١) كان إيقاعهم بهم فى مكان يسمى « كل دلى » كما جاء فى النجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٦ .

الخبر للسلطان بأن الأمير أسنبك بن إينال واقع ناصر الدين محمد بن الأمير خليل بن ذلغادر ، فقطعت يد ولده الكبير فى الوقعة ، ثم ركب السلطان بنفسه على درندة ، فطلبوا الأمان فأمنهم ، فنزلوا يوم الجمعة سلخ الشهر وفيهم داود بن محمد بن قرمان فألبسه السلطان خلعة ، واستولى السلطان على القلعة ، وقرر فى نيابتها ألطنبغا الحكمى ، وقرر فى نيابة ملطية وديركى منكلى بغا الأرغون شاوى ، وكان السلطان أرسل محمد شهري مع جماعة إلى خرت برت فقاتلوا من بقلعتها فأخذوها ، وجهز ابن شهرى من أهلها إلى السلطان أحد عشر رجلا فرسم السلطان بصلبهم على قلعة درندة فصلبوا ثم رجع السلطان إلى البلستين وأرسل من هناك الأمير قرا يوسف رسولا واسمه ذكر الله بجواب كتابه وصحبته هدية مع الرسول من جهة السلطان ، ثم وصل رسول من قرا يوسف صحبة حميد الدين قاضى عسكره ، ووصل كتاب محمد شاه بن قرا يوسف وكتاب من مير عمر صاحب أذربيجان ، ثم توجه السلطان إلى مدينة بهسنا بعد أن توجه إليها نائب الشام أقبـــاى ، فتسلم نائب الشام القلعة من طغرق من الذلغادرية وأخذه صحبته ، ورجع إلى لقاء السلطان فالتقيا به عند حصن منصور (١) ، فرضى على الأمير طغرق وكان السلطان أرسل الأمير قجقار نائب حلب إلى كختا وكركر ، فنزل على مدينة كختا ثم أردفه السلطان بنائب حماه جرقطلو ، ونائب طرابلس يشبك المشد .

---

(١) هو منسوب إلى منصور القيسى ثم جاء الرشيد فشحنه بالمقاتلة والرجال ويقع هذا الحصن على نهر جيحان ، على أنه ورد فى ياقوت أنه مدينة عليها سور وخندق وثلاثة ؛ أبواب انظر لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٥٥ حيث اقتبس ما ذكرته منه المصادر العربية الجغرافية .

وفى آخر جمادى الآخرة قدم رسول من الأمير قرايلوك بهديته، وقدم عليه رسول من الملك العادل سليمان الأيوبى صاحب حصن كيفا بهديته، ثم قرر السلطان الملك المؤيد هناك فى نيابة بهسنا كمشبغا الركنى، وقرر فى نيابة قلعة الروم منكلى بغا الأرغنشاوى عوضا عن أبى بكر بن بهادر :

ثم سار السلطان إلى كختا ونازلها، ونصب للرمى على قلعتها مدفعا، فبينما هو على ذلك إذ ورد الخبر بأن الأمير قرا يوسف قعصد قرا يلوك فالتجأ قرايلوك إلى السلطان وكاتبه واحتمى به، واشتد الحصار على قلعة كختا، ولم يبق إلا أخذها، فطلب صاحبها الأمان، وآل الأمر إلى أن بعث ولده [1] رهنا، ونزل عن القلعة بعد رحيل السلطان عنها، فتوجه السلطان جهة كركر، وبعث الأثقال إلى عينتاب، فنازل السلطان قلعة كركر، ثم نزل قرقماس من قلعة كختا فتسلمها نواب السلطان، وطرق جماعة من عسكر قرا يوسف قلعة هشار [2]، فنهبوا بيوت الأكراد هناك، وعدى جماعة منهم الفرات، فركب عليهم منكلى بغا نائب ملطية فساروا إلى خرت برت، ثم قرر السلطان شاهين فى نيابة كركر، وكزل بغا فى نيابة كختا، وخلّى على قلعة كركر الأمير أقباى نائب الشام والأمير قجقار القردمى نائب حلب، وكان فى كركر شخص يقال له الأمير خليل الكردى، وكان عاصيا على السلطان ولا يطيع أحدا، وكانت حركته هناك حركة السلطان، ثم رجع السلطان إلى حلب :

(١) وكان اسمه حمزة .

(٢) هى قلعة منشار فى النجوم الزاهرة ٦/٣٧١ .

ذكر عود السلطان من بلاد الروم إلى جهة حلب

لما كان السلطان فى بلاد كركر عاد إليه ألم رجله ، فشوش من ذلك كثيرا وركب المحفة عجزا عن ركوب الخيل ، فسار ونزل الفرات فى موكب ، وصحبته خاصة نفسه إلى أن وصل إلى قلعة الروم ونظر فى أمرها .

وفى سابع رجب قدم إليه كتاب من الأمير آقباى بأن الأمير قجقار يعتذر عن أن نائب حلب رحل بغير علمه ، فوصل عقيب ذلك كتاب قجقار يعتذر عن ذلك بأنه بلغه أن قرا يوسف واقع قرايلوك فهزمه ، وأن من معه من العسكر خافوا من قرا يوسف ، فلأجل ذلك رحلت [العساكر] فكتب السلطان إلى الأمير آقباى نائب الشام بأن يستمر على الحصار وغضب على قجقار ولم يقبل عذره ، ثم إن خليل صاحب كركر طلب الصلح من الأمير آقباى نائب الشام ، وأرسل نائب الشام إلى السلطان فأعلمه بذلك ، وكان السلطان قد وصل إلى حلب ، وكان وصوله فى الثالث عشر من رجب فوجد أهلها فى وجل شديد من جهة الأمير قرا يوسف ، فاطمأنوا بحضور السلطان ، ثم أمر السلطان بتكملة القصر الذى كان الملك جكم شرع فى عمارته فعمر فى أسرع وقت ، وجلس السلطان فيه فى آخر رجب ، وأمر بصلب مقبل القرمانى ورفاقه ، ثم وصل النواب فأغلظ السلطان لقجقار نائب حلب ووبخه على سرعة رحيله ، فأجاب بغلظة ، فأمر بالقبض عليه وسجنه بقلعة حلب ، ثم أفرج عنه من يومه ذلك وأرسله إلى دمشق بطالا ، ثم قرر الأمير يشبك نائب طرابلس فى نيابة حلب ، وقرر الأمير بردبك فى نيابة طرابلس عوضا عن يشبك بحكم انتقاله إلى نيابة حلب ، وقرر الأمير ططر رأس نوبة كبير عوضا عن بردبك بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس ، وقرر الأمير

جارقطلو فى نيابة صفد بعد عزله عن نيابة حماه ، وقرر عوضه فى حماه الأمير نكباى ، وكان نائب صفد الأمير خليل الدشارى فقرره حاجبا بطرابلس بعد عزله من صفد فاستعفى فأعفاه ، وقرر عوضه الأمير سودون قرا صقل الذى كان حاجب الحجاب بالديار المصرية ، ثم توجه النواب إلى بلادهم ومحل ولايتهم :

(٩٦ أ) ثم حضر إلى السلطان حميد الدين رسول قرا يوسف ، ووصل أيضا صاحب حصن كيفا يسأل أن ينعم عليه بانتسابه إلى السلطان واستمراره نائبا من نوابه ، فخلع على قاصده وعلى قاصد الأمير قرا يوسف ، وأعيدا إلى مرسليهما .

وفى أوائل شعبان أصلح السلطان بين حذيفة أمير آل فضل وبين غنام ابن زامل وألبسهما خلع الطاعة ، وجهز خلعة لعليباك بن الأمير خليل بن ذلغادر بنيابة البلستين ، ثم حضر قاصد من عند الأمير نائب طرابلس ومعه سودون[1] اليوسفى أحد من هرب فى وقعة قنباى نائب الشام ، فسمر تحت قلعة حلب ثم وسط ، ثم أمر السلطان بمسك طرغلى وابن عمه طغرل أولاد صقل سيز وسجنا بقلعة حلب ، وقرر محمد التركمانى فى نيابة شيزر عوضا عن طغرل ، وقرر مبارك شاه فى نيابة الرحبة ، عوضا عن ابن شهرى ثم وصل فى السابع عشر من شعبان كتاب الأمير قرايلوك بأنه اصطلح مع قرا يوسف وتسلم الأمير قرا يوسف منه مدينة صور وعوضه عنها بألف ألف درهم ، ومائة فرس ومائة جمل ، ورحل عنه إلى تبريز فى رابع شهر

(١) أشار إليه السخاوى فى الضوء اللامع ٣/١٠٩١ فقال إنه لم ير من ترجمه ولكن علم اسمه من أثناء ترجمته لسودون المحمدى ؛ هذا و يلاحظ أنه لم يرد ذكر لسودون اليوسفى هذا فى ترجمة السخاوى دون الواردة فى الضوء اللامع ٣/١٠٧٣ .

شعبان ، فقرأ كتابه على العسكر فاطمأنت نفوس أهل حلب بعد أن كانوا تهيئوا إلى الرحيل منها للقاهرة فرارا من قرا يوسف ، ثم وصلت الكتب من نائب إلبيرة ونائب قلعة الروم ونائب كختا ونائب ملطية ، نظير كتاب قرايلوك ، فاطمأنت الناس ، وأمر السلطان بالرحيل .

* * *

ذكر رحيل السلطان من حلب إلى دمشق

رحل السلطان بعساكره من حلب في الثامن عشر من شهر شعبان ودخل دمشق في الثالث من شهر رمضان ، فلما استقر ركابه فيها مسك[1] نائبها الأمير آقباي وسجنه بقلعة دمشق ، وكان السلطان غضب عليه لكونه أحمى عليه جماعة من العصاة الذين خرجوا مع قنباي ، ونقل عنه بعض أعدائه أنه قصد الخروج على السلطان فاستدعاه يوم الموكب ووبخه وعدد له ذنوبه وأمر بالقبض عليه ، ثم خلع على الأمير تنبك ميق وقرره في نيابة دمشق عوضا عنه وذلك بعد امتناع شديد منه ، ثم رضي على الأمير قجقار القردمي وقرره أميرا بتقدمة ألف بمصر ، وأفرج أيضا عن الأمير ألطنبغا العثماني ورسم له بالقدس بطالا ، ثم ولي غزة الأمير إينال النوروزي عوضا عن مشترك أحد الأمراء بدمشق .

* * *

ذكر خروج السلطان من دمشق وتوجهه الى زيارة بيت المقدس ثم إلى القاهرة

وتوجه السلطان من دمشق في الرابع عشر من رمضان وجاء إلى القدس فدخلها يوم الخميس الرابع والعشرين من رمضان ، ونزل في الدنكزية في باب السلسلة ، وتفرق الأمراء والمباشرون في المدارس والخوانق ، ثم

(١) حاولت النجوم ٦/٣٧٤ تبرير مسك المؤيد لآقباي فلم ترد – رغم الإطالة – عن القول بأنه وشي به لدى السلطان أنه يريد الوثوب عليه .

صلى الجمعة فى المسجد الأقصى وجلس بعد الصلاة وقرئ البخارى عنـده من الربعة ، ثم جمع القراء ليلة السبت فقرأوا القرآن ، ومدح الوعاظ ، وكانت ليلة مشهودة ، وامتلأ المسجد من الناس حتى صعدوا بالسلطان على سدة الجامع ، وفرق السلطان فى مدة إقامته صدقات كثيرة على العلماء والفقراء والفقهاء والمستحقين القاطنين بالبيت المقدس .

ثم توجه إلى مدينة الخليل عليه السلام ليلة الأحد السابع والعشرين من شهر رمضان ونام فيها تلك الليلة ، ثم خرج صبيحة غده وجاء إلى غزة ، ودخلها يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر رمضان ونزل على المصطبة التى هناك المستجدة ، وصلى صلاة العيد يوم الخميس على المصطبة المذكورة : ثم رحل آخر ذلك النهار ووصل إلى خانقاه سرياقوس ليلة الثامن من شوال فأقام بها إلى رابع عشر يصطاد بالنهار ، وعمل وقتا عظيما فى الخانقاه ليـلة الأحد منتصف شوال ، وشق القاهرة فى أبهة عظيمة ، وكان سيدى إبراهيم ابن السلطان هو حامل القبة على رأس أبيه ، وهو سائر بخدمة والده ، وفرش له الشقق من باب النصر إلى القلعة ، ونزل فى مدرسته وجامعه الذى بنـاه داخل باب زويلة ، ومد هناك سماطا عظيما ثم طلع القلعة ، وكان يوما من الأيام المشهودة .

* * *

ذكر أحكامه فى القـاهرة
وما وقع فيهـا من الحوادث

بتاريخ يوم الاثنين التاسع عشر من شوال خلع على الأمير طوغان نائب القلعة واسـتقر أمير آخور كبيرا عوضا عن الأمير تنبك ميق بحكم انتقاله إلى نيابة الشام ، وخلع على الأمير ألطنبغا المرقبى الذى كان نائب قلعة حلب واسـتقر حاجب الحجاب بالديار المصرية عوضا عن الأمير

سودون قرا صقل بحكم استقراره حاجبا بطرابلس الشام ، وخلع على الأمير قجقار القردمى واستقر أمير سلاح على عادته ، وخلع على الأمير فخر الدين ابن أبى الفرج الأستادار واستقر أستادارا على عادته ومشيرا ووزيرا ، ومضافا إليه أستادارية سيدى إبراهيم ؟

وفى يوم الثانى والعشرين من شوال ركب السلطان إلى الصيد ، ولما رجع نزل فى بيت الأمير الأستادار فخدمه بعشرة آلاف دينار ، ثم لما خرج من عنده جاء إلى الميضأة التى بناها الأستادار بجوار الجامع المؤيدى ، وكان فراغ الأستادار منها فى مدة يسيرة جدا :

وفى يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر شوال خلع على الأمير أرغون شاه ــ الذى حضر مع السلطان من الشام ــ واستقر فى الوزارة بالديار المصرية عوضا عن الأمير فخر الدين بن أبى الفرج بحكم استعفائه عنها ، وفى نفس الأمر ما استعفى الأمير فخر الدين منهــا إلا لتوقع أرغون شاه فى شدة من جهة الوزارة ، وثبتت عند السلطان معرفته ومباشرته وذكاؤه ، فإنه قدم للسلطان عند قدومه من السفر أربعمائة(١) ألف دينار عينا وثمانية عشر ألف إردب من الغلال ، فمن ذلك أربعون ألف دينار حصلها من ديوان الوزارة بعد التكفية ، ومائتا ألف دينار وخمسون ألف دينار جباها من النواحى ، وثمانون ألف دينار حصلها من ديوان المفرد ، وثلاثون ألف دينار من ماله ؛ وكان حمل إلى الشام قبل ذلك مائة ألف دينار ، فاستعظم السلطان ذلك ، وتقرر عنده أنه لا نظير له فى المباشرة ، ولم يسمع فيه بعد ذلك كلام أحد ، فعوجل فخر الدين بالموت عن قريب ، وما منعه ذلك الذى فعله ؟

(١) لشكك W. Popper (In) an-Nujum, Vol. VI, p. 376, note G بجمل المبلغ ثلاثمائة وخمسين ألف دينار .

وفى اليوم الرابع والعشرين من ذى القعدة خلع على الأمير آقبغا شيطان متولى القاهرة ، واستقر فى حسبة القاهرة مضافا إلى ولايته عوضا عن عماد الدين بن رشيد ، وكان عماد الدين هذا قد تولى يوم الخميس العشرين من شهر جمادى الآخرة من عنـــد الأمير طوغان نائب الغيبة عوضا عن شمس الدين محمد بن يعقوب بحكم عزله ،وكان عماد الدين قد تولى حسبة مصر عوضا عن ابن الحـــيزى ، ولمـــا انتقل إلى حسبة القـــاهرة استقر عوضه فى مصر القاضى نور الدين بن قطيط .

* * *

ذكر ماجرى فى بلاد الشام وغيرها

لمـــا كان الرابع والعشرون من شوال خرج الأمير أقباى من السجن بقلعة دمشق ومعه بقية المسجونين ،فخرج نائب القلعة وهو الأمير أحمـــد الملطى فى إثرهم إلى باب الحديد (١) وركب نائب الشام ،فأغلق أقباى نائب القلعة واعتصم بها ، وحاصره الأمير تنبك ميق ، وأرسل إلى السلطان بذلك واستمر ذلك يومين ، فوشى إلى النائب بأن أقباى قد خرج الى النهر ومشى فيه إلى طاحون بباب الفـــرج فقبض عليـــه هنالك وعلى بعض أصحابه فعوقب عقوبة شديدة على صنيعه ، ثم قتل صبرا بأمر الســـلطان وحضرت رأسه فى الثانى من ذى الحجة إلى القاهرة ، وقرر السلطان فى نيابة قلعة دمشق شاهين الحاجب الثانى ، (٩٦ ب) ، وقرر فى الحجوبية عوضه كمشبغا من طولو ، وقرر فى تقدمة التركمان عوضه شعبان اليغمورى أستادار الديوان المفرد بدمشق :

---

(١) أورده بوبر فى نشره النجوم الزاهرة ٦/٢ ٣٤، ٣٧٨ باسم « باب الجديد » بالجيم المعجمة ولكن الصحيح هو ما أثبتناه بالمتن .

وفي شهر شعبان مشى ابن عثمان صاحب اللاجات على محمد باك وابنه مصطفى باك بعد محاصرته إياهما في مدينة قونية، واستولى ابن عثمان على غالب بلاد ابن قرمان ومنها قيسارية التي كانت كرسي بلاد الروم :

وفي هذه السنة عصى محمد شاه على أبيه قرا يوسف ببغداد، وامتنع من الوصول، فأراد أبوه أن يحاصره فأشاروا عليه بعدم التعرض له فتركه، وشرع محمد المذكور في جمع المال، فحصّل شيئا كثيرا وأخرب بغداد من الظلم ومصادرة الناس، واستولى على الأوقاف جميعها، وقطع أرزاق القضاة والفقهاء، وقطع طريق الحجاز، ولم يحج الناس من العراق في أيامه، عليه ما يستحق .

* * *

وفي هذه السنة ملك أويس بن زاده بن أويس بن حسين البصرة، وانتزعها[(١)] من مانع أمير العرب بعد حرب، وكانوا انتزعوها من أيام عمه أحمد بن أويس، وقوى أويس المذكور، وانضم اليه عسكر عمه .

* * *

ذكر الأسعار في هذه السنة

في شهر ذي القعدة انحل سعر غاية المبيعات من الغلال وغيرها، وكان في ظن الناس أنها تغلو لقدوم العسكر فجاء الأمر بخلاف ذلك، فلما كان

(١) ورد في العزاوي العراق بين احتلالين ٣/٤٣ – نقلا عن تاريخ الجنابي – أن تندى سلطان هي التي ملكت البصرة في هذه السنة أعني سنة ٨٢٠ هـ، وكانت قد انتزعتها من مانع أمير العرب الذي كان من الجلايرية في إمارة السلطان أحمد بن أويس لكن قوى أمر تندى فانضم إليها عموم عسكر السلطان أحمد .

فى ذى الحجة قلت الغلال، وزاد سعر القمح مائة درهم الإردب، وكان السبب فى ذلك قلة المطر فى الشتاء، ولطف الله بعباده بنزول الغيث فى الرابع عشر من ذى الحجة(١) وهو الموافق لأمشير، فانحط السعر ولله الحمد.

وفى سلخ ذى القعدة نودى أن يكون كل رطل ونصف من الفلوس بنصف درهم فضة من المؤيدية، وبلغ الدينار من الذهب المصرى إلى مائتين وثمانين، والأفرنتى إلى مائتين وستين، وأمر السلطان الأستادار والوزير وناظر الخاص أن يشتروا من الفلوس بما استطاعوا، فقرر على الأستادار بمائة ألف دينار، وعلى الآخرين بمائة ألف دينار، وجهز لهم مائتا ألف دينار ليشتروا بها فلوسا، ونودى من كان عنده فلوس فليحملها إلى ديوان السلطان ويأخذ ثمنها، ومن امتنع من حملها أو سافر بها عوقب أشد العقاب.

* * *

ذكر بقية الحوادث

فى المحرم وضعت جاموسة ببلقين(٢) مولودا برأسين وعينين وأربعة أيدى وسلسلتى ظهر ودبر واحد ورجلين ليس إلا وفرج واحد أنثى، والذنب مفروق، فجل الصانع البارى:

* * *

وفى العشرين من محرم هذه السنة عرض القاضى زين الدين عبد الباسط الكسوة، فكانت فى غاية الحسن والكمال والأبهة والجمال، وكان زين الدين

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٠ أن أول ذى الحجة عام ٨٢٠ يوافقه ١٤ طوبة ١١٣٤ وبذلك يكون الرابع عشر من ذى الحجة هو السابع والعشرون من طوبة.

(٢) جاء عنها فى القاموس الجغرافى ١/١٦٩ أنها وردت فى مباهج الفكر بأنها من الأعمال الأسيوطية.

عبد الباسط قد أخذ التكلم عليها فى العام المــاضى من علم الدين بن الكويز فإن المذكور باشرها مدة ثم استعفى، وكان قد أخذها عن الشيخ شرف الدين ابن التبانى بحكم عزله :

وفى صفر توجه فخر الدين بن أبى الفرج الأستادار إلى الوجه البحرى فأسعره نارا من المصادرات حتى قرر على كل بلد وقرية وكفر ذهبامعينا فى أسرع وقت ، ومنع من بيده رزقه من قبض خراجها :

* * *

وفى السابع عشر من ربيع الآخر سقط من العمارة المؤيدية عشرة أنفس فمات منهم أربعة وتكسر ستة :

وفى أواخر ربيع الآخر توجه مفلح — رسول صاحب اليمن — وصحبته الأمير بكتمر السعدى — مملوك ابن غراب — رسولا من السلطان :

وفى يوم الجمعة ثانى جمادى الأولى أقيمت الخطبة بالجامع المؤيدى ، والحال أنه لم يكمل منه إلا الإيوان القبلى ، وخطب به القاضى عز الدين ابن عبد السلام بن أحــمد المقدسى الشافعى نيابة عن ناصر الدين محمد ابن البارزى الحموى كاتب السر :

* * *

وفى شهر شعبان منع النصارى من تكبير العمائم ولبس الفراجى والجبب بالأكمام الواسعة — كهيئة قضاة الإسلام — وركوب الحمير الفره واستخدام المسلمين :

وفى يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان حضر الأمير مقبل ومعه كتب السلطان تتضمن فتحه البلاد وماملكه من القلاع ومن أطاعه من العباد، فنودى

فى القاهرة لا يبقى كبير[1] ولا صغير إلا ويحضر فى الجامع الأزهر وفى الجامع المؤيدى حتى يسمعوا كتاب السلطان، فاجتمعت الأعيان كلهم فى الجامع المؤيدى وقرأ ابن حجة كتاب السلطان، ثم جاءوا بالكتاب إلى جامع الأزهر فقرأه شيخنا ومولانا شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى الشافعى، وكان إذ ذاك خطيب المذكور، فلما قرئ تكاثرت الأدعية للسلطان، وكان يوما مشهودا.

* * *

وفى الثامن من ذى القعدة سار سيدى إبراهيم بن السلطان إلى الوجه القبلى لأجل تقادم العربان والمشايخ وولاة الأعمال، وقام بخدمته ابن محب الدين الكاشف إذ ذاك أحسن القيام.

وفى الحادى عشر من ذى القعدة قدم محمد وخليل - ولدا الناصر فرج - من الإسكندرية بعد الاعتقال.

وفى هذا الشهر كان لبعض أهل الصعيد غنم تزيد على عشرين ألف رأس فرعت فى بعض المراعى فماتت عن آخرها.

* * *

وفى شهر ذى الحجة ساق الأمير فخر الدين الأستادار الأضاحى إلى السلطان خاصة ألف رأس من المعاليف، ومائتان وخمسون بقرة، وقام عن السلطان بضحية الأمراء، وجملتها عشرة آلاف رأس من الغنم.

وفى التاسع والعشرين من ذى الحجة قدم سيدى إبراهيم بن السلطان المؤيد من السفر.

---

(١) فى الأصل « كبيرا وصغيرا ».

وفى ذى الحجة كانت فتنة بدمياط ، وكان واليها محمد السراخورى سىء السيرة غاية فى الظلم والطغيان والفسق ، كثير التجبر والتساط[1] على حرم المسلمين ونسائهم وأولادهم ، فتعرض لقوم يقال لهم « السمناوية » متسببين بصيد السمك من البحيرة : تنيس ، ومساكنهم الجزائر يقال لها : « العزب » بضم العين وفتح الزاى بعدها باء موحدة ، فعند تعرضه لهم خشوا من سوء فعله وفحش صنعه ، فاجتمعوا جمعا كبيرا ليقتلوه ، ففر منهم إلى حارة من الحارات فحاصروه بها ، فرماهم بالسهام فقتل منهم رجلا وجرح ثلاثة ، فاشتعلت الحرب نارا وأضرمت ، وزاد الحنق و التكاثر الى أن هجموا عليه فهرب فى البحر فى سفينة إلى الجزيرة فلحقوه وبادروا بالسيوف والعصى فضربوه وعادوا به الى البلد فحلقوا نصف لحيته وشهروه على جمل والمغانى تزفه ، ثم قتلوه وسحبوه وأحرقوه بالنار ، ونهبوا داره وسلبوا حريمه وأولاده ، ومات صغير فى المهد من جيران داره من عظم الرجفة ؛

* * *

وفى التاسع والعشرين من ذى الحجة طرق جمع من الحرامية المدينة ، وفيهم فارسان ، فروا على باب جامع الأزهر ووصلوا إلى رحبة الأيدمرى فنهبوا عدة حوانيت وقتلوا رجلين ورجعوا إلى الباطلية ، فتوزعوا فيها ولم يتبعهم أحد ؛

* * *

وفى آخر العام مالت المئذنة التى بنيت على البرج الشمالى بباب زويلة للجامع المؤيدى وكادت أن تسقط واشتد الوجل فى قلوب الناس منها ، وصار غالب الناس لا يمر من تحتها ، وكذلك انتقل المجاورون لها من الحوانيت والدور (١٩٧) ، وبلغ السلطان ذلك فأمر بنقضها فأمن الناس

(١) فى الأصل « التسليط » ؛

بعد الوجل ، ونقضوها برفق ، وصفح السلطان عن الذين تولوا بناءها بعد الإشاعة أن السلطان يغرمهم بجميع ما أنفق عليها ، وهـذا الأمر على خلاف القياس ؟

واتفق أن أدباء العصر ونبلاء المصر وعلماء الدهر ذوى القرائح السيالة ، المتوقدين[(١)] ذكاء وفطنة كشيخنا العلامة ابن حجر ، وشيخنا العلامة العينى وابن حجة وشعبان الآثارى أنشـدوا فى ذلك ، مع أن الناظر على العمارة بهاء الدين البرجى ، فأنشد شعبان الآثارى فيه :

على البرج من بابى زويلة أنشئت ... منارة بيت الله والمعهد المنجى
فأخنى بها البرج الخبيث أمالهـا ... ألا صرحوا ياقوم باللعن للبرجى

وأنشد تقى الدين بن حجة :

عتبنـا على ميـل المنار زويلة ... وقلنا : تركت الناس بالميل فى هرج
فقالت : قرينى برج نحس أمالنى ... فلا بارك الرحمن فى ذلك البرجى

أما الشيخان المتقدم ذكرهما فإنهما عدلا عن هجو البرج ، ويلمع كل منهما معنى تخيله فى الخارج وأبرزه ، فقال شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله :

لجامع مولانا المـؤيد رونـق ... منارته تزهو على الحسن بالزين
تقول وقد مالت عليهم : ترفقوا ... فليس على هدمى أضر من العين

وأما شيخنا شيخ الإسلام العينى رحمـة الله تعالى عليه فقال أيضا بيتين لمـا سمع هذين البيتين ، وقيل إنهما من نظم العلامة شمس الدين محمد بن على ابن الحسن النواجى وهما :

(١) فى الاصل « المتوقدون » .

منارة كعروس الحسن قد جليت ... وهدمها لقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط ... ما أوجب الهدم إلا خسة الحجر

وبلغت هذه الأبيات جميعها إلى السلطان ، وأنشدت بين يديه ؛ وصار لهـا فى البلد أمر كبير :

* * *

وفى جمادي الأولى من هـذه السنة توقف النيل توقفا يسيرا ثم عاد ، واستمرت الزيادة إلى أن أنعم الله بكرمه فوفاه فى يوم الاثنين الخامس عشر من جمادى الآخرة الموافق السادس عشر مسرى بزيادة إصبعين ، وانتهت الزيادة فى سادس عشر توت إلى عشرة أصابع من عشرين ذراعا ، وكسر الخليج فى هذه السنة :

* * *

وفيها حج بالناس الأمير يشبك الدوادار الثانى وأمير طبلخاناه ، ولما رجع بالناس وعاد إلى المدينة الشريفة هرب منها إلى بغـداد ومعه أربعة أنفس خوفا من السلطان ، وذلك لأنه كان من إخـوة الأمير أقباى الذى تولى الشام ثم قتل فى هذه السنة ، وكان هو الذى قلده ، وأخذ منـه مبلغ إثنى عشر ألف دينار غير القماش والخيول والجمال ، وكان ينسب إليـه ، فخاف أن يقبض عليه السلطان وقت قدومه من سفر الحج :

وأيضا بلغه أن السلطان كتب إلى الأمير مقبل صاحب ينبع أن يقبض عليه وقت رجوعه ، فهرب ووصل الى بغـداد فتلقاه محمد شاه بن قرا يوسف صاحب بغداد فأكرمه ، ثم هرب منه إلى قرا يوسف فى سنة اثنتين وعشرين فأكرمه وأقام عنده فى أمن :

وأما الحجاج فإن آقبغا الزينى سار بهم برنق وإحسان إليهم ، إلى أن قدموا وهم يشكرونه ، وكان الرخاء موجودا والمياه كثيرة ، فلله الحمد والشكر .

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٥٦٢ — شهاب الدين أحمد بن أبى أحمد بن المغراوى[1] المالكى ، اشتغل كثيرا ، وبرع فى العربية وغيرها وشارك فى الفنون ، وعين مرة للقضاء فلم يتم له ذلك ، مات رحمه الله فى تاسع عشر شعبان منها .

٥٦٣ — القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله بن حسون الفوى ، نزيل القاهرة أخو القاضى بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص ، مات يوم السبت الثالث عشر من شعبان ، وكان أبوه حيا إذ ذاك فورثه مع أولاده ، وكان مولده سنة ستين وسبع مئة ، وباشر وظائف كثيرة بجاه أخيه مثل نظر الأوقاف ونظر الأحباس وتوقيع الدست ونظر الكسوة وكالة بيت المال ونيابة كتابة السر فى الغيبة وخليفة الحكم للقاضى الحنفى .

٥٦٤ — القاضى عز الدين محمد بن القاضى محيي الدين أحمد بن القاضى كمال الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويرى المكى خطيب مكة وحاكمها مدة ، ثم عزل بالشيخ جمال الدين بن ظهيرة مرارا ، وآخر الأمر استقر خطيبا ، واستقر جمال الدين قاضيا ، مات[2] فى هذه السنة ، وكان مشكور السيرة .

---

(١) وزد اسمه بالأصل وفى فهرست شذرات الذهب ٧/٣٧٥ س ١٣ «المعزاوى» ولكنه ترجم له باسم «العزاوى» فى داخله ٧/١٤٥ ، والصحيح « المغراوى » وقد ترجم له ابن حجر فى إنباء الغمر ترجمة تكاد تكون هى الواردة أعلاه ، كما ترجم له الضوء اللامع ٢/٢٩٣ ؛ وربما كان منسوبا فى الأصل إلى مغرة وهى كما جاء فى مراصد الاطلاع ٣/١٢٩٣ موضع بالشام من ديار كلب .

(٢) يعنى بذلك القاضى عز الدين صاحب الترجمة وكان موته فى ربيع الأول .

٥٦٥ — الشيخ العالم الصالح العارف بالله سيدى شمس الدين محمد بن على ابن جعفر البلالى نزيل القاهرة ، ونسبته إلى « بلالة » قرية من أعمال عجلون من بلاد دمشق ، مات فى الرابع عشر من شهر شوال[(1)] من هذه السنة ، وتولى عوضه فى مشيخة سعيد السعداء شمس الدين البسيرى أخو جمال الدين الأستادار .

٥٦٦ — الشيخ يوسف بن عبد الله البوصيرى نزيل القاهرة ، أحد من يعتقده الناس من المجذوبين ، مات فى سادس شوال ، وكانت تحكى عنه كرامات ، والله أعلم .

٥٦٧ — الشيخ نعمان [بن فخر بن يوسف] الرومى الحنفى نزيل دمشق ، مات فى شعبان ، ودفن فى مقابر الصوفية .

٥٦٨ — الأمير أقبردى المنقار أحد المقدمين بالديار المصرية ، مات فى هذه السنة بدمشق ، قال قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى تاريخه : « كان من الظلمة المفسدين ، ولم يشكره أحد من الناس » ، والله تعالى هو الغفور الرحيم .

* * *

(١) اختلفت المراجع التى ترجمت له فى تحديد يوم الوفاة وتسمية تاريخ اليوم والشهر ، ففى النجوم الزاهرة ٦/٤٠٩ الجمعة رابع عشر رمضان ، وفى الضوء اللامع ٨/٤٣٩ الأربعاء رابع عشر شوال ، وفى شذرات الذهب رابع شوال دون النص على اليوم .

فصـــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الحادية والعشرين بعد الثمـانمـائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك المؤيد أبو النصر شيخ ، وخليفة الوقت هو المعتضد بالله العباسى ، وأتابك العساكر بالديار المصرية الأمير ألطنبغا القرمشى ، والدوادار الكبير الأمير جقمق الأرغون شاوى ، ورأس نوبة كبير الأمير ططر ، وأستادار العاليـــة الأمير فخر الدين ابن أبى الفرج ، والوزير الأمير أرغون شاه ، وناظر الخاص بدر الدين حسن ابن نصر الله ، وكاتب السر محمد بن البارزى الحموى .

وقاضى القضاة الشافعى جلال الدين بن البلقينى ، والحنفى شمس الدين محمد الديرى القدسى ، والمـــالكى جمال الدين الأقفهسى ، (٩٧ ب) والحنبلى علاء الدين بن مغلى الحنبلى الحموى .

ونائب إسكندرية الأمير قطلوبغا ، ونائب غزة الأمير إينال النوروزى ، ونائب دمشق الأمير تنبك ميق ، ونائب صـــفد الأمير جارقطلو ، ونائب طرابلس الأمير بردبك قصقا ، ونائب حماة الأمير نكباى ، ونائب حلب الأمير يشبك شاد الشراب خاناه كان :

* * *

وفى ثالث المحرم زوّج السلطان الأمير فخر الدين الأستادار ببعض أمهات أولاده بعد أن أعتقها ، فصنع لها مهما عظيما إلى الغاية والنهاية ، ذبح فيه ثمانية وعشرين فرسا ، وقس على هذا أنه ذبح غيرها من الطيور والأغنام والأبقار ، وكان إذ ذاك قد ابتدأ به مرضه فلم ينتفع بنفسه .

وفى الخامس من المحرم خرج السلطان إلى أوسيم فى برالجيزية وأقام هناك إلى يوم الخميس الخامس والعشرين منه ، ثم نزل يوم الخميس فى القصر الذى بنى له فى أنبوبة ، وعمل له وقيد من قشور بيض وقشور نارنج وأطلقوه من مسافة بعيدة حتى مر على السلطان ، وامتلأ به غالب البحر فى الطول والعرض انتهاء الناظر إليه ، وفى أثناء ذلك أطلقوا وأوقدوا النفوط المزهرات والملمعات على سائر الأزهار والأشجار ، وكانت ليلة مشهودة ، واجتمع فيها خلق كثيرون لا يحصى عددهم إلا الذى خلقهم .

وفى صبيحة غده دخل السلطان المؤيد المدينة .

وفى يوم السبت السابع والعشرين منه مُسك الأمير بيبغا[1] المظفرى أمير سلاح وسُفر فى يومه ذلك إلى الإسكندرية للاعتقال بها ، وذلك أنه لما جاء مع السلطان من الشام فى آخر سفرته صدر منه كلام فى الطريق بلغ السلطان فتوهم منه فمسكه .

وفى رابع صفر وُسط قرقماس نائب كختا مع جماعة خارج باب النصر وكانوا أمراء حضروا[2] صحبة السلطان لما وصل إلى بلاد كختا وكركر .

---

(١) دأب الصيرفى على كتابة اسمه يلبغا ، وقد صححناه إلى ما بالمتن بعد مراجعة النجوم الزاهرة ٦/٣٨١ ، وترجمته فى الضوء اللامع ٣/١٠٦ .

(٢) كان حضورهم معه فى الحديد .

وفى السادس من صفر نزل السلطان وتوجه إلى بيت فخر الدين الأستادار وعاده فى مرضه بالقاهرة فقدم للسلطان خمسة آلاف دينار، ثم خرج من عنده وتوجه إلى بيت بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص فقدم له ثلاثة آلاف دينار.

* * *

وفى عاشر صفر نادى السلطان أن يكون المثقال المصرى بمائتين وثلاثين، والأفلورى بمائتين وعشرة بالفلوس، وأن يحط من سعر الفضة المؤيدية فيصير كل نصف نصفة بسبعة دراهم، فهاج الناس وكثر اضطرابهم فلم يلتفت إليهم واستمر الحال، ثم أمر الوالى وهو المحتسب، المسمى بالتاج أن يطلب السوقة والبياعين ويحط من سعر البضاعة بقدر ما انحط من سعر الذهب والفضة.

وفى نصف ربيع الأول جمع الوالى البياعين والقماطين وطلع بهم إلى القلعة، فقرر معهم الأمير جقمق الدوادار الكبير أن تكون الدراهم المؤيدية هى المتعامل بها ولا يذكرون الذهب والفلوس، فمن ذلك بطل النداء فى الأسواق بالذهب والفلوس، وصاروا ينادون بالدراهم الفضة المؤيدية.

* * *

وفى نصف ربيع الأول وصل الخبر بأن أهل طرابلس الشام رجموا النائب - وهو الأمير بردبك قصقا - وأخرجوه من المدينة، وجاء بهذا الخبر قاصد من عند الأمير سودون قراصقل الحاجب بها ومعه محضر مثبوت على القضاة الأربعة بما فعل بالمسلمين هناك.

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين من ربيع الأول قدم الأمير بردبك نائب طرابلس مطرودا مرجوما، وحسّن الأمير جقمق الدودار قضيته

عند السلطان لأنه كان زوج ابنة بردبك، بل قيل إنه وعد السلطان بمال جزيل حتى لم يتعرض إليه :

وفى يوم الاثنين الثانى من ربيع الآخر خُلع عليه واستمر فى نيابة صفد عوضا عن الأمير جارقطلو بحكم عزله وطلبه إلى الديار المصرية :

وفيه مسك السلطان الأمير أرغون شاه الوزير وسلمه إلى الأمير فخر الدين الأستادار ووقعت الحوطة على جميع موجوده ، وكذلك مسك الأمير آقبغا شيطان الوالى الحاجب والمحتسب بالقاهرة وجعل فى باشه حديد وأخذ جميع موجوده :

وفى يوم الثلاثاء خلع على ناصر الدين بن الطبلاوى واستقر فى ولاية القاهرة عوضا عن آقبغا شيطان بحكم عزله ومسكه :

وفى يوم الخميس الخامس من ربيع الأول خُلع على شمس الدين محمد ابن يعقوب واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن آقبغا شيطان واستقر الأمير فخر الدين فى الوزارة، ثم أفرج عن أرغون شاه وأنعم عليه بتقدمة التركمان(١) بالشام ، فسافر إليها .

وفى يوم السبت السابع من ربيع الآخر خلع على الأمير بدر الدين حسن ابن محب الدين الذى كان أستادار العالية واستقر وزيرا بالديار المصرية عوضا عن الأمير أرغون شاه وعن الأمير فخر الدين الذى كان يتحدث من يوم مسك أرغون شاه .

(١) أنعم السلطان عليه بإمرة التركمان وبثلاثين ألف دينار ، على أنه يلاحظ أن أبا المحاسن أورد فى النجوم الزاهرة ٦/٣٨٢ هذا الخبر يوم ٢٨ ربيع الأول كما أنه أشار إلى أن الذى تولى الوزارة هو بدر الدين بن محب الدين وليس بفخر الدين بن أبى الفرج ، أنظر السطر التالى فى المتن .

وفى أول هذا الشهر قدم الشيخ شمس الدين محمد الهروى من القدس الشريف بطالا ، فأكرمه السلطان غاية الإكرام وأجرى له الرواتب ، وقدمت إليه الهدايا والتقادم من الأعيان ، هذا مع توجه جماعة من الأعيان لملاقاته والسلام عليه عند قدومه :

وفى يوم الخميس الثامن[1] عشر من ربيع الآخر خلع على الأمير برسباى الدقماقى أحد المقدمين بالديار المصرية واستقر فى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير بردبك بحكم عزله :

وفى يوم الخميس العاشر من جمادى الأولى ولد للسلطان المؤيد ولد ذكر وسماه موسى ، ونزلت الطواشية إلى الأمراء والمباشرين وأصحاب الوظائف وبشروهم بذلك ، فخلع عليهم الخلع السنية الوافرة ، وسفر مرجان الهندى (٩٨ أ) إلى الشام وحلب بالبشارة ، وحصل له مال كثير جدا يبلغ عشرة آلاف دينار ، وقيل إن السلطان أخذها منه ، وسافر شاهين الشامى إلى الأمير فخر الدين الأستادار ومن معه من الأمراء بالوجه القبلى الذين تجردوا إلى العربان المقيمين به :

وفى يوم الأحد[2] التاسع والعشرين من جمادى الأولى أرسل السلطان بريديا إلى القاضى جلال الدين بن البلقينى ، وكان يومئذ فى مصر على شاطئ النيل ، وقال له : « رسم السلطان أن تمتنع عن الحكم » :

(١) أدرجت النجوم الزاهرة ٦ /٣٨٢ خبر الخلع على برسباى الدقماق واستقراره فى نيابة طرابلس يوم ٢٨ ربيع الآخر دون أن تسمى فى أى يوم من أيام الاسبوع كان هذان الحادثان ، وإذا أخذنا برواية أبى المحاسن هذه أعنى يوم ٢٨ ربيع كان ذلك يوم السبت لأن الأحد كان أول ربيع الثانى كما جاء فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١١ ، أما إذا أخذنا بالتاريخ الوارد بالمتن — وأعنى به يوم ١٨ منه — كان ذلك يوم الثلاثاء وليس الخميس .

(٢) تختلف التواريخ فى كل من النزهة والنجوم الواحد عن الآخر، ذلك أن هذا الخبر والتالى له واردان فى النجوم الزاهرة يوم ٢٨ جمادى الأولى .

وفى يوم الثلاثاء سلخ جمادى الأولى خُلع على الشيخ شمس الدين محمد الرازى الهروى الشافعى واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن القاضى جلال الدين بن البلقينى بحكم عزله ، ونزل معه الأمير جقمق الدوادار وجماعة من الأمراء والقضاة ، وكان يوما مشهودا ؛

وفى الثانى عشر منه خُلع على القاضى شهاب الدين أحمد الأرموى (١) واستقر قاضى القضاة المالكية بدمشق عوضا عن شرف الدين عيسى ؛

وفى السادس عشر منه ضُرب عنق ابن الفقيه أحمد مقدم الدولة بعد أن ثبت عليه ما يوجب ما فعل به ؛

وفى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين منه خلع على محمد بن شعبان واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن ابن يعقوب الشامى بحكم عزله ؛

وفى هذا اليوم سافر الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى والأمير جقمق الدوادار الكبير والأمير ططر رأس نوبة والأمير قطلوبغا التنمى إلى الصعيد لأجل ردع العرب المفسدين هناك ؛

وفى هذا الشهر — أعنى جمادى الأولى — نقل الأمير شاهين الزردكاش من الحجوبية بدمشق ؛

وفى هذا الشهر أيضا تحرك عزم السلطان على سفر الحج وقويت همته فى ذلك ، وكتب إلى جميع البلاد بذلك وأمرهم بتجهيز ما يحتاج إليه ، وعرض المماليك الذين بالأطباق وعين منهم من يكون فى خدمته بالركاب الشريف ، وأخرج الهجن وجهز غلالا إلى الينبوع وجدة ،

---

(١) انظر قضاة دمشق ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

وركب إلى بركة الحبش، فعرض الهجن فى شهر شعبان ، ثم ركب إلى قبة النصر ومر فى شارع القاهرة وبين يديه الهجن عليها الحلى والحلل ، وجد فى ذلك واجتهد إلى أن بلغه عن الأمير قرا يوسف ما أزعجه ، فبردت همته عن سفر الحج ، ورجع إلى التدبير فيما يرد به قرا يوسف عن البلاد الشامية ، وأمر بتجهيز الغزاة ، وأرسل فى ثانى رمضان ببيع الغلال - التى فى الينبوع - المجهزة إلى الحجاز الشريف :

وفى الثانى من جمادى الآخر قدم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج أستادار العالية من الصيد وصحبته من الأغنام عشرون ألف رأس سوى ما تلف فى الطريق ، وألف وثلاثمائة رأس من الرقيق ، وثلاثة آلاف رأس من البقر ، وتسعة آلاف جاموسة ، ومن العسل شىء كثير جدا ، فقوم عليه جميع ذلك بمائة ألف دينار والتزم بالقيام بها :

وفى العاشر من شهر رجب خُلع على الأمير كزل الأرغنشاوى واستقر فى نيابة الكرك عوضا عن الأمير جاهين بحكم عزله :

وفى السادس عشر من رجب - ليلة الجمعة - ولد للسلطان ولد من بنت تنم نائب الشام ، فزينت البلاد والأسواق :

وفى يوم الاثنين التاسع عشر من شعبان حضر الأمير بردبك - أحد الأمراء المقدمين بحلب - وكان نائب عينتاب ، وأخبر أن الأمير قرا يوسف نزل(١) بعساكره على عينتاب قريب أربعين ألف نفس طاردون قرا يلوك ،

(١) السبب فى حركة قرا يوسف هذه أن قرا يلك كان قد نزل فى أوائل شعبان سنة ٨٢١ على ماردين الداخلة فى حكم قرا يوسف وارتكب فيها ومع أهلها كثيرا من المظالم والموبقات ثم رجع إلى آمد ، فخرج قرا يوسف إلى آمد للثأر منه فسار قرا يلك إلى البلاد الحلبية فقصه قرا يوسف .

ووصل إلى حلب ، وحصل بذلك جفل عظيم بين المسلمين خصوصاً لأهل حلب ، وطلع أهلها الى القلعة فإنهم شوشوا على أهل عينتاب وأحرقوا أسواقها ونهبوا وسلبوا ، وآخر الأمر جبى أهل عينتاب مقدار مائة ألف درهم فضة خدموا بها الأمير قرا يوسف حتى رحل عنهم بعسا كره ؛

وفى يوم الثلاثاء صبيحة غده جمع السلطان الأمراء والقضاة والعلماء وأعيان البلد وتشاوروا فى قضية قرا يوسف ، وكتبوا فتاوى بأن القتال مع[1] قرا يوسف واجب ، فإنه خرج على السلطان والخليفة وداس إقليم الشام بالظلم والنهب ، وذكروا فى حقه أشياء كثيرة توجب الكفر ، وأجاب ابن البلقينى وهو حاضر مع عزله ، ثم نزل القضاة والعلماء وبين أيديهم المنادى ينادى : «الغزاة فى سبيل الله والجهاد مع الأعداء القادمين» ، وداروا من الصليبة إلى قريب باب النصر ، والمنادى — من نواب القاضى الشافعى — ينادى بذلك ، وألفاظ غير المناداة مكتوبة فى ورقة يقرؤها ، رتبتها القضاة والفقهاء ؛

وفى يوم الخميس الثانى عشر من شهر رمضان خُلع على الأمير ططر رأس نوبة كبير واستقر أمير مجلس عوضا عن يلبغا المظفرى بحكم عزله وحبسه فى الإسكندرية وشغور الوظيفة من يوم مسكه ، وخُلع على الأمير ألطنبغا الصغير واستقر رأس نوبة كبيراً عوضا عن الأمير ططر ؛

* * *

(١) يعنى بذلك القتال ضد قرا يوسف ،

وفى شهر رمضان لما قرئ البخارى على الهروى وهو متولى وفى خدمته نواب كثير وجم غفير ، وكان القاضى ناصر الدين بن البارزى يتعصب لابن البلقينى ، فسأل السلطان (٩٨ ب) الصواب حضور القاضى جلال الدين بن البلقينى لسماع قراءة البخارى نكاية فى الهروى ، ولأجل البحث بينه وبين المذكور ، فرسم السلطان بذلك ، فحضر ابن البلقينى وقعد تحت الهروى ، وكان يحضر معه غوش كثير من أقاربه وغيرهم ؛

ثم حضر القاضى شمس الدين بن الديرى الحنفى المقدسى والقاضى علاء الدين بن المغلى الحنبلى الحموى ، وكان القارئ شمس الدين محمد الحسينى ، ووقع بينهم البحث المؤدى إلى سفه بعضهم على بعض ، وكان هذا مما يعجب السلطان ، وكان يحضر غالبا ويجلس فى الشباك المطل عليهم ، ولم يزالوا على الهروى حتى أسقطوه من عين السلطان ، ومن جملة ما بالغوا أنهم نظموا أبياتا وكتبوها فى ورقة ثم أرموها فى مجلس السلطان ، فوقف عليها السلطان ، والأبيات هى :

يا أيها الملك المؤيد دعوة ... من مخلص فى حبه لك ينصح
أنظر لحال الشافعية نظرة ... فالقاضيان كلاهما لا يصلح
هذا أقارب به عقارب وابنه ... وأخ وصهر فعلهم مستقبح
غطوا محاسنه بقبح صنيعهم ... ومتى دعاهم للهدى لا يفلح
وأخو هراة بسيرة اللنك اقتدى ... وله سهام فى الجوارح تجرح
لا درسه يقرى ، ولا أحكامه ... تدرى ، ولا حين الخطابة يفصح
فافرج هموم المسلمين بثالث ... فعسى فساد قلوبهم يستصلح

ثم إن هذه الأبيات نسبت إلى شعبان الآثارى[(١)]، وكان يومئذ بالقاهرة، وقيل بل ناظمها الشيخ تقى الدين بن حجة الحموى، وبعض الناس نسبها إلى شخص ينظم الشعر وهو من جماعة القاضى بهاء الدين المناوى الشافعى: قال شيخنا البدر العينى فى تاريخه: «وبعضهم نسبها إلى الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر والظاهر أنه هو».

فلما سمع الهروى بذلك لم يلتفت إليه بالجملة الكافية، وأما البلقينى فإنه اختبط، وقلق، وشاط وعاط:

* * *

وفى يوم الاثنين الخامس عشر من شوال خلع على الأمير سودون القاضى الذى هو كاشف الوجه القبلى واستقر فى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير برسباى الدقماق بحكم مسكه وعزله وحبسه فى قلعة المرقب، وكان السبب فى ذلك أن قرا يوسف لما وصل إلى البلاد الحلبية فر منه كثير من التراكمين الأوشربية، فنزلوا على صافيتا من أعمال طرابلس فأفسدوا فى تلك البلاد، فأرسل إليهم الأمير برسباى ينهاهم عن ذلك فلم ينتهوا، ثم لما توجه قرا يوسف أرسل إليهم الأمير برسباى وأمرهم بالرحيل إلى بلادهم فأجابوا إلى ذلك وتجهزوا، فكبس عليهم

(١) هو شعبان بن محمد بن داود الموصلى الأصل ويعرف بالأثارى نسبة إلى الآثار النبوية بمصر حيث أقام بها أبوه فترة غير قصيرة من الزمن، وحصلت له لوثة لازمته حينا، واهتم بنظم الشعر وإن لم يكن بالبارع فيه، وعمل نقيب الحكم بمصر ثم استقر فى حسبتها، واتهم تهما فر بسببها إلى الحجاز واليمن، وقد هجا البهاء بن البرجى، ولم يترك أحدا إلا وهجاه حتى قال عنه ابن حجر فى إنباء الغمر «مدحنى بقصيدة تائية مطولة ولا أشك أنه هجانى كغيرى»، ومات سنة ٨٢٨ هـ.

فكسروه وبهدلوه ورموه(١) من على ظهر فرسه، وأفحشوا فى سلب عسكر طرابلس حتى رجعوا عراة :

فلما بلغ المسامع الشريفة ذلك غضب أشد الغضب، ورسم بعــزله(٢) وحبسه فى قلعة المرقب كما ذكرنا آنفا، وجهز سودون القاضى أميرا عليها عوضه، وسار تغرى برمش(٣) التركمانى الذى استقر فى سلطنة الأشرف برسباى أمير آخور يخدمه خدمة زائدة وهو فى قلعة المرقب، فإنه كان دوادار النائب بها فجازاه على صنيعه بكل خير، ثم أفرج عن الأمــير برسباى المذكور فى العشرين من المحرم سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، وأنعم عليه بتقدمة ألف فى دمشق، وكل ذلك بشماعة الأمير ططر وعنايته ومساعدته له، وكأن لسان الحال يقول :

« يا برسباى إصبر على هذا المضض فإنك ستلى سلطنة الديار المصرية والشامية عوضا عن الذى ســجنك وعن الذى(٤) شفع فيك عن قريب » فسبحان المعطى الفعال لمــا يريد .

وفى يوم الثلاثاء السادس عشر من شوال خلع على الأمير ســيدى أبى بكر(٥) صهر الأمير فخر الدين بن أبى الفرج وكاشف الغربية وغيرها

(١) فى الأصل « وأرموه » .

(٢) أى بعزل برسباى وحبسه .

(٣) هو تغرى برمش بن يوسف، تتلمذ على الجلال التبانى وكان يتعصب للحنفية و يكثر من الحط على ابن العربى ومتصوفة الفلاسفة، انظر الضوء اللامع ٣/٢ ١٤ .

(٤) المقصود بذلك نظام الملك ططر .

(٥) لعــله أبو بكر بن قطلوبك المعــروف بابن المزوق أو ابن مرزوق كمــا جاء فى الضــوء اللامع ج ١١ ص ٦٦ ترجمة رقم ١٨١ .

بطريق النيـــابة عن فخر الدين ، واستقر أستادار العاليـــة عوضا عن فخر الدين بحكم وفاته :

وفى يوم الخميس الثالث من ذى القعدة مسك الأمير بدر الدين ابن محب الدين [الطرابلسى] الوزير ،وخلع على بدر الدين بن نصر الله واســـتقر وزيرا بالديار المصرية عوضا عن ابن محب الدين مضافا إلى ما بيده من الخاص :

وفى يوم الخميس التاسع من ذى القعدة ركب السلطان وتوجه إلى القاضى كاتب السر فى بيته المطل على البحر الأعظم بساحل بولاق المسمى بالقصروبات عنده تلك الليلة وكانت ليلة الجمعة ، وعمل كاتب السر للسلطان مهما عظيما يصلح له ، وفرش تحت حوافر خيوله شققا حريرا .

وفى يوم الجمعة بعد الصلاة ركب السلطان وتوجه إلى الصيد بناحيـــة بركة الحجاج ، وبات ليلة السبت هناك :

وفى يوم السبت حادى عشريه ركب السلطان فى المراكب وسافر نحو جزيرة القط[1] والأمراء وبقية العسكر سافروا من البرية ، وكانت أطلابهم خرجت يوم الأربعاء الثامن من ذى القعدة وانتهى[2] إلى مريوط ، فأقام فيها أربعة أيام ، فأعجبه البستان الذى هناك ، وكان الملك الظاهر بيبرس الصالحى استجده هناك ، وكان كبيرا جدا وفيه فواكه كثيرة عجيبة وآثار بديعة

(١) ورد فى القاموس الجغرافى ق ١ ص ٢١١ أنها مذكورة فى التحفة من الأعمال الإطفيحية ، لكن تبين لصاحب القاموس المرحوم محمد رمزى أنها تعرف اليوم بجزيرة البدوشين بمحافظة الجيزة .

(٢) أى السلطان المؤيد شيخ .

وبئر لا نظير لها فى الكبر والوسع ، وعليها عدة سواقى من جوانبها ، وقد صار البستان بعده للسلطان المظفر بيبرس الجاشنكير ، فوقفه على جامع الحاكم بالقاهرة ، فأمر السلطان بعض خواصه باستئجار هذا الغيط وتجديد عمارته ، فشرع فى ذلك ورجع السلطان من الوجه البحرى فأدركه عيد الأضحى بناحية وردان ، فصلى بها صلاة العيد ، وكان خطيبه هناك القاضى ناصر الدين البارزى الحموى ، ثم رجع السلطان إلى القاهرة .

* * *

ذكر الأسعار فى هذه السنة

انتهت زيادة النيل فيها إلى عشرة أصابع بعد تسع عشرة ذراعا ، وذلك أنه كان يوم النيروز ، وكان يومئذ السادس والعشرين من رجب قد انتهى إلى إصبع من تسعة عشر ، ثم نقص قدر نصف ذراع ، ثم تراجع إلى أن كانت هذه غايته ، وارتفع سعر الغلال بسبب ذلك ، ولما أسرع هبوط النيل بادر كثير من الناس إلى الزرع قبل أوانه فصادف الحر الشديد والسموم ففسد أكثره بأكل الدود ، فارتفع السعر فى القمح والفول والبرسم (٩٩ أ) بسبب ذلك ، وعز وجود التبن حتى بلغ الحمل منه دينارا ، وكان قبل ذلك كل خمسة أحمال بدينار ، ثم ارتفعت الأسعار فى ذى الحجة ، فقل وجود الخبز فى الأسواق ، وبلغ الإردب من القمح إلى مائتين وخمسين ، ومن الفول إلى ثلاثمائة درهم .

وفى تاسع شعبان نودى أن لا يتعامل بالأفلورى إذا كان ناقصا ، وسبب ذلك أن الأفرنتى زنة المائة منه بصرف مثقال وربع مثقال ، هكذا

يحضرونه من بلاده ، فتبويع به الصيارف فيهرشونه إلى أن استقر حال المائة بمائتين وسبعين وثلثين ، ففسدت المعاملة بسبب ذلك جدا ، فنودى أن لا يتعامل بالناقص عن درهم ردعا لهم عن القص ، فمشوا على ذلك يسيرا ثم رجعوا إلى ما كانوا عليه .

* * *

ذكر ماجرى من الحوادث ببلاد الشام

فى أول هذه السنة ركب الأمير ألطنبغا الحكمى نائب درندة على الأمير حسين (١) بن كبك على ملطية فحاصرها ، فبلغ السلطان ذلك ، فكتب إلى البلاد الشامية أن يجهزوا العساكر إلى قتال حسين بن كبك .

وفى شهر ربيع الأول وثب أهل المحلة على الوالى بها ورجموه بسبب مبالغته فى طلب الفلوس وظلمه لهم ، ورحل غالبهم إلى القاهرة .

وفى أول هذه السنة حاصر إبراهيم بن رمضان طرسوس واستمر عليها بالحصار أربعة أشهر وأكثر ، فكاتب نائبها شاهين الأيدكارى السلطان يستنجده ، ويعلمه بأنه بلغه أن محمدا بن قرمان عزم على التوجه إلى طرسوس .

ولما كان فى الخامس عشر من رجب نزل محمد بك بن قرمان على طرسوس (٢) ، فانتمى إليه الأمير إبراهيم بن رمضان المذكور ، فبلغ ذلك

---

(١) كان السلطان كارها لحسين بن كبك التركمانى هذا ، وكان مقتله فى هذه السنة ٨٢١ بأرزنجان بعد حصار ملطية ، وكان موصوفا بالبطولة والشجاعة كما كان أمير التركمان الكبكية ، انظر الضوء اللامع ٣ / ٥٨٦ .

(٢) هى من المدن الهامة الحصينة التى أنشأها الروم وتشرف على الممر المعروف بأبواب قليقية وكانت بها حامية كثيرة العدد من المقاتلين وقيل إن حاميتها من المجاهدين المسلمين الوافدين عليها لحرب الروم وقت أن كانت الحرب بينهم و بين المسلمين مشبوبة الأوار ؛ انظر بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٤ .

السلطان فأرسل إلى حمزة بن إبراهيم المذكور فقرره مكان أبيه فى نيابة أدنة ، وحرض نائب حلب على اللحاق بشاهين الأيدكارى بطرسوس، ووقع بين أهل طرسوس وابن قرمان حرب شديد، فاتفق أن ثار بمحمد ابن قرمان وجع كان يعتريه بباطنه فاشتد عليه فرحل عنها فى السابع من شعبان منها .

وفيها تواقع الأخوان ناصر الدين محمد وعلاء الدين بن عليباك إبنـا ذلغادر ، فانتصر ناصر الدين وانهزم عليباك فأدركه الأمير يشبك نائب حلب ، فأضافه ناصر الدين بن ذلغادر ، وقدم له وحلف له على طاعتـه وموافقته فيما يرومه .

وفيها أوقع الأمير تنبك ميق نائب الشام بعرب آل على (١) قريبا من حمص فنهب منهم ألفا وخمسمائة جمل ، فباع الردئ منها وجهـز البقية وهى ألف وثلاثمائة إلى السلطان .

وفى الثالث من جمادى الأولى قتل حسين بن كبك التركمانى ، وكان السبب فى ذلك أن الأمير تغرى بردى الحكمى هرب من السلطان وهو على كختا إلى ملطية ، فأقام عند نائبها الأمير منكلى بغا ، فصار الحسين إلى ملطية فحاصرها ، فأظهر تغرى بردى الهرب والفرار من نائب ملطية ، واستجار ولاذ بحسين بن كبك ، فأكرمه وعظمه ، ثم توجه حسين إلى قتال بير عمر صاحبها وتغرى بردى صحبته ، فاتفق أنهم جلسوا فى مكان يتعاطون فيه الشراب ، فوجد تغرى بردى له فرصة من حسين بن كبك

(١) أشار القلقشندى فى نهاية الأرب فى معرفة أنساب العـرب ص ٣٦٨ — ٣٦٩ إلى بنى على وجعلهم فئتين واحدة عدنانية والأخرى من لخم القحطانية وإن أنزلهم البر الشرقى من صعيد مصر ، لكنه فى قلائد الجمان ص ٨١ ذكر أن آل على هم بنو على بن حديثة بن عقبة بن فضل ، ثم نقل عن ابن فضل الله العمرى أن ديارهم مرج دمشق وغوطتها .

فقتله بسكين فى فؤاده وهو سكران لم يشعر ، فمات ، وهرب تغرى بردى إلى جهة شماخى ، ثم توصل منها إلى ملطية ، ثم قدم حلب فجهزه نائبها إلى القاهرة فأكرمه السلطان وأعطاه ثلاثمائة دينار وثلاث رءوس من الخيول وثيابا نفيسة وإقطاعا ، وأمر الأمراء أن يخلعوا عليه ، فحصل له مال كثير :

* * *

وفيها مات إبراهيم الدرنوبى ، فوجه قرا يوسف ابنه على ستة آلاف فارس ، فواقعه ابن إبراهيم فى عساكر بلاده ، فهزمه وقتل منه ناس كثير :

وتوجه شاه رخ (١) بن تمرلنك إلى جهة تبريز لمحاربة قرا يوسف ، فاشتغل الأمير قرا يوسف بما دهمه من ذلك ، فمشى الأمير قرا يلوك المسمى عثمان إلى ماردين ، وهى من بلاد الأمير قرايوسف فكسر عسكرها وقتل منهم نحوا من سبعين نفسا ، وأخذ من بلادها ثمانى قلاع ومدينتين ، وحوّل أهل اثنتين وعشرين قرية بأموالهم وعيالهم للسكنى ببلاده ، واستمر على حصار ماردين :

فلما بلغ ذلك قرا يوسف انزعج منه وسار إليه ، فهرب منه إلى مدينة آمد فتبعه ونازله بها ، فانهزم منه إلى قلعة نجم ، وأرسل إلى نائب حلب يستأذنه فى الوصول إليها ، فاشتد الأمر على أهل حلب خوفا من عسكر قرا يوسف وتهيئوا للخروج منها ، وأرسل نائب حلب كتابه وكتاب الأمير قرا يلوك بما اتفق من قرا يوسف ، وفيه أن قرا يوسف كبس قرايلوك بعد أن عدى الفرات ووصل إلى نهر المرزبان ، فهجموا عليه بعد ذلك بمرج دابق بين حلب وعينتاب فى تاسع عشر شهر شعبان ، فانهزم قرايلوك ونهبت أثقاله ، ونجا فى ألف فارس إلى حلب ، فأذن له نائبها فى دخولها ، فرحل أكثر أهل حلب عنها ، وبلغ ذلك أهل حماه فنزحوا عنها :

(١) فى الأصل « شاروخ » .

فلما قرئ ذلك على السلطان انزعج وقلق وفتر عزمه عن الحج بل بطل، وأمر بالتجهيز إلى الشام، وكتب إلى عساكر الإسلام بالمسير إلى حلب .

وأما قرا يلوك فإنه بعد أن التجأ إلى حلب ركب معه نائب حلب بعساكره فى الميدان ، ثم توجه وصحبته العساكر ، لأنه بلغه أن طائفة من عسكر قرا يوسف قد قربت من البلاد ، فتوجه إليهم قبل الصبح فتلاقى بالمقدمة ، فهزمها واستفهم من بعض من أسره عن قرا يوسف فأعلمه أن قرا يوسف بعينتاب ، وأنه أرسل هؤلاء ليكشفوا الأخبار .

ثم وردت كتب قرا يوسف إلى نائب حلب وإلى السلطان يعتذر من دخوله إلى مدينة عينتاب ويعاتب على إيوائهم عدوه قرا يلوك ، ويعلم السلطان بأنه باق على مودته ومحبته ، وأنه لا يطرق بلاده ، وأن قرا يلوك هو الذى بدأ وأفسد فى مدينة ماردين وغيرها ، وحلف فى كتابه أنه لم يقصد دخول الشام وكان الأمر كذلك، فإن قرا يلوك أساء السيرة فى ماردين ، وأسرف فى القتل والسبى حتى باع الأولاد والنساء وأحرق المدينة حتى وصل ثمن الصغير منهم إلى درهمين ، فلما تحقق السلطان ذلك أبطل الحج كما قدمنا .

ثم إن قرا يوسف لما فعل بعينتاب ما فعل رحل عنها إلى جهة ألبيرة فى طلب قرا يلوك فحصر ألبيرة ، فقاتله أهلها يومين ، فهجم البلد وأحرق الأسواق ، وامتنع أهلها بقلعتها ، ثم رحل فى التاسع عشر من رمضان إلى بلاده ، وكاتب السلطان بأن الذى وقع فى عينتاب وفى ألبيرة لم يكن باختياره وعاتبه مع ذلك على إبقاء عدوه ، ومنعهم له عنه وحذرهم منه ومن مكره وعاقبة صداقته .

* * *

وفى أول جمادى الآخرة توجه نائب حلب فى عساكرها ومن أطاعه من التركمان إلى قلعة كركر فحاصرها وأخذها من نائبها، فتحصن نائبها المدعو بالأمير خليل، وجلا أهل كركر عنها، وأقام عليها مدة أربعين يوما، ورعى كرومها وحرق دورها وما حولها حتى صارت بلاقع خرابا، ولم يظفر منها بشىء غير الذى فعله، ولم يزل كذلك حتى فقد عسكره العليق فرجع إلى حلب ولم يتمكن من قلعة كركر.

وفى الثالث من ذى القعدة نازل محمد بك بن قرمان مدينة طرسوس، فأرسل شاهين الأيدكارى إلى السلطان يطلب نجدة، وجاء الخبر (٩٩ ب) بمجىء إبراهيم بن رمضان لابن قرمان، فأرسل السلطان إلى ولد حمزة بن الأمير إبراهيم أن يستقر فى نيابته عوضا عن أبيه.

* * *

وفى أواخر شهر صفر عاد السلطان الملك المؤيد عز نصره الأمير الكبير من مرض حصل عليه، ثم لما طلع من عنده توجه إلى بيت الأمير جقمق الدوادار فأقام به الى آخر النهار.

وفيه انحرف السلطان على القاضى الشافعى بسبب كثرة النواب، فبادر الشافعى وعزل من نوابه ستة عشر نفرا، ثم أمر بالتخفيف منهم، فعزل أيضا أربعين نفرا، ولم يتأخر له من النواب سوى أربعة عشر نائبا، ووقع لأحد نوابه كائنة فى حُكمٍ حَكم به فعقد له مجلس ونقض حكمه وتغيب هو وهذا النائب [هو] سراج الدين الحمصى.

وفى ثانى عشر جمادى الأخيرة رسم السلطان بسجن جارقطلو الذى كان نائب حماه؛ فاعتقل بالإسكندرية؛

وفيه أرسل السلطان إلى نائب غزة ونائب الكرك ونائب القدس ونائب الرملة أن يجتمعوا على كبس بنى عقبة[(١)]، وكتب فى الباطن إلى نائب غزة أن يمسك نائب الكرك، وكان السلطان قد غضب عليه لكونه لم يخرج لملاقاته حين عاد من بلاد الشام، فمسكه وحمله إلى دمشق، فحبس بها فى القلعة.

وفى جمادى الآخرة أيضا ذكروا للسلطان أن الأمير جقمق الدوادار مخامر على السلطان، وأنه يكاتب الأمير قرا يوسف منذ كان السلطان على كختا، وكان الذى تحدث بذلك وأخبر به السلطان رجل يقـال له ابن الدرينى، وكان قد اتصل بالسلطان من الطريق فجهزه إلى الحج حسب سؤاله، فلما رجـع ادعى أنه ينصح السلطان وأن جقمق استدعاه ليرسله برسالة إلى قرا يوسف جوابا عن كتاب حضر إليه، فأعلم السلطان جقمق بذلك ولم يسمّ له الناقل، فقلق وانزعج غاية ما يكون، وكاد تزهق روحه من الغم، ولم يزل يستعطف السلطان حتى أخبره بالناقل، وطلبه منه وتسلمه وعاقبه، فاعترف أنه كذب عليه بتسليط بعض الأمراء عليه، وأحضر من بيته وتداً مجوفا مسدودا بالحديد من رأسه، وطيه كتاب رق لطيف، مكتوب بالفارسية بماء الذهب جواب عن الأمير جقمق لقرا يوسف.

وطلب جقمق الخراطين وأراهم الوتد، فعرفه بعضهم وقال: «أنا خرطت هذا لشخص أعجمى ولم يعطنى إلى الآن أجرته»، فأحضروا العجمى فعرفه، ثم تتبعوا من يكتب بالعجمى، واتهموا جماعة من العجم، وآخر الأمر وجدوا أعجميا كتب ذلك وهو مريض فى المرستان، ومع هذا فقد

---

(١) وهم فى الأصل بنو عقبة بن مخرمة بن حزام، وهم موزعون ما بين الشام ومصر وبلاد المغرب، ولقد ذكر القلقشندى فى نهاية الأرب فى معرفة العرب، ص ٣٦٤ نقلا عن العبر ومسالك الأبصار أن ديارهم من الكرك إلى الأزلم فى برية الحجاز وعليهم درك الطريق ما بين مصر والمدينـة النبوية إلى حدود غزة من بلاد الشام ودرك الحجيج من العقبة إلى الأزلم.

أحضروه وهددوه ، فاعترف أن الكتابة خطه ، وأن ابن الدربندى هو الذى أملاه عليه ، وادّعى ابن الدربندى أن الذى ألجأه إلى ذلك الأمير ألطنبغا[1] الصغير لبغضه فى جقمق ، وآخر ذا أغرق الدربندى فى النيل ، ومات الكاتب فى البيمارستان ، وبرئت ساحة جقمق عند السلطان ، ولم يتغير ما بينه وبين ألطنبغا لتحققه كذب ابن الدربندى .

ثم اشتد غضب جقمق على طائفة العجم ، فاستأذن السلطان فى نفيهم إلى بلادهم فأذن له ، فشدد فى ذلك حتى ألزم أهل الخوانق والمدارس بالسفر ، فضجوا من ذلك ودخلوا على السلطان حتى تركهم على حالهم .

* * *

وفى شوال منها قدم صريقا دوادار يشبك نائب حلب ، وصحبته شهاب الدين أحمد بن صالح بن محمد بن السفاح كاتب السر بحلب ، فاستدعاهما السلطان لشكوى وقعت فيهما من النائب ، فوقفا بحضرة السلطان ، وتحدثا وخرجا عن جملة ما نسب إليهما ، وذكرا عن النائب أشياء أعظم من التى ذكرها النائب عنهما ، فأمر السلطان صريقا باستقراره على وظيفته وسُفر إلى حلب ، واستعفى ابن السفّاح من العود خوفا على نفسه من نائب حلب ، فأعفى واستقر فى خدمة كاتب السر على توقيع الدست .

* * *

وفى تاسع عشر ذى الحجة قدمت أم إبراهيم بن رمضان التركمانى من بلادها تستعطف السلطان على ولدها ، فأمر السلطان باعتقالها فاعتقلت ،

(١) هو ألطنبغا من عبد الواحد ، كان رأس نوبة المؤيد وكان موته قتلا فى وقعة بينه وبين التركمان سنة ٨٢٤ ، انظر الضوء اللامع ٢ / ١٠٢٩ .

ثم عرض السلطان أجناد القلعة وانتقى منهم من يصلح للسفر صحبة ولده سيدى إبراهيم ، وكان قد عزم على تجهيزه إلى بلاد ابن قرمان لأجل ما فعل بطرسوس ، وكان بعد رحيل محمد بك بن قرمان عنهم كاتبوه أن يرسل إليهم عسكرا ليسلموا إليه نائبهم شاهين الأيدكارى لسوء سيرته فيهم ، فأرسل إليهم محمد باك بن قرمان ولده الأمير مصطفى، فقدم فى رمضان فأخذ المدينة وحاصر القلعة، وأخذ شاهين وأرسله إلى أبيه .

* * *

وفى أول جمادى الآخرة شرع السلطان فى بناء البيمارستان تحت القلعة موضع مدرسة الملك الأشرف التى هدمها الملك الناصر بن الملك الظاهر برقوق، وبقى منها بعض شىء من ناحية الباب ، وأمر السلطان بتنظيف التراب والحجارة التى هناك، ثم ولى عمارتها المعلم ابن عمر الطيلونى — وكان له مدة بطالا — فعمرها فى أقرب مدة ، وقرر السلطان فيها حكماء وكحالين وجرائحية وخدما للمرضى وغير ذلك، وجعل ما يحتاج إليه فيها من وقف الجامع المؤيدى الذى بناه بجوار باب زويلة .

* * *

وفى أول شعبان وقع بين الأمير فخر الدين بن أبى الفرج وبين القاضى بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص كلام فاحش بين يدى السلطان ، وانفتح ابن نصر الله على فخر الدين ورماه بأمور عظيمة ، ولم يلتفت السلطان إلى ذلك (١٠٠ أ) ، وأصلح بينهما :

ولما كان يوم التاسع من شعبان قبض على بدر الدين حسن بن نصر الله وسلم لفخر الدين بن أبى الفرج ، فجزم الناس بأنه يهلكه فعامله بضد ماظنه الناس وأكرمه وقام له بما يليق به ، وأرسل إلى أهله بأن يطمئنوا عليه ، وركب من الغد إلى السلطان — وهو ببركة الحبش يعرض الهجن

لأجل الحج - فلم يزل يترقق به ويتلطف في سؤاله له بسبب بدر الدين ابن نصر الله إلى أن أجاب سؤاله فيه ، فلما عاد أركبه دابته إلى داره ، فبات فيها .

وفي بكرة الثاني عشر منه طلع به إلى القلعة ورجع وقد أخلع عليه ، فعُدّت هذه من محاسن أخلاق الفخر بن أبي الفرج ، فإنه عفى عنه مع القدرة عليه ، واستُغرب هذا الفعل من مثله .

* * *

وفي رمضان منها كملت عمارة مدرسة فخرالدين بن أبي الفرج ببين السورين بالقاهرة ، وقرر فيها الصوفية والطلبة ، وأما مشيختها فقرر فيها الشيخ شمس الدين محمد البرماوي و [قرر] درس الحنفية لقاضي القضاة شمس الدين محمد بن الديري الحنفي المقدسي ، ودرس المالكية للقاضي جمال الدين المالكي ، ودرس الحنابلة للقاضي عز الدين البغدادي ثم المقدسي ، ولم يستطع فخر الدين المقرر المذكور الحضور عند المدرسين لشدة مرضه ، وتمادى به الأمر إلى أن مات في السادس عشر من شوال ودفن بها - أعني بالمدرسة - في فسقية اتخذت له .

واستقر بعده في وظيفة الأستادارية نائبه في الكشف على الوجه القبلي أبو بكر بن قطلبك ، واستقر في نظر أوقاف الأشراف عوضا عنه القاضي ناصر الدين محمد بن البارزي الحموي كاتب السر الشريف ، وأوصى فخرالدين بجميع موجوده للسلطان ، وعيّنه في دفاتر ما اشتمل ، جملته ما بين نقد وغلال ومواشي وأثاث وغير ذلك أربعمائة ألف دينار ، فتسلمها السلطان ولم يشوش على أحد من أولاده ، وإنما صودر بعض حاشيته ، فأقاموا بمال وأطلقوا .

وفيها أوفى النيل يوم الخميس [سلخ](١) جمادى الأخيرة الموافق الحادى عشر مسرى ، وزاد إصبعين على الوفاء ، وقد ذكرنا انتهاء زيادته فى هذه السنة :

وفيها حج بالناس من القاهرة الأمير جلبان أمير آخور ثانى ، وأمير طبلخاناه .

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٥٦٩ ـــ الشيخ المسند أبو الطاهر شرف الدين محمد بن محمد بن عبد اللطيف ابن أحمد بن محمود الشهير بابن الكويك ، المحدث العالى السند شيخ شيخنا العلامة حافظ العصر العسقلانى ، وشيخ شيخنا العلامة الحافظ اللغوى محمود العينى ، وشيخ المحدثين الآن الربعى التكريتى ثم الإسكندرانى نزيل القاهرة ، ولد فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين ، وأجاز له فيها المزى والبرزالى والذهبى وزينب بنت الكمال وابن المرابط وعلى بن عبد المؤمن ، وأحضر فى الرابعة على إبراهيم بن على ، وأسمع من أحمد بن كشتغدى وأبى نعيم الإسفرايينى والميدومى وابن عبد الهادى وغيرهم ، ولازم القاضى عز الدين بن جماعة ، وباشر المباشرات فكان مشكور السيرة فيها ، وتفرد فى آخر عمره بأكثر مشايخه ، وتكاثرت عليه الطلبة ولازموه وأخذوا عنه ، ثم انقطع فى آخر عمره بمنزله ملازما لإسماع الحديث الشريف ،

(١) فراغ فى الأصل ، لكن راجع التوفيقات الإلهامية ص ٤١١ حيث جعلت يوم ١١ مسرى ١٤١٧ يوافق الخميس أول رجب سنة ٨٢١ هـ .

إلى أن مات يوم السبت[1] الخامس والعشرين من ذى القعدة منها ، وقد بلغ أربعا وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

٥٧٠ — كمال الدين حسن[2] بن محمد بن محمد بن خلف الله الشمنى — بضم الشين المعجمة والميم وتشديد النون — ثم الإسكندرانى المالكى ، اشتغل بالعلم فى بلده ، ثم قدم القاهرة وسمع الأحاديث الكثيرة وتقدم فيها ، ونظم الشعر الحسن ، ولم يزل مشتغلا بالعلوم مع الديانة ، إلى أن مات فى ربيع الأول منها .

٥٧١ — غياث الدين محمد بن خواجا على بن نجم الكيلانى ، ولد فى حدود السبعين ، وكان أبوه من أعيان التجار ، فنشأ ولده هذا فى عز ونعمة وسعادة ودلال ، وأشغله والده بالعلم بحيث كان يبتاع له الكتاب الواحد بمائة دينار ، فاشتغل فى أيام قلائل وحصل جانبا من العلوم ونشأ فى عظمة ، ثم مات أبوه وتقلبت به الأحوال ، وهكذا حال الدنيا ، والتهى عن العلم بالتجارة ، فصعد وهبط وغرق فى البحر وسلم ، وزاد ونقص ، إلى أن مات خاملا فى السابع عشر من شوال منها .

وكان قد تزوج جارية من جوارى الملك الناصر يقال لها سمراء فأحبها وأتلف عليها ماله وروحه فى المحبة ، وأفرطت هى فى بغضه ، ومن عظم بغضها فيه قيل إنها سقته السم ، فتعلل مدة ولم يزل حتى فارقها وهو مع ذلك موسوم بحبها لا يميل عنها إلى غيرها .

(١) هذا هو التاريخ الوارد فى أيضا فى الضوء اللامع ٩/٢٩٤ ، ولكنه السبت ٢٦ ذى القعدة فى كل من النجوم الزاهرة ٦/٤٦٦ والشذرات ٧/١٥٢ .

(٢) اختلفت المصادر فى اسمه فهو « محمد بن حسن بن محمد بن محمد بن خلف الله » فى كل من إنباء الغمر والشذرات ، ولكنه « محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن محمد » فى السلوك ، وهو « محمد بن محمد ابن حسن بن على بن يحيى بن محمد بن خلف الله » فى الضوء اللامع .

٥٧٢ — شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد القلقشندى نزيل القاهرة ، مات فى جمادى الآخرة عن خمس وستين سنة ، وكانت له مباشرة فى ديوان الأحباس ، وناب عن القاضى جلال الدين البلقينى بسفارة الشيخ بدر الدين محمود العينى ، وكان يعانى صناعة الإنشاء ، وصنف فيه كتابا سماه « صبح الأعشى فى كتاب الإنشا » .

٥٧٣ — السيد الشريف نقيب الأشراف شرف الدين على [بن حجر] ابن محمد الأرموى [الحسينى] نزيل القاهرة ، توفى يوم الاثنين الثامن(١) عشر من ربيع الأول منها ، واستقر فى نظر الأوقاف المتعلقة بالأشراف عوضا عن الأمير فخر الدين بن أبى الفرج ، وكان معدودا من رؤساء البلد لأفضاله لا لفضله ، وكرمه لا لصيانته من الأمور المنكرة ، هكذا ذكره العينى :

٥٧٤ — الأمير فخر الدين عبد الغنى بن عبد الرزاق بن أبى الفرج ، الأرمنى الأصل القطوى نزيل القاهرة ، تنقل فى الولايات من الكشف والأستادارية والوزارة وغير ذلك كما ذكرنا إلى أن مات يوم الاثنين الخامس عشر من شوال منها ، ودفن صبيحة يوم الثلاثاء فى مدرسته التى بناها بين السورين ، وكان عارفا بجمع المال شهما شجاعا قوى الجنان ، وكانت له حرمة وافرة عند أهل الريف ، وسفك دماء كثيرة ، وأخذ أموالا عظيمة من الناس بغير أسف ، على أنه كان سيوسا صاحب مروءة

(١) أخطأت النجوم الزاهرة إذ جعلت وفاته يوم الاثنين ١٩ ربيع الأول ، على حين أنها نصت فى نفس المرجع ٦ /٤٦٣ س ٣ على أن الجمعة كان أول الشهر مما يصح معه التاريخ الوارد بالمتن أعلاه .

وكرم ، وكان جده يصحب ابن نقولا الكاتب فنسب إليه ، فلهذا يقال له أبو الفرج بن نقولا ، وهو اسم جده حقيقة.[1]

وفى الجملة فأبو الفرج[2] هو أول من أسلم من آبائه ، ونشأ أبوه مسلما ثم دخل بلاد الفرنج ، ويقال إنه رجع إلى النصرانية ، ثم قدم واستقر صيرفيا بقطيا ، ثم ولى (١٠٠ ب) ناظرها ثم أميرها ، ثم تنقلت به الأحوال وبولده بعده كما ذكرنا فيما مضى :

٥٧٥ — الأمير قطلوقجا[3] نائب الإسكندرية ، توفى فى ذى الحجة منها :

٥٧٦ — الأمير مشترك القاسمى من كبار الأمراء ، إنتقل فى الولايات ، منها نيابة غزة ، ومات فى جمادى الأولى منها :

٥٧٧ — الأمير بيسق الشيخى أمير آخور الظاهرى ، مات بالقدس بطالا فى جمادى الآخرة ، وكان كثير النكاح ، جماعا للمال ، شرس الأخلاق ، صادره الناصر مرة وأخذ منه ما قيمته مبلغ أربعين ألف دينار ، وتولى إمرة الحجيج سنين كثيرة ، وله فى مكة آثار ، وكان عنده جبر للفقراء والمساكين ، فرحمة الله الواسعة الهامية عليه :

---

(١) هذه الترجمة منظور فيها لما ذكره ابن حجر عنه حين ترجم له هذه السنة فى إنباء الغمر، على أن السلوك اشتد فى نقده إياه ، وقالت النجوم الزاهرة ٦ / ٤٦٤ — ٤٦٥ « كان عنده جبروت الأرمن ودهاء النصارى وشيطنة الأقباط وظلم المكسة فإن أصله من الأرمن ، وربى مع النصارى ، وتدرب بالأقباط ، ونشأ مع المكسة بقطيا ، فاجتمع فيه من قلة الدين وخصال السوء ما لم يجتمع فى غيره » .

(٢) فى الأصل « أبو » .

(٣) سماه النجوم الزاهرة « قطلونبغا » ولم أجد فيمن اسمه هذا أو قطلوبغا من ولى نيابة الإسكندرية أو مات فى هذه السنة .

٥٧٨ — الأمير آقبغا شيطان، توفى قتيلا فى الليلة السادسة من شعبان، وكان حسن المباشرة ، قليل الفسق ، ولى شد الدواوين ، ثم ولاية القاهرة ثم الحسبة ، وجمع بين الثلاثة مرة :

٥٧٩ — الأمير بردى بك الخليلى، الملقب بقصقا نائب صفد ، مات فى نصف رجب ولم يكن مشكور السيرة :

٥٨٠ — الأمير سودون الأسندمرى، مات قتيلا فى وقعة التركمان مع نائب طرابلس :

٥٨١ — سيدى موسى ، ولد السلطان المؤيد، توفى يوم الأحد سلخ رمضان منها ، ودفن فى الجامع الذى أنشأه والده :

* * *

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الثانية والعشرين بعد الثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك المؤيد ، وخليفة الوقت المعتضد بالله داود العباسى ، والأمير الكبير ألطنبغا القرمشى ، وأمير آخور كبير الأمير طوغان ، وأمير سلاح قجقار القردمى ، وأمير مجلس الأمير ططر ، والدوادار الكبير الأمير جقمق ، وأستادار العالية سيدى أبو بكر صهر الأمير فخر الدين بن أبى الفرج :

وناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله ومعه الوزارة أيضا ، وكاتب السر القاضى ناصر الدين محمد البارزى الحموى ، وناظر الجيش القاضى علم الدين بن الكويز :

وقاضى القضاة الشافعية شمس الدين محمد الهروى ، وقاضى القضاة الحنفية شمس الدين محمد الديرى القدسى ، والقاضى المالكى جمال الدين الأقفهسى ، والقاضى الحنبلى علاء الدين بن مغلى الحموى ، وقاضى العسكر شمس الدين الرومى :

وناظر الأحباس القاضى بدر الدين العينى ، والمحتسب بالقاهرة محمد ابن شعبان :

وصاحب اليمن الملك الناصر بن الملك الأشرف ، وصاحب مكة الأمير حسن الحسنى ، وصاحب المدينة غرير الحسينى ، وصاحب بلاد قرمان

الملك محمد باك بن علاء الدين بن قرمان، وصاحب اللاجات وكرسيها الملك كرشجى بن عثمان، وصاحب الدست وصراى الملك أدكا، وصاحب تبريز وبغداد قرا يوسف بن قرا محمد، وفى بغداد ابنه محمد شاه، لكنه متغلب غير مطيع لأبيه، وصاحب شيراز وخراسان وهراة وسمرقند شاه رخ بن تمرلنك.

ونائب دمشق الأمير تنبك ميق، ونائب حلب الأمير يشبك المشد، ونائب حماه الأمير شاهين الزردكاش، ونائب طرابلس الأمير سودون القاضى، ونائب غزة الأمير إينال النوروزى، ونائب صفد الأمير قرا مراد خجا؛

واستهلت هذه السنة يوم الجمعة(١) ثانى أمشير من الشهور القبطية.

* * *

ذكر خروج سيدى إبراهيم ولد السلطان الملك المؤيد إلى بلاد ابن قرمان

وسبب سفره شيئان: الأول أن ابن قرمان تعدى وأخذ طرسوس ومسك نائبها شاهين الأيدكارى، والحال أنها كانت من بلاد السلطان؛ والثانى أن عليباك — أخا محمد باك إبنى علاء الدين بن قرمان — كان وقع بينه وبين أخيه، فهرب منه عليباك وحضر للسلطان والتجأ إليه وشكى من أخيه محمد، فأنزله السلطان عنده وأكرمه ورتب له رواتب وأعطاه قماشا وخيلا وألبسه شاشا وقباء صفة الترك، ثم إنه طلب من السلطان أن يحج فأذن له السلطان، وجهز له جميع ما يحتاج إليه فى السنة الماضية؛

(١) الوارد فى جدول السنين فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١١ أن السبت هو أول المحرم ٨٢٢ ويوافقه الثالث من أمشير ١١٣٥ و٢٨ يناير ١٤١٩، على أنه يستفاد من مراجعة أيام هذا الشهر وأيام الأسبوع فى النجوم الزاهرة وخصوصا ٦/٣٩٣ س ٢٠ أنه اعتبر الجمعة أوله؛ أنظر أيضا نفس المرجع ٦/٣٩٣ note r

ولما قدم من الحج أقام له بركا وقماشا، وأمر المباشرين أن يجهزوا ولده سيدى إبراهيم لأجل سفره إلى الروم، وعين للسفر معه الأمير ألطنبغا القرمشى والأمير قجقار القردمى والأمير ططر أمير مجلس والأمير جقمق الدوادار الكبير، والأمير إينال الأزعرى، والأمير جلبان رأس نوبة سيدى إبراهيم، والأمير أركماس الجلبانى من المقدمين بالديار المصرية، وغيرهم من الطبلخانات والعشرات والمماليك :

وفى يوم الاثنين السابع عشر من المحرم خرج طلب سيدى إبراهيم، وطلب جقمق الدوادار، وطلب الأمير جلبان، وطلب الأمير إينال :

وفى يوم الثلاثاء الثامن عشر منه خرج طلب الأمير قجقار القردمى أمير سلاح، وطلب الأمير ططر أمير مجلس، وتأخر بعدهم طلب الأمير أركماس الجلبانى .

وفى يوم الجمعة الثانى والعشرين منه سافر سيدى إبراهيم من الريدانية ومعه الأمراء المذكورون بعد صلاة الجمعة من القاهرة، وكان الملك المؤيد ينزل عنده يوم الأربعاء، وبات عنده ليلة الخميس، وودعهم يوم الخميس بعد صلاة الظهر، ولم يبق من أعيان القاهرة من القضاة والمشايخ والمباشرين والأمراء والأعيان إلا وخرج لوداع ولد السلطان، ووصل سيدى إبراهيم بمن معه إلى دمشق فى السادس عشر من صفر، وتلقاه النواب، ثم وصلوا إلى حلب فى أول ربيع الأول، ثم وصلوا

إلى قيسارية (١) الروم فى تاسع عشر ربيع الأول وهى تحت حكم السلطان المؤيد ، والنائب بها الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير خليل بن ذلغادر ، ثم وصلوا إلى لارندة (٢) فى نصف ربيع الآخر ونزلوا على قلعتها وحاصروها مقدار عشرين يوما (١٠١ أ) ، وركبوا عليها المجانيق والمدافع ، وكان فيها من جهـــة محمد باك بن قرمان من المقاتلة مقدار مائة نفس ، فآخر الأمر فتحوا القلعة ومسكوا جميع من بها ، ثم توجهوا منها إلى « آركلى » (٣) ثم إلى لارندة :

وفى السادس عشر من جمادى الأولى نزلوا قريبا منها وملكوا المدينة ، وكان غالب أهل تلك البلاد هربوا وتحصنوا بالجبال والمغاير (٤) ، وحولوا قماشهم وأثاثهـــم صحبتهم ، فظفــر عسكر الشاميين بغالب قماشهـــم وأثاثهـــم خصوصا الخدم والغلمان ، وأفسدوا كثيرا فى بلاد لارندة ، وحصل غلاء مفرط بعد رحيلهم ثم قرروا عليباك بن قرمان — أخا محمد باك — فى تلك البلاد عوضا عن أخيه محمد المذكور ، وخطب الخطبـــاء هنـــاك باسم السلطان الملك المؤيد وضربوا السكة باسمه أيضا ، ثم رجعوا (٥) وودعهم على باك بن قرمان ، وكان السلطان أمر تانى بك ميق نائب الشام

(١) قيسارية وقد تسمى قيصرية فقط وتعرف باسم Caesarea Mazaka كانت من أعظم مدن الروم زمن السلاجقة شديدة التحصين مسورة عنـــد حف جبل ارجاست Argaeus ، أنظر تاريخها فى لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٧٨ .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة ٦/٤٠٠ أنه غادر قيسارية إلى قونية وليس إلى لارندة وكان ذلك يوم ١٥ أو ١٩ ربيع الآخر .

(٣) فى الأصل « آل كلى » وهـــذا هو تصحيف لكلمة هرقله Heraclia القديمة التى أصبحت بعد الفتح السلجوقى « أراكلية » Araklia ، وكان الروم قد استولوا عليها من المسلمين زمن الرشيد ، أنظر هرقلة فى الفهرس البلدانى لبلدان الخلافة الشرقية .

(٤) يقصد بذلك « المغارات » .

(٥) يقصد بذلك إبراهيم بن السلطان ومن معه من العسكر والأمراء .

أن يأخذ معه عسكره ويذهب نحو طرسوس قبل أن يرجع ابن السلطان من حلب ، وذلك لأن الأمير مصطفى بن الأمير محمد باك بن قرمان ومعه الأمير إبراهيم بن رمضان قد أفسدوا فى تلك البلاد ، خصوصا مدينة طرسوس وأدنة ، فذهب نائب الشام حسب ما رسم له واقعهما فهزمهما ، ولما انهزما توجها بمن معهما إلى جهة قيسارية الروم فى شهر شعبان ، وكان دخول سيدى إبراهم بمن معه من العساكر إلى حلب فى ثالث رجب ، وكان محمد باك بن قرمان مع عسكره قد تحيزوا إلى الجبال المنيعة لما توجه ابن السلطان مع عساكره إلى لارندة ولم يقدر محمد باك على ملاقاتهم :

ولما رجع ابن السلطان من بلاد الروم ، وانهزم الأمير مصطفى من نائب الشام رجع مع أبيه محمد باك بن قرمان ومعهما عساكرهما وذهبا إلى قيسارية ليأخذاها ، فاستقبلهما نائب قيسارية وهو الأمير ناصر الدين ابن الأمير خليل بن ذلغادر ، فوقع بينهما قتال عظيم فانكسر محمد باك وهرب ، وقتل ابنه مصطفى باك فى المعركة ، ثم مسك أبوه محمد باك أيضا .

ثم أرسل ناصر الدين بن خليل بن ذلغادر رأس مصطفى باك إلى السلطان المؤيد ، فوصلت القاهرة قبل وصول ابن السلطان ، وكان وصول الرأس يوم الخميس الخامس عشر من رمضان وصحبة الرأس رسل من عند الأمير ناصر الدين بن ذلغادر المذكور ، وأخبروا أن محمد باك بن قرمان جمع عساكر كثيرة ، ومشى على قيسارية وحاصرها وقاتله أهلها قتالا عظيما ، وفى أثناء القتال جاء سهم غاير ، فقتل مصطفى وانكسر عسكرهم ، وجرح أبوه محمد باك وهرب فلحقوه ومسكوه وحبسوه عندهم ، وأما ابن السلطان فإنه لما دخل حلب وصحبته العساكر فى التاريخ الذى ذكرناه أرسل يستأذن والده فى التوجه إلى القاهرة ، فأذن له ؛

* * *

ذكر توجه سيدى إبراهيم إلى القاهرة ووصوله إليها بمن معه من العساكر

لما دخل سيدى إبراهيم حلب أقام فيها مدة ينظر فى أمر أسوار حلب ، فإن السلطان كان رسم بعمارتها بمال يجبى من أهلها ومن قراها ، فكان يجبى من أهل حلب ومن القرى كل يوم ثلاثة آلاف درهم فضة مؤيدية ، يؤخذ من الصغير والكبير حتى النساء الأرامل ، وحصل بذلك ضرر كبير للفقراء من أهل حلب ، ثم إن سيدى إبراهيم لما أرسل إليه أبوه بالإذن له بالتوجه إلى القاهرة خرج من حلب بعساكره ووصلوا دمشق فى الخامس من رمضان ، ووصلوا القاهرة يوم الخميس التاسع والعشرين من رمضان وصحبتهم تنبك ميق نائب الشام ، وكان السلطان أرسل يطلبه ، ودخل سيدى إبراهيم القاهرة من باب النصر ، وشق القاهرة بين يدى والده المؤيد وعليه خلعة عظيمة ، وكذا على الأمراء القادمين على السلطان الذين كانوا فى ركاب ولده ، وكان يوما مشهودا .

هذا كله بعد أن لاقاه السلطان إلى خانقاه سرياقوس ، وأقام فى السماسم ينتظر وصوله ، ولما قرب من الخانقاه المذكورة ركب السلطان ولاقاه قريبا من العكرشة ونزل السلطان هناك ، وتقدمت الأمراء المسافرون وقبلوا الأرض بين يدى السلطان المؤيد ، فخلع عليهم خلعا سنية بطرز زركش سابلة إلى الأصابع وخيول مسرجة بالذهب والكنابيش الزركش ، وكان سيدى إبراهيم حين سافر شبلا مقداما ، ورجع هزبرا ضرغاما ، وفتحت له فتوحات فى هذه السفرة وأطاعه الدانى والقاصى ، وذل له المطيع والعاصى ، ووصل إلى بلاد ما دخل إليها أحد من سلاطين الترك من أيام الملك المعز بن أيبك التركمانى أول سلاطين الترك ، بعد دولة بنى أيوب ، غير أن السلطان

الملك الظاهر بيبرس الصالحى وصل فى بعض أسفاره بعد كسره التتار على وطأة البلستين إلى قيسارية الروم، وأقام هناك بعض أيام ثم رجع .

وأما سيدى إبراهيم فإنه سلك قيسارية وبلادها ومدينة لارندة وبلادها التى هى أفخر بلاد ابن قرمان ، وخطب باسم أبيه فى هذه السنة بهذه البلاد وفى مدينة قونية أيضا، وضربت السكة باسمه أيضا، وتولى الأمير عليباك ابن قرمان عوضا عن أخيه محمد باك — كما ذكرناه — نائبا عن السلطان المؤيد، وهذا يدل على علو همة هذا السلطان، ولاسيما [أن] رزقه الله ولدا مثل سيدى إبراهيم ، ولقد أنفق السلطان على العساكر الذين كانوا صحبة ولده سيدى إبراهيم أكثر من مائة ألف دينار، غير الخيول والجمال والقماش ، وذلك خارجا عما أنفق الأمراء من أموالهم ، وغير ما يحتاج إليه سن برك كل أمير من الأمراء المقدمين من الخيول والجمال والبغال والخام والسلاح والقماش والنفقات من الذهب والفضة ، واستخدم له مماليكا ، مضافا لخدمته ولضرب الطبلخاناه وغير ذلك .

* * *

(١٠١ ب) ذكر ما جرى من الحوادث في القاهرة في هذه السنة

يوم الخميس الخامس من شهر صفر المبارك خلع على القاضى صدر الدين ابن القاضى جمال الدين محمود العجمى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن شمس الدين محمد بن شعبان بحكم عزله .

وفى يوم السبت السابع من شهر صفر عدى السلطان إلى بر الجيزة فوصل إلى أوسيم فأقام فيها أياما ، وأمر بنفى الأمير بدر الدين بن محب الدين

ـ أستادار العالية كان ـ ووزير الديار المصرية إلى طرابلس بطالا ، فسأل الشاميون السلطان فيه حتى أنعم عليه بإمرة وتوجه إليها .

وفى الثامن عشر من صفر عمل السلطان وقتا بالبحر الأعظم ، وأوقد فيه قشور النارنج والبيض ، موقودون مثل السنة الخالية وأعظم .

وفى آخر صفر ثار المماليك السلطانيــة بالأطباق وأرادوا إحداث فتنة ولم يتم ذلك .

وفيه أرسل السلطان ألطنبغا المرقبى إلى الصعيد وصحبته رقم أمير هوارة ، فتحارب مع العربان ، وكان بينهم حرب عظيمة ، ثم انهــزم العرب إلى الميمون (١) ، وغنم ألطنبغا ومن معه من أغنامهم ودوابهم شيئا كثيرا جدا .

وفى صفر فشى الطاعون بالشرقية والغربية ـ وابتدأ بالقاهرة ومصر ثم كثر جدا (٢) فى ربيع الآخر ، وكان فى الأطفال أكثر ، وعم الوباء ببلاد الفــرنج .

وفيه عمرت قناطر شبين (٣) ، فبلغ مصروفها خمسة آلاف دينار جمعت من بلاد الجيزية حتى من الإقطاعات والرزق .

* * *

(١) الميمون من البلاد العربية القديمة بمركز الواسطى .

(٢) راجع حبشى : الاحتكار فى العصر المملوكى .

(٣) المقصود بذلك شبين القناطر والصواب فيها « شيبين » ، وحذف الياء الأولى بعد الشين تصحيف ، وقد عرفها معجم البلدان بأنها من قرى الحوف بمصر بين بلبيس والقاهرة ، انظر تطورها تاريخيا فى محمد رمزى القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ١ ص ٣٥ ـ ٣٦ .

وفى يوم الخميس السابع عشر من ربيع الأول خلع على القاضى جلال الدين ابن البلقينى واستقر قاضى القضاة الشافعيــة بالديار المصرية على عادته عوضا عن قاضى القضاة شمس الدين الهروى بحكم عزله، وكانت تولية ابن البلقينى ولبسه الخلعة فى الجامع المؤيدى المجاور لباب زويلة، ووافق نزول السلطان إليــه بسبب النظر فى أموره ، وكان عزل الهروى بسبب تعصب الدولة عليه كالقاضى ناصر الدين بن البارزى ، وهو بكلّ من فى الحمى وغيره :

قال قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى تاريخه : « بغيا وحسدا ، منهم ناصر الدين بن البارزى ، وكان واسطة العقد ، وتعصبهم عليه لا بن البلقينى ليس محبة فيه وإنما بغضا فى الهروى ، كما قال الشاعر :

وما من حبــه يحنو عليــه ولكن بغض قوم آخرينــا »

وأوحوا إلى السلطان فى حقه أمورا قبيحة وضيعة منكرة مرارا عديدة، كل ذلك والسلطان لم يصغ إلى كلامهم ولا يلتفت إليــه ولا يعول عليه، ولم يزالوا يغضّبون السلطان عليه إلى أن عزله وحسّنوا له تولية ابن البلقينى ، وبلغوه أن العوام وأهل البلد : الأكابر والأصاغر ، الأماثل والأراذل ، حتى أهل الذمة لا يرضون إلا بابن البلقينى ، وليس فيهم أحد يريد الهروى ولا يلتفت إليه ولا ينظره ، وإن أراد السلطان حقيقة ذلك فيوليه (١) فى الجامع المؤيدى ، ويجلس ينظر إلى مصر وأهلها من الفرح والسرور والدعاء لمولانا السـلطان .

وأعلموا العوام بذلك ، فتجمعوا من كل مكان ، وملأوا الأرض والبيوت والحيطان ، وأشار أهل الدولة على القاضى جلال الدين بن البلقينى

(١) الضمير هنا عائد على البلقينى كما يستفاد من سياق المعنى .

أن يركب من باب سر المؤيدية ويطلع من باب الفرج ، حتى جاء على باب زويلة ومر بين يدى السلطان وهو راكب وحوله وبين يديه وأمامه أهل مصر قاطبة ، لا يستثنى من رؤسائهم أحد حتى أحاطوا بجوانب الجامع بحيث أن أحدا ما يقدر يصل إليــه ولا يمر بين يديه إلا بعنف شديد ، فدهش السلطان من ذلك .

* * *

ثم اتفق للهروى أمور عظيمة قبل عزله وبعد عزله . ومما هو قبل عزله أنه متحن بحضــور السلطان مرارا من شــيخنا الحافظ ابن حجــر منها أنه قال له : « أرو ثمانية أحاديث مختلفة الأســانيد من حفظك حتى نسميك محدثا » فشرع فى ذلك فتلعثم ، فأورد شيخنا (١) ثلاثين حديثا مختلفة الأسانيد من حفظه ولفظه ، حتى كاد السلطان أن يدهش من حافظته ، وكان ذلك سببا لولايته نظر البيبرسية ومشيختها ، وأهين (٢) وذل وأزرى وحبس ورسم عليه ، وحصل له مجالس فظيعة من الإخراق والإهانة ، منها أن السلطان نزل إلى المؤيدية فى أواخر المحرم وحضر عنــده القضاة والهروى والأمراء الأكابر والأصاغر والمباشرون جميعهم ، فسأل السلطان القضاة فى أمر الحرم وما يتعلق بعمارته ، فانجر الكلام إلى أن وقع بين الهروى والقاضى علاء الدين ابن مغلى الحنبــلى فى مسائل أجاب عنها الهروى ، فخطأه فيها القاضى علاء الدين ، وأفحش كل منهما فى الكلام ، ثم وقع الكلام بين الهــروى وبين القاضى شمس الدين محمــد الديرى ، وأفحش الديرى فى حقه ، ونسبه إلى الجهل وكتابة الفتاوى بغير علم ، وبالخطأ فى أجوبته ، وآل كلام

(١) يعنى بذلك ابن حجر .
(٢) المقصود بذلك الهروى .

ابن الديرى حتى قال للسلطان : « يا مولانا : ذمتك لا تبرأ بولاية هذا ، وأشهدك أنى حجرت عليــه أن يفتى ، وحكمت بذلك » فنفــذ حكمه المــالكى والحنبلى فى المجلس، وهذا كله وهو قاض :

ثم أقاموا جماعة من أهل القدس ، فشكوه إلى السلطان وقالوا إنه أخذ من أوقاف القدس والخليل — عليه السلام — عشرة آلاف دينار ، وتكررت شكواهم حتى أرسل السلطان إلى القدس وطلب الناظر عليه المدعو حسن فحضر وصحبته المباشرون ، وكان حسن قد تولى عوضا عن الهروى ، وأحضروا جماعة من الفلاحين ، فرسم على الهروى وطلب منه الحساب وحضر معهم بين يدى السلطان ، وجرت أمور كثيرة ، وأخرج الهروى مستنداته ، فلم يلتفتوا إليها ، وأثبتوا عليه بزعمهم مبلغ أربعة آلاف دينار ، وحكم بذلك شهاب الدين بن حجر بإشــارة السلطان ، هكذا ذكر البدر العينى فى تاريخه :

ورسم عليه (١٠٢ أ) جماعة من رسل الصالحية ، فأساءوا عليــه وأغلظوا القول له وبهدلوه ، ثم رسموا عليه اثنين من البريدية من بيت الأمير الدوادار ، ثم أتوا به إلى المدرســة الصالحية وحبسوه فى قبة الصالح ، ورتبوا عليه أمورا كادوا أن يقتلوه بسببها ، ولكن لطف الله به ، وانتصب للتصدى بسببه بعض من عنــده شفقة على الغرباء وميل إلى أهل العلم ، وأعلموا السلطان بما فيه الهروى من الذلة والهوان والحط عليه من أهل الصالحية البلانية ، حتى لقــد اتخذت امرأة قذرا فيه أوساخ وانتظــرته إلى أن أراد الدخول للصالحيــة فألقته عليــه فصار فى غاية

ما يكون، وهذه المرأة [هى] أم ابن الخشاب شرف الدين، وجوزى ولدها بعد ذلك فى أيام الأشرف برسباى ، فإنه هو الذى ألجأها إلى ذلك ، فلما بلغ السلطان ذلك حنق وانحرف ، وأمر التاج الوالى أن يتوجه ويضرب الرسل ومن يسفه عليـه ويطلع به إلى جامع القلعة ، وطلعوا به إليـه ، وتولى التاج تحصيل المـال الذى أثبتوه عليه بطريق الوكالة من ناظر القدس المسمى حسن ، وباع الهروى جميع موجوده من قماش وأثاث وغـلال وخيول وكتب إلى أن وفى ما ظهر عليه بزعمهم ، ثم رسم السلطان بإطلاقه ونزل إلى بيته فى سويقة الصاحب بطالا وسكن هناك مدة ، ثم ألزموه بالسفر إلى القدس بسبب وظيفة تدريس الصالحية ، فسافر وهو مكسور الخاطر ، مفتقر الحال ، وتوطن فى القدس الشريف منعزلا عن الناس :

* * *

وفى التاسع والعشرين من ربيع الأول كسفت الشمس قبل الزوال، فاجتمع الناس بالجامع الأزهر بالقاهرة وصلوا صلاة الكسوف :

وفى ذلك اليوم وقعت زلزلة عظيمة فى مدينة أرزنجان، وهلك بسببها خلق كثير ، وكذلك وقع فى إصطنبول وخرب منها مبانى كثيرة .

* * *

وفى هذا الشهر تشاجر الوزير والأستادار وأفحشا الكلام ، وآخر ذا أخلع عليهما السلطان وألزمهما بحمل مائة ألف دينار :

وفى الثامن من جمادى الأولى ولد للملك المؤيد ولد سماه أحمد ، فقدر الله أنه ولى السلطنة فى أول سـنة أربع وعشرين ، وعمره سنة واحدة وثمانية أشهر وأيام ، وتلقب بالملك المظفر كما سنذكره إن شاء الله تعالى :

وفيه قدم ألطنبغا المرقبي وسيدى أبو بكر أستادار العالية من الصعيد ، وقدّم الأستادار ما حصّل من أموال هوارة وغيرهم ، فكانت التقدمة مائتى فرس وألف جمل وستمائة رأس من الجاموس وألفا وخمسمائة بقرة وخمسة عشر ألف رأس من الغنم الضأن .

* * *

وفى هذا الشهر — أعنى جمادى الأولى — تغير القاضى ناصر الدين ابن البارزى على صدر الدين بن العجمى المحتسب وأخذ فى أسباب إبعاده عن السلطان ، وسبب ذلك أنه كان قرب من السلطان وحظى عنده وصار يأمره بالقراءة إذا كان القاضى ناصر الدين غائبا عن المجلس فخشى على نفسه منه ، واتفق أن السلطان عاوده وجع رجليه فى السنة ، واستفتى عن جواز الجمع بين الصلاتين بعذر المرض ، فأفتاه بذلك بعض الشافعية من خواصه ، ثم سأل السلطان بعض الحنفية عن ذلك فقال : « قلد الشافعى فى ذلك » ، فاتفق حضور صدر الدين بن العجمى صبيحة ذلك اليوم ووقع الكلام فى هذه المسألة بين القوم الذين يحضرون عند السلطان ، فبالغ ابن العجمى بالرد على من أفتى فى ذلك ، فقيل له : « أفتى ابن عباس رضى الله عنهما بذلك » ، فقال : « أنا ما أقلد ابن عباس ، وإنما أقلد أبا حنيفة رضى الله عنه » هذا الذى ضبط عليه ، ثم ادعى عليه بعد ذلك بتسليط ناصر الدين بن البارزى عند القاضى شمس الدين محمد بن الديرى الحنفى المقدسى أنه قال : « من هو ابن عباس رضى الله عنهما بالنسبة إلى أبى حنيفة رضى الله عنه ؟ » ، وطلبه ابن الديرى بالرسل وأحضره إلى مدرسة الصالحية ، ورسم عليه رسلا ، ثم طلبه فى بيته الذى بالدرب الأصفر

قبالة الخانقاه البيبرسية ، فمشوه منه إلى الصالحية وهو فى ضنك وهوان مع الرسل ، فلما دخل على القاضى رسم برد الباب على الناس ، وكان حضر معه جمع كثير من العوام ، فعزره واستتابه ثم أطلقه إلى حال سبيله ، ثم بعد ذلك طلبه السلطان وخلع عليه وقرره فى الحسبة بالقاهرة .

وفى يوم الثلاثاء السادس عشر من شهر جمادى الأخيرة نزل السلطان إلى بيت القاضى ناصر الدين بن البارزى الذى على شاطئ النيل ببولاق ، وكان نزوله فى محفة لأجل وجع رجليه ، وأقام هناك إلى كسر الخليج ، فكان الوفاء يوم الأربعاء السادس عشر من رجب ، واستدعى الحراقة المشهورة بالذهبية ، فركب فيها من بيت ابن البارزى إلى القصر الذى سواه فى ساحل أنبوبة ، واستمر تارة فى الحراقة الليل كله ، ونهاره يتوجه إلى الآثار الشريفة ، ثم تحول إلى بيت الخواجا ابن الخرنوبى بالجيزية ، وكان قد أحضر الحراريق المزينة التى جرت العادة بزينتها ليالى الوفاء ، فاستصحبها صحبته إلى الخروبية ، واجتمع الناس للتفرج من بولاق إلى مصر العتيقة ، ثم ركب فى السادس عشر من رجب من الخروبية فى الحراقة إلى المقياس ، ثم نزل فى الحراقة الصغيرة إلى الخليج ، ثم ركب فرسه فطلع إلى القلعة .

وفى شعبان تزايد ألم السلطان ثم عوفى ثم ركب إلى بركة الحجاج وأجرى الخيل هناك ، ثم ركب إلى بركة الحبش وسابق بين الهجن .

وفى ليلة الخميس الثامن من رمضان مسك السلطان الأمير جانبك أحد الأمراء الطبلخانات ورأس نوبة صغير ومعه كزل الجمكى الخاصكى

وحبسهما فى البرج بقلعة الجبل ، وذلك لأمر بلغه عنهما من الكلام الذى لا ينبغى التكلم به ، وأنعم بإقطاع جانبك للأمير عليباك أمير عشرة ورأس نوبة صغير ، وأنعم بإقطاع عليباك المذكور للأمير مبارك شاه القرقماسى ، وأنعم بإقطاع مبارك شاه — وهو إمرة عشرة — لقطلج الجندى الخاصكى ، وأنعم بخبز أبرك (١٠٢ ب) لمملوك يدعى تنبك ، وأنعم بخبز تنبك لمملوك يسمى يشبك ، وبعد أيام يسيرة أطلق أبرك المذكور من السجن وأنعم عليه بإمرة فى حلب ؛

* * *

وفى يوم الثلاثاء الثالث من شوال خُلع على الأمير جقمق الدوادار الكبير واستقر فى نيابة دمشق عوضا عن الأمير تنبك ميق بحكم عزله وطلبه إلى الديار المصرية ، وكذلك خُلع على الأمير مقبل الدوادار الثانى واستقر دوادارا كبيرا على إقطاعه الطبلخاناه ؛

وفى يوم الخميس الثالث عشر من شوال خلع على الأمير قطلوبغا التنمى واستقر فى نيابة صفد عوضا عن صهره زوج ابنته الأمير قرا مراد خجا بحكم عزله ونفيه إلى القدس بطالا ، وخرج إقطاعه باسم الأمير جلبان أمير آخور ثانى ، وأخرج إقطاع جلبان باسم الأمير سودون أمير آخور أمير عشرة .

وفى يوم السبت الخامس عشر من شوال خرج طلب الأمير جقمق الذى استقر نائب الشام ؛

* * *

ذكر نزول السلطان إلى مدرسته
وإجلاس شمس الدين الديرى فى مشيختها

لما كان يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال نزل السلطان إلى جامعه الذى أنشأه بجوار باب زويلة، ونصب له كرسى تجاه الفسقية، فأمر بغسلها وملئها من السكر المصرى الخاص بقدر ما تسع، وجاء ذلك أكثر من ثلاثين قنطارا، ثم عرض بعض المنزلين فقرر جماعة، ومد سماطا عظيما مشتملا على أنواع المأكولات، ثم بعد الفراغ من ذلك قدم المشروب، ثم خلع على القاضى شمس الدين بن الديرى خلعة عظيمة، وقرره شيخ الشيوخ بها، وأمر لشبله سيدى إبراهيم أن يفرش سجادته فى المحراب ففعل، وجلس عليها القاضى شمس الدين المذكور وعلى يمينه قاضى القضاة جلال الدين بن البلقينى، وعلى يساره سيدى إبراهيم بن السلطان وجميع الفقهاء والأمراء، وأعيان المدينة حاضرون هناك، ثم حضر السلطان فجلس على يسار الشيخ متكئا على المنبر، وشرع الشيخ شمس الدين بن الديرى فخطب خطبة بليغة دعى فيها للسلطان، ثم تكلم فى قوله تعالى[1]: (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة) الآية، ثم صلى السلطان الجمعة هناك، وخطب به القاضى ناصر الدين بن البارزى كاتب السر، فإنه كان يسأل السلطان أن ينعم عليه بالخطبة وخزانة الكتب، فأجابه السلطان إلى ما سأل، وخلع عليه كاملية صوف أبيض أنعم من الحرير، بفرو سمور، وكان يوما مشهودا وجمعا محمودا.

(١) سورة الحج ٢٢ : ٤١ .

وفى يوم الجمعة السادس من ذى القعدة خلع على زين الدين عبد الرحمن ابن التفهنى واستقر قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية ، عوضا عن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الديرى بحكم انتقاله إلى مشيخة الشيوخ بالمؤيدية .

وفى ذلك اليوم عدى السلطان إلى بر الجيزية ونزل عند « كوم قرى » وأقام إلى يوم الاثنين التاسع من ذى القعدة ، ثم توجه إلى البحيرة وتروجة واستناب فى المدينة الأمير إينال الأزعرى ، وصلى السلطان عيد الأضحى بالطرانة (١) ، وخطب به القاضى ناصر الدين بن البارزى كاتب السر .

ثم قدم السلطان القاهرة يوم الأحد (٢) الرابع عشر من ذى الحجة ونزل فى بيت ناصر الدين محمد بن البارزى ببولاق ، ودخل الحمام التى أنشأها ابن البارزى على هيئة حمامات الشام ، وبات ليلة الاثنين هناك ، ودخل المدينة صبيحة ذلك اليوم الذى هو الاثنين الخامس عشر من ذى الحجة .

* * *

(١) ذكرها القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص ٣٣١ فقال إن اسمها المصرى القديم هو Per Rannout والقبطى هو Ternout ومنه اشتق اسمها العربى ، وكانت بها وقعة بين عمرو بن العاص والبيزنطيين أيام الفتح العربى لمصر ، وتقع الطرانة بمركز كوم حمادة قرب الإسكندرية .

(٢) ليس ثم اختلاف فى يوم الأحد بين المتن والنجوم الزاهرة ، ولكن المرجع الأخير جعله يوم ١٣ ذى الحجة ، والوارد فى التوفيقات الإلهامية أن ذا الحجة أوله يوم الثلاثاء مما ترجح معه رواية النجوم على تاريخ النزهة .

وفى يوم السبت(١) السابع والعشرين من ذى الحجة قدم محمـــد باك ابن قرمان فى احتفاظ وقيد حديد ، أرسله الأمير ناصر الدين محمـــد ابن الأمير خليل بن الأمير زين الدين قراجا بن ذلغادر كبير التراكمين ونائب البلستين ومعـــه بعض ناس من جهته ، فنزلوا فى بيت الأمير مقبل الدوادار وملاقاته مع السلطان فى العام الآتى ، على ما نذكره إن شاء الله تعـــالى :

وقد ذكرنا أن ناصر الدين محمـــد بن الأمير خليل المذكور مسكه فى الوقعة التى كانت على قيسارية الروم قبل ابنه الأمير مصطفى ، وكان لمـــا مسك وعد الأمير ناصر الدين بن ذلغادر بأشياء كثيرة على أن يطلق سبيله ، فما وعده به من الذهب ثلاثون ألف دينار ، ومن البخاتى خمســون بختيا ، ومن السمور والسنجاب والوشق خمسون قطعة ، وأربع جوار جنكيات وغير ذلك ، وقوى عزم ناصر الدين أن يأخذ هذه الأشياء ويطلق سبيله ، ولكن تصور فى خاطره أن هذا الأمر ما يخفى على السلطان وتؤول عاقبته عليـــه ، ومع هذا أرسل السلطان يطلبه منه ، فعند ذلك أرسله كرها :

* * *

ذكر أسعار هذه السنة

فى شهر المحرم تحسنت الأسعار ، فبيع الإردب من القمح قريبا من ثلثمائة درهم ، ومن الشعير بمائتين وخمسين ، والفول كذلك ، والحمل من التبن بثمانين وقل جدا ، وأبيع الفدان من البرسيم بقريب ألفى درهم ،

(١) يستفاد من النجوم الزاهرة أن مجئ محمد بك بن قرمان كان يوم السبت ١٩ ذى الحجة وليس يوم ٢٧ ، وعلى ذلك فرواية النجوم أدق ، انظر الحاشية السالفة .

وذلك لأن الدود رعى أكثر البرسيم ، فلأجل ذلك تحسن وعز ، وبيع الرطل من الزيت بثمانية ، ومن السيرج كذلك ، ومن العسل المصرى بخمسة عشر ، ومن السمن كذلك ، واللحم البقرى بستة دراهم ، والضأن بثمانية ، والجبن المقلى بثمانية ، وتحسنت الأسعار فى كل شىء .

وفى شهر رمضان زادت الأسعار ، فبيع الإردب من القمح بأكثر من ثلثمائة درهم ، ووصل الإردب فى ذى القعدة إلى ثلثمائة وخمسين درهما وقل الواصل من الوجه القبلى ، بل حُملت إليه الغلال من الوجه البحرى ما لا مزيد عليه لشدة الغلاء هناك ، حتى أكلت الناس الكلاب والسنانير ، هكذا ذكره شيخ الإسلام بدر الدين العينى فى تاريخه . ومن جملة أسباب الغلاء كان نزول النيل بسرعة ، وزرع الناس فى الحر ، ورعى الدود البرسيم ، وتأخر المطر فى الخريف ، وإفساد العساكر فى زرع الوجه البحرى .

وغلت الأسعار بمكة جدا فبلغت الغرارة بخمسة وعشرين دينارا ، وهى إردب وربع بالمصرى .

* * *

ذكر بقية الحوادث فى القاهرة وغيرها

(١١٠٣) وفى ربيع الأول ركب المحتسب والوالى بأمر السلطان ، فطافا على أماكن الفساد بالقاهرة وأراقا من الخمور شيئا كثيرا ، ثم منع المحتسب النساء من النياحة على الأموات ، وألزم اليهود والنصارى بتضييق الأكمام وتصغير العمائم ، وبالغ فى ذلك .

وفى المحرم قبض على محمد بن بشارة كبير العشران ، وذلك أن السلطان كان أرسل سيدى محمد بن منجاك إلى دمشق وأمره أن يحتال على ابن بشارة ، وراسله إلى أن ضمن له عن السلطان الرضى ، فلما كان ذلك أرسل إليه أمان السلطان وحلفه له ، وجهز له خلعة فلبسها وأقبل إلى دمشق فتلقاه وبالغ فى إكرامه فأمن له ، فبينما هو فى سوق الخيل تلقاه ابن منجاك ، فدخلا جميعا إلى بيت الأمير نكباى نائب الغيبة ، فلم يستقر به المجلس حتى قبض عليه ، فدفع عن نفسه بسيفه ، فتكاثرت على رأسه السيوف ، وقبض على عشرين من أعوانه وأصحابه ، فوسط منهم أربعة عشر نفسا ، واعتقل ابن بشارة بقلعة دمشق :

ثم أمر السلطان بإحضاره ، فأحضروه إلى القاهرة فى الرابع والعشرين من جمادى الأولى واعتقل فى القاهرة :

* * *

وفى السابع من جمادى الأولى أحضر بطرك النصارى فى الإصطبل بعد أن جمعوا القضاة والمشايخ ، فسأله السلطان عما يقع فى بلاد الحبشة من إهانة المسلمين فأنكر ذلك ، ثم تصدى المحتسب (١) فأنكر عليه تهاون النصارى فيما يؤمرون به من الصغار والذل ، وطال الكلام فى هذا ، واستقر الحال أن لا يباشر أحد من النصارى فى دواوين السلطان والأمراء ولا غيرهم ، ثم تصدى شهاب الدين أحمد الأذرعى الإمام فى الحط على فضايل النصرانى حاجب الوزير ، فطلبه السلطان وضربه بالمقارع بحضرته ، وشهر بالقاهرة عريانا ثم سجن ، ثم آل أمره إلى أن أمر بقتله فقتل ، فامتنعت النصارى

(١) كان المحتسب إذ ذاك هو صدر الدين بن العجمى .

عن النيروز وعن ركوب الحمير في أثنائه في المدينة ، فإذا خرجوا ظاهرها يركبونها ، فأنف جماعة من النصارى من الهوان والـذل ، فأظهروا الإسلام وركبوا الخيول وباشروا كما كانوا بل وأعظم .

* * *

وفي يوم الخميس الثامن من شهر ربيع الآخر فشا الطاعون وكثر الموت فجأة حتى ذعر الناس ، فأمر السلطان المحتسب أن ينادى في الناس بصيام ثلاثة أيام ، أوله يوم الأحد الحادى عشر منه ، فصاموا وخرجوا يوم الخميس نصف ربيع الآخر إلى الصحراء ، فخرج الفقهاء والعلماء والمشايخ والقضاة والعامة ، وتوجه الوزير وأستادار الصحبة إلى تربة الملك الظاهر فنصبوا المطابخ وباتوا في تهيئة الأطعمة ، ثم ركب السلطان بعـد صلاة الصبح ونزل من قلعة الجبل لابسا زيا من صوف ، وعلى كتفه مئزر صوف مسدول ، وعليه عمامة صغيرة جدًّا ، لها عذبة مرخاة عن يساره ، وهو مستخشع منكسر النفس ، وفرسه بقماش ساذج ، فوجد الناس قـد اجتمعوا وحضر الجميع مشاة ، فوقف السلطان بينهم وعجوا بذكر الله ، فنزل السلطان عن فرسه وقام على قدميه ، والقضاة والخليفة والمشايخ حوله ، ومعهم من الناس مالا يحصى ولا يحصر ، وليس العيان كالخبر ، وبسط المؤيد يديه ، ودعى وبكى ، والناس يرونه ، وبقى على ذلك زمنا طويلا .

ثم توجه إلى جهة التربة[1] فنزل وأكل وذبح بيـده مائة وخمسين كبشا وعشر بقرات وجاموستين وجملين وهو يبكى ودموعه تنحدر على خديه ، وترك الذبائح ملقاة كما هى ، وركب إلى القلعة ، فتولى الوزير وأستادار الصحبة تفريقها على الجوامع والخوانق والزوايا ، وفرق شىء منها على

(١) يقصد بذلك التربة الظاهرية .

من حضر من الفقراء هناك ، وفرق من الخبز مقدار ثلاثين ألف رغيف ، وأرسل إلى المسجونين من الطعام والخبز ، واستمر النــاس فى الخشوع والدعاء إلى أن اشتد الحر فانصرفوا ، وكان يوما مشهودا لم يتقدم له نظير إلا ما جرت به العادة فى الاستسقاء ، وهذا زعموا أنه لاستكشاف البلاء ، فيسر الله عقيب ذلك (١٠٣ ب) رفع الوباء :

وبلغ عدة من يرد الديوان من الأطفال خاصة — من صفر إلى سلخ ربيع الآخر — نحو أربعة آلاف طفل ، ومن بقية الناس سواهم قدر أربعة آلاف أخرى وأكثر ، والله أعلم :

* * *

وفى ربيع الآخر اتفقت بمصر كائنة عجيبة ، وهو أن شخصا كان له أربعة أولاد ذكور ، فلما وقع المــوت فى الأطفال سألته أمه أن يختنهم لتفرح بهم قبل أن يموتوا ، فجمع الناس لذلك على العادة ، وشرع المزين فى ختن الأول فعندما سقى من الشراب المـــذوب من السكر مات ، واستمر الحال فى بقيتهم واحدا بعد واحد ، فاستراب أبوهم [فى] المزين وظن أن مبضعه مسموم ، فجرح المزين نفسه ليبرئ ساحته ، وأخيراً ظهر فى الزير الذى كان يذوب فيه السكر حية عظيمة تمرغت فيه وماتت ، فكان ذلك سبب هلاكهم ، وانقلب فرحه عزاء :

* * *

وفى هذه السنة سمعت ممن أثق به قال : رأيت فى سوق دمشق حمــارا يباع عليه فقاع على عادة سوقة أهل دمشق ، والحمار له ذكر وفرج ، وأى من أراد التفرج عليه يعطى صاحبه فليسات ويفرجه ، وهذا من العجائب ،

ومثل هذا الأمر يقع فى الآدميين كثيرا ، ويسمى فى الفقه(١) خنثى وفيه أمور كثيرة : خنثى مشكل وغير ذلك ، فجل الخالق :

* * *

ووقع فى هذه السنة غريبة وهو أن الفناء لما دخل بيوت النـــاس دخل بيتا وفيه عدة كثيرة نحو السبعة أنفار ، فأخذهم ولم يتأخر منهم سوى صاحب البيت الرجل الكبير ، فضعف ضعفا شديدا أشرف منه على الموت والدار ملآنة بالقماش ، فسمع حسا فى الدار فوجده حرامى قد أخذ الحوائج ويريد أن يذهب ، فقال له : « يا أخى لا تعجل وتأخذ هذا حرام ، هذه الدار كان فيها سبعة أنفار قبضوا ، وها أنا ضعيف ولا أجد من يخدمنى ، إخدمنى إلى أن أقبض ، وأنت فى حل من جميع ما فى هذه الدار » فرضى الحرامى بذلك وخدم الضعيف فعوفى ، وطلع له كبتان فى بقية يومه فمات الحرامى ، فانظر عجيب أمر الله تعالى :

* * *

وفى شعبان سرق الفرنج رأس مرقص — أحد من كتب الأناجيل الأربعة — من الإسكندرية ، وكانت موضوعة فى مكان [أمين] ، ومن [عادة] اليعاقبة من النصارى أن لا يولوا بطركا حتى يمضى إلى الإسكندرية ويضع هـــذا الرأس فى حجره ثم يرجع ، ولا تتم البطركة عندهم إلا بذلك ، فتحيل بعض الفرنج حتى سرقها من الإسكندرية ، فاستعظم النصارى اليعاقبة ذلك ووقفوا للسلطان المؤيد بسبب ذلك :

* * *

وفى شهر رمضان ثارت بالملك الناصر أحمد صاحب اليمن سوداء فاختل عقله ، فاعتقل وأقيم فى الملك عوضا عنه أخوه حسين بن الأشرف ، وأعانه على ذلك الأمير محمد بن زياد الكاملى ، وكان الغلاء يومئذ ببلاد اليمن شديدا ، ووقع الجراد عليهم ، وأهلك زرعهم :

(١) لعله يقصد « اللغة » .

وفيها أوفى النيل(١) يوم الأربعاء السادس عشر من رجب الموافق السادس عشر مسرى ، وزاد النيل على الوفاء إصبعين :

وفيها حج بالناس الأمير التاج أستادار الصحبة وأمير طبلخاناه، وحج معه من الأعيان القاضى جمال الدين بن ناصر الدين البارزى الحموى ، وإمام السلطان شهاب الدين أحمد الأذرعى ، وحج أيضا فى هذه السنة الأمير ألطنبغا القرمشى أتابك العساكر بالديار المصرية ، والأمير طوغان أمير آخور كبير وسافر بعد الحجاج بأيام ، وقد مات فى الثالث من المحرم من السنة الآتية ، وكانا قد سافرا متخفيين بجماعة قليلة :

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٥٨٢ ــ القاضى عز الدين(٢) محمد بن مصطفى بن نصير بن صالح البلقينى ، قريب الشيخ سراج الدين البلقينى ؛ اشتغل عليه ورافقه فى سماع الحديث كثيرا ، قال الحافظ البدر العينى : « لم يكن مشكور السيرة فى أحكامه » ، مات رحمه الله فى الثالث والعشرين من جمادى الأولى ودفن بالقاهرة .

٥٨٣ ــ الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الأحد سبط الشيخ جمال الدين ابن هشام ، أخذ عن خاله الشيخ محب الدين بن هشام ، ومهر فى الفقه ،

(١) انظر اختلاف التواريخ فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١١ .

(٢) أوردته النجوم الزاهرة باسم « عبد العزيز بن أبى بكر بن مظفر بن نصير البلقينى » ، وذكره ابن حجر باسم عبد العزيز بن أبى بكر محمد بن يعقوب ، وعد السخاوى فى الضوء اللامع ٤/٦٠٠ ذلك سهوا من ابن حجر وسماه بعبد العزيز بن محمد بن مظفر بن مظفر بن صالح ، واتفقت الإنباء والضوء مع النزهة على تاريخ موته ، لكنه فى النجوم يوم الجمعة ١٣ جمادى الثانية ، وهذا التاريخ فى اليوم والشهر يطابق ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١١ .

والأصول والعربية ، وكان ملازما للعبادة ، صاحب وقار وسكوت ، مات فى العشرين من شعبان ، رحمه الله :

٥٨٤ — مجد الدين فضل الله بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم ابن مكانس الشاعر الفائق ، باشر توقيع الدست فى جاه أبيه وفى حياته ، ثم قدم القاهرة وساءت حاله بعد موت أبيه ، ثم خدم فى ديوان الإنشاء ، وجمع ديوان أبيه ورتبه ، وشعره فى الذروة العليا ، توفى يوم الأحد الخامس والعشرين من ربيع الآخر :

٥٨٥ — الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن سرعان الزبيدى الحنفى ، انتهت إليه الرياسة فى مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه بزبيد ودرس وأفاد ، مات فى هذه السنة[1] :

٥٨٦ — القاضى محب الدين محمد بن محب الدين محمد بن على بن يوسف الزبيدى[2] الشافعى ، ولى القضاء بالمدينة الشريفة وخطابتها فى سنة تسع ، ثم عزل فدخل دمشق ، ثم دخل الروم فانقطع خبره ، ثم قدم ومات بالطاعون بالقاهرة .

٥٨٧ — الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الجعفرى البخارى المشتغل ببلاده ، ثم قدم مكة فجاور بها ، وانتفع الناس به فى علم المعقول ، ومات بمكة (١٠٤ أ) فى العشرة الأواخر من ذى الحجة عن ست وسبعين سنة .

---

(١) نقل السخاوى والصيرفى هذه الترجمة عن ابن حجر فى الإنباء .

(٢) فى الاصل « الزيدى » والصحيح ما أثبتناه بالمتن بعد مراجعة الضوء اللامع ٩/٢٠ .

٥٨٨ — الشيخ شهاب الدين أحمد[1] بن عبد الله بن مفرج بن بدر بن جابر المقرى ثم الدمشقى ، أحد الأئمة الشافعية بدمشق ، ناب فى الحكم وجاور فى آخر أمره بمكة فمات بهـا مبطونا فى شـوال وله من العمر اثنتـان وستون سنة ، كتب على الحاوى وجمع الجوامع ، واختصر المهمات اختصارا حسـنا .

٥٨٩ — الأمير كزل الأرغون شاو أحـد الأمراء بحماة زوج بنت القاضى ناصر الدين البارزى الحموى ، تولى نيابة الكرك ثم نيابة الثغـر[2] السكندرى ثم عزل ، ومات فى أواخر المحرم .

٥٩٠ — الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير ألطنبغا القرمشى أتابك العساكر بالديار المصرية ، توفى فى يوم الخميس العاشر من رجب ، ودفن عند تربة الساقى بالقرافة ، وكان أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية ، وكان شابا طريا لم يشبع من الدنيـا ، وكان من الخواص عند المؤيد ، وكان عمل له المهم قبل توجهه فصرف[3] عليه قريبا من عشرة آلاف دينار ، وقيل إنه سقاه فى الشراب السكر[4] فمات بسببه ، والله أعلم .

---

(١) انظر ترجمته مفصلة فى ابن حجر لسنة ٨٢٢ ، والضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٦ — ٣٥٨ .

(٢) خلت النجوم الزاهرة من الإشارة إلى توليته نيابة الإسكندرية ، وجاء فى الضـوء اللامع ٦ / ٧٧٧ أنه « ناب فى الاسكندرية ثم عزل » ، راجع Wiet: op. cit. No. 1905

(٣) فى الأصل « أصرف » .

(٤) لعله « السم » .

٥٩١ — الأمير سودون القاضي[1] نائب طرابلس ، مات في الرابع عشر من ذي القعدة ولم يكن مشكور السيرة في أحكامه ، تولى الحجوبية الصغرى في القاهرة ثم الكبرى ، ثم تولى الكشف بالوجه القبلي فظلم فيه وأفسد ، ثم تولى نيابة طرابلس .

٥٩٢ — الخواجا مسعود بن محمود الكججاني ، كان من أحزاب تمرلنك ، ثم توطن في القاهرة وتولى نظر الأوقاف للدولة المؤيدية ، ولم يكن مشكور السيرة ، مات في الثاني عشر من جمادى الأولى منها ودفن بالقاهرة .

٥٩٣ — الشيخ الصالح العالم شمس الدين محمد بن الشيخ خليل بن محمد المقرئ المجود ، الشيخ في علم القراءات السبع ، توفي في هذه السنة وكان إماما في تربة الأمير يونس[2] بدمشق المحروسة ، وكان عالما زاهدا متدينا عفيفا ، وكانت له يد طولى في علم القراءة ، يجز في القراءة إلى أربع عشرة رواية ، وأخذ علم القراءة عن الشيخ الفاضل الزاهد فخر الدين المقرئ المجود الضرير الإمام بجامع الأزهر ، توفي في السنة المذكورة وصلى

(١) سمي بالقاضي لإنه كان إبنا للأمير تلبك القاضي فسمي باسم أغاته ، انظر في ذلك المنهل الصافي وراجع في أبيته النجوم الزاهرة ٦/٤٦٩ ، Wiet: op. cit. No 1131 هذا وقد شرح بوبر الأغا بأنه الأخ الأصغر لأخ أكبر منه ولكنه من أبوين مختلفين عن أبوي أخيه الأكبر ، والمملوك الذي يتلقى تعليمه و إرشاداته من مملوك أكبر منه فإذا كبر ظل على احترامه إياه ، أنظر :
Popper: An Nujum az-Zahira, Vol. VI (Glossary), p. XII.

(٢) نسبة إلى لأمير يونس خازندار سودون من عبد الرحمن ، وتقع قبلى الخوخه بدمشق بالباب الصغير كما جاء في تاريخ المدارس ٢/٣٠١ وقد علق الناشر الأمير جعفر الحسيني عليها بقوله «إنها مجهولة» .

عليه الشيخ الصالح زين الدين عمر[(١)] بن اللبان المقرئ الإمام بجامع التوبة[(٢)] بدمشق مع الناس، ودفن فى سفح جبل قاسيون[(٣)] رحمه الله عند قبر الشيخ الأرموى رحمه الله بالصالحية بدمشق :

٥٩٤ — الشيخ شهاب الدين أحمد [بن عبد الله بن أحمد][(٤)] بن اللبان المقرئ الشافعى الدمشقى ، كان يقرأ القرآن بالسبع وروايات وقراءات ، وكان صوته فى غاية الحسن لا نظير له فى عصره فى حسنه وطلاوته ، وكان يقرأ فى كل يوم جمعة تحت المئذنة فى جامع بنى أمية بدمشق ويتلذذ الناس بسماعه ، وكان رجلا فاضلا فى علم القراءات مع الزهد ، توفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من صفر منها ، وصلى عليه أخوه الشيخ زين الدين[(٥)] عمر فى جامع التوبة بدمشق ، ودفن فى العقيبة فى التاريخ المذكور أعلاه :

* * *

وفى هذه السنة

لما كان يوم الاثنين السابع والعشرين من شعبان دخل الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق شيخ المشايخ شمس الدين محمد بن الفنرى مدرس الروم

---

(١) الأرجح أنه هو عمر بن محمد بن أحمد بن على بن الحسن ، وإن كانت كنيته سراج الدين وليست زين الدين ، وكان قد أخذ القراءات عن والده وتلا بالعشر ، وقد مات فى شعبان ، انظر ترجمته فى إنباء الغمر لابن حجر سنة ٨٣٠ والضوء اللامع ٦/٣٦٦ .

(٢) من جوامع دمشق بالعقيبة وكان يعرف قديما بخان الزنجارى كما ورد فى الدارس فى تاريخ المدارس ٢/٤٢٦ نقلا عن ابن شداد .

(٣) من نواحى دمشق بالصالحية .

(٤) فراغ فى الأصل والإضافة من الضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٦ ، على أنه جعل وفاته سنة ٨٢١ ولكنه قال « يحرر » مما يدل على تشكك السخاوى فى صحة هذه السنة .

(٥) يكرر الصيرفى مرة أخرى تلقيبه بالزين ، انظر حاشية رقم ١ .

واللاجات ووزير ابن عثمان صاحب برصا وبلادها وما والاها لأجل زيارة مكة الشريفة ، ونزل بدمشق المحروسة فى بيت امرأة الأمير جنتمر — المسماة عائشة — المجاور لجامع دنكز (١) بدمشق ، وجاء إليه نائب دمشق المسمى بالأمير تنبك فسلم عليه وأرسل إليه الضيافات وأحسن إليه ، وهرع أيضا إليـه القضاة الأربعة وغيرهم من الأمراء والأعيان وأقبلوا عليه إقبالا عظيما ، وكان صحبة الشيخ ولده الصغير المسمى يوسف الفقيه ، وكان من الأذكياء شبلا إبن أسـد ، واشتغل عليه فقهاء الشام فى أنواع العلوم واستفادوها منه ، فإنه كان عالمـا بالفنون من سائر العلوم ، ولمـا حج ورجع من الحجاز الشريف ووصل إلى دمشق سمع به السلطان المؤيد فطلبه للقاهرة فحضر — بعد أن زار القدس والخليل عليه السلام — إلى السلطان ، فأكرمه وأحسن إليه وقال له : « اجلس هنا أعطيك وظيفة مليحة على قدر كفايتك » ، فامتنع الشيخ من الإقامة ، ولكن وعد أن يتوجه إلى وطنه ، وبعد هذا يحضر إن قدر الله تعالى ، وتوجه إلى مملكة الروم واللاجات مدينة برسا .

وهو شيخ شيخنا العلامة الأوحد شيخ الشيوخ محيي الدين الكافيجى الحنفى ، وأما وفاته فأخبرنى ... ... (٢) ... وكان شيخا مباركا مليح الوجه ، رحمة الله تعالى عليه .

* * *

(١) هو من إنشاء الأمير تنكز ، وكان ذلك حسبما جاء فى السلوك ٢/١٨٤ فى صفر سنة ٧١٨ ، وموقعه كما جاء فى الدارس فى تاريخ المدارس ٢/٤٢٥ ظاهر باب النصر على نهر بانياس بدمشق ، على أن ناشر الدارس أضاف فى الحاشية قوله إنه ظل عامرا حتى احترق فى عدوان ١٩٤٥ ثم جدد بعضه ، وأشار فى الرجوع إليه إلى كتاب ثمار المقاصد ص ٢٠٢ رقم ٤ .

(٢) فراغ فى الأصل .

فصـــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الثالثة والعشرين بعد الثمـانمـائة

استهلت هـــذه السنة والسلطان هو الملك المؤيد ، والأمراء الكبار وأصحاب الوظائف والنواب غالبهم على حالهم ، غير نائب الشام هو الأمير جقمق الأرغون شاوى ، ونائب صـــفد الأمير قطلوبغا التنمى ، ونائب طرابلس الأمير شاهين الزردكاش ، ونائب حماه الأمير إينال النوروزى ، ونائب غزة كان هو إينال ولكنه انتقل إلى حماة بحكم انتقال نائب حماه شاهين المذكور إلى طرابلس عوضا عن سودون القاضى بحكم وفاته ، وتعين لغزة الأمير أركماس الجلبانى ، وخلع عليـــه بذلك يوم الاثنين الثالث عشر من المحرم .

وكان القاضى الشافعى فى استهلال هذه السنة هو جلال الدين بن البلقينى ، والقاضى الحنفى هو زين الدين عبد الرحمن التفهنى ، والدوادار الكبير هو الأمير مقبل ، والمحتسب هو صدر الدين بن العجمى .

* * *

وفى يوم الخميس الثانى من المحرم جلس السلطان فى إيوان دار العدل ، وجلس القضاة والمفتيون ومن له الجلوس من الأمراء ، ووقف البـــاقون

ونقباء[1] العسكر صفوفا ، وأحضر الأمير محمد بن قرمان مقيدا صحبة داود ابن محمد بن ذلغادر ، فوقف داود مع الأمراء ، وأخر محمد بن قرمان وداود ، فخلع على داود ، وعاتب السلطان ابن قرمان على تعرضه لطرسوس وعلى قبح سيرته فى رعيته من أخذ أموالهم ، فسأل العفو ، ثم أمر به فاعتُقل بالبرج فى قلعة الجبل ، وقد ذكرنا أنه قدم فى أواخر السنة الماضية ، ونزل عند الأمير مقبل الدوادار :

وفى المحرم أفرج عن الأمير برسباى (١٠٤ ب) الدقماق من قلعة المرقب ، واستقر مقدم ألف فى دمشق ، وقد قدمنا ذكر تاريخ حبسه وسببه

وفى هذا اليوم حضر جكم من مكة مبشرا بأمور الحاج :

وفى يوم الخميس الخامس عشر منه خلع على الشيخ محب الدين ابن نصر الله البغدادى الحنبلى فى مشيخة الحنابلة بالخانقاه المؤيدية عوضا عن الشيخ عز الدين البغدادى المقدسى بحكم انتقاله إلى قضاء الحنابلة بدمشق بسؤاله ذلك من السلطان ، وخلع عليه بذلك فى ذلك اليوم :

وفى يوم الأحد الثالث من صفر خرج طلب السلطان إلى ذاك السبر بأوسيم كما هى عادته :

---

(١) نقيب العسكر أو نقيب الجيش من الوظائف الهامة فى العصر المملوكى وقد عرفه القلقشندى : صبح الأعشى ٥/٦ ٥ ٤ بأنه الشخص الذى يتكفل بإحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ، ومعه يمشى النقباء ، وهذا اللقب يطلق على من يتولى هذا الأمر فى مصر ، أما فى الشام فيسمى صاحبه بنقيب النقباء ، هذا وقد نقل نفس المصدر ٤/٢١ — ٢٢ عن مسالك الأبصار أن نقابة الجيش موضوعة لتحلية الجند فى عرضهم ، وإذا طلب السلطان أو الحاجب أو النائب أميرا أو غيره أحضره النقيب ، وذكر أنه كأحد الحجاب الصغار وله الحراسة فى الموكب والسفر .

وفى يوم الاثنين الرابع منه خرج الأمير أركماس الجلبانى بطلبه متوجها إلى نيابة عزة ، وكان قد تولاها فى التاريخ الذى قدمنا ذكره .

وفى يوم الثلاثاء الخامس منه نزل السلطان وعدى من البحر إلى بر الجيزية ، ونزل على أوسيم :

وفى هذا اليوم قدمت رسل من عند الأمير عليباك بن قرمان الذى تولى بلاد قرمان نائبا عن السلطان المؤيد عوضا عن أخيه الأمير محمد ، ومعهم طيور وبخاتى وبعض مماليك .

وفى يوم الخميس السابع منه قدمت رسل من عند كرشجى ومعهم ثلاثون مملوكا وطيور كثيرة من الجوارح وثياب حرير ، وغير ذلك .

وفى يوم الثلاثاء التاسع عشر من صفر حضر السلطان من أوسيم ونزل فى بيت المقر الناصرى بن البارزى على شاطئ النيل ببولاق ، وأقام عنده يومين ، وصنع للسلطان فى هاتين الليلتين من الوقيد من قشور البيض والنارنج مع النفط وغير ذلك ، وكان غالب أهل المدينة من الرجال والنساء هناك لأجل التفرج ، ثم طلع السلطان القلعة بكرة نهار الخميس الحادى والعشرين من صفر .

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من صفر كانت خدمة الإيوان لأجل الرسل القادمين من عند كرشجى بن عثمان ، وخلع السلطان على كبير الرسل :

وفى السادس والعشرين من صفر نزل السلطان إلى بيت الأمير أبى بكر الأستادار يعوده ، فقدم له تقدمة سنية على العادة ، ثم إن الأستادار عوفى

من مرضه وطلع إلى القلعة خامس ربيع الأول وقدم له تقدمة قيمتها ثلاثون ألف دينار ، فخلع عليه ونزل إلى بيته فانتكس وأقام أربعة أيام ومات .

* * *

وفى يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر حضر نقيب الجيش إلى القاضى صدر الدين أحمد بن العجمى المحتسب بالقاهرة وقال له : « رسم السلطان أن تخرج فى هذا الوقت إلى صفد ، وأنت كاتب السر بها » ، فأخرجوه على أسوأ الأحوال ، ونزل فى التربة خارج باب النصر ، وأقام إلى يوم الجمعة سلخ الشهر ، ثم إنهم رسموا عليه نقيبا وذهبوا به إلى جهة الخانقاه الناصرية فى سرياقوس لأجل السفر ، وكان السلطان غضب عليه ولكنه ما أظهر له الغضب ، وذلك فى شهر الله المحرم ، بسبب ما نقلوه عنه للسلطان أنه يتمنى موته ويدعو عليه ، فالسلطان أولا لم يصدق ذلك ، ثم إنه اتفق أن الفقهاء حضروا عند السلطان على عادتهم ، وكان صدر الدين حاضرا ، وحضر معهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ محمد المغربى ، وتعارض كلاهما فى الكلام ، ثم إن ابن المغربى قال : إن الذى نُقل إلى السلطان صحيح ، وأنه سمع منه هذا الكلام ، وحلف على ذلك بالمصحف والطلاق ، فكان هذا سببا لغيظ السلطان عليه .

وفى ليلة السبت مستهل ربيع الأول ذكره السلطان بحضور الأمراء ، والقاضى بدر الدين العينى حاضر ، وذكر الأمراء ماجرى عليه للسلطان ، فغضب السلطان واحتد حدة مفرطة وقال : « أنا ماأمرت بإخراجه إلى صفد على هذا الوجه ، وإنما لما تكلموا فى حقه بما لا ينبغى أمرت بإخراجه إلى صفد على كتابة السر ، والذى يتولى وظيفة فى بلد يخرج على هذا الوجه؟»

فعند ذلك أمر السلطان الأمير مقبل الدوادار أن يطلبه ، فأرسل إليه قاصدا وردوه من خانقاه سرياقوس ، وحضر يوم السبت آخر النهار ولم يجتمع بالسلطان إلا يوم الاثنين الثالث من ربيع الأول ، فخلع عليه باستمراره فى وظيفته . فلما نزل وصل إلى الدرب الأحمر ، فجاء نقيب الجيش ورده وقال : « ما رسم لك السلطان إلا بالتوجه إلى صفد كاتب السر بها » ، فتحير وصار لا يدرى ما يفعل ، وإلى أين يذهب :

فلما رأى العوام ذلك اجتمعوا حتى صاروا فئة كبيرة وقصدوا باب الأمير مقبل الدوادار وهو بيت أيتمش ، وصاحوا صيحة واحدة: « ما نريد إلا هذا المحتسب » ، ودخل هو بيت الأمير مقبل الدوادار وكان الدوادار منقطعا لرمد اعتراه ، وكان غالب الأمراء أتوا لزيارته فسأل منهم وقال « ما خبر المحتسب ؟ وماذا سمعتم عند السلطان ؟ » ، فقالوا : « ما سمعنا إلا أنه تولى وظيفة الحسبة » ، وكان الأمير ألطنبغا رأس نوبة كبير عنده فقال له : « لا بد يا أخى أن تطلع عند السلطان وتحقق الخبر » ، فطلع وشاور السلطان فقال : « على وظيفة الحسبة » وأرسل الأمير قرقماس أحد الدوادارية الصغار ، فأخبر الأمير مقبل أنه على وظيفته ، فأمر له الدوادار أن يتوجه على عادته ، فخرج واجتمع حوله من الخلائق والعوام عدد كثير ، وكان له يوم مشهود :

* * *

وفى يوم الخميس الثالث عشر من ربيع الأول تحدث السلطان مع بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخواص الشريفة أن يفوض إليه الأستادارية فقال : « لا أقبل إلا بتقدمة » ، فتغيظ السلطان منه وقال له : « معك تقدمة لأجل الوزارة ! » ، وكان السلطان أنعم بها عليه حين وزره ، وضرب

الطبلخانات على بيته ، فلأجل هذا امتنع السلطان من إعطائه التقدمة وقال : « هذا أمر لا يكون أبدا » . ثم إن السلطان أعرض عنه وطلب مملوكه الذى يقال له يشبك الإينالى [1] ، وكان قد أرسل قبل هذا لكشف التراب ، فسار بالناس سيرة سيئة فشكوا منه فعزله ، ثم اختار أن يكون أستادارا نكايةً فى ناظر الخاص والوزير وخلع عليه ، واستقر أستادارا عوضا عن الأمير سيدى أبى بكر بحكم وفاته .

* * *

وفى الثانى والعشرين من ربيع الأول سافر الشيخ شمس الدين محمد ابن حمزة بن محمد الحنفى الرومى الشهير بابن العنزى عالم البلاد الرومية بأسرها إلى برصا ، وسافر معه الشيخ شمس الدين الجزرى وهو صهره إلى بلاده ، وصحبته أيضا من جهة السلطان الأمير قجقار جقطاى دوادار سيدى إبراهيم بن السلطان المؤيد ، وكان قد قدم فى الرابع من صفر ، وأنزله السلطان عند القاضى زين الدين عبد الباسط ، وكان قد حج فى العام الماضى وعاد إلى القدس الشريف ، (١٠٥ أ) فطلبه السلطان لأنه سمع به من الفضلاء والعلماء والفقهاء ، فأراد الاجتماع به ليعرف حقيقة أخبار بلاد الروم منه ، فلما قدم أكرمه السلطان ورتب له رواتب ، وأنعم عليه بأشياء كثيرة أ ، وكذلك قدم له أهل الدولة الهدايا الفاخرة اللائقة به ، وأضافوه بضيافات كثيرة .

وفى يوم الأربعاء الثامن عشر من ربيع الأول سافر القاضى بدرالدين محمود العينى إلى بلاد قرمان وصحبته الأمير أسنبغا دوادار سودون

---

(١) ويعرف يشبك الأتالى أى من له أم بالتركى وذلك لأنه قدم من بلاده مع أمه ، انظر فى ذلك النجوم الزاهرة ٦/١٠٤١٠ س ٤ ، والضوء اللامع ١٠٧٨/١٠ !

الطيار وذلك بإشارة السلطان ، وصحبتهم خلعة للأمير عليباك بن قرمان ولكشف البلاد ، فلما وصلوا إلى مدينة قونية التي هي كرسي بلاد ابن قرمان الآن وجدوا عليباك بن قرمان فيهـا وهو محاصر قلعـة قونية ، وكان فيها مملوك الأمير سنقر مملوك الأمير محمد باك بن قرمان ، فإنه لمـا جرى على أستاذه ما جرى من قبل ابنه مصطفى باك ومسكه له ، وأنه وصـل إلى مصر مقيدا ، فسجن فيها جماعة من جهته ودخل القلعة ، فتحصن بمن معه فيها ، فمن ذلك الوقت إلى هـذا التاريخ كان على باك في حصارها ، ولم يقدر على أخذها ، فلما وصل إليه القاضي بدر الدين العيني ، وكان معه كتاب من محمد باك المذكور إلى سنقر المذكور أوصله إليه ، وذهب إليه أسنبغا فتحدث معه وهو على شفير الخندق الذي حفره سنقر أمام القلعة ، ولم يفد كلامه شيئا ، فأشاروا أن يذهب القاضي بدر الدين فيتحدث معه في شيء يعود نفعه على المسلمين ، فذهب إليه وعدى الخندق ووصـل قريبا من باب القلعة ، فنزل إليه سنقر ولاقاه وجلس معـه على المصطبة وقدم له في وقته أنواعا من الأطعمة الحسان ، وآخر أمره أنهما رضي أن ينزل عن القلعة ولا يصطلح مع عليباك .

ثم عاد البدر العيني إلى مكانه في عز وإكرام وبهاء واحتشام ، ومضى بعد هذا يومان ، فهرب عليباك وترك كل شيء له في القصر الذي هو فيه ، وهو الذي بناه السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي ، وترك الخلعة العظيمة التي جهزها إليه السلطان ، والفرس الخاصر والسرج والكنبوش والحياصة الذهب ، وبعد ثلاثة أيام أشيع أن عليباك توجه إلى لارندة ، ثم إن سنقر قام بمـا يلائم القاضي بدر الدين العيني ومن معه من الضيافات والعلوفات والمرتبات ،

وحضر فى هذه الأيام إبراهيم بيك بن محمد بيك بن قرمان ، وكان قد ذهب إلى خدمة ابن عثمان ، فجهزه إلى بلاد أبيه ومعه رسول من جهته واجتمع بالبدر العينى وأهدى له هدية ، وحضر البدر العينى إلى القاهرة المحروسة فى يوم الخميس العشرين من رجب واجتمع بالسلطان فى بيت القاضى ناصر الدين البارزى على شاطئ النيل ببولاق ، ونزل صوفيا بالأشرفية ، وكان السلطان قد عزل صدر الدين بن العجمى عن الحسبة بسبب حط ابن البارزى عليه كما قدمنا ذلك ، وكان السلطان ألزمه أن يتوجه إلى صفد كاتب السر بها ، فما وسعه إلا الامتثال ، فلبس من عند الأمير مقبل الدوادار وخرج من عنده باكيا ، ثم بعد ذلك دخل على أناس ليدخلوا على السلطان أن يوجهه إلى القدس بطالا فأجابه السلطان إلى ذلك ، فخرج من القاهرة يوم الأربعاء التاسع عشر من رجب وتوجه إلى القدس ، ثم بعد أيام قلائل اشتاع فى القاهرة قتله عند بلبيس من العرب ، وذلك لأن فرسه الذى كان تحتـه وفرس دواداره وبغلته وغلامه وجـدوا فى أطراف الحسينية ، فأتوا بهـم إلى أهله فلما رأى أهله ذلك استغاثوا وصاحوا وطلعوا إلى السـلطان وأخبروه بذلك ، فوقع الهرج فى أمره ولم يعلموا حقيقة الأمر ، وكان أناس من جهته وبعض العوام يعتقدون أن ابن البارزى أرسل له من يقتله غيلة ، فتوهم الناس صحة ذلك لسبق العـداوة الأكيدة بينه وبين ابن البارزى ، حتى بلغ ذلك السلطان ، وقال أهله للسلطان : « ما قتل صاحبنا إلا ابن البارزى ، وما لنا غريم إلا هو » ، فقال لهم السلطان « بينوا قاتله وأنا آخذ حقكم منه كائنا ما كان » ، ولكن السلطان جزم

بأنه اختفى بالمدينة ، ثم أرسل للكشف عنه والسؤال من أرباب الأدراك فلم يعلم أحد بخبره ، ثم نودى بتهديد من أخفاه ، ورغب من يحضره ، فلم يفد من ذلك شيئا .

فلما كان فى أواخر الشهر أرسل إلى أهله كتابا يخبرهم فيه أنه هرب خوفا على نفسه واختفى وأنه فى قيد الحياة ، فاطمأنوا لذلك وأشيع هذا الخبر ، فطلب السلطان زوجته ابنة القاضى ولى الدين قاضى سنباط (١) المالكى الأموى فسألها عنه وقال : « بلغنى أنك قرأت كتابه » ، فاعترفت بذلك ، فطلب منها الكتاب فادعت أنها رمته فى البحر أو فى البئر ، فغضب السلطان منه ، وأمر بضربه تحت رجليه وحبسه ، وتحقق الناس أن ابن العجمى فى قيد الحياة إلا جماعة تمادوا فى ضلالهم ، وقالوا إن ابن البارزى هو الذى اختلق الكتاب ودسه على أهل ابن العجمى حتى يتحققوا بأنه حى فيسكتوا .

ثم بعد مدة طويلة دار ابن العجمى على جماعة من الأعيان ليشفعوا له عند السلطان ، فشفع له الشيخ نظام الدين يحيى بن السيرامى شيخ الظاهرية الحديدة فأجابه السلطان إلى سؤاله ، وأرسل إليه وأعلمه بأن السلطان

(١) سنباط من القرى القديمة بمركز زفتى بمحافظة الغربية من دلتا مصر، ألم بها الجغرافيون القدامى والمحدثون ، ويكتبها البلدانيون القدماء سنمبوطية أو سنبوطية أو سنبموطية ، وقد نص معجم البلدان على أن العامة تنطقها « صنباط » ، وقد أشار إلى ذلك كله محمد رمزى فى القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص ٨ ، حيث ذكر نقلا عن الإدريسى كثرة ما يزرع بها من الكتان وما تحفل به من الأسواق العامرة بالتجارات الكثيرة هذا إلى ما يصنع بها من غزل منسوب إليها ، وأضاف إلى ذلك ما سماها به جوتييه فى قاموسه من أن اسمها القبطى Tasembot وأن أميلينو ذكرها فى جغرافيته باسمها القبطى : Tasempoti أو Tosempat ثم حذفت أداة التعريف Ta فصارت سمبوط ثم حرفت منه إلى سنباط .

صفح عنه ، وأنه يجمع خاطره ويلازم بيته ، فعند ذلك ظهر ولازم بيته وأمور نفسه .

* * *

وأما الحسبة فإنها لما شغرت عنه سعى الساعون بالرشا والمواعيد الباطلة فقال السلطان : « صاحب الوظيفة عن قريب يحضر — وأراد به القاضي بدر الدين العينتابي — فإن بطاقته كانت وصلت بحضوره (١) من بلاد قرمان » فلما سمع ابن البارزي ذلك صعب عليه جدا ، فأشار إلى من عنده أن ينظروا له ساعيا مجدا في هذه الوظيفة حتى يوليه ، فأخبر بذلك بعض الناس لإبراهيم بن الحسام الخندي ، وقال له : « اسع في الحسبة » ، فقام وسعى (١٠٥ ب) من عند ابن البارزي ، وقدم له مائتي دينار ، وكتب خطه للسلطان بتكملة الألف دينار ، فاجتهد ابن البارزي عند السلطان بسببه ، فقال له السلطان : « أنا عينت هذه الوظيفة للقاضي بدر الدين العيني » ، فقال : « ياخوند هذا يحتاج استراحة طويلة من التعب والمشقة ، فإذا استراح وأقام أياما فذلك نوليه » فسكت السلطان خصوصا لما سمع بالذهب بالتولية ، فولى المذكور وخلع عليه بعد الخميس العشرين من شهر رجب .

* * *

وفي شهر ربيع الآخر أمر السلطان ببناء المنظرة التي خربت في التاج والسبع وجوه (٢) ، وأن يعمل حولها بستان ، فشرع في ذلك البناءون وغيرهم .

---

(١) راجع ما سبق ص ٤٦٩ — ٤٧٠ .

(٢) سماها النجوم الزاهرة ٦/ ٤١٠ ، وخطط ٤/ ٤٨٠ بمنظرة الخمس وجوه ، وقيل إن العامة تسميها بالتاج والسبع وجوه ، وكانت من متنزهات القاهرة وأعظم متفرجاتها وقد أنشأها الأفضل بن أمير الجيوش ، ولها بئر متسعة كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التي تنقل الماء لسق النبات ، ووصف المقريزي ذكرياته حولها فقال إنه أدرك حولها غروسا من نخيل وغيره ، ثم أشار إلى مايشير إليه ابن الصيرفي في المتن من أن السلطان الملك المؤيد جدد عمارة فوق الخمس وجوه ، وكان ابتداء هذه العمارة أول ربيع الآخر سنة ٨٢٣ .

وفى الرابع والعشرين منه أمر السلطان بإبطال مكس القاهرة مطلقا (١) فبطل ونقش فى الرخام على الجامع المؤيدى .

وفيه كثر الوباء بالإسكندرية وما حولها ، وكثر الخبر بسير الأمير قرا يوسف إلى الجهة الشامية ، ثم رجع إلى بلاده .

* * *

وفى هذه السنة بلغ القاضى ناصر الدين بن البارزى أن سيدى إبراهيم ابن السلطان يتوعده بالقتل إذا ظفر به ، ولا يشرب عليه المـاء ، فشرع كاتب السر عند السلطان بالحط عليه ، ولكن بطريقة لا يظهر فيهـا إلا النصح للسلطان ، وخوف السلطان منه ، وذكر له عنه أشياء توهم منه ، فمن ذلك أنه قال : « إنه يتمنى موتك ويعد الأمراء بمواعيد ، وأنه شغف ببعض حظاياك ، فلأجل ذلك يتمنى موتك » ، ورتب له على ذلك إمارات وعلامات ، إلى أن بغض السلطان ولده وأحب الراحة منه ، وآخر ذا حسن له أن يقتله بالسم أو بغيره وإن لم يمت من مرضه فإنه كان ضعيفا ، فأذن لبعض خواصه أن يعطيه ما يكون سببا لقتله من غير إسراع ، ودسوا عليه شيئا من المـاء الذى يطفى فيه الحديد ، فلما شربه أحس بالمغص فى فؤاده فعالجه الأطباء مرة ، وندم السلطان على ما فرط فيـه ، وأمر الأطباء بالمبالغة فى علاجه ، فلازموه نصف شهر إلى أن نصل (٢) من مرضه قليلا ، فركب فى نصف الشهر إلى بيت زين الدين عبد الباسط بشاطئ النيل ، ثم ركب إلى الخروبية بالجيزية فأقام بها وأشرف على العافية ، فدسوا عليه من سقاه ثانيا بغير علم أبيه ، فانتكس واستمر إلى آخر الشهر ، فتحول

(١) أشارت النجوم الزاهرة ٦/ ١٠ ٤ إلى أنه أبطل مكس الفاكهة البلدية والمجلوبة ، وأن ذلك نقش على باب الجامع المؤيدى .

(٢) فى الأصل « انتصل » .

إلى الحجازية (١) ثم حمل فى الثالث عشر إلى القاهرة من جمادى الآخرة فمات بها ليلة الجمعة الخامس عشر منـــه فاشتد جزع السلطان عليه إلا أنه تجلد ، وأسف الناس كافة عليه وأكثروا الترحم له ، وشاع بينهم أن أباه سمه بواسطة ابن البارزى ، ولم يعش أبوه بعده إلا ستة أشهر وأياما .

* * *

وفى الحادى عشر من جمادى الاخرة عزل ابن الطبلاوى من ولاية القاهرة وضرب بين يدى السلطان بالمقارع وصودر على مال ، واستقر ناصر الدين بن أمير آخور عوضا عنه .

* * *

وفى الثانى عشر منه توقف النيل من سادس أبيب ، وتمادى على ذلك سبعة أيام ، فنودى فى الثامن بصيام ثلاثة أيام ، ثم خرجوا إلى الصحراء يستسقون فاجتمعوا ، ونزل السلطان والقضاة والمشايخ ، وكثر الجمع جدا وحضر السلطان راكبا ، فلما رآى القوم جلس على الأرض فصلى القاضى الشافعى والمشيخة ركعتين كهيئة صلاة العيد ، ثم رقى منبرا وضع لـــه

---

(١) المقصود بذلك القصر المعـــروف بقصر الحجازية بخط رحبة باب العيد بالقاهرة وكان يعرف فى بداية أمره بقصرالزمرد وذلك أيام الخلفاء الفاطميين ، ثم اشتراه بعد فترة من الزمن الأمير سيف الدين قوصون وشرع فى عمارة سبع قاعات لكنه مات قبل إكماله ، فاشترته خوند تتر الحجازية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاون وزوجة الأمير ملكتمر الحجازى وأبدعت فى بنائه بمـا أضافته إليه من اصطبل كبير للخيول خدامها وقد وصفه المقريزى بقوله إنه كان مغنى صبابات وملعب أتراب وموطن أفراح ، ودار غزل ، ومنزل لهو ، ثم تبـــدل الحال حتى لقـــد قلعت شبابيكه الحديد لتعمل آلات حرب فى القتال الدائر بين شيخ ونوروز سنة ٨١٤ ، ثم أصبح « سجنا لأرباب الجرائم » ثم ترك على « مابقى فيه » هذا ما وصفه به المقريزى فى خططه ج ٢ ص ٤١٥ — ٤١٦ ، ولسنا ندرى عن نزول ابن السلطان به إذا كان القصر قد آل إلى هـــذه الحال ، إلا أن يكون قد نزل برحبة الحجازية التى هى تجاه مدرستها ، انظر الخطط ٢ ص ٣٧٣ أو ربمـا يكون القصر المدرسة الحجازية التى وصفها المقريزى أيضا فى نفس المرجع ٣/٢ ص ٣٤٧ — ٣٤٨ .

هناك فخطب خطبتين وحث الناس فيهما على التوبة والاستغفار وحذرهم ونهاهم ، وتحول فوق المنبر ، والسلطان فى ذلك كله يبكى وينتحب ، ثم رجعوا ، واتفق أن نودى على النيل فى صبيحة ذلك اليوم بإثنى عشر إصبعا فتباشر الناس بإجابة دعائهم .

وفى الحادى والعشرين من رجب توجه السلطان إلى الآثار فزارها وتصدق على من كان هناك من الفقهاء والفقراء ، ثم توجه إلى المقياس فأمر بهدم الجامع المجاور له وتوسعته .

* * *

وفى يوم الاثنين مستهل شعبان وصل رأس الأمير بير عمر صاحب أرزنجان وبلادها ونائب قرا يوسف بن محمد بن قرا محمد ، أرسله الأمير قرا يلوك وكان قد توجه إلى أرزنجان ، فقبض على بير عمر وعلى أربعة وعشرين نفسا من أهله وأولاده ، وقتل من عسكره ستين رجلا ، وغنم شيئا كثيرا ، فبلغ ذلك الأمير قرا يوسف ، فاشتد غيظه وصمم على قصد البلاد الشامية ، ولما بلغ رأسه إلى القاهرة شرع السلطان فى التهيؤ للسفر ، وكتب محاضر بكفر قرا يوسف وولده ، وأثبت على القضاة ، ثم نودى بالقاهرة بالقتال مع[(١)] قرا يوسف .

* * *

وفى شهر شعبان ادعى على ناصر الدين بن أمير آخور بأنه قتل رجلا ظلما بغير مستند شرعى ، فأنكر فأقيمت عليه البينة ، فحكم القضاة بقتله بين يدى السلطان ، فأمر به أن يقتل فى المكان الذى قتل فيه وعلى الهيئة

(١) أى محاربة قرا يوسف .

التى قتــل المذكور فيها ، كل ذلك بسفارة الناصرى بن البارزى ، فإنه كان يحــط عليه ، والمقتول خفير من الحمراء قتله بسد مصر فقتــل موضعه ، واستقر فى ولاية القاهرة شاب يقال له بكلمش بن قُرَى من أولاد الحسينية ، وكان أبوه والى العرب ، وكان هو عمل ولاية بلبيس ، وهو بالنساء أشبه منه إلى الرجال ، والتزم بمال يحمله إلى الخزانة ، فلمــا قرر فى الولاية هان أمرها جدا لعدم هيبته وتماديه على الفجور والسكر حتى كان بعض المقدمين فى بابه أحشم منه :

* * *

وفى يوم الاثنين الثامن من شعبان أوفى الله النيل ، ونزل السلطان المؤيد وكسر الخليج ، ووافق ذلك السادس والعشرين من مسرى .

* * *

ذكر خروج العسكر إلى ناحية الشام

وفى اليوم الثالث عشر من شعبان — يوم السبت — خرجت أطلاب الأمراء المتوجهين إلى الشام ، وهم : الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى أتابك العساكر المنصورة بالديار المصرية ، والأمير طوغان أمير آخور كبير ، والأمير ألطنبغا الصغير رأس نوبة كبير ، والأمير شرباش قاشق ، والأمير جلبان الأرغنشاوى ، والأمير ألطنبغا المرقبى حاجب الحجاب ، والأمير أزدمر الناصرى ، وأمر السلطان هؤلاء أن يتوجهوا إلى حلب ليقيموا بها خشية من طروق قرا يوسف .

وفى هذا اليوم نزل السلطان إلى بيت القاضى ناصر الدين بن البارزى وأقام هناك أياما ثم عاد إلى القلعة :

وفى يوم الاثنين الخامس عشر منه رحـــل الأمراء المذكورون من الريدانية إلى جهة الشام .

وفى أول شوال منها وصلت العساكر المذكورة (١٠٦ أ) إلى حلب وكان السلطان قد أرسل الأمير مغلباى الساقى أمير عشرة إلى حمـــاه ، وأمره بمسك نائبها الأمير إينال اليوسفى النوروزى وبتولية عوضـــه الأمير آقبلاط أحد المقدمين بالديار المصرية ، وكان قد خرج مع العسكر المـــذكورة .

وفى يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رمضان خـــلع على تاج الدين ابن الهيصم ، واســـتقر ناظر الديوان المفرد عوضا عن صـــلاح الدين ابن الكويز بحكم وفاته .

وفى يوم الاثنين السادس من شـــوال قدم رسل من جهـــة شاه رخ ابن تمرلنك صاحب بلاد العجم .

* * *

ذكر تعيين السلطان الملك المؤيد ولده المدعو احمـــد للسلطنة من بعده

لمـــا كان يوم الاثنين العشرين من شوال طلب السلطان القضاة والأمراء فطلعوا عنده فى القبة التى بناها بالحوش المطل على القرافة ، فأمر بتحليف الأمراء وأعيان المماليك ، وأن يكون السلطان بعده ولده أحمد ، وعمـــره ما دون السنتين ، وأن يكون الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى أتابك العساكر نائبا عنه فى الحكـــم إلى حين صـــلاحيته ، وكان الأمير ألطنبغا مسافرا فى التجريدة بحلب ، وكان السبب فى ذلك استيلاء الضعف على السلطان من جهة الإسهال ، والعقل والعصير ، زيادة على وجع المفاصل ، وربما أشيع موته فى ليلة الاثنين المذكور ، فحلف الأمراء والمماليك على ذلك .

وفى يوم السبت الخامس والعشرين من شوال خُلع على كمال الدين ابن البارزى واستقر[1] فى كتابة السر عوضا عن والده[2] بحكم وفاته، وذكر أنه التزم بأربعين ألف دينار.

وفى يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شهر شوال دخل السلطان الحمام، وحصلت له عافية وتخلق الناس بالزعفران وفرق صدقات كثيرة، وباع فرسا خاصا بألفين وخمسمائة دينار اشتراه القاضى علم الدين ابن الكويز ناظر الجيش، وزينت الأسواق بالقاهرة.

وفى يوم الاثنين الرابع من ذى القعدة نزل السلطان من قلعة الجبل، وشق القاهرة وتوجه إلى التاج والسبع وجوه، وكان يوما مشهودا.

* * *

ذكر سفر السلطان الى جزيرة القط والطرانة[3]

لما كان يوم الجمعة الثانى والعشرين من ذى القعدة نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى مصر العتيقة، ودخل حمام الحوافر بالقرب من الجامع الجديد الناصرى وصلى الجمعة فى الجامع الجديد، ثم عدى إلى بر الجيزة

---

(١) يستفاد من رواية النجوم الزاهرة فى هذا الصدد أنه لم يستقر فى كتابة السر أكثر من يومين خلعه بعدهما السلطان وخلع على القاضى بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد الدمشقى المعروف بابن مزهر ناظر الاسطبل بدلا منه، ويقال إن السبب فى ذلك أن السلطان كان قد طلب منه ما خلفه أبوه من المال فلم يجد الابن شيئا فاستراب السلطان فى الكمال ولكنه استبقاه فى الوظيفة، ثم جاءه من أخبره أن لأبيه ذخيرة فى مكان دله عليه فكشف عنها بعد إخباره السلطان فوجدها فأخذها السلطان، ورغم ما فى موقف الكمال من الإخلاص إلا أن جشع المؤيد حمله على الشك فيه.

(٢) أى ناصر الدين محمد بن البارزى.

(٣) انظر القاموس الجغرافى ق ١ ص ٢١١.

وأقام عند الأهرام يوم السبت ويوم الأحد ؛ وفى ليلة الاثنين الخامس والعشرين منه رحل إلى صوب جزيرة القط وأكثر العسكر معه ، ثم وصل إلى الطرانة ، وحصل له هناك ضعف شديد حتى أيسوا منه :

وجاء الخبر إليه وهو هناك أن قرا يوسف قد توفى ، وكان الذى جاء بالخبر شخص من جهة صاحب[1] حصن كيفا وصحبته مملوك الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى من حلب ، وحضر أيضا سيف الأمير نكباى نائب طرسوس باندراجه بالوفاة .

* * *

وفى يوم الأحد التاسع من ذى الحجة — وهو يوم الوقفة — جاء السلطان بكرة النهار إلى أنبوبة ، ونزل فى الخيمة ثم انتقل إلى القصر على شاطئ النيل ، وأقام ذلك اليوم ، ودخل وصلى صلاة العيد مع القاضى الشافعى وضحى بضحايا كثيرة هناك ، ثم عدى إلى بيت القاضى ناصر الدين بن البارزى كاتب السر الشريف وأقام فيه ليلة ، وفى غد العيد ركب المحفة وطلع القلعة ، وكان هذا آخر ركوبه ، وآخر عهده بالبحر وغير ذلك .

* * *

ذكر أسعار هذه السنة

فى المحرم تحسنت الأسعار جدا ، فبلغ الإردب القمح فى القاهرة إلى أربعمائة درهم من الفلوس ، والشعير إلى مائتين وخمسين ، والفول كذلك ، وبيعت البطة من الدقيق بمائة وعشرين درهما بالفلوس ، والخبز كل نصف رطل بدرهم فلوس ، والرطل من العسل المصرى بخمسة عشر

(١) هو الملك العادل سليمان الأيوبى .

درهما ، والسمن كذلك ، والزيت بتسعة ، والسيرج بعشرة ، والجبن المقلى بثمانية ، واللحم الضانى السليخ بتسعة ونصف ، والبقرى بسبعة ونصف ؛

وكان المثقال من الدينار المصرى بمائتين وثلاثين درهما ، والمشخص الأفلورى بمائتين وعشرة ، والناصرى بمائة وخمسة وسبعين ؛

وكان الدرهم المؤيدى الذى وزنه نصف : بسبعة دراهم فلوس ، والدرهم الكامل بأربعة عشر ؛

وتحسنت أسعار الكتب جدا ، ورخص الورق الشامى بعض الرخص ، فبيعت الكفة منه بثلاثين درهما فلوسا ، والكفة خمسة وعشرون فرخة ؛

وفى شهر شعبان بيع الإردب من القمح بثلاثمائة ، ومن الشعير بمائة وثمانين ، والرطل من الجبن المقلى بإثنى عشر ، ومن الجبن الأبيض بعشرة وكانت الخيول والبغال رخيصة جدا ؛

وفيها حج بالناس من القاهرة الأمير قنباى الحمزاوى ؛

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٥٩٥ — القاضى ناصر الدين محمد بن محمد الحموى البارزى ، توفى يوم الأربعاء الثامن من شوال من هذه السنة وقت الظهر فى بيته الذى فى الخراطين ودفن فى يومه عند ابنه أحمد تحت شباك قبة الشافعى رضى الله عنه بالقرافة ، وحضر جنازته كل من فى القاهرة من القضاة والعلماء والمشايخ والأمراء والخليفة ما خلا السلطان ، وصلى عليه فى مصلى المؤمنى بالرميلة ، وكان الذى صلى عليه جلال الدين عبد الرحمن البلقينى الشافعى ، ومن العجب

أنه لم يسمع أحد عند تشييع جنازته يترحم عليه ، بل كانوا يتكلمون بما لا يليق فى حق موتى المسلمين :

وكان قدقدم الديار المصرية مع الملك المؤيد، فإنه كان يصحبه فى دمشق وطرابلس والمؤيد نائب فيهما ، ولمـا مسك المؤيد فتح الله كاتب السر وقتله أشر قتلة على ما قدمناه ولاه كتابة السر ، ثم ترقى حاله عند المؤيد إلى أن احتاط عليه[(١)] وجعله فى قبضته (١٠٦ ب) بحيث لا يخرج عما يريده إلا فى أمر نادر ليس فيـه نفع ولا ضرر ، فلما رآى نفسه أنها وصلت إلى هذا السمو والنمو تجبر وطغى ، ولم يكن فيه شيء مما يشبه كتاب السر الذين كانوا قبله ، وإنما كان مشيه مشى الملوك الذين لا رد كلامهم ، فحصّل من هذا المعنى وجمع وعمر أملاكا على شاطئ النيل ببولاق والمدينة ، وكان ينام عنده السلطان فى ليالى الأحد والأربعاء والجمعة ، ويدخل فى أمور منكرة ، ولا يحترز عن شيء يشينه فى دينه ، هكذا نقلتُ من خط العلامة قاضى القضاة بدر الدين العينى فى تاريخه :

ولمـا مات احتاط السلطان على جميع موجوده من المماليك والخيـل والبغال والجمال والقماش ، ثم بعـد موته بأيام وجد له حاصل مقدار مائة ألف دينار عين ، وكان يظهـر للسلطان أنه لا يملك شيئا من الحاصل وإنما ينفق نفقة واسعة ، وكان السلطان يعتقـده ويصدق أن الأمر كما ذكر ، ولم يظهر حاله إلا بعد موته ، ومع هـذا قيل إن له حواصل فى مواضع لم يعرف بها أحد ، والله أعلم .

---

(١) أى احتاط على المؤيد .

٥٩٦ — القاضى صلاح الدين خليـــل بن الكويز ناظر الديوان المفرد وغيره، توفى ليلة الخميس العاشر من شهر رمضان المعظم، ودفن صبيحة يوم الخميس فى الصحراء فى تربة الأمير كمشبغا الحموى، ولم يبق فى المدينـــة أحد من الأعيان إلا وقـــد حضر جنازته ما خلا السلطان المؤيد ، وأقام أخوه القاضى علم الدين مع أهله فى التربة إلى يوم الجمعة السابع عشر من رمضان ، ومع هذا كل يوم وليلة يقرأ القراء الختمات الشريفة ، ومد لهم السماط فى كل يوم وليلة ، وكان عنـــده تواضع وبشاشة وخير ومعروف خصوصا للفقراء والمساكين :

٥٩٧ — الوزير كريم الدين(١) شاكر بن الغنام ، توفى يوم الأحد السادس والعشرين من شوال وقت صلاة العصر ، وصلى عليه صبيحة يوم الاثنين ، ودفن فى مدرســـته التى بناها تجاه كتابه بالقـــرب من الجامع الأزهر ، وتولى الوزارة أيام الملك الأشرف شعبان ، وباشرها أيضا فى أيام الملك الظاهر برقوق ، ثم انقطع عنها بعد مجىء الظاهر من شقحب ، وسافر إلى مكة وجاور فيها وفى المدينة سنتين ، ولم يزل خاملا إلى أن توفى ، وكان صاحب حرمة وهيبة فى وزارته ، وكان عنده عسف فى أموره المتعلقة بالوزارة ، سامحه الله :

٥٩٨ — الأمير(٢) أبو بكر بن قطلوبك بن مزوق الأستادار ، توفى فى العشر الأول من ربيع الأول ، وكان زوج أخت الأمير فخر الدين بن أبى الفرج ونائبه فى الكشف ، وعليه تخرج فى طريق أخذ الأموال من الناس والخدمة بالأموال العظيمة للسلطان المؤيد ، وتولى بعده الأمير يشباك ، وقد ذكرناه :

(١) الصواب أن يقال فيه « كريم الدين عبد الكريم بن أبى شاكر بن عبد الله الغنام » :
(٢) هذه الترجمة منظور فيها لما ورد فى الضوء اللامع ج ١١ ص ٦٦ رقم ١٨١ .

٥٩٩ — الأمير نكباى الأزدمرى نائب طرسوس، توفى فى هذه السنة، قال شيخنا البدر العينى : « ولم يكن به بأس » ، وكان قد تولى الحجوبية الكبرى بدمشق ونيابة حماة على ما ذكرناه .

٦٠٠ — الملك قرا يوسف بن قرا محمد التركمانى صاحب تبريز وبغداد وماوالاهما ، وكان من جملة التراكمين الرحالة فى بلاد الشرق ، فترقت به الأحوال إلى أن ملك عـراق العجم والعرب وبلاد تبريز وماردين وغيرهما ، فلو رأى قرا يوسف هـذا الذى حصل له فى المنام ما كان يصدقه ، ولكن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، وتوفى فى هـذه السـنة .

* * *

فصــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الرابعة والعشرين بعد الثمـانمـائة

استهلت هذه السنة، أولها يوم الاثنين المبارك من المحرم، والسلطان الملك المؤيد ، والخليفة المعتضد بالله العباسى ، والأمير الكبير أطنبغـا القرمشى ، وأمير آخـور كبير طوغان الحسنى ، ورأس نوبة الكبير الأمير ألطنبغا ، والأمير حاجب الحجاب هو ألطنبغا المرقبى ، ولكن هؤلاء الأمراء مسافرون كما ذكرنا ، وأمير سلاح قجقار القردمى ، وأمير مجلس ططر ، والدوادار الكبير مقبل ، والأستادار الأمير يشبك الأنالى ، والوزير بدرالدين حسن بن نصرالله .

والقاضى الشافعى جلال الدين عبد الرحمن البلقينى ، والقاضى الحنفى زين الدين عبد الرحمن التفهنى ، والقاضى المـالكى شمس الدين البساطى والقاضى الحنبلى علاء الدين بن مغلى الحموى .

وكاتب السر كمال الدين بن ناصر الدين البارزى الحموى .

ونائب غزة الأمير أركماس الجلبانى، ونائب صفد الأمير قطلوبغـا التنمى ، ونائب دمشق الأمير جقمق الأرغنشاوى ، ونائب حماة الأمير

آقبلاط التمرداشى ، ونائب طرابلس الأمير شاهين الزردكاش، ونائب حلب الأمير يشبك المشد ، ونائب إسكندرية الأمير ناصر الدين ابن العطار ، وهو متدرك ضمان الإسكندرية :

وصاحب بلاد قرمان الأمير عليباك بن قرمان نيابة عن السلطان المؤيد، ولكن جاء عليه الأمير إبراهيم والأمير علاء الدين بن الأمير محمد بك ابن قرمان أخى عليباك المذكور من جهة ابن عثمان صاحب برسا كبير بلاد الروم بأسرها ، وأخرجاه من مدينة قونية ، ثم أخرجاه من مدينة لارندة وتغلبا عليها ، ولم يبق فى يد عليباك إلا بلدة نكدة :

وصاحب الأوجات وبقية بلاد الروم وبر إصطنبول بأسرها الملك كرشجى محمد جلبى بن بيطرم أبى يزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان جق وقيل كان فى قديم الزمان لعثمان جق إثنا عشر ألف كلب بأطواق الذهب وإثنا عشر ألف كلب برى يربى هذه الكلاب (١٠٧ أ) ، فمنها ما يأكل بنى آدم ، يعنى إذا غضب عثمان جق على أحد من الذين وجب عليهم القتل سلط عليه من هذه الكلاب جماعة تقطعه فى ساعة واحدة على ما قيل والله أعلم ، وقيل كان فيها جنس من الكلاب يسمى «صاصونى» قدر كل واحد بقدر الحمار وأكبر :

وصاحب تبريز وما والاها الأمير اسكندر بن قرا يوسف ، وصاحب بغداد الأمير محمد شاه رخ بن تمرلنك ، وصاحب بلاد اليمن الملك الناصر ابن الملك الأشرف، وصاحب الدشت وصراى بركة خان من ذرية جنكز خان . انتهى :

وفى يوم الخميس الرابع من المحرم خلع على الأمير التاج أستادار الصحبة الشريفة واستقر فى ولاية القاهرة على ما كان عليه أولا ، واستقر حاجبا أيضا عوضا عن ابن آقبردى بحكم عزله .

* * *

ذكر وفاة الملك المؤيد شيخ

لما كان يوم الجمعة الخامس من المحرم اشتاع فى القاهرة موت السلطان المؤيد وقوى الخبر بذلك ، حتى إن الناس نهبوا الأخباز من الأسواق، وتزاحموا على الدقيق ، وصار لهم ضجة وعيطة فى الطواحين .

وفى يوم الاثنين الثامن من المحرم فى هذه السنة — قبل الظهر بساعة واحدة — اندرج بالوفاة إلى رحمة الله تعالى السلطان الملك المؤيد شيخ وكان ضعف جدا ، وتزايد عليه الألم كما قدمناه أكثر من شهرين ، وأمراضه مختلفة .

أما وجع المفاصل فكان أكثر من سنتين ، وأما هذه الضعفة فالصداع وعسر البول والإسهال ، ثم حصل له عقيب ذلك الفهاق فقتله، وكان قد جمع أطباء من البلاد غير أطباء مصر ، منهم طبيب أحضروه من حماه ، وطبيب آخر يهودى من الشام ، وطبيب آخر حضر من بلاد العجم يقال له الشيخ بو بكر ، وطبيب آخر عجمى يقال له الشيخ إسماعيل من المقيمين فى القاهرة ، فاشتغلوا بعلاجه مدة طويلة ، ولم يفد علاجهم عند حلول السأم ووصول المنية .

ثم إن بعض الأمراء والمماليك تولوا تجهيزه ، وكبيرهم كان الأمير ططر ، فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه قدام قاعة النائب فى القلعة ، وكان الذى صلى عليه القاضى جلال الدين عبد الرحمن البلقينى ، وكل ذلك فى يوم موته ، ولم يؤخروه عن مقدار تولية ابنه أحمد السلطنة ، ونزل مع جنازته مماليك ، وأكثرهم يضجون وقطعوا ثيابهم ، ولم ينزل مع جنازته من الأمراء إلا الأمير تنبك ميق ، والأمير مقبل الدوادار ، وبعض أمراء صغار ، وجاءوا بجنازته إلى مدرسته التى أنشأها بجوار باب زويلة فدفن بالقبة التى بها على ولده سيدى إبراهيم ، ورتبوا جماعة من القراء يقرأون عنده ليلا ونهارا إلى سبعة أيام .

* * *

ذكر ترجمة المؤيد الشيخ

هو أبو النصر الملك المؤيد شيخ المحمودى ، كان أصله جركسيا من طائفة يقال لهم لاموك وكرموك من أشرف بطون الجراكسة ، وكان كرموك فى الأصل اسم ملك منهم سمى هذا البطن باسمه فتولى عليهم مدة ، ثم لما مات خلف ابنا يسمى « جوبا » فتولى جميع كرموك كأبيه ، ولما مات خلف ابنا يسمى « طجقا » فتولى جميع كرموك كأبيه وجده ، ولما مات خلف ابنا يسمى « إينال » فتولى جميع كرموك كأسلافه ، ولما مات خلف ابنا يسمى « شرماش » فتولى جميع كرموك كأجداده ، ولما مات خلف ابنا يسمى « أركماس » فتولى جميع كرموك بعده على عادة آبائه وأجداده ؛

* * *

وذكر أن السلطان الملك المؤيد من ذرية إينال المذكور، وأحضروا السلطان من بلاده وهو صغير ما دون البلوغ، وأخرجوه إلى بلاد الإسلام فاشتراه شخص يقال له الشيخ محمود الرومى، وكان من أهل الخير والدين فقدم به صحبة مماليك آخرين إلى الديار المصرية، وكان الملك الظاهر برقوق إذ ذاك أميرا كبيرا، وكان استقراره[1] أميرا كبيرا يوم الاثنين الثالث عشر من ذى الحجة سنة تسع وسبعين وسبعمائة، واستقر سلطانا يوم الأربعاء التاسع عشر من رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة، وذكر البدر العينى فى تاريخه أن السلطان الملك المؤيد أخبره من لفظه أن تاجره الشيخ محمود عرضه مع مملوك آخر على برقوق وهو أمير كبير فلم يقبله ورده على التاجر فبقى عنده مدة، ثم مات التاجر وأوصى إلى شخص بأن يضم ماله وينظر فيما عليه، فشرع الوصى فى بيع تركة الشيخ محمود، فأرسل (١٠٧ ب) السلطان المؤيد إلى السوق، واتفق أن السلطان الظاهر برقوق أمر أن يعرض عليه المماليك الذين خلفهم الشيخ محمود، فعرضوا ومن جملتهم المؤيد، فأعجب السلطان من ذلك الوقت، فاشتراه بثلاثة آلاف درهم فضة، وأرسله إلى أطباق المماليك فأقام بها، ثم بعد ذلك حصل له ضعف شديد، فأرسلوه إلى المارستان المنصورى فأقام فيه أياما يعالجونه، ولما عوفى طلع إلى القلعة ونزل فى جملة إخوة الأمير بهادر الطواشى مقدم المماليك السلطانية، ثم خرج له فرس وقماش واستقر من جملة الجمدارية، ثم بعد مدة لطيفة استقر فى الخاصكية، ثم بعد مدة لطيفة استقر ساقيا خاصا، وأنعم عليه بطراز وحياصة ذهب، وصارت له

(١) يعنى استقرار الظاهر برقوق وليس المؤيد.

مكانة عند الملك الظاهر برقوق ، ثم بعد مدة أعطى إمرة عشرة ، ثم أعطى إمرة عشرين ، ثم أعطى إمرة أربعين ، ثم تعين أميرا للحاج فى سنة إحدى وثمانمائة ، وهى السنة التى مات فيها الملك الظاهر برقوق ولم يتأخر عن حجه ، وحج بالناس فى هذه السنة وهو أمير الحاج ، وهو فى نفسه أمير طبلخاناه ورأس نوبة ؛

* * *

ثم لما تعين الأمير أيتمش فى التحدث فى المملكة أعطى له تقدمة ألف ، ثم لما وقعت وقعة أيتمش ، وهرب أيتمش بمن معه من الأمراء وألحقوا بنائب الشام تنم الحسنى ، والمدعو تانى بك ، وخرجت العساكر المصرية خلفهم مع الملك الناصر فرج وانتصروا عليهم ، واقتسموا نيابات البلاد إلى المؤيد شيخ نيابة طرابلس ، ثم لما جاء تمرلنك إلى الشام أسر المؤيد فى حلب مع جملة من أسر من الأمراء ، ثم تخلص منهم وحضر إلى القاهرة ، ثم عاد إلى محل ولايته ، وفى سنة خمس وثمانمائة تولى نائب دمشق ؛

ثم اتفق له أمور كثيرة من التغيرات والحروب كما ذكرنا ذلك فى موضعه مفصلا قبل هذا ، ولم يتأخر من بلاد الشام بلدة إلا وحكمها المؤيد ، إما بتولية من السلطان أو بيده القوية ، فتولى دمشق وطرابلس وحلب بتولية من السلطان الملك الناصر فرج ، وحكم فى صفد وغزة وحماة وصلخد والكرك بغير تقليد ، ثم بعد أمور كثيرة تولى السلطنة بالديار المصرية فى مستهل شعبان الموافق يوم الاثنين من [سنة] خمس عشرة وثمانمائة ، ولم يزل فى عز دائم ، وأمر نافذ ، وسطوة قاهرة ، وحرمة نامية وافرة ، إلى أن قبض فى التاريخ الذي ذكرناه ؛

ولم يحصل له فى مدة سلطنته نكد ولا تشويش من أحد غير الأمير نوروز الحافظى و من معه ، ومع ذاك فقد انتصر عليهم وقتلهم ، وكذلك الأمير قنباى نائب دمشـــق ومن تبعه ، ومع ذلك انتصر عليهم وقتل أكبرهم ، فقتل من نواب الشام ثلاثة : الأمير نوروز الحافظى والأمير قنباى المحمدى ، والأمير آقباى مملوكه ؟

* * *

وكان رحمه الله تعالى ملكا مهابا شجاعا ، باسلا حافظا حازما ضابطا ، له ميل إلى العلماء والفقراء ، محسنا إليهم مع حرصه على جمع الدنيا ، مع تناوله للرشا .

وطبعه يميل إلى اللهو والهزل والتهتك بين العوام ، ولم يكن سخيا بالمـــال ولكنه كثير الصدقات خصوصا على أهل العلم والفقراء ، وكانت أخلاقه صعبة الانقياد ، مع الحدة المفرطة وسرعة الانحراف والانقلاب ، وكان صعبا ، بل سطيا على الأتراك فى غايةما يكون عندهم من الهيبة ، وكان له رغبة فى البنيان والعمائر حتى صار له آثار وذكر جميل فى هذا الباب ، منها : الجامع والمدرسة والخانقاه المجاورة لباب زويلة التى كانت خزانة شمائل مأوى الحرامية والفاسقين ، وعادت يعبد الله فيها باليقين ، ولقد أجاد من قال :

وإذا نظرت إلى البقاع وجدتها تشقى كما يشقى الرجال وتسعد

* * *

ومن آثاره الجميلة الجامع الذى بناه فى الإصطبل السلطانى ، ومنهـــا المـــارستان الذى بناه موضع المدرسة الأشرفية التى هدمها الملك النـــاصر فرج مقابل الطبلخاناة السلطانية تجاه قلعة الجبل ، ومنها الجامع الذى جدده فى المقياس ، ومنها الخانقاه التى وضعها فى نفس الخروبية بالجيزية على

شاطئ النيل ، ومنها منارة الجامع الأزهر ، ومنها ترميمه جدران الآثار ، ومنها عمارته على التاج والسبع وجوه (١٠٨ أ) : ومنها القبة المذهبة التى وضعها على المدفن الذى فى المدرسة البدرية بالقرب من الجامع الأزهر التى لا نظير لها :

ومنها القبة الهائلة التى بناها فى الحوش السلطانى المطل على القرافة :

ومنها القصر الذى أمر ببنائه فى بر أنبوبة على شاطئ النيل ، ومنها الحمام الذى بناه بأوسيم فى الجيزية التى فى منزلة السلاطين :

ومنها الحمامات التى بناها بجوار مدرسته على ترتيب حمامات الشام ، ومنها المصطبة العظيمة التى بناها بظاهر غزة من ناحية الشام ووضع فيها إصطبلا ومنظرة هائلة :

ومنها الزاوية والحوض فى اللجون .

ومنها تجديد جامع بنى أمية بالشام بعد أن احترق فى وقعة تمرلنك .

ومنها المصطبة التى عند برزة بدمشق ، وعمائر كثيرة أخرى فى طرابلس وحلب وغير ذلك .

ولم يكن له نائب فى الديار المصرية :

* * *

أما وزراؤه فجماعة هم : سعد الدين بن البشيرى ، وتقى الدين بن أبى شاكر ، وتاج الدين ابن الهيصم ، وبدر الدين محمد بن محب الدين الطرابلسى ، وفخر الدين بن أبى الفرج ، وبدر الدين حسن بن نصر الله :

* * *

ونظار جيشه : بدر الدين حسن بن نصر الله ، وعلم الدين بن الكويز

* * *

وكتاب سره : فتح الله العجمى ، وناصر الدين محمد بن البارزى الحموى ، وكمال الدين بن ناصر الدين بن البارزى المذكور :

* * *

دواداريته : الأمير طوغان الحسنى ، والأمير جانبك ، والأمير أقباى ، والأمير جقمق ، والأمير مقبل :

* * *

أمراء آخوريته : الأمير قنباى ، والأمير ألطنبغا القرمشى ، والأمير طوغان :

* * *

وقضاته : الشافعية القاضى جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى ، والقاضى شمس الدين محمد الهروى ، ثم القاضى جلال الدين المذكور أولا :

وقضاته الحنفية : القاضى ناصر الدين محمد بن القاضى عمر ابن العديم ، والقاضى صدر الدين بن الأدمى ، والقاضى شمس الدين محمد بن الديرى المقدسى ، والقاضى زين الدين عبد الرحمن التفهنى :

وقضاته المالكية : القاضى شمس الدين المدنى ، والقاضى شهاب الدين الأموى ، والقاضى جمال الدين الأقفهسى ، والقاضى شمس الدين البساطى : وقضاته الحنابلة . القاضى مجد الدين سالم ، والقاضى علاء الدين بن مغلى الحموى :

* * *

أوصياؤه : كل أمير مقدم بالديار المصرية وكبير هم الذى يرجع إليه الأمير ألطنبغا القرمشى أتابك العساكر ، ومن جملة ما أوصى به مبلغ ثمانين ألف دينار تصرف فى مصالح مدرسته .

* * *

ذكر

سلطنة الملك المظفر أحمد بن المؤيد

لما مات الملك المؤيد فى التاريخ الذى ذكرناه فى وفاته انتصب الأمير ططر أمير مجلس ، فجمع القضاة والخليفة وسائر أهل الحل والعقد وطلبوا ولد الملك المؤيد من عند والدته المدعو أحمد ، و عمره إذ ذاك سنة وثمانية أشهر ، وعقدوا له بالسلطنة ولقبوه بالملك المظفر ، وباست الأمراء الأرض له وذلك قبل اشتغالهم بتجهيز والده ، ولم يسل فى سلطنته سيف لأجل طلبها ، ولكن مسكوا فى هذا اليوم الأمير قجقار القردمى أمير سلاح ، فإنه أراد أن يثير فتنة لأجل ما فى خاطره من التحدث فى المملكة عوضا عن السلطان فلم يتم له ذلك ، وأيضا لما بينه وبين الأمير ططر من الضغينة والحسد والحقد ، فإنهم كانوا أشاعوا فى المدينة قبل موت السلطان أنه يريد الركوب على السلطان ، وبلغ السلطان ذلك ، فأكمنه له فى خاطره إلى أن يقوم ، فأدركته المنية وقطعت عليه الأمنية ، ولو عاش لأظهر فيه من العجائب ، وفى حق جماعة آخرين من الأمراء والمباشرين وأعيان الدولة ؟

* * *

ذكر استقرار الأمير ططر نظام الملك ومتحدثا فى المملكة عوضا عن الملك المظفر أحمد بن المؤيد

فى يوم الأربعاء الثامن[1] من المحرم مسك الأمير جلبان (١٠٨ ب) رأس نوبة سيدى إبراهم وأحد المقدمين الألوف ، والأمير شاهين الفارسى أحد المقدمين أيضا .

وفى ليلة الخميس الحادى عشر منه ركب الأمير مقبل الدوادار ومعه من الأمراء أسندمر الغورى أحد الأمراء الطبلخانات ورؤوس النوب ، والأمير مبارك شاه أحد العشراوات وأحد رءوس النوب ، والأمير جلبان أمير عشرة أيضا ، والأمير كمشبغا الحمزاوى أمير عشرة، والأمير يلخيجا الخاصكى .

وكان بالرميلة هجة عظيمة وقال وقيل، وما نهضوا يفعلون شيئا ، وآخر أمرهم أنهم هربوا ، فساق خلفهم الأمير يشبك الإينالى الأستادار والأمير يشبك الذى كان نائب الشام ولم يلحقوهم .

وفى يوم الخميس الحادى عشر من المحرم رسم الأمير ططر بالنفقة على المماليك السلطانية ، لكل مملوك مائة دينار ، منها ثمانون دينارا من الذهب وأربعة آلاف من الفلوس الجدد، وكان المؤيد جمع فلوسا بجملة مستكثرة ، ومات وفى حاصله من الذهب الأحمر ألف ألف دينار وخمس مائة ألف دينار ، فطلب الأمير ططر القضاة يوم الأربعاء عاشر المحرم

(١) أنظر والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٠ .

وفتح خزانة المؤيد بحضورهم ، وأخرج منها أربعمائة ألف دينـــار برسم النفقة ثم ختم عليها ، وأودع الختم والمفاتيح عند قاضى القضاة البساطى المـــالكى :

* * *

وفى يوم الخميس الحادى عشر منــــه أرسلوا الأمراء الممسوكين إلى الإسكندرية للاعتقال بها ، وهم : الأمير قجقار القردمى ، والأمير جلبان رأس نوبة ســـيدى إبراهيم بن المؤيد ، والأمير شاهين الفارسى المقدمون ، ونزل معهم عسكر كثير حتى وصلوا إلى النيل :

وفى يوم السبت الثالث عشر منه خلع على بدر الدين حسن بن نصر الله واســـتقر ناظر الخاص على عادته عوضا عن مرجان الهندى الطواشى ، وكان المؤيد قد عزله منـــذ شهرين وضربه ضربا شـــديدا ، فأقام أياما ضعيفا بسبب ذلك؛ وخلع فى هـــذا اليوم أيضا على القاضى صـــدر الدين أحمـــد بن القاضى جمال الدين العجمى واســـتقر فى حسبة القاهرة ومصر (١) عوضا عن إبراهم بن الحسام الجندى بحكم عزله عن القاهرة وبحكم عزل ابن قطيط عن مصر العتيقة ، ورتب له فى كل يوم على الجوالى أفلورين ، وأبطل ما كان يؤخذ من دكة الحسبة ومن المرتبات على السوقة :

(١) لم يرد فى النجوم الزاهرة ٦/٤٨٢ ذكر لولايته حسبة مصر ولكن المذكور هناك — وقد خلت منه النزهة — هو أنهم رتبوا له دينارا كل يوم يوم على الجوالى ، على أن ماجاء فى المتن بعد ذلك جديد يضاف إلى مرتبات الموظفين فى ذلك الوقت .

وفى يوم الاثنين الخامس عشر منه خلع على الأمير ططر خلعة سنية واستقر نظام الملك ونائبا عن السلطان الملك المظفر ، متحدثا عنه فى المملكة بأسرها ، وخلع على الأمير تنبك ميق ، واستقر رأس نوبة الأمراء ، وخلع على الأمير تغرى بردى أمير طبلخاناه من إخوة خسرو واستقر أمير آخور كبيرا على تقدمة ألف عوضا عن الأمير طوغان المسافر مع الأمراء فى حلب ، وخلع على الأمير جانبك الصوفى واستقر أمير سلاح عوضا عن الأمير قجقار القردمى بحكم مسكه واعتقاله بالإسكندرية ، وخلع على الأمير إينال الحكمى الذى كان شاد الشراب خاناه للمؤيد وأمير طبلخاناه واستقر رأس نوبة كبيرا على تقدمة ألف عوضا عن الأمير ألطنبغا الصغير المسافر فى حلب مع الأمراء ، وخلع على الأمير جلبان الذى كان دوادارا ثانيا للسلطان الملك المؤيد واستقر دوادارا كبيرا عوضا عن الأمير مقبل الدوادار بحكم تسحبه ، وخلع على قرقماس الجندى واستقر دوادارا ثانيا على إمرة عشرة ، وخلع على الأمير مامش أمير عشرة واستقر رأس نوبة على إمرة طبلخاناة ، وخلع على قشتمر الدوادار الصغير واستقر فى نيابة الإسكندرية عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن العطار بحكم عزله ، وأنعم على الأمير جقمق أخى المصارع الخازندار بتقدمة ألف ، وكذا أنعم على تمرباى أمير طبلخاناة بتقدمة ألف ، وخلع على الأمير سودون اللكاش واستقر أمير آخور ثانيا على طبلخاناة ، وأنعم على الأمير آقبغا التمرازى بتقدمة ألف ، وكان أمير آخور صغيرا ، فنزل من الإصطبل (١٠٩ أ) ، وخلع على الأمير آق قجا الحاجب الثانى أحد الطبلخاناه واستقر فى تقدمة ألف .

وفى يوم الأربعاء السابع عشر منه جهزوا إلى النواب بالبلاد الشامية والحلبية خلعا وسروجا ذهبا وكنابيش مزركشة بالذهب ، ومراسيم (١) سلطانية وكتبا من الأمير ططر نظام الملك باستقرارهم على نياباتهم .

وفى يوم الخميس الثامن عشر منه خلع على القضاة الأربعة خلع الاستمرار ، وهم : جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى الشافعى ، وزين الدين عبد الرحمن التفهنى الحنفى ، وشمس الدين محمد البساطى المالكى ، وعلاء الدين على بن مغلى الحنبلى الحموى ، وكذلك خلع على الأمير إينال الأزعرى واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية عوضا عن الأمير ألطنبغا المرقبى بحكم عزله ، وكذا خلع على سائر رءوس النوب الصغار ورءوس النوب الجمدارية ، وخلع على شرف الدين بن تاج الدين ابن نصر الله واستقر ناظر الأشراف .

وفى يوم الاثنين الثانى والعشرين من المحرم خلع على تاج الدين ابن كاتب المناخ واستقر وزيرا بالديار المصرية عوضا عن بدر الدين حسن بن نصر الله بحكم عزله مضافا لما بيده من استيفاء الديوان المفرد ، وخلع على تاج الدين ابن الهيصم واستقر ناظر الديوان المفرد على عادته ، وكان قد عزل قبل ذلك بيومين أو ثلاثة ، وخلع على الأمير يشبك (٢) الأستادار واستقر ملك الأمراء بالوجه البحرى والغربى (٣) ، وخلع على

(١) عرف القلقشندى فى صبح الأعشى ١٣/٢٣ المرسوم بأنه القرار السلطانى الذى جرت العادة بكتابته للسامحة من القرارات واللوازم السلطانية ، أنظر أيضا Demombynes: La Syrie à l'Epoque des Mamelouks, Introd; p. LXXXVII, note 2.

(٢) الواقع أنه كان قد خلع عليه بوظيفة ناظر ديوان المفرد بدلا من ابن الهيصم لكنه ما كاد يغادر المجلس وعليه الخلعة حتى ردّه ططر ونزعها عنه وألبسها لابن الهيصم ثم ألبس ابن المناخ خلعة الوزارة على كره منه .

(٣) هكذا فى الأصل .

تقى الدين بن الكركى ابن العجمى واستقر ناظرا على البيمارستان المنصورى على عادته .

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين منه خلع على كمال الدين ابن ناصر الدين محمد البارزى الحموى كاتب السر الشريف واستقر ناظر الجيش بالديار المصرية عوضا عن القاضى علم الدين بن الكويز بحكم استعفائه عن ذلك ، وكان قد استعفى وانقطع عن الخدمة أياما .

وفى هذا اليوم أفرج عن الملك محمد باك بن قرمان من البرج بالقلعة ، ونزل فى بيت الأمير فخر الدين بن أبى الفرج الذى هو بين الصورين بالقاهرة على الخليج ، وفصلوا له ثيابا كثيرة .

وفى يوم الاثنين سلخ المحرم خلع على القاضى علم الدين بن الكويز واستقر فى كتابة السر الشريف عوضا عن كمال الدين بن البارزى بحكم انتقاله إلى وظيفة نظر الجيش ، وكذلك خلع على بدر الدين بن مزهر واستقر فى نيابة كاتب السر ، وعلى تقى الدين بن حجة واستقر على عادته فى بيت الإنشاء ، وكذلك خلع على موقعى الدست .

وفى يوم الاثنين السابع من صفر خلع على الأمير عليباى الدوادار ، واستقر ناظرا على المدرسة المؤيدية ونزل إليها ومعه القاضى علم الدين ابن الكويز ، وعلى ابن الكويز خلع أيضا باستقراره فى النظر شريكا للدوادار على ما شرطه الواقف ، وكذلك خلع على الأمير تغرى برمش أمير آخور كبير واستقر ناظرا على المدرسة البرقوقية ونزل إليها .

وفى هذا اليوم حضر مملوك الأمير ألطنبغا القرمشى من حلب وأخبر أن الأمراء الذين كانوا هناك باسوا الأرض للسلطان المظفر وأظهروا الطاعة ، فخلع عليهم الأمير ططر ، وأما نائب دمشق فإنه كان أرسل كتبا فيها الحط على الأمير ططر وأنكاه ، فأخذ فى خاطره منه وتمكنت العداوة بينهما .

* * *

ذكر وقعة حلب
مع النائب والأمراء المصريين

لمـــا كان يوم الثلاثاء الحادى عشر من شهر صفر حضر من حلب سـيف الأمير يشبك المشد نائب حلب ومعـه رأسه ، وقصته أنه كان تحالف هو والعسكر المصرى أن يكونوا يدا واحدة فى السراء والضراء ، ثم إن العسـكر المصرى لمـا برزوا (١٠٩ ب) متوجهين إلى الشام ووصلوا إلى خان طومان جهز الأمير يشبك جيشه وخرج فى الليل ليكبس العسكر المصرى ، فحضر إليهم شخص من حلب وأعلمهم بذلك ، فقاموا من مخيمهم وتركوه على حاله ، وانفردوا فى ناحية أخرى غيره ، فلما حضر نائب حلب — وهو يشبك المشد بمن معه — وكبس الوطاق بناء على أنهم فيه لم يجدوا أحداً وانخرم عليه حسابه ، وأحاطوا به من جوانب الوطاق الأربعة ، فوقع بينهم قتال عظيم جدا ، وفى أثناء ذلك كبا فرس نائب حلب به ، فجرح ثم قتـل وقطع رأسه وتفرق جمعه ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، ومصداق الحديث من حفر لأخيه قليبا أوقعـه

الله فيه قريبا، فرجعت العساكر المصرية فدخلوا حلب واستولوا عليها ، وصار المشار إليه وصاحب الأمر والنهى الأمير ألطنبغا الصغير ، وذلك جميعه بعد سفر الأمير ألطنبغا القرمشى بمن معه من الأمراء إلى جهة دمشق .

وفى يوم الأربعاء السادس عشر من صفر قدم الأمير يلبغا المظفرى والأمير قجق العيساوى من حبس الإسكندرية ، وكانا مسجونين بها من أيام المؤيد ، أما قجق فكانت إقامته بها ما يقارب ثمانى سنين ، وأما يلبغا فما يقارب خمس سنين .

* * *

وفى هذا الشهر سافر الملك محمد باك بن قرمان إلى بلاده ، وكان سفره من البحر المالح وهو الذى اختار هذا ، ولذلك أمور وجيهة ، منها : قرب المسافة إلى وطنه ، ومنها [أنه] أراد التفرج فى الإسكندرية ، ومنها كون البلاد الشامية مفتتنة(١) ، والتراكمين تهيئوا لقطع الطريق بعد موت المؤيد ، وكان الأمير ططر نظام الملك أنعم عليه بألف دينار وخيل وقماش وخيمة سنية من خيم المؤيد ، وجهز معه بريديا ، فلما ركبوا البحر ساقت الرياح مركبهم فوصلت إلى قبرص ، فعلم به ملكها ، فجهز إليه هدايا وغير ذلك .

* * *

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين من ربيع الأول حضر مملوك الأمير ألطنبغا القرمشى ومعه كتاب يتضمن طاعته وحضوره إلى القاهرة ، وطلب خيله وجماله التى بالقاهرة ليستعين بها على السفر فأجابه الأمير ططر إلى ذلك وكتب إليه بالحضور ، فالموضع موضعه ، وإن لم يحضر فيستقر نائب الشام .

(١) لعله يقصد أن فيها كثيرا من الفتن .

وفى يوم الاثنين السادس والعشرين من ربيع الأول خلع على الأمـــير صلاح الدين بن بدر الدين بن نصر الله واستقر أستادار العالية عوضا عن الأمير يشبك الإينالى بحكم عزله .

* * *

ذكر توجه السلطان الملك المظفر صحبة نظام الملك ططر إلى البلاد الشامية لتمهيد البلاد وتسكين العباد

لمـــا كثرت المكاتبات والرسل إلى جقمق نائب الشام وإلى الأمراء الذين كانوا بحلب، ولم يظهر من فحواها شىء صحيح يعتمد عليه، بل جل قصد المذكورين أنهم لا يرضون الأمير ططر ولا يريدونه، وغاية مقصودهم الشر والفتن، وعلم أن لا بد له من السفر، أمر العسكر(١) المصرى بالتجهز إلى السفر، فبادروا ممتثلين لمـــا أمرهم به .

وفى يوم السبت التاسع من ربيع الآخرة فرق النفقات على العسكر المذكور، فأعطى لكل نفـــر منهم مائة دينار من الشخوص الأفلورية، وفرق الجمال واللبس والخوذ، وكان الأمير ططر كل يوم أحد وأربعاء يحضر ويجلس على المصطبة التى مقابل الإيوان والأشرفية ويعرض المماليك ويفرق عليهم اللبوس .

وفى يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الآخر برز خام السلطان الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد إلى الريدانية .

* * *

(١) مهد ططر لهذه الحركة بالتعمية وذلك أنه كان مسافرا إلى الشام .

وفى هذا اليوم وسط الأمير تغرى برمش أمير آخور راشد بن بقر ، وكان هاربا من الملك المؤيد منذ تسع سنين ، وجاء مستأمنا إليه ولاذ به فأوقع فيه القتل بغير سبب ، وكان الأمير ططر وغيره من الأمراء قد شفعوا فيه فلم يقبل شفاعتهم ، فحصل لهم عليه غاية الحزن والأسف .

* * *

وفى يوم الثلاثاء التاسع عشر منه خرج السلطان المظفر ، ومعه نظام الملك الأمير ططر والعساكر ، ونزلوا فى الريدانية ، وخلع على الأمير جقمق أخى المصارع واستقر على حاله ، وأمروه بالإقامة فى باب السلسلة ، وأمروا الأمير قطج بالإقامة فى القلعة ، وفى المدينة الأمير التاج الوالى ، والأمير قانبك الحمزاوى (١) ، ونزل فى بيت منجك ، وخلع عليه واستقر نائب الغيبة .

* * *

وفى ليلة الخميس الحادى والعشرين منه رحل الجاليش من الريدانية ، وهم : الأمير عليباك الدوادار الكبير ، وجانبك الصوفى أمير سلاح ، والأمير يشبك الإينالى الذى كان أستادارا ، ومعهم آخرون .

وفى يوم الجمعة الثانى والعشرين منه رحل الأمير ططر ومعه بقية العساكر والسلطان المظفر ، والخليفة والقضاة الأربعة وهم : جلال الدين ابن البلقينى الشافعى ، وزين الدين التفهنى الحنفى ، وشمس الدين البساطى المالكى ، وعلاء الدين بن مغلى الحنبلى الحموى ، وكاتب السر علم الدين

---

(١) الواقع أنه جعل الحمزاوى نائب الغيبة بالديار المصرية لكنه لما كان غائبا عن البلاد فقد أمر أن ينوب عنه فى النيابة الأمير جقمق أخو جركس المصارع .

ابن الكويز ، وكمال الدين (١١٠ أ) ابن البارزى الحموى ناظر الجيش ، وبدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخواص .

وفى يوم الخميس التاسع عشر من جمادى الأولى حضر الأمير طوخ ، وصحبته كتب كتبت من غزة ، مضمونها أن الأمير جلبان الذى كان أمير آخور ، والأمير إينال دوادار نوروز الذى كان نائب غزة ثم نائب حماة الذى حبسه الملك المؤيد وجماعة آخرين جاءوا إلى السلطان المظفر ، وهم فى مقدار خمس مائة فارس من العساكر الشامية ، وكان مقبل الدوادار معهم وهرب منهم ، وكان الأمير جقمق نائب الشام أرسلهم جاليشا فخالفوه فى الطريق وأطاعوا السلطان ، ولما وصلت العساكر المصرية صحبة المظفر وططر إلى بيسان من الغور أرسل الأمير ألطنبغا القرمشى ومن معه إظهار السمع والطاعة ، ويعلمون السلطان أن الأمير جقمق والأمير طوغان — الذى كان أمير آخور كبيرا — والأمير قطلوبغا التنمى والأمير قطلو بغا الدوادار قد هربوا ، فتلخبط علم المسامع الشريفة بذلك وأدخلوا وتسلموا القلعة والمدينة ، [وقالوا] : « نحن حافظون ذلك لكم » ، فرحلوا ووصلوا إلى الشام آمنين ، ودخلوها بغير قتال ، واستقبلهم الأمير ألطنبغا القرمشى .

ولما استقر ركاب المظفر وططر بقلعة الشام خلع على الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى ، ثم مسكوه على الفور فى ساعته وقيدوه ، ومسكوا معه الأمير ألطنبغا المرقبى حاجب الحجاب بالديار المصرية كان ، والأمير جرباش قاشق ، وجاء إلى القاهرة بهذه الأخبار ساع ، وكان وصوله إلى القاهرة يوم الجمعة السابع والعشرين من جمادى الأولى .

وفى يوم الأحد التاسع والعشرين منه حضر أركماس الخاصكى ودخل القاهرة وفى خدمته الأمير التاج الوالى وخلق كثير من الترك ، ومعه كتب تتضمن أن الملك المظفر وططر ومن معه من الأمراء والعساكر دخلوا الشام ، ونزل السلطان فى القلعة ، وأن الأمير جقمق نائب الشام والأمير طوغان أمير آخور والأمير مقبل الدوادار لما هربوا ذهبوا إلى قلعة صلخد وتحصنوا بها ، ووقعت الشفاعة فى الأمير شرباش قاشق والأمير ألطنبغا المرقبى ، ورسم لهما أن يتوجها إلى القدس الشريف بطالين ، وأن الأمير قطلوبغا التنمى أطلقوه بطالا ، وأمره أن يقيم فى تربة أستاذه الأمير تنم ، وخلع على الأمير تنبك ميق واستقر نائب دمشق على عادته ، وخلع على الأمير جانبك الصوفى واستقر أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير تنبك ميق بحكم استقلاله بنيابة الشام ، وخلع على الأمير إينال الحكمى الذى كان رأس نوبة كبيرا واستقر فى نيابة حلب عوضا عن الأمير ألطنبغا الصغير الذى تغلب على حلب بيده وسطوته وشوكته ، فلما وصل الأمير إينال إلى حلب هرب الأمير ألطنبغا الصغير ولم يُعلم إلى أين توجه ، وخلع على الأمير يشبك الإينالى واستقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن الأمير إينال الحكمى بحكم انتقاله إلى نيابة حلب .

وفى أثناء ذلك حضر الأمير طرباى نائب غزة ، والأمير سودون من عبد الرحمن نائب طرابلس ، والأمير سودون(١) البجاسى نائب حماة ، الذين كانوا قد هربوا من وقعة قنباى نائب الشام ، وتوجهوا إلى التركمان بأدنة وطرسوس ، ثم دخلوا بلاد ابن قرمان فأحسن إليهم محمد باك بن قرمان ،

(١) فى الأصل سودون ولكنه « تنبك البجاسى » فى النجوم الزاهرة ٥/٥٠٠ .

ثم ذهبوا إلى بلاد ابن عثمان فأقاموا بها مدة ، ثم رجعوا وذهبوا إلى الأمير قرا يوسف فأحسن إليهم وآواهم ، ثم بلغهم موت الملك المؤيد ، وقد كان وافق بلوغهم لذلك موت قرا يوسف فعادوا إلى بلاد الشام وحضروا بين يدى السلطان ، واجتمعوا بالعساكر المصرية ، وحضر معهم أيضا الأمير يشبك الذى كان دوادارا ثانيا ، وهرب (١) من المدينة لما ولى إمرة الحج خوفا من الملك المؤيد لما بلغه أنه قتل الأمير قنباى نائب الشام ، فإنه كان من إخوته .

* * *

ذكر توجه السلطان المظفر ومعه الأمير ططر إلى حلب

لما كان العشرون من جمادى الآخرة توجهت العساكر فى خدمة المظفر والواقع أنهم فى خدمة الأمير ططر ، فإن المظفر [كان] إسما ، وططر معنى ، ودخلوا حلب يوم الاثنين السادس من رجب بلا قتال ، ولا سل فيها سيف من غمده .

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من شعبان حضر طوخ الخاصكى إلى القاهرة عند السلطان المظفر وعليه خلعة هائلة ، وأخبر بأن السلطان أطاعه أهل البلاد ، وأخبر أن الأمير تغرى برمش — الذى كان أمير آخور كبيرا — استقر فى نيابة حلب عوضا عن الأمير إينال الجكمى بحكم عزله ، وأن الأمير مقبل — الذى كان دوادارا وهرب مع نائب الشام جقمق — تولى من قلعة صفد وراح إلى السلطان بحلب وخلع عليه ، وأن الأمير جقمق والأمير طوغان طلبا الأمان ، فأرسلوا إليهما القاضى بدر الدين بن مزهر

(١) كان هربه سنة ٨٢١ إلى العراق .

والأمير برسباى الدقاقى أحد المقدمين بالشام وفارس دوادار الأمير ططر وبأيديهم نسخة الأمان ، وفى أثناء ذلك وصل جقمق وطوغان إلى الشام ونزلا عند الأمير تنبك ميق، وأخبر أيضا أن السلطان يتوجه من حلب فى ثالث (١١٠ ب) شعبان من هذه السنة .

* * *

وفى يوم الثلاثاء آخر النهار الرابع من رمضان حضر بدوى من عند السلطان المظفر وططر ، ومعه كتاب يتضمن عزل القاضى صدر الدين ابن العجمى عن الحسبة ، وتولية القاضى جمال الدين يوسف البساطى (١) فى الحسبة بالديار المصرية عوضا عنه، وسبب ذلك أنه نقل عن ابن العجمى كلام فيه ما يشوش على الأمير ططر فعزله .

وفى يوم الأربعاء الخامس من رمضان خلع على القاضى جمال الدين البساطى من عند نائب الغيبة الأمير قنباى الحمزاوى واستقر فى حسبة القاهرة ومصر عوضا عن ابن العجمى بحكم عزله ، وركب فى خدمته الأمير صلاح الدين بن نصر الله الأستادار والأمير التاج الوالى .

* * *

(١) كانت الحسبة آخر ما ولى من الوظائف وكانت ولايته إياها ثلاثة أشهر، راجع الضوء اللامع ١٠/١١٨٩ .

سلطنة الظاهر ططر

ومسك الأمراء بدمشق

لما كان الثالث من شعبان خرج السلطان المظفر والأمير ططر ومعهما العساكر المصرية من حلب وقصدوا دمشق ، وحصل لططر فى أثناء الطريق ضعف شديد أشرف منه على الموت وربما يئس من حياته ، ولما استقروا فى دمشق وقع القال والقيل ، وربما قصد بعض العساكر قتل ططر وإثارة الفتنة ، والمقادير تمنع ذلك ، وآخر الأمر مسك الأمير ططر بقلعة الشام سبعة أنفار من الأمراء المقدمين ، وهم : الأمير عليباك الدوادار الكبير ، والأمير إينال الأزعرى ، والأمير يشبك الإينالى رأس نوبة كبير ، والأمير إينال الحكمى الذى تولى حلب وانفصل منها ، والأمير أزدمر الناصرى ، والأمير جلبان الذى كان أمير آخور ثانيا ، والأمير سودون اللكاش ، وخمسة من الطبلخانات .

وأما الأمير جقمق الذى كان نائب الشام فإنه ضرب وعصر ثم وسط بعد أن أخذ منه مال كثير قيل إنه من الذهب مائة ألف دينار : من الشام ستين ألفا ، ومن القاهرة ثلاثين ألفا ، ووجدوا له عند نور الدين الطنبدى التاجر والشريف الفراء وبهادر أمير آخوره أشياء كثيرة .

وأما طوغان الذى كان أمير آخور كبيرا فإنه رسم له بالقدس الشريف بطالا ، والأمير ألطنبغا المرقبى حبس فى قلعة صهيون .

وأما قامش فإنه هرب ثم مسك وحبس فى قلعة الشام ، وأما قطلوبغا التنمى فإنه أرسل أولا ثم حبس ثم أطلق بطالا .

* * *

وأما سلطنة الملك الظاهر ططر فإنها كانت يوم الجمعة سلخ شهر شعبان وذلك أنه جمع أهـل الحل والعقد كالخليفة والقضاة الأربعة والعسكر وعقدوا له بالسلطنة وألبسوه خلعة سوداء خليفتية ، وباسوا له الأرض ولقبوه « بالملك الظاهر » ، وكنوه « أبا الفتح » وخطب باسمه على منابر دمشق ، وجاء الخبر بذلك إلى القاهرة يوم الأحد التاسع من رمضان على يد بدوى ضمن كتب ، والبدوى أخو حسن الحجار ، ونادوا بذلك فى القاهرة ، والأمير التاج الوالى والأمير جلبان العمرى الحاجب راكبان ، وخطب باسمه فى القاهرة وبلادها .

ثم إن الملك الظاهر ططر قرر النواب فى البلاد ، فاستقر فى حلب الأمير تغرى بردى من إخوة خسرو عوضا عن الأمير طوغان أمير آخور ، وفى حماة الأمير جارقطلو ، وفى حمص الأمير تمراز الأعور ثم عزل بعد مدة يسيرة وتولى غيره ، وفى طرابلس تنبك البجاسى ، واستقر فى نيابة الشام تنبك ميق ، وفى صفد الأمير إينال اليوسفى دوادار نوروز ، وفى غزة الأمـير يونس الأعور ، وفى ملطية الأمير طغراق من قرائب ابن ذلغادر التركمانى .

* * *

ذكر وصول الملك الظاهر ططر إلى القاهرة

لما كان يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان بعد الصلاة خرج السلطان الملك الظاهر ططر من دمشق ووصل إلى القاهرة ودخلها يوم

الخميس الخامس من شهر شوال، وكان يوما مشهودا ، واستقبله أكثر الناس إلى الصالحية، وكان وصوله إليها فى التاسع والعشرين من رمضان وبات فيها ليلة العيد ، ولما أصبح يوم العيد صلى بها العيد وصلى الناس معه ، وخطب القاضى علم الدين صالح أخو قاضى القضاة جلال الدين ابن البلقينى ، وذلك بسبب ضعف حصل لأخيه فى الطريق ، ولما أكل السلطان السماط بعد صلاة العيد ركب وركب العساكر ، ووصل إلى الخانقاه فى خامس شوال كما ذكرناه ، ولما استقر فى هذه البلدة شرع فى النظر فى مصالح مملكته ، ولكنه [كان] متضعفا فى بدنه ويظهر التجلد لأجل الملكية ، وخوفا من الأعداء ، وكما قال الشاعر :

وتجلدى للشامتين أريهمو أنى لريب الدهر لا أتضعضع

* * *

وفى يوم الاثنين السادس عشر من شوال خلع على الشيخ ولى الدين[1] ابن العراقى ، واستقر فى وظيفة قضاء القضاة الشافعية عوضا عن القاضى جلال الدين بن البلقينى بحكم وفاته ، وخلع أيضا فى هذا اليوم على الأمير الكبير جانبك الصوفى واستقر ناظرا على البيمارستان المنصورى ، وخلع على الأمير يشبك أمير آخور كبير واستقر (١١١ أ) ناظرا على المدرسة البرقوقيـة ، وخلع على الأمير طرباى حاجب الحجاب واستقر ناظرا على جامع عمرو بن العاص — رضى الله عنه — وجامع الأزهر ومدرسة الأمير ألجاى ، وخلع أيضا على تاج الدين بن كاتب المناخ الوزير .

(١) هو أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ولى الدين أبو زرعة الكردى الأصل المعروف بابن العراقى وكان من أعلام الفقه ولقب بالحافظ ، وكانت وفاته سنة ٨٢٦ هـ .

وفى يوم الخميس الثالث من ذى القعدة مسك الظاهر الأمير قنبـاى الحمزاوى أحد المقدمين بالديار المصرية الذى كان نائب الغيبة فى سفر الظاهر إلى الشام ، ومسك معه الأمير قشتم نائب الإسكندرية ، وكان قد حضر منها قبله بيومين أو ثلاثة .

وفى يوم الجمعة الرابع من ذى القعدة سفر كلاهما إلى الإسكندرية ، للاعتقال بها .

وفى يوم الاثنين السابع من ذى القعـدة خلع على القاضى زين الدين عبد الباسط واستقر ناظر الجيوش المنصـورة عوضا عن القاضى كمال الدين بن البارزى الحموى بحكم عزله ، وخلع على القاضى كمال الدين البارزى جبة تطييبا لقلبه ، وخلع على كريم الدين بن الوزير تاج الدين ابن كاتب المناخ واستقر ناظر الديوان المفرد عوضا عن تاج الدين ابن الهيصم بحكم عزله ، وكان الظاهر قد عزله فى الشام فى سفره المذكور ، وخلع على شرف الدين بن تاج الدين بن نصر الله واستقر فى وظائف زين الدين عبد الباسط ، وهى نظر الكسوة وشهادة الخزانة وغير ذلك[1] .

وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذى القعدة أرسل السلطان الأمير أيتمش الخضرى إلى القاضى ولى الدين العراقى الشافعى بسبب قاضى دمنهـور ابن الأذرعى ، على أن يضيف إليه قضاء بلده فلم يجبه لذلك ، فوقع بينهما كلام بسبب ذلك ، ثم احتد أيتمش فقال للقاضى : « السلطان

(١) المقصود بعبارة « وغير ذلك » وظيفة نظر أوقاف الأشراف .

ولاه وعزلك عن دمنهور وبلادها » فغضب القاضى ولى الدين وقال : « ما يحتاج إلى أن يعزلنى السلطان، فأنا قد عزلت نفسى عن القضاء ، فاذهب إلى السلطان وعرفه بذلك » ، فتوجه أيتمش إلى السلطان وأخبره بذلك فانحرف السلطان انحرافا شديدا وقرره (١) على عزله ، ثم إن السلطان عين للقضاء عوضه قاضى القضاة نجم الدين بن حجى قاضى الشام ، وكان قد سافر إلى مكة شرفها الله ، وأمر أن يستمر منصب الشافعية خاليا من الحكم إلى أن يحضر نجم الدين من مكة ، ويتولى عوضه فى دمشق القاضى شمس الدين الهروى .

* * *

وفى يوم الجمعة الثانى من ذى الحجة أرسل السلطان إلى القاضى ولى الدين العراقى وأعاده إلى وظيفته ، وكان السبب فى ذلك أمور : منها أن العسكر قالوا له : « هذا الرجل من أهل العلم والصلاح والدين ، وقد انكسر خاطره فينبغى أن تجبروه » ، ومنها أنه رأى أن مجىء قاضى الشام إلى مصر ليس له وجه لوجود من هو أفضل منه وأدين وأعلم ، ومنها أن قاضى الشام إذا حضر إلى مصر يحتاج الشام إلى قاض يكون من أهل العلم ، والهروى هل يوافق على التوجه إلى الشام قاضيا بعدما كان بمصر أم لا ؟ ، ومنها — وهو الوجه الصحيح — أن السلطان كان ضعيفا قبل هذا التاريخ وزاد ضعفه فى هذه الأيام واحتاج إلى طلب القضاة ليعقد السلطنة لولده إن عرض له أمر ، فطلب فى ذلك اليوم — وهو الجمعة — الأمراء الأكابر والأصاغر ، فحلفهم أن تكون السلطنة بعده لولده ، ويكون

(١) أى أقره .

الأمير جانبك الصوفي نائبا عنه في التحدث في المملكة إلى أوان صلاحه، فاجتمعوا عنده وحلفوا على ذلك بحضور القضاة، ووقعت عليهم الشهادة بذلك ثم تفرقوا .

* * *

ذكر وفاة السلطان الملك الظاهر ططر

بتاريخ ليلة الأحد الرابع من ذى الحجة اشتد على الملك الظاهر ططر مرضه وهو القولنج ، ثم طرأت عليه الحصبة ، وقاسى أمرا عظيما .

ثم توفى يوم الأحد الرابع من ذى الحــجة وشاع الخبر، وحصل فى البلد ضجة بين الناس، وطلع الأمراء والمماليك وانشغلوا بعقد السلطنة لولده محمد، كما وقع عليهم الإشهاد والاتفاق فى يوم الجمعة الثانى من ذى الحجة ، ثم انشغلوا بغسله وتكفينه ، ثم صلوا عليه صلاتين : مرة قدام باب الستارة، وكان الذى صلى عليه قاضى القضاة ولى الدين بن العراقى الشافعى، وأخرى فى مصلى المؤمنى بالرميلة ، ودفنوه فى القرافة قريبا من رأس الإمام الليث بن سعد — رضى الله عنه — ، وكان قد أمر بدفنه هناك قبل سفره إلى الشام فحضر وجهز ، وهذا من الأمور الغريبة .

* * *

وكان — رحمه الله — من مماليك السلطان الملك الظاهر برقوق واشتراه (١١١ ب) فى آخر سلطنته ، ولمــا مات السلطان الملك الظاهر برقوق لم يكن لططر إسم ولا رسم ولا يلتفت إليه ولا يعبأ به ، ولم يصل إلى منزله إلا فى دولة الملك المؤيد شيخ ، وكان فى الدولة الناصرية دائرا مع إخوته فى البلاد الشامية فاستمر عند جكم مدة ، ولمــا مات جكم اتصل بالملك المؤيد ولم يفارقه إلى أن مات ، وتأمر فى أيامه أولا إمرة طبلخاناة ، ثم

أخذ تقدمة ألف ، ثم تولى رأس نوبة كبيرا ، ثم تولى أمير مجلس ، وناب أيضا عن المؤيد فى سفرته إلى الشام فى وقعة قنباى المحمدى نائب الشام لما خامر على السلطان وخرج عن طاعته ، وهو الذى كان متكلما على عمارة الجامع المؤيدى :

وانتخبه السلطان لذلك[1] لعقله وضبطه وأمانته ومعرفته ونهضته ، وكان رجلا دينا ، عفيفا ، سخيا ، متواضعا ، عاقلا ، لبيبا ، عارفا بالأحوال ، خبيرا بالأمور ، حارب الدهر وعركه ، فلذلك قدسه الملك المؤيد واعتمد عليه فى أموره ، وكان يحفظ مسائل جمة من الفقه ، ويدخل بعض الأوقات فى الغوامض ، وجمع كتبا كثيرة غالبها بلسان الترك لأنه كان يقرأ بالتركى قراءة قوية من شدة اهتمامه بلسان الترك ، وذكر الحافظ العلامة شيخنا البدر العينى — رحمه الله تعالى — فى تاريخه : « أنه سبك كتاب القدورى فى الفقه على مذهب الإمام أبى حنيفة بلغة الترك ، من غير تغيير شىء من معناه ولا تبديل من أبوابه ولا تحريف » ، ولما ولى التحدث فى أمر المملكة بعد موت المؤيد أعطى الأمراء والمماليك جميع ما يرومونه من الذهب والفضة والخيل والبغال والجمال والسلاح ، ولم يتوقف فى صرف شىء أصلا ، وأذهب ما جمعه المؤيد — وقد ذكرناه قبل هذا — فى مدة ثلاثة شهور إلى أن سافر بالملك المظفر إلى الشام لأجل النواب ، وكان يقول : « إن عدت بخير وظفرت بالملك يحصل لى جميع القصد ، وإن كان غير ذلك فلا ينبغى أن أترك من هذا المال شيئا لمن يجىء بعدى يتقوى به » ، وكان يقول فى مرضه : « أنا رأيت فى منامى أنى أصل إلى هذه المنزلة ،

(١) أى للإشراف على عمارة جامع المؤيد .

وأتولى السلطنة ، ولكن لا أعلم هل تطول مدتى أم لا ؟» . قال هذا الكلام من لفظه يوم الجمعة ، ومات يوم الأحد ، فكانت مدة سلطنته ثلاثة أشهر وخمسة أيام على التحديد ؛

وأما مدة تحدثه فى المملكة بعد موت المؤيد فأحد عشر شهرا إلا أربعة أيام ضبطا ، ثم نهشته أنياب المنية ، وقطعت عليه الأمنية ، وكانت أيامه قصيرة كالخيال ، ودولته مسرعة بالزوال ، وربنا تعالى هو الموصوف بالبقاء والدوام والكمال .

* * *

ذكر سلطنة السلطان الملك الصالح

محمد بن الملك الظاهر ططر رحمه الله

قدمنا أن الظاهر ططر لما قوى عليه الضعف جمع القضاة والأمراء، وأرباب الدولة يوم الجمعة الثانى من ذى الحجة، وحلفهم على أن تكون السلطنة بعده لولده محمد، فلما توفى يوم الأحد الرابع من ذى الحجة اجتمع العساكر وطلبوا الخليفة المعتضد بالله العباسى والقضاة الأربعة، وهم القاضى ولى الدين العراقى الشافعى، والقاضى زين الدين التفهنى الحنفى، والقاضى شمس الدين البساطى المالكى، والقاضى علاء الدين ابن مغلى الحنبلى الحموى، وعقدوا السلطنة باسم ولده محمد، وعمره مقدار ثمانى سنين (1)، ولقبوه بالملك الصالح، وباسوا له الأرض، ونادوا فى المدينة بالأمان والاطمئنان، والدعاء للسلطان الملك الصالح، والترحم على والده الملك الظاهر ططر، ثم اشتغلوا بتجهيزه (2) ودفنه، واستقر الأمر على هذا.

* * *

وفى يوم الاثنين الخامس من ذى الحجة طلعت الأمراء إلى القصر ومعهم الملك الصالح، وتحالفوا أيضا أن لا يخون بعضهم بعضا، ولكن المماليك السلطانية غوشوا عليهم وطلبوا النفقة، وأراد الأمير بيبغا المظفرى أمير

(1) فى النجوم الزاهرة ٦/٥٢١ «عشر سنين».

(2) أى تجهيز السلطان ططر لدفنه.

سلاح أن يتكلم فضربوه بالدبابيس وكاد أن يقتل ، وانفصل الأمر على ذلك ، وطلع الأمير جانبك الصوفى إلى باب السلسلة ليتحدث فى أمور المملكة كما عهد إليــه الظاهر وكما وقع الاتفاق ، ونزل الأمير يشبك أمير آخور كبير إلى بيته و [استمر] الأمر على هذا ، ولكن نار الفتنة شرعت فى الاشتعال ، ومقدمات الفساد ظهرت بين الرجال .

* * *

ركوب العسكر ومسك تانبك الصوفى

بتاريخ يوم الجمعة الموافق يوم العيد ركبت العساكر فى الرميلة بعد صلاة العيد ، وركب الأمير جانبك الصوفى فى باب السلسلة ، وكان الأمير برسباى الدقماقى الدوادار مقيما بالقلعة من حين كان الظاهر ضعيفا ؛ فأشار إلى المماليك الساكنين فى الأطباق (١١٢ أ) المطلة على الإصطبل أن يرموا بالسهام فرموا على من فى الاصطبل ، وفتح الأمير برسباى ومن معه باب السر ونزلوا ، فاضطر الأمير جانبك إلى الخروج ، فخرج من باب السلسلة وتوجه نحو بيت الأمير بيبغا المظفرى فى الرميلة ليتشاوروا فى هــذا الأمر الذى نزل ، فجاء الأمير طرباى حاجب الحجاب والأمير سودون من عبد الرحمن من جهــة سويقة منعم ، وتكاثرت العساكر ، فوقع التحريش بالقتال واشتدت المقاتلة بينهم وآخر الأمر مسكوا الأمير جانبك الصوفى ، والأمير يشبك أمير آخــور لأنه كان ممن يعضده ، فحملوهما وطلعوا بهما إلى القلعة ، وانفصل الأمر على ذلك .

وفى يوم السبت الحادى عشر من ذى الحجة سفرا بكرة النهار إلى الإسكندرية للاعتقال بها .

وفى هذا اليوم بعد الظهر خلع على الأمير أرغون[(١)] شاه الشامى واستقر أستادار العالية عوضا عن صلاح الدين بن نصر الله بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء الرابع عشر من ذى الحجة مسك القرمشى أحد المقدمين بالديار المصرية ، ورسم للأمير جرباش قاشق أن يلزم بيته بطالا ، وكان هو قبل ذلك بأيام داخل جامع الأزهر ولبس زى الفقراء وترك الإمرة ، وكذلك رسم للأمير صرغتمش العجمى أن يلزم بيته بطالا .

* * *

ذكر استقرار الأمير برسباى الدوادار نظام الملك

لما كان يوم الخميس السادس عشر من ذى الحجة استقر الأمير برسباى نظام الملك ، وفوض إليه التحدث فى أمور المملكة نيابة عن الملك الصالح ، وسكن فى الأشرفية فى قلعة الجبل وليس للصالح محمد فى السلطنة سوى الإسم ، فإنه كان صغيرا كما قدمنا بل وأبله ، فإنه كان إذا أكل لا يشبع ولا يرفع يده من الطعام إلا إن حمل الطعام ، ولا يسمى قبل الأكل ولا يحمد بعده ، فعلمه الطواشية أن يسمى الله قبل الأكل ويحمده بعده ، فجاء الأكل فحمد الله ، ثم لما فرغ من الأكل سمى الله ، وكان له سلطانية صينى أبيض ، فكان بحضور العسكر يقول : « هاتوا سلطانيتى البوز وفرسى الأبيض » وعلى هذا فقس ، وخلع فى هذا اليوم على الأمير طرباى حاجب الحجاب واستقر أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير جانبك الصوفى بحكم مسكه واعتقاله بالإسكندرية ، وسكن فى بيت شيخو بالمدينة ، وخلع على الأمير سودون من عبد الرحمن واستقر دوادارا كبيرا عوضا عن الأمير برسباى بحكم انتقاله إلى وظيفة

(١) هكذا فى الأصل ، ولكنه أرغون النوروزى الأعور ، انظر النجوم الزاهرة ٦/٥٢١ .

نظام الممالك ، وخلع أيضا على الأمير خسرو[1] رأس نوبة كبير واستقر أمير آخور كبيرا عوضا عن الأمير بشتاك بحكم مسكه واعتقاله بالثغر السكندرى فى البرج ، وخلع على الأمير جقمق أخى المصارع واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية عوضا عن الأمير طرباى بحكم انتقاله إلى وظيفة أتابك العساكر، وخلع أيضا على الأمير أزبك واستقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن الأمير خسرو بحكم انتقاله إلى وظيفة الإمرة الآخورية الكبرى .

وفى يوم الاثنين العشرين من ذى الحجة مسك الأمير جكم الحكمى أحد الأمراء الطبلخانات وأحد رءوس النوب ، وكذلك الأمير طوخ الحكمى أمير عشرة .

* * *

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين منه خلع على القاضى صدر الدين أحمد بن العجمى واستقر فى حسبة القاهرة على عادته عوضا عن القاضى جمال الدين يوسف البساطى بحكم عزله ، واستقر القاضى تقى الدين بن قطيط فى حسبة مصر العتيقة عوضا عن ابن المهندس ، وكان ابن المهندس تولاها من عند سودون من عبد الرحمن الدوادار ، فكانت مدة توليته ثلاثة أيام ، وكان قد تولاها عوضا عن ابن قطيط .

وفى يوم الاثنين السابع والعشرين من ذى الحجة خلع على الأمير طرباى أتابك العساكر واستقر ناظرا على المارستان المنصورى وتوجه إليه ، وخلع على الأمير خسرو أمير آخور كبير واستقر ناظرا على المدرسة البرقوقية ونزل إليها ، وخلع أيضا على الأمير أزبك رأس نوبة

(١) دأب الصيرفى على كتابته « خشرو » ولكنه قصروه من تمراز الظاهرى برقوق وقد عمله رأس نوبة النوب ، ثم صار أمير آخور كبيرا فنائب طرابلس وانتهى به الأمر إلى نيابة دمشق التى ظل بها حتى مات سنة ٨٣٩ .

كبير واستقر ناظرا على مدرستى صرغتمش وشيخون وتوجه إليهما ، وخلع أيضا على الأمير سودون من عبد الرحمن الدوادار الكبير واستقر ناظرا على الجامع المؤيدى ونزل إليه ، وكذلك خلع على الأمير جقمق الحاجب الكبير واستقر ناظرا على جامع عمرو بن العاص — رضى الله عنه — والجامع الأزهر ومدرستى ألجاى .

* * *

ذكر أسعار هذه السنة

وصل سعر الذهب المصرى كل دينار بمائتين وثلاثين درهما فلوسا ، والأفلورى بمائتين وعشرة ، وقلت الناصرية جدا بمصر وهى موجودة بالشام ، والفلوس كل رطل بستة دراهم ، والفضة كل وزن درهم بخمسة عشر وسبعة عشر (١١٢ ب) درهما فلوسا ، والإردب من القمح الطيب بمائتين وخمسين ، ومن الشعير بمائة وسبعين وثمانين ، وكذلك الفول ، والفدان البرسيم بألف وأكثر ، وتحسن سعر اللحم فبيع الرطل من الضأن السليخ بعشرة دراهم فلوسا ، ومن البقرى بستة دراهم ونصف من الفلوس ، والرطل من الجبن المقلى بتسعة دراهم وعشرة ، والرطل من الخبز بدرهم ونصف عند الحسبة ، ولكن لايباع الرطل فى الأسواق إلا بدرهمين .

* * *

وفيها[1] أوفى الله النيل المبارك يوم الاثنين الحادى عشر من شعبان ، وكسر الخليج الأمير قنباى الحمزاوى نائب الغيبة ، وغرق فى هذا اليوم ببحر النيل مركب مشحون بالناس ، ومن جملته شاد الشراب خاناه الأمير قنباى الحمزاوى .

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٢ ، أن غاية فيضان النيل فى هذه السنة كانت ثمانية عشر ذراعا وعشرين قيراطا .

وفيها حج بالناس من القاهرة الأمير تمسربای أحد المقدمين بالديار المصرية ، ومن الشام الأمير إلياس الكركي الحاجب الصغير بدمشق .

* * *

ذكر من توفى هذه السنة من الأعيان

٦٠١ – السلطان الملك المؤيد ، وقد ترجمناه .

٦٠٢ – السلطان الملك الظاهر ططر .

٦٠٣ – الملك الصالح ولده محمد .

٦٠٤ – الأمير قجقار القردمى ، توفى فى حبس إسكندرية مقتولا ، وكان من مماليك الأمير قردم الحسنى الذى كان رأس نوبة كبيراً فى دولة الظاهر ، وكن قجقار فى خدمته ، ثم ترقى به الحال إلى أن تولى فى الديار المصرية وظيفة أمير سلاح ، وتولى نيابة حلب مدة ، قال قاضى القضاة شيخنا البدر العينى : « ولم يشتهر له معروف ، ولم يصل إلى هذه المرتبة إلا فى الدولة المؤيدية » .

٦٠٥ – الأمير جلبان رأس نوبة سيدى إبراهيم ، توفى فى حبس إسكندرية مقتولا .

٦٠٦ – الأمير جقمق نائب الشام ، توفى فى قلعة دمشق مقتولا ، وكان أصله من مماليك الأمير أرغن شاه ، وكان عارفا حاذقا ، إلا أنه كان ظالما عسوفا طماعا محبا للمال ، وخلف منه جانبا كبيرا .

٦٠٧ – الأمير عليباك الدوادار ، توفى مقتولا فى قلعة صفد ، وكان رجلا عنده طيش ، وكان كثير الكلام ، ولكن يتعصب لمن يلوذ به ، قليل الطمع فى أحكامه .

٦٠٨ ــ الأمير سيدى فرج بن سكزباى أحد الأمراء العشرات ، توفى يوم الجمعة الرابع من صفر بالقاهرة ، وكان شابا بهيا طريا جميل الصورة ، لم يشبع من إمرته .

٦٠٩ ــ الأمير يشبك المشد نائب حلب ، قتل فى هذه السنة وقد ذكرناه ، وكان شابا جاهلا فاسقا ، ظالما غشوما طماعا ، اشتراه الملك المؤيد وهو نائب طرابلس بألف دينار ، هكذا ذكر المؤيد ، وقال ذلك فى تاريخه البدر العينى ، ثم ترقى حاله عنده إلى أن ولاه شاد الشراب خاناه ، ثم أعطاه تقدمة ألف ، ثم ولاه نيابة طرابلس ، ثم نيابة حلب ، ولم يشتهر عنه معروف .

٦١٠ ــ الأمير ألطنبغا القرمشى ، قتل فى هذه السنة بقلعة دمشق ، وأصله من مماليك الظاهر برقوق ، ولكن لم يلتفت إليه فى أيام برقوق ، وأخذ الإمرة فى الشام فى الدولة الناصرية ، ثم ترقى حاله إلى أن صار أميرا بتقدمة ألف بدمشق ، ثم تولى الحجوبية الكبرى بها ، ثم تولى نيابة صفد ، ثم لما تسلطن المؤيد طلبه إلى القاهرة وولاه أمير آخور كبيرا ، ثم تولى أتابك العساكر بالديار المصرية ، ثم جرى عليه ما جرى إلى أن قتل ، وكان رجلا متواضعا لينا ، لكنه [كان] بخيلا طماعا ، ولم يشتهر عنه خير ولا معروف .

٦١١ ــ الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الطرابلسى ، توفى فى هذه السنة بدمشق بعد ضرب شديد وعصر فظيع ، وكان أحمق أهوج ، ولى أستادار السلطان المؤيد وهو نائب الشام ، ثم حضر معه إلى مصر وتولى أستادار العالية ، ثم استقر مشيرا فى الدولة ، ثم استقر نائب الإسكندرية ، ثم تولى الوزارة بالديار المصرية ثم غضب عليه المؤيد ونفاه إلى طرابلس على إمرة .

ولمـا مات المؤيد وتولى التحدث فى المملكة الأمير ططر وعصى نائب الشام الأمير جقمق جاء إليه ابن محب الدين من طرابلس وتولى مصادرة الناس وجمع الأموال وعاد إلى ظلمه القديم ، ولمـا سافر الملك الظاهر ططر إلى الشام مسك وضرب وعصر وقتل ،وكان ظالمـا عسوفا طماعا ، ولم يشتهر عنه خير ولا معروف .

٦١٢ ــ جلال الدين بن عبدالرحمن بن الشيخ العلامة سراج الدين عمر ابن رسلان الكنانى المصرى الشافعى ،توفى ليلة الخميس الحادى عشر من شهر شوال من هذه السنة ودفن صبيحة يوم الخميس وصلى عليه فى الجامع المنسوب إلى الحاكم بأمر الله ، وكان الذى صلى عليـه الشيخ العالم شمس الدين محمد بن الديرى القدسى ،ودفن عند والده الشيخ سراج الدين وأخيه القاضى بدر الدين فى المدرسة المنسوبة إليهم فى حارة بهـاء الدين قراقوش مقابل بيتهم .

وكان رجلا فاضلا ذكيا ، اشتغل على أبيه سراج الدين وعلى غيره من العلمـاء ، وتولى القضاء بالديار المصرية يوم الاثنين الخامس من شهر جمادى الآخرة من سـنة أربع وثمانمائة عوضا عن القاضى ناصر الدين ابن الصالحى بحكم عزله ،وعزل مرات بالقاضى شمس الدين الإخنائى ، وآخر عزله كان بالقاضى شمس الدين الهروى (١١٣ أ) ،ثم أعيـد إلى القضاء ، وتوفى وهو قاض .

وكانت عنده عفـة ظاهرة، ولكن من كان حوله ما يسلمون من تناول ما ليس لهم .

* * *

فصـــل

فيما وقع من الحوادث

فى السنة الخامسة والعشرين بعد الثمـانمائة

استهلت هذه السنة والسلطان الملك الصالح أحمد بن الملك الظاهر ططر، والخليفة هو المعتضد بالله داود العباسى، والمتحدث فى المملكة نظام الملك برسباى الدوادار الكبير - كان - الدقماق، وأتابك العساكر الأمير طرباى، والدوادار الكبير سودون من عبد الرحمن، وأمير آخور كبير الأمــير خسرو، ورأس نوبة كبير الأمير أزبك، وحاجب الحجاب الأمــير جقمق أخو المصارع.

وقاضى القضاة الشافعية الشيخ ولى الدين بن العراقى، والقاضى الحنفى زين الدين التفهنى، والقاضى المـــالكى شمس الدين البساطى، والقاضى الحنبلى علاء الدين بن مغلى الحموى، وكاتب السر القاضى علم الدين ابن الكويز، وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط، وناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله، وناظر الأحباس بدر الدين العينى الحنفى، والوزير تاج الدين بن كاتب المناخات.

ونائب الإسكندرية الأمير فارس دوادار ططر كان ، ونائب غزة الأمير يونس[1] الأعور تولاها عوضا عن أركماس الجلباني ، ونائب حماه الأمير تنبك البجاسي ، ونائب حلب الأمير تغرى[2] بردى ، ثم ذهب وهرب إلى بهسنا ، ودخل في قلعتها وتحصن فيها هو ومن معه مثل كزل مملوك شيخ الذي كان هرب من ملطية ، وتولى عوضه حلب الأمير تنبك البجاسي نائب حماة ، وتولى حماه الأمير أركماس الجلباني بعد امتناعه عن الطاعة وهروبه ، وتولى طرابلس الأمير إينال اليوسفي النوروزي ، ووصل [خبر] هروب نائب حلب مع مملوك نائب الشام يوم الأربعاء الرابع من صفر .

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من المحرم مسك الأمير تمرباي — أحد المقدمين بالديار المصرية الذي كان حج بالناس في العام الماضي — ونفي إلى دمياط .

وفي يوم الاثنين الثاني من صفر نفي الأمير أيتمش الخضري إلى القدس الشريف بطالا ، وكان قد تعين للتوجه إلى منفلوط لقبض مغل السلطان ، فامتنع من ذلك فجوزي بذلك وبأمور صدرت منه قبل هذا .

* * *

وفي يوم الاثنين مستهل ربيع الأول حضر رسل الأمير إسكندر ابن الأمير قرا يوسف صاحب تبريز ومعهم هدايا ، منها : بخاتي ثلاثون رأسا وصقور وغير ذلك .

---

(١) هو يونس الركني بيبرس ابن أخت برقوق ويعرف بالأعور ترقى في الوظائف حتى نال تقدمة بدمشق وتولى نيابة غزة أكثر من مرة ومات سنة ٨٥١ ، انظر الضوء اللامع ١٠/١٣٢٢ .

(٢) هو تغرى بردى المؤيد المعروف بأخي قصروه وإن كان السخاوي في الضوء اللامع ٣/١٢١ يجهل وفاته سنة ٨١٨ .

وفى يوم الأربعاء الثالث من ربيع الأول مسك الأمير سودون الحموى أحد المقدمين بالديار المصرية ، والأمير قنصوه أحد الأمراء الطبلخانات وعوق فى البرج بقلعة الجبل ؟

* * *

ذكر حركة أتابك العساكر طرباى

لما كان العاشر من شهر صفر عدى الأمير طرباى إلى بر الجيزية وأقام فيه فى الترسيم عشرين يوما ، وكثر قيل الناس فى غيبته بأنه غير مطيع لنظام الملك ولا يلتفت إليه ، وعدى صحبته بلبوس وسلاح ، ولما عدى إلى القاهرة أقام يومين أو ثلاثة ولم يطلع إلى الخدمة ، فقويت الأراجيف فى حقه من أنه يريد الركوب ، وأنه يريد يفعل كذا وكذا ، ثم طلع[1] إلى الخدمة يوم الخميس الرابع من ربيع الأول ، فمد السماط ، ولما فرغوا من أكله قال الأمير برسباى نظام الملك للأمير طرباى : « أنتم ما تعلمون أنى كبيركم ؟ » قال : « نعم » قال : « كيف لا تسمعون كلامى ؟ » وأشار بمسكه فقام طرباى وسل السيف ، وقام برسباى أيضا وسل السيف ، فأصابت ضربة برسباى من طرباى فجرحت ساعده جراحة بليغة ، حتى قيل إن المزين خيطها بعشرين إبرة ؛ وأما طرباى فلما أراد ضربه خابت ضربته لأن برسباى كان معه درقة ، وانسلت السيوف فى القصر ووقع خباط عظيم وتكاثروا على طرباى فمسكوه وعوقوه فى القلعة ، ثم شيعوه للاعتقال ببرج إسكندرية صحبة الأمير إينال الششمانى .

* * *

(١) لم يكن طلوعه فى واقع الأمر عن رغبة منه ولكن دفعه إليه الأمير يشبك الساقى الأعرج مغريا إياه بأن جميع المماليك الظاهرية معه وكان ذلك خديعة منه لطرباى الذى دل على غفلته ، وزاد على ذلك بأنه لم يأخذ معه حين طلوعه للخدمة التى كانت بالقصر الصغير السلطانى سوى رءوس النوب ممن ليس فى أوساطهم سيوف .

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول خـلع على كافور الطواشي الذي كان زمام الأدر الشريفـة وعزله الظاهر ططر وقـرر عوضه مرجان الهندي ، وكان مرجان قد مسك قبل هذا التاريخ بخمسـة أيام وسلم إلى الأمير أرغنشاه الأستادار ، وقرر عليه مبلغ عشرين ألف دينار فباع موجوده من الخيول والجمال والأثاث وغير ذلك .

* * *

وفي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول قدم الأمير أيتمش الخضري من القدس الشريف بعد أن وقعت فيه الشفاعة .

* * *

وفي يوم الاثنين السابع من ربيع الآخر قدم الأمير تنبك ميق نائب دمشق ، وكان قد طلب بكتاب على يد الأمير ناصر الدين بن الأمـير منجك ، فتلقاه الأمراء الأكابر والأصاغر إلى بلبيس ، وعظمه أيضـا نظام الملك برسباى تعظيما لا يوصف ، ونزل في بيت الأمير أيتمش عند باب الوزير ، وحضر معـه الأمير تمراز الأعور وكان له مدة بطالا بدمشق المحروسة .

* * *

انتهى بحمد الله الجزء الثانى

من كتاب نزهة النفوس والأبدان للجوهرى

ويليه إن شاء الله الجزء الثالث وأوله

سلطنة نظام الملك الأشرف أبى النصر برسباى

كشاف

الجزء الثانى من نزهة النفوس والأبدان

فى تواريخ الزمان

(٢-٣٤)

كشاف بأسماء الأعلام والقبائل والدول

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ش)

(غ)

(ف)

(ن)

كشاف بأسماء الأماكن والبقاع

(ت)

(ج)

(ح)

(ك)

(ل)

(م)

كشاف بالوظائف والألقاب والمصطلحات المملوكية
الواردة فى الجزء الثانى من النزهة

(خ)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ك)

(و)

(ى)

فهرس بالسنين الواردة

فى الجــزء الثانى

من نزهة النفوس والأبدان

فهرست بالسنين الواردة فى الجزء الثانى

من نزهة النفوس والأبدان

رقم الايداع بدار الكتب ٥٤٦٩ لسنة ١٩٧١

(مطبعة دار الكتب ١٩٧١/٥/٣٠٠٠)